

مكتبة دار الحديث العامة - القاهرة

(١٧٦)

المغربي

في

شرح العقيدة القيروانية

(مقدمة الرسالة لابن أبي شربة القيرواني المرقوم ت ٢٨٦ م)

وهو تامله القيرواني من قول مالك ، ولما لم يكن من مذهبه
وسأله أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والمذهب

تأليف

عبد العزيز بن مرقوق القطراني

عقد الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مكتبة دار الحديث العامة

مكتبة دار الحديث العامة

القاهرة - مصر

المغربية

شرح العقيدة الفخرية

جميع حقوق الطبع محفوظة دار المنهج بالرياض
الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ

مكتبة دار المنهج
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية، الرياض

الرياض - ١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦

١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦

١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦

١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦

١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦

١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦ - ١١٦٦٦٦٦

الملخص في

في

شرح العقيدة القديروانية

(مقدمة الرسالة لنبينا أبي نعيم القدير والي الطريق ٢٨٦ هـ)

وهو ما نقله القدير والي من قول مالك ، ولما علم من مذهبه
وما عليه أهل الشافعية وأهل الناس في الفقه والمذهب

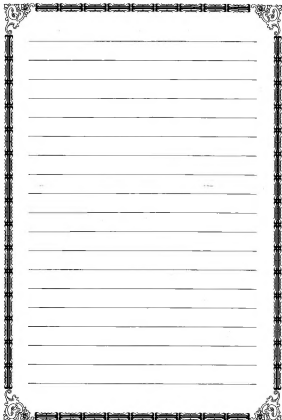
تأليف

عبد العزيز بن مرزوق القطري

عمر الله ولوالديه وأهله

مكتبة دار الفقه

الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِلْقَدِمَةِ الْعَقْدِيَّةِ، لِلرَّسَالَةِ الْفَقْهِيَّةِ

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زَيْنَبٍ الْقَمَرَوَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
(ت ٤٣٨٦هـ):

الْحَمْدُ هُوَ الَّذِي ابْتَدَأَ الْإِنْسَانَ بِنِعْمَتِهِ، وَصَوَّرَهُ فِي الْأَرْحَامِ بِحِكْمَتِهِ،
وَأَبْرَزَهُ إِلَى رِفْقَةٍ، وَمَا يَسَّرَهُ لَهُ مِنْ رِزْقَةٍ، وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَانَ
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظِيمًا.

وَنَثَّه بِأَثَرِ صُنْعَتِهِ، وَأَعَدَّ لَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُرْسَلِينَ الْخَيْرَةَ مِنْ
خَلْقِهِ، فَهَدَى مَنْ وَلَقِيَ بِفَضْلِهِ، وَأَضَلَّ مَنْ غَدَلَهُ بِعَدْلِهِ، وَهَسَرَ الْمُؤْمِنِينَ
لِلْيُسْرَى، وَفَرَّخَ صُلُوبَهُمْ لِلدُّكْرِى، فَاسْتَوَا بِاللَّهِ بِالسَّيْتِهِمْ نَاطِقِينَ،
وَبَقُلُوبِهِمْ مُخْلِصِينَ، وَبِمَا أَتَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُ وَخُتِبَ عَلَيْهِمْ عَامِلِينَ، وَتَعَلَّمُوا مَا
عَلَّمَهُمْ، وَوَقَفُوا حَيْثُ مَا خُذَ لَهُمْ، وَاسْتَمَلُّوا بِمَا أُحِلَّ لَهُمْ عَمَّا حُرِّمَ
عَلَيْهِمْ.

أَتَانَهُ.

أَعَانَا اللَّهُ وَلِيَّكَ عَلَى رِعَايَةِ وَكَائِبَةٍ، وَحِفْظِ مَا أَوْدَعَنَا مِنْ شَرَائِبِهِ.
لَوْكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَكَ جُمْلَةً مُخَفَّضَةً مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدُّنْيَا؛

بِمَا تَنْتَلِظُ بِهِ الْآلِيَّةَ، وَتَعْتَقِدُ الْقُلُوبَ، وَتَعْمَلُ الْجَوَارِحَ، وَمَا يَتَّصِلُ
بِالْوَاجِبِ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْءِ مِنْ مُؤَكِّدِهَا وَتَوَائِلِهَا، وَزَعَائِلِهَا وَشُرُوبِهَا مِنْ
الْأَذَابِ بِهَا، وَجَعَلَ مِنْ أَصُولِ الْفَقْرِ وَفُتُورِهِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَا لَكَ مِنْ
أَنَسِ رِجَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَيْهِ السَّلَامُ.

مَعَ مَا سَهَلَ سَبِيلَ مَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ، مِنْ تَفْسِيرِ الرَّاغِبِينَ، وَتَيَانِ
الْمُتَقَلِّبِينَ، لِمَا رَغِبْتَ فِيهِ مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ لِلْمُؤَلِّقَانِ، جَمَا تُعَلِّمُهُمْ حُرُوفُ
الْقُرْآنِ، يُنْسِبُونَ إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ فَهْمِ دِينِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ، مَا تُرْجَى لَهُمْ
بِرَحْمَتِهِ، وَتُحْمَدُ لَهُمْ عَاقِبَتُهُ، فَأَجَبْتُكَ إِلَى ذَلِكَ، لِمَا رَجَوْتُهُ لِنَفْسِي وَلَكَ مِنْ
تَوَابِ مَنْ عَلَّمَ دِينَ اللَّهِ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ.

وَاعْلَمْ: أَنَّ خَيْرَ الْقُلُوبِ: أَوْعَاةُ الْخَيْرِ، وَأَرْجَى الْقُلُوبِ لِلْخَيْرِ:
مَا لَمْ يَسْبِقِ الشَّرُّ إِلَيْهِ.

وَأَوَّلَى مَا غَضِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ، وَرَغِبَ فِي أَجْرِهِ الرَّاغِبُونَ: إِحْصَالُ
الْخَيْرِ إِلَى قُلُوبِ أَوْلَادِ الْمُؤْمِنِينَ، لِيَتَرَسَّخَ فِيهَا، وَتَنْبِيهُهُمْ عَلَى مَعَالِمِ
الدُّنْيَا، وَحُدُودِ الشَّرِّعَةِ لِيَرَاضُوا عَلَيْهَا، وَمَا عَلَيْهِمْ أَنْ تَعْتَقِدَ مِنَ الدِّينِ
قُلُوبُهُمْ، وَتَعْمَلَ بِهِ جَوَارِحُهُمْ، فَإِنَّهُ دَوِيٌّ أَنْ تَعْلِمَ الصِّغَارَ لِكِتَابِ اللَّهِ،
يُظَلِمُ غَضَبَ اللَّهِ، وَأَنْ تَعْلِمَ الشَّيْءَ فِي الصِّغَرِ: كَالْقَلْبِ فِي الْحَجَرِ.

وَلَمَّا مَلَأْتَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَنْتَهِعُونَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِحِفْظِهِ،
وَتَشْرُكُونَ بِحُلُمِهِ، وَتَسْتَعِينُونَ بِإِحْقَاقِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ.

وَلَمَّا جَاءَ أَنْ يُؤْمَرُوا بِالصَّلَاةِ لِتَسْبِيحِ سَيِّدِنَا، وَتَضَرُّعِهَا عَلَيْهَا لِنُغْفِرَ،
وَنُغْفِرَ تَبَتُّهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ، فَكَمَلْتُكَ: بِتَبَيُّنِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا مَا قَرَضَ اللَّهُ عَلَى
الْجَنَابِ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ كُلِّ بَلُوغِهِمْ، لِأَتَيْنَ عَلَيْهِمُ الْبُلُوغَ، وَلَمَّا تَشَكَّلَ ذَلِكَ مِنْ
قُلُوبِهِمْ، وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ، وَأَبَسَتْ بِمَا يَتَعَلَّمُونَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ جَوَارِحُهُمْ.

وَقَدْ فَرَمَنَ اللَّهُ مُبَحَّاهُ عَلَى الْقَلْبِ عَمَلًا مِنَ الْإِغْيَافَاتِ، وَعَلَى
الْجَوَارِحِ الْكَاوِرَةِ عَمَلًا مِنَ الْكَلَامَاتِ.

وَسَأَقْضِيْ لَكَ مَا شِئْتَ لَكَ وَتَحْرُجُ بَابًا بَابًا، لِيَقْرُبَ مِنْهُمْ مُتَعَلِّمِي
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِنَّمَا نَسْتَعِينُ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَمُلَى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا عَظِيمًا



بَابُ مَا تَنطَلِقُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَتَعْتَقِدُهُ الْأَفْئِدَةُ مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ

مِنْ ذَلِكَ: الْإِيمَانُ بِالْقَلْبِ، وَالْعَقْلُ بِاللِّسَانِ: أَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا شَيْءٌ لَهُ، وَلَا نَظِيرٌ لَهُ، وَلَا وَلَدٌ لَهُ، وَلَا وَالدٌ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةٌ لَهُ، وَلَا شَرِيكٌ لَهُ.

لَيْسَ لِأَوَّلِيهِ انْتِهَاءٌ، وَلَا لِآخِرِيهِ انْقِضَاءٌ.

لَا يَتَلَمَّحُ لَهُ صِفَتِيهِ الْوَاضِعُونَ، وَلَا يُحِيطُ بِأَمْرِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ.

يَتَغَيَّرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِإِلَاقَتِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَا هِيَ طَائِفَةٌ.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

الْعَالِمُ الْخَبِيرُ، الْمُنْذِرُ الْقَدِيرُ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، الْغَلِيُّ الْكَبِيرُ.

وَأَنَّ فَرْقَ غَرَضِهِ الْمَجِيدِ بِطَائِفَةٍ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِيَّةٍ.

خَلَقَ الْإِنْسَانَ، وَتَعَلَّمَ مَا تُؤَسِّسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ الْمَرْبُ إِلَهُ مِنْ خَلْقِ السَّوْمِدِ، ﴿وَمَا تَسْأَلُ مِنْ فَتْنَةٍ إِلَّا بِمَقَلَّتِهَا وَلَا حَسْرَةٍ فِي تَلَكُّنِ الْأَنْبِيِّ وَلَا تَكَلُّبِ وَلَا كَيْبٍ إِلَّا فِي كَيْفٍ لِيُخَيَّرَ﴾ (الأنعام: ١٠٩).

عَلَى الْمَرْغَبِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمَلِكِ اخْتَوَى.

وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ الْعُلَا، لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، تَعَالَى أَنْ تُكُونُ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً، وَأَسْمَاؤُهُ مُخْلَقَةً.

كَلَّمَ مُوسَى بِتَلَاوِيهِ الَّذِي هُوَ صِفَةٌ دَائِمَةٌ، لَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ.

وَكَجَلَى لِلْجَبَلِ فَصَارَ دُكَّاءً مِنْ جَلَالِهِ.

وَأَنَّ الْفَرَّاقَ عِلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَهَيْبَةٍ، وَلَا صِفَةٌ لِتَخْلُوقٍ

يَنْفُذُ.

وَالْإِيمَانُ بِالْقُدْرَةِ خَيْرٌ وَشَرٌّ، حُلُوبٌ وَمُرَّةٌ، وَكُلُّ ذَلِكَ قُدْرَةُ اللَّهِ

وَكَمًّا، وَمَقَادِيرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ، وَمَضَرُّهَا عَنْ قَضَائِهِ.

عَلِمَ كُلُّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ؛ فَجَرَى عَلَى قُدْرَتِهِ، لَا يَكُونُ مِنْ بَيَادِهِ قَوْلٌ

وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ، وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ؛ ﴿إِلَّا يَتَكَلَّمُ مَنْ حَقٌّ وَهُوَ الْغُلُوفُ

الْحَقُّ﴾ (النمل: ٢٤).

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيُخَفِّلُهُ بِخَلْقِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُزَوِّقُهُ بِفَضِيلَةٍ؛ فَكُلُّ

مَيْسَرٍ بِتَجْسِيرِهِ، إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ جُلُوبٍ وَقُدْرَةٍ، مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ.

تَقَالَى أَنْ يَكُونَ فِي مَلِكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، أَوْ يَكُونُ لِأَعْدِي عَنَّةٌ ضَرِيٌّ، أَوْ

يَكُونُ غَالِقٌ لِشَرِّهِ إِلَّا هُوَ، رَبُّ الْعِزَّةِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ، وَالْمُنْقِذُ لِبَحْرَكَانِهِمْ

وَأَجْمَالِهِمْ.

الْبَاقِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ؛ لِإِقَامَةِ الْحُكْمِ عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالنَّذَارَةَ وَالنُّبُوَّةَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَجَعَلَهُ آخِرَ

الرُّسُلِينَ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَفَاعِلًا إِلَى اللَّهِ بِإِفَاتِهِ وَسِرَاجًا مُبِيرًا.

وَالزَّلَّ عَلَيْهِ كِتَابُهُ الْحَكِيمُ، وَشَرَحَ بِهِ دِينَ الْقَوْمِ، وَغَنَى بِهِ الصَّرَافَ

الْمُسْتَقِيمَ.

وَأَنَّ السَّاعَةَ قَرِينَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ، كَمَا

يَذْكُرُهُمْ بِمَوْتِهِمْ.

وَأَنَّ اللَّهَ شَبَّانَةٌ وَتَعَالَى شَاعَتْ لِيَمَانِوِ الْمُرْسِينَ الْحَسَنَاتِ، وَصَلَحَ لَهُمْ بِالْقُرْبَى عَنْ كِتَابِي الشُّبَّانَاتِ، وَغَفَرَ لَهُمُ الصَّغَائِرَ، بِاجْتِنَابِ الْكِبَارِ، وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَنْبُ مِنَ الْكِبَارِ حَاسِرًا إِلَى مَشِيئَةٍ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ وَتَقَرَّبَ مَا مَلَّكَ ذَلِكَ لِمَنْ يَكْلَأُ ﴿النساء: ٤٨﴾.

وَمَنْ عَابَهُ اللَّهُ بَارِيًا، أَلْحَجَّهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ، فَأَدْخَلَهُ بِهِ جَنَّةً: ﴿مَنْ يَسْمَلْ يَسْمَلْ وَيَسْكَالْ دُرُّهُ حَيْرًا يَسْرَهُ﴾ [الزُّلْفَى: ١٧].

وَيُخْرِجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكِبَارِ مِنْ أُمَّةٍ.

وَأَنَّ اللَّهَ شَبَّانَةٌ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ قَاعًا كَانَتْ خُلُودٌ لِأُولِيائِهِ، وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَهِيَ الَّتِي أَعْبَدَ مِنْهَا أَدَمُ نَبِيَّهُ وَخَلِيفَتُهُ إِلَى أَرْضِهِ، بِمَا سَبَقَ فِي سَابِقِ بِلْدَةٍ.

وَعَلَّقَ النَّارَ قَاعًا كَانَتْ خُلُودٌ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ، وَالْحَقُّ فِي آيَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَعَلَهُمْ مَحْجُورِينَ عَنْ رُؤْيَاهُ.

وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِحِمِيَّةِ يَوْمِ الْبَيْعَةِ، ﴿وَاللَّكَّكَ سَكَا سَفَا﴾ [النمر: ١٢٢] لِعَرْضِي الْأَسْمِ وَبِجَانِبِهَا، وَغُلُوبَتِهَا وَتَوَابِعِهَا.

وَتَوْضُوعِ الْمَوَازِينِ لِوِزْنِ أَهْمَالِ الْعِبَادِ ﴿مَنْ خَلَقْتَ تَوْبَةً فَأَوْفَتْكَ هُمْ التَّائِبُونَ﴾ [الأمراء: ٤٨].

وَلِتَوَزْنَ صَحَابَتُهُمْ بِأَهْمَالِهِمْ: قَدْ ﴿مَنْ أَوْفَى كَيْفَهُ يَسِيرُ﴾ ﴿سُورَةُ الْحَاشَةِ: ٢٦﴾ ﴿الاستغفار: ٢٨-٢٧﴾ وَمَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ فَأُولَئِكَ يَصْلُونَ سَوِيرًا.

وَأَنَّ الصَّرَافَ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقُلُوبِ أَهْمَالِهِمْ، فَيُتَاجُونَ مُتَقَاتِلُونَ فِي سُرْعَةِ النَّجَا عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَلِقَوْمِ أَوْفَاتِهِمْ فِيهَا أَهْمَالُهُمْ.

وَالْإِيمَانُ بِكُتُوبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَرْتَدُّ أُمَّتُهُ، لَا يَنْقُصُ مِنْ شَرِبِ
وَيْتِهِ، وَتَذَادُّ عَنْهُ مَنْ يَذَلُّ وَتُغَيَّرُ.

وَأَنَّ الْإِيمَانَ: قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخْلَاصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ،
يَزِيدُ بِرِزْقَةِ الْأَعْمَالِ، وَيَنْقُصُ بِتَقْصِيرِهَا، فَيَكُونُ فِيهَا النِّقْصُ، وَفِيهَا الزَّيَادَةُ.
وَلَا يَحْتَمِلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْمُتَمَلِّ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِمُتَوَاقِفٍ،
وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَبَيْتٌ إِلَّا بِمُؤَلَّفَةِ الشُّكْرِ.

وَأَنَّهُ لَا يَتَخَفَّرُ أَحَدٌ بِغَلَبٍ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتَةِ.

وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَخْيَاءَ جَنَدِ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ، وَأَزْوَاجُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ
نَاجِيَةٌ إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ، وَأَزْوَاجُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَلَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَفْتَحُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيَسْأَلُونَ: ﴿يَحْيَيْتُكَ اللَّهُ الْيَوْمَ﴾ سَأَلُوا
بِالْقَوْلِ الْكَاتِبِ فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ وَفِي الْآخِرَةِ: (البراهين: ١٢٧).

وَأَنَّ عَلَى الْمَوْتِ حَقَقَةً يَحْتَسِبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَنْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ
عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ.

وَأَنَّ مَلَكَ الْقُبُورِ يَلْبِثُ الْأَزْوَاجَ بِأَذْنِ رَبِّهِ.

وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ: الْقُرُونُ الَّتِي رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَكَلَّمُوا بِهِ، ثُمَّ
الَّتِي يَكُونُ فِيهَا، ثُمَّ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا.

وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ: الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمُتَهَدِّدُونَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمرُ،
ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَأَلَّا يُذْخَرُ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، وَالْإِنْسَانُ
عَمَّا ضَمَرَ بَيْنَهُمْ، وَاللَّهُمَّ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُلْقَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ التَّحَارِجِ،
وَيُظَنُّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ.

وَالْقَاعَةُ لِأَيُّهُ الْمُسْلِمِينَ، مِنْ وَلَاةِ أُمُورِهِمْ وَعَلَمَاتِهِمْ.
وَأَتَابُ السَّلْبِ الصَّالِحِ، وَالْفَضَاءِ أَثَارِهِمْ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ.
وَتَرَكُ الْجَوَاءِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ، وَتَرَكُ مَا أَخَذَتْهُ الْمُحِبُّونَ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَوَرَثَتِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا





المُقَدِّمَة

الحمد لله؛ له الحمد كله، أوَّلُهُ وآخرُهُ، ظاهِرُهُ وباطِنُهُ، وله الشكر كله على ما أفاض به وتكرَّم، وتفضَّل به على عباده وأنعم. ونشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

وصلَّى الله وسلَّم على النبيِّ الأُمِّيِّ، محمَّد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ،

فإنَّ أعظمَّ الواجباتِ على الإنسان: معرفةُ مُوجِبِهِ، وغايةُ وجودِهِ، وحَقُّ مُوجِبِهِ - وهو الله - عليه؛ وذلك أنَّ هذا هو دعوةُ جميع الرسل؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ إِلَّا نُوْحِنَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّبِعْنِي﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [الشورى: ٥٦].

وبيانُ الحقِّ يكونُ بأخيه من أصولِهِ والتفصيلُ عليه به، وبيانُهُ يكونُ بلا جدالٍ ولا مرأى؛ فإنَّ الجدالَ والمرأى الزائِدَ عن اليقِيَةِ يُورِثُ العنادَ والمكابرةَ، ويُحْدِثُ في نفوسِ المخالِفينَ العزَّةَ بالإثمِ حتى وإن استبانوا الحقَّ.

فإنَّ الناسَ من يقولُ الخطأَ بلا فتَاةٍ، فإذا جادَلَهُ أحدٌ عاندٌ وكابرٌ؛ فيكونُ جدالُهُ قُبْحًا للخطأِ في نفسه؛ ويثُلُّ هذا يبيِّنُ له الصوابَ ويُزكِّى بلا جدالٍ.

ولقد نهج الأئمة من السلف بيان الحق والبعث عن الجدال الزائد فيه، وقد قيل لمالك: الرجل له علم بالشئ يجادل عنها؟ قال: «لا، ولكن يُخبر بالشئ» فإن قيل منه، وألا سكت؟^(١)

وليس أخ الحق بلا جدال ولا مراو زائد عن الحاجة، يُبقي في قلب المخاليف قسماً منه وإن لم يظهر قبوله، وربما حمله ذلك على المراجعة في السرّ نهياً من الرجوع في العلن؛ فللنفس سلطانٌ وعزّة لا تغلبها بالحق إلا القدرة من أصفاء الناس.

والواجب على المتكلم: بيان الحق بحججه بما يفهمه السامع والقارئ بلا تكلف، مع الأخذ في الحسبان: المعانيذ، وضعيف الفهم، والضيقت بينهما؛ فإن بعض من يعجز عن الفهم، يظن أن القائل يعجز عن التعبير؛ وهذا يمكن تفرقة بالرفق، ويمكن أن يُبعد فيصنع منه الإبعاد معانداً بالشدة.

ولم يزل العلماء يعرفون الإنسان ويذكرونه بذلك، ويعرفونه بحق ربّه عليه، وذلك في كل بلد، وفي كل زمن، ولم تخل بلد من بلدان الإسلام شرقاً وغرباً من مبلغ عن الله تقيّم للحجج على الخلق؛ وهذا يقتضي حفظ الله لدينه أن سحر له حفظه يحفظونه ويبلغونه.

وفي المغرب اثنتان على آثار من سلف؛ فقد تركها صحابة وتابعون، وأئمة مهتدون، وأخذ عنهم أهلها، ومنهم أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، وله كتب على آثار من السلف في الأصول والفروع، ومنها كتاباته: «الرسالة»، «الجامع»، وقد أبان فيهما اعتقاد السلف في

معرفة الله وحقه على صباه، وقد تعلّى نفع كثير أهل بلده؛ فانتفع بها أهل المشرق والمغرب.

هذا؛ وقد زوّت القبروان عام ثلاث وثلاثين وأربع مئة وألف، وكان في أهلها حبٌ للعلم وحرصٌ على تلقّيه فيما كان من مجالس في جامع القبروان: (عُقبه بن نافع)، وغيره.

وقد رَجِبَ إليّ بعض من أُميت: شرح معتقد ابن أبي زيد، ويان ما عليه أسلافه من الأئمّة المهدّيين من الصحابة والتابعين، وما عليه الإمام مالك وأصحابه؛ خاصة من أهل المغرب الذين لا يختلفون عن عقبتهم من الأئمّة في شيء من الأصول إلا باختلاف الأرض، ونياعيد القطر.

وقد كان التعليق على مقلعة «الرّسالة» من غير إطلالة مُبِل، ولا اختصار يُجِل، حتى يتحقّق المقصود، ومن الله التوفيق والسند.

وصلّى الله وسلّم على النبي وعلى آله وصحبه أجمعين

عبد العزيز الطريفي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، مستوجب كمال الشكر لتفريده بالشعير،
والصلاة والسلام على سيّد ولد آدم المبعوث لجميع الأئمة:
آلنا بقائه.

فإن توفيق الإنسان يكون بمقدار علمه وصدق فيه؛ فلا ينال التوفيق
إلا بالعلم بالحق، وكمال التوفيق إصابة الحق عن علم به، وذلك أنه قد
يُصيب الإنسان الحق وهو جاهل؛ وذلك بالصدقة والتقليد، ومن أصاب
الحق بالصدقة والتقليد لا يثبت عليه، وإنما يتغير بحسب عوامل الصدقة
وسير المتبرعين وما يُلحظه من خوف أو طمع في طريقه.

وقد ينشأ الإنسان في بلد أو مجتمع ويكون على ما كان عليه
منشؤه، وقد يُصيب الحق وقد لا يُصيبه، وقد يُصيبة عن علم، وقد يُصيبة
من جهل، كما أنه قد يُخطئه عن علم، وقد يُخطئه من جهل.

فَضْلُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلُ:

ولا يختلف الناس على فضل العلم، وأن زيادة اليقين تكون - من
بين ما تكون - بمقدار زيادة العلم، وأعظم مراتب اليقين اليقين بالله،
لفضل العلوم بفضل المعلوم، والفضل العلوم نوهان:

الأول: العلم بالمعبود؛ وهو الله تعالى.

الثاني: العلم بحق المعبود، وحقه: أن يُعبَدَ وحده بما شرع؛

فالعبادَةُ هي الصَّلَاةُ التي تَكُونُ بين العايدِ ومعبودِهِ، والمخلوقِ وخالِقِهِ.

وَأَدْنَى مَرَكَاتِ الْجَهْلِ: الْجَهْلُ بِالْمَعْبُودِ، ثُمَّ الْجَهْلُ بِعِبَادَتِهِ؛ فَمَنْ كَانَ جَاهِلًا بِاللَّهِ، صَرَفَ الْعِبَادَةَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَمَنْ كَانَ عَالِمًا بِاللَّهِ، وَجَاهِلًا بِالْعِبَادَةِ، عَبَدَ اللَّهَ بِغَيْرِ مَا شَرَعَ، وَمَنْ كَانَ جَاهِلًا بِالْعِبَادَةِ وَالْمَعْبُودِ، وَقَعَ فِي الشِّرْكِ وَالْبِدْعِ كِلَيْهِمَا.

وَقَدْ أَوْجَدَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلَ لَهُ عَقْلًا لِيَتَّبِعَ بِهِ دِينَهُ، وَأَنْزَلَ إِلَيْهِ الثَّقَلَ (الْوَحْيَ) لِيَتَّبِعَ بِهِ دِينَهُ؛ فَمَنْ عَقَلَ الْعَقْلَ، فَسَدَّتْ دِينُهُ؛ كَمَا تَفْسُدُ دِينُ الْمَجْنُونِ، وَمَنْ عَقَلَ الثَّقَلَ، فَسَدَّ دِينُهُ؛ كَمَا يَفْسُدُ دِينُ الْمَحْرُومِ وَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ، وَمَنْ أَبْصَرَ فسادَ دِينِ طَائِفَةِ الْعَقْلِ، عَرَفَ كَيْفَ يَكُونُ فسادُ دِينِ طَائِفَةِ الثَّقَلِ.

❦ حفظ العقلِ والثقلِ :

وَقَدْ نَظَرَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى الْأَحْتِرَازِ مِمَّا يُفْسِدُ عَقْلَهُ مِنَ الْأَسْرَاطِ وَالْعِلَالِ؛ حَتَّى لَا تَوَثَّرَ عَلَى دِينِهِ، وَمِثْلُ ذَلِكَ جَاءَتْ جِنَاطَةُ الثَّقَلِ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْبَذَعِ؛ حَتَّى لَا تَوَثَّرَ عَلَى الْقِيَمِ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ لَدُنَّ الدُّنْيَا عَاجِلَةً، وَمَتَعَةً الْآخِرَةِ أَجَلَةً، غَلَبَ عَلَى النَّاسِ حِمَاةُ الدُّنْيَا أَكْثَرَ مِنْ حِمَاةِ الدِّينِ.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ قَبِيلَ الْإِنْسَانِ وَحِيَّةً لِلدُّنْيَا الْعَاجِلَةِ فِي مَوَاضِعَ؛ قَالَ نَعَالِي: ﴿لَا يَكُنْ تِلْكَ الْقَبِيلَةُ﴾ (النِّسَاءُ: ٢٠)، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ عَوَالِدٌ يُحِبُّونَ الْكَافِلَةَ﴾ (الْإِنْسَانُ: ٢٧)، وَقَالَ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْفَاسِلَةَ فَلْيَفْلِكْ لَمْ يَفْلِكْهَا مَا لَفَلَكْ﴾ (الْإِسْرَاءُ: ٦٨).

فَالنَّفْسُ مِيَالَةٌ لِلْمَتَعَةِ الْعَاجِلَةِ؛ فَإِنَّ الْمَتَعَةَ الْعَاجِلَةَ تَسْلُبُ الْحَوَاسَّ وَتَجْلِبِبُهَا إِلَيْهَا؛ وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ بِعِلْمٍ مَدِّ الْبَصَرِ إِلَيْهَا حَتَّى لَا تَجْلِبِبُهَا وَتُحْرِقَهَا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ الْمَعْصُومِ: ﴿لَا تَمْلِكُ عَلَيْكَ إِلٌ مَا تَشَاءُ بِهِ

أُولَئِكَ يَتِمُّ لَهُمْ لِمَا أَلْفَضَوْا إِلَيْكُمْ مِنْهُمُ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيَكُنْ لَكُمْ فِيهَا خُزُنٌ﴾ [النحل: 118].

وسيرُ الإنسان لتحقيق المنفعة الدنيوية والاكتفاء بذلك، فليز يُشارِكهُ فيه الحيوان؛ كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ﴾ وَكَأَنَّهُمْ أَكَلُ الْأَشْجَارِ وَأَكَلُ ثَمَرِهَا ﴿سجدة: ١٢﴾، بل إنَّ الحيوان أكملُ في تحقيق كمال متعبيهِ من الإنسان، ولكنَّ الله اختصَّ الإنسان بالعبودية له؛ وهي التي يُفارقُ الإنسانُ بها الحيوان؛ ولهذا فإنَّ الله إذا ذكَّرَ الإنسانَ في القرآن ذَكَرَهُ لِدِينِهِ، وإذا وصفَهُ بالإيمان مدَّحَهُ.

وقد أنزل الله الوحي ليحفظ الحقول من سطوة النفوس واستبدادها
على الإنسان.

﴿ فَضِلْ قُرْبَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ الْأَوَّلِ ﴾:

وأصبح الناس اعتقادًا وأسلمهم فهمًا: أصحاب الفروع الثلاثة الأولى؛ لقوله ﷺ: (خَيْرُ النَّاسِ قُرْبَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)، وقد أنزل الله الوحي على نبيه ﷺ بلسان قُرْبَى مُبِين، وكان وضعه على وضع قُرْبَى ولسانهم، ولقُرْبَى الناس إلى الحق وفهمه: مَنْ نَحَقَّ فِيهِ الْقُرْبَى مِنَ الْوَحْيِ:

المقرت الأولى: قرئت الزمان.

واللقرب الثاني: قرب المكان.

وقد كان كَلَابُ الْحَقِّ في القرونِ الأولى يعظمون أهلَ الفقه في الحجاز، ويعظمون كُتُبهم:

فَكُلَّمَا كَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ أَسْبَقَ زَمَنًا وَأَقْرَبَ مَكَانًا، كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الصَّوَابِ مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ الْوَحْيَ نَزَلَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وَيَلْسَانِهِمْ أَوْ لِسَانِ مَنْ حَوَّلَهُمْ.

وَكُلَّمَا تَقَادَمَ الزَّمَانُ، وَتَبَاعَدَ الْمَكَانُ، ضَعُفَ اللِّسَانُ.

وَقَدْ يُوجَدُ صَحِيحُ الْاعْتِقَادِ بَعِيدَ الْمَنْزِلِ، وَقَرِيبَ الْمَنْزِلِ فَاسِدُ الْاعْتِقَادِ.

❦ الْمَغْرِبُ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ:

دَخَلَ الْإِسْلَامُ الْمَغْرِبَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، ثُمَّ تَوَسَّعَ فِي خِلَافَةِ مَنْ بَعْدَهُ؛ كَعُثْمَانَ، ثُمَّ فِي إِمَارَةِ مُعَاوِيَةَ، وَبَنِيهِ، وَعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ:

فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَدْ بَعَثَ عُمَرُو بْنَ الْعَاصِي، وَعُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ أَبِي السَّرْحِ، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ زُوَيْعَرٍ، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ حُذَيْفٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعُقَيْبَةُ بْنُ نَافِعٍ، وَجَاءَ يَزِيدُ وَأَتَمَّ أَمْرَ عُقَيْبَةَ بْنُ نَافِعٍ.

وَكُلُّ أُولَئِكَ الْمَبْعُوثِينَ صَحَابَةً؛ إِلَّا عُقَيْبَةَ، فَمَوْلُودُ زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَبِهِ دَخَلَ الْإِسْلَامَ عَائِلَةُ الْمَغْرِبِ الْأَدْنَى وَالْأَوْسَطِ، حَتَّى يَلْتَمِسَ مَحِيطُهُ الْأَعْلَى، وَمِمَّا اشتهَرَ عَنْ قَوْلِهِ: «اللَّهُمَّ، اشْهَدْ أَنِّي لَمْ يَلْعَنُ الْمُشْرُوقُ، وَلَمْ يَلْعَنُ الْبَحْرُ، لَمْ يَلْعَنُ فِي الْبِلَادِ أَقَابِلُ مَنْ تَفَرَّ بِكَ» عَنِّي لَا يُغْبَدُ أَحَدٌ قَوْلَكَ^(١).

ثُمَّ اتَّسَعَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ بَنِي زُهَيْرٍ بْنِ قَيْسٍ، وَمُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ، وَطَارِقِ بْنِ زِيَادٍ؛ حَتَّى جَاوَزَتْ الْأَنْفُلُ إِلَى جَنُوبِ قَرْطَسَا.

(١) «رياض الطُّوس» (١/٣٩٩).

وكل هذا قبل تمام الفتنة من الهجرة.

وقد دخل بلدان المغرب جماعة من الصحابة فاتحين، وقد سعى أهل الشتر خلقاً منهم متفرقين: يفرّيون أو يزبدون على خمسين نفساً، وقد أخرج ابن عبد الحكم عن سليمان بن يسار قال: «لجونا إفرقيّة مع معاوية بن حذّج، ومعنا بشر كثير من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار»^(١).

وأما التابعون: فخلق كثير لا يحصون، وقد ارتحل إلى المغرب جماعة من فقهاء التابعين ممن سمع أو أدرك جماعة من أصحاب النبي ﷺ - كابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو، وطبقتهم - لشرح العلم في المغرب: كحمي بن موقب السعدي، وجبان بن أبي جبلة القرشي، وإسماعيل بن عبيد الله القرشي، وبكر بن سودة الخداسي، وعبد الرحمن بن رافع التلويجي، وعبد الله بن يزيد السعدي، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، وجعفل بن عاهان الرعيني، وسعد بن مسعود النجيني، وعلق بن جعبان الفارسي.

وهؤلاء أرسلهم عمر بن عبد العزيز لتعليم أهل المغرب.

وكذلك في المغرب من التابعين: عبد الله بن أبي بريدة القرشي، وعلي بن زجاج النخعي.

وعائلة هؤلاء سحن القيروان بلد أبي زيد، وأكثرهم توفّي فيها، وخلّفتهم في ذلك تلاميذهم، وكان السلف يستوفون القيروان بإفرقيّة، وقد قال مالك: «توفّيت حفصة عام قُبِحت إفرقيّة»^(٢)؛ يريد: القيروان،

(١) «توضيح مصر» (ص ٢٢٠).

(٢) «تاريخ أبي زعنة» (٤٨٩ و ٤٩٠).

وعكدا في «المدونة» إذا أُطلقَ إفريقيا، فالمراد بها: القيروان؛ لأنها أظهرُ تماثيلها وغوايرها^(١).

§ السُّنة والآخر وعلمُ الكلام في المغرب:

وكان الناس في إفريقيا والمغرب على السُّنة والآخر، ولم تظهرَ فيهم البدعُ متمكنة، ولا علمُ الكلام والفلسفة. وقد كان الفيلسوف أبو بكر محمد بن الطُّفَيْل القُتَيْبِي في القرن السادس يصفُ نُذرةَ الفلسفة في المغرب بأنها أعدمَ من الكبريت الأحمر^(٢)، وكانت المغرب أحرَ بلدان الإسلام ينظمُ فيها علمُ الكلام، وقد كانت بلدانُ الإسلام على جهات ثلاث:

الأولى: بلادُ المشرق؛ وهي: من جِزْاقِ المَجْمَع إلى حُرَّاسَانَ وما وراءها، وهي موضعُ الفلاسفة في الإسلام، وفيها ظهرَ علمُ الكلام، ودخلَ في تقريرِ مسائل الدين؛ كأقوالِ الجَهْم بنِ صَفْوَانَ، والجَعْدِ بْنِ دُرَّعَم، وهي موطنُ الفارابي، وابنِ سينا، وابنِ مِسْكُونَو، وهي موطنُ الأئمة المتكلمين؛ كابن مُوَزَّك، وأبي إسحاق الإسفراييني، وأبي القاسم القشيري، والجُونَيْي، والفَرَّائِي.

الثانية: بلادُ المغرب؛ وهي: المغرب الأدنى؛ وتُسمى إفريقيا، وهي القيروان وما حولها، والمغرب الأقصى؛ وهي الأندلس وما وراءها.

الثالثة: ما بينهما؛ وهي: جزيرة العرب وما اتصل بها مما بين

(١) «حاشية المنوي يهاشم شرح مختصر خليل» (١٨٦/٣).

(٢) «هي من يقطانه» (ص ٢٠).

المشّرق والمغرب، وما يربط بهما من عراق العرب والشام، وإن كان العراق يعلّم أهل الحجاز شرقاً، والشام يعلّمون غرباً.

✽ أثر المشرق على المغرب:

والمذاهب الإسلاميّة في المغرب في الأصول والفروع، إنما أتت من المشرق؛ حتى مذهب أهل الظاهر لم ينشأ في المغرب، وإنما نشط فيه، ونشأته مشرقيّة.

ومن نظر في حائض متكلّمي الأشاعرة في المشرق، وجد أنهم لا يكادون يذكرون متكلّميهم في المغرب؛ بخلاف المغاربة مع متكلّميهم في المشرق، حتى القرن التاسع.

✽ فلسفة اليونان وأثرها على المتكلّمين:

وبعض العلوم كالفلسفة أصلها في الغرب؛ فقد كان زوروس الفلاسفة يونانيّين، ولكن لم تؤسّس فلسفتهم إلا في المشرق أوّل الأمر، ثم أخذها المغاربة بعد أسكتها من المشرق، ولم يؤمّلوها بأنفسهم.

وقد ذكر الفيلسوف اليهودي ابن قتيوب القرطبي^(١): أن كل ما فائدة المعتزلة والأشاعرة في علم الكلام مبني على مقدمات مأخوذة كلها من كتب اليونانيّين والشّرانيّين، الذين راموا مخالفة آراء الفلاسفة الذين يلقنون في دينهم الضرائق، ودعتهم ملوك يريدون منهم حماية دينهم من تلك الآراء الفلسفيّة التي تهدّد قواعد شريعتهم؛ فنشأ فيهم علم الكلام، وعندهم أخذ المعتزلة، ثم الأشاعرة، وطبقوا برغبتهم حماية للدين من تلك الآراء، واختاروا من آراء الفلاسفة ما رأوه مستقيماً على طريقتهم؛

حتى قال ابن تيمون: «إنه نظر في كتب المتكلمين والفلاسيقة كلهم حسب طاقته - من اليهود والنصارى والمسلمين - فوجد أن طريق المتكلمين كلهم طريق واحد بالنوع، وإن اختلفت أصنافه، وأنهم في مواضع كثيرة يتفقون المآل، ويسمونه عقلاً»^(١).

❦ اعتقاد أهل المغرب:

ولم يكن الناس في المغرب أهل بحد، بل أهل سنة وأثر، حتى في المغرب الأقصى الأندلس، وكما قال الباجي: «كانوا عن سنن المجادلة عابدين»^(٢)، وقلة الجدال في متقني أهل المغرب لا تعني عذمة فيهم؛ فلا ينسحبون كتاب في «أدب المتناظرين»، وكانوا على معتقد السلف، فقل إليهم اعتقاد مالك، كما تقول إليهم فقهه، وتقول إليهم اعتقاد أحمد بن حنبل؛ فقد أدخله المغرب الأقصى والأندلس: أسلم بن عبد العزيز قاضي قضاة الأندلس، وقد ارتحل ولقي أصحاب أحمد، وأصحاب الشافعي؛ كالمزني، والربيع، ويونس بن عبد الأعلى، وغيرهم، كما أسند عقيدة أحمد بن حنبل برواية أسلم وسننوه: محمد بن الحارث الحشني القيرواني في كتابه: «أخبار المشاهير والمحدثين بالأندلس»، وفيها عقيدته بصفات الله؛ كالاستواء، وكلام الله، وعلوه، ومعبود، ومسائل الإيمان والبعث، وابن الحارث نقل عقيدة ابن حنبل تلك، هو شيخ ابن أبي نيكو القيرواني.

والاعتزال لم يكن منتشراً في المغرب في القرن الثاني والثالث والرابع لدى العلماء؛ يعتقدون له المجالس، ويصنفون فيه الكتب؛ فلم

(٢) «المهاجر» (ص ٧).

(١) «دلالة الحائرين» (ص ١٨٢).

يَبْتِغِي عَالَمٌ مَعْتَبَرٌ، وَلَا رَأْسٌ فِي الشَّرِيعَةِ؛ وَهَذَا فِي الْمَغْرِبِ عَامَّةٌ الْأَفْصَى وَالْأَدْنَى، وَغَايَةُ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ أَنْبِيَا مَالِكٍ، حَتَّى قِيلَ: «إِنَّهُ لَا يُوجَدُ مَالِكِيٌّ مَعْتَزِلٌ إِلَّا أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ الْغَافِقِيَّ»؛ كَمَا قَالَ أَبُو الْعِيَّاسِ أَحْمَدُ الْمَقْرِي فِي «الْفَتْحِ»^(١).

وَقَدْ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي «مَسَائِلِهِ»^(٢): «وَأَمَّا عِلْمُ الْكَلَامِ: فَإِنَّ بِلَادَنَا وَإِنْ كَانَتْ لَمْ تَتَجَادَبْ فِيهَا الْمَذَاهِبُ، وَلَا اخْتَلَفَتْ فِيهَا السُّلُكُ، فَقُلْ لَئِكَ نَصَرْتَهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ؛ فَهِيَ عَلَى كُلِّ حَالٍ غَيْرُ حَرِيَّةٍ عَنْهُ، وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ قَوْمٌ يَلْتَمِزُونَ إِلَى الْاِعْتِزَالِ».

وَيَنْحَوِي قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ صَاحِبُ «الرُّخْلَةِ»^(٣): أَنَّ الْمَغْرِبَ عَلَى جَانِبٍ وَاضِحَةٍ، لَا بُشَايَاتَ لَهَا، وَلَيْسَ فِيهِ مَا فِي الْجِهَاتِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ أَهْوَاءٍ وَبِدَعٍ، وَفَرْقٍ ضَالِّوٍ وَشَبِيحٍ.

❦ وجود الاعتزال في المغرب، وموقف العلماء منه:

والاعتزال في المغرب موجود، ووجوده لا يعني أنَّ له شَوْكَةً وَرَأْسًا فِي عِلْمٍ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِيهِمْ: «لَا يُعْتَلُونَ عِنْدَ الْجَمِيعِ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ فِي طَبَقَاتِ الْعُلَمَاءِ»؛ كَمَا فِي كِتَابِهِ «الْجَامِعُ»^(٤)، وَقَدْ كَانَ الْعُلَمَاءُ لَا يَرْتَدُّونَ عَلَيْهِمُ بِالتَّصْنِيفِ وَدَا ظَاهِرًا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُعْتَلُونَ خِلَافَهُمْ خِلَافًا؛ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الِاسْتِزْكَارِ»^(٥).

ووجودهم في تلك القرون في طبقتين:

الطبقة الأولى: حنلة من العامة وأوابط المتعلمين، لَا يُسْتَبْرَأُونَ إِلَى

(٢) مسائل ابن حزم (١٨٦/٢).

(٤) جامع بيان العلم (٩١٢/٢).

(١) فتح الطيب (٦٠٤/٢ - ٦٠٥).

(٣) رحلة ابن خيبر (ص ٥٥ - ٥٦).

(٥) الاستزكار (٥٢/٢٤).

العلم بالشريعة والفهم فيها؛ وهذا وجد في أول ظهور الاعتزالي في المشرق؛ فقد ارتحل بعض أصحاب أصل بن عطاء إلى المغرب؛ كعبد الله بن الحارث، وتأثر بهم بعض عوام المغرب وجهايلهم؛ خاصة من البربر في تأخرت في المغرب الأوسط الجزائر اليوم.

الطبقة الثانية: بعض أمراء المغرب؛ ككثير من الأهالي؛ فقد كانوا على الاعتزالي؛ اقتداء ببعض أمراء المشرق من بني العبّاس؛ كالأموي، والمعتصم، والواثق، وبعض قضائهم؛ وذلك لما جعله الله من تأثير الخوس بالعلية والكبراء؛ فيقتدي الأدنى بالأعلى فيحاكيه، فحاكى بعض أمراء المغرب أمراء المشرق، وحاكى بعض قضاء المغرب قضاء المشرق؛ فحمل بعض أمراء الأهالي - وهم أولاد الأغلب بن سالم التميمي، قائد بني العبّاس في غزو المغرب - الناس على الاعتزالي؛ كمحمد وأحمد ابني الأغلب، وبين القضاء والمنسويين إلى العلم المطاوعة؛ ابن أبي الجوّاد، ومحمد بن الأسود الصفيّ، وسليمان بن حمزة البرافقي القيرواني، ومن أشهرهم: سليمان بن أبي عصفور الحنفي شيخ الاعتزالي بالقيروان، وتعرف بالفراء؛ فقد كتب في خلق القرآن، وكان مقامه قريباً من مقام بشر الترميضي عند المشارقة؛ فهو من أصحاب بشر، وأبي الهيثمي، ومن الراجلين إليهم.

وقد امتحن في المغرب العلماء والعامة؛ كسحنون بن سعيد، وموسى بن معاوية، وكان سحنون بن سعيد عصرهما لأحمد بن حنبل؛ وقام وثبت في فترة خلق القرآن في المغرب؛ كما قام ابن حنبل وثبت في المشرق.

وكان العلماء والعامة يهجرُونَ أهل الكلام ومن يقول بقولهم؛ فقد

كان يُهْلَوْنَ بِنُ رَاشِدٍ، وَشُحْتُونُ بِنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ زِيَادٍ: لَا يَسْلَمُونَ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ شُحْتُونُ بِنُ سَعِيدٍ لَا يَصَلِّي غُلَقَهُمْ، بَلْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُرُوحٍ، وَابْنُ غَانِمٍ، وَفُهْلَوْنَ بِنُ رَاشِدٍ، لَا يَصَلُّونَ عَلَى جَنَائِزِهِمْ، وَقَدْ حَكَى بَعْضُ عُلَمَاءِ الْمَغْرِبِ اتِّفَاقَ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ الْمَغَارِبَةِ عَلَى أَنَّهُ لَا نَحْوُ الصَّلَاةِ عَلَى مَنْ يَكْفُرُ بِالْإِعْتِرَافِ.

❦ **بَدَايَةُ رَدِّ الْمَغَارِبَةِ عَلَى الْمَشَارِقَةِ فِي الْفُرُوعِ لَا فِي الْأَصُولِ:**
وَالْمَذَاهِبِ الْفَقْهِيَّةِ - وَمِنْهَا: الْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ الْمَشْهُورَةُ - مَذَاهِبُ فِقْهِيَّةٍ، وَلَيْسَتْ طَرِيقًا حَقِيقِيَّةً؛ فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ اتَّصَبَ إِلَى إِمَامٍ فِي الْفُرُوعِ، فَهُوَ عَلَى طَرِيقَتِهِ فِي الْإِعْتِقَادِ، وَلَا يُنْسَبُ لِلْإِمَامِ اعْتِقَادُ قُرُوءِ بَعْضِ أَتَابِعِهِ فِي الْفُرُوعِ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ رُؤُوسِ الْإِعْتِرَافِ، وَجَدَهُمْ حَنِفِيَّةً فِي الْفُرُوعِ، وَأَبُو حَنِيفَةَ بَرِيَّةً مِنْ اعْتِرَافِهِمْ، وَهَكَذَا فِي بَعْضٍ مَنِ يَنْتَسِبُ لِمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ؛ فَتَوَخَّذْ مَذَاهِبَ الْفُرُوعِ بِمَآخِذِ غَيْرِ طَرِيقِ الْعَقَائِدِ.

وَلَمْ نَظْهَرِ الْأَهْوَاءَ فِي الْمَغْرِبِ مُنْتَظِمَةً سَهْجَةً؛ كَمَا ظَهَرَتْ فِي الْمَشْرِقِ وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ، وَقَدْ كَانَتْ غَايَةُ الْبِدْعِ الْكَلَامِيَّةِ يَحِيلُهَا أَفْرَادُ، وَرُبَّمَا يَنْتَهَبُونَ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَيْهَا وَالْكِتَابَةِ بِهَا، وَكَانَ عَامَّةُ رَدِّهِ الْمَغَارِبُ وَمُنَظَرَاتُهُمْ فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ - خَاصَّةً الْمَالِكِيَّةُ - فِي الْفُرُوعِ، وَدِفَاقًا عَنْ مَالِكٍ وَمَذْهَبِهِ مِنْ رَدِّهِ بَعْضَ الْمَشَارِقَةِ وَغَيْرِهِمْ عَلَيْهِ؛ خَاصَّةً مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ وَأَصْحَابِهِمَا، وَخَاصَّةً فِي كِتَابِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ «الْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ»، وَكِتَابِ الشَّافِعِيِّ «الْإِخْلَافُ مَالِكَ»، وَغَيْرِهِمَا.

وَقَدْ رَدَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَغَارِبَةِ عَلَى الشَّافِعِيِّ، مِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ شُحْتُونٍ فِي كِتَابِهِ «الْجَوَابَاتُ»، وَيَحْيَى بْنُ حَمَرٍ الْكِنَانِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ

القيرواني في كتابه «الحجة في الرد على الشافعي»، ورّد على الشافعي: **يُوسُفُ الشَّافِعِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ**، وأبو عثمان سعيد الحنّاد، ورّد محمد بن سُحُتُونُ على أبي حنيفة وأصحابه في كتابه «الرد على أهل العراق». وهذه الردود كلّها في القرن الثالث.

وقد كانوا يردّون الاحتجاج بكتب داود الظاهري وأقواله قبل دخول بعض رجال المغرب في مذهبهم، وقبل ولادة ابن حزم، وأوّل من أدخل كتب داود الأندلس تلامذته: عبد الله بن قاسم بن هلال القرطبي، ومثله بن سعيد البلوطي، ثم أدخل كتب داود مغرب إفريقيا: محمد بن خَيْرُونُ القيرواني في «رحلتي إلى العراق»، التي لقي فيها أصحاب أحمد، وابن مَعِين، وابن السكيت، وهو أوّل من أدخلها القيروان؛ وهذا قبل ولادة ابن حزم بنحو قرنين.

وقد تكلم أبو عثمان سعيد بن الحنّاد في مسألة، فقليل له: إن داود قال فيها كذا وكذا، فقال: «لو كان يؤيى كقوله داود، ما تكلمت في العلم»^(١).

وابن الحنّاد شيخ شيخ ابن أبي زيد.

ورّد ابن أبي زيد نفسه على الظاهري وخلافهم لمالك في كتابه «الذب عن مذهب مالك»، وكان كتابه ردّاً على كتاب لأحد الظاهريّة سَمَاء: «التبّة والبيان»، عن مسائل اختلفت فيها مالك والشافعي، حيث ذكر صاحب «التبّة» مخالفة مالك للمسألة في بعض أصول فقهاء، وسبقاً وثلاثين مسألة من فروجه، وكان المتغاربة يسمّون داود بالقياسي، لأنه يفتي القياس.

وإنما قويت شوكة أهل الظاهر في المغرب الأقصى بعد ابن حزم، وانتشر مذهبهم حتى القرن السابع، فضموا حتى كأن لم يكن لهم فيها أثر.

وكتب الأئمة المشارقة السابقين في العقائد معروفة، ولم يكن أهل المغرب يرون على شيء منها، ومن ذلك: كتب أبي جعفر الطحاوي الحنفي، فقد كتب رسالته في معتقديه ومعتقد أئمة مذهب أبي حنيفة وأصحابه، وكتب في فروعهم وأدلتها: «مشكل الآثار»، ومعاني الآثار، وغيرهما.

ولم يزد عليه المالكيون إلا في الفروع، كما زد عليه شيخ ابن أبي زيد القيرواني: أبو الفضل العباس المصفي في تحريم المسكر.

وكثرة ردودهم في الفروع في تلك العليقة دليل اتفاقهم في الأصول؛ لأنهم لم يكونوا يختلفون مع الشافعي ولا أصحابه في عقائدهم، ولا لهم في القرن الثالث كبير شيء من كتب في أصول الدين؛ لاستقرار الأمر على السنة، وتجريته على القنطرة.

أسباب تأخر ذبوع علم الكلام في المغرب:

وقد كان ما بين المشرق والمغرب من البلدان - كجزيرة العرب وما علاها من علماء العراق والشام - حائلاً عن وصول علم الفلسفة والكلام إلى المغرب؛ فاشغلوا فلاسفة المشرق الأقصى ومتكلميهم بالرد والنقض والتحضير، ونازعوهم بالحجة والبرهان؛ فحسنت تلك البدعة في العراق والشام، ولم تنتقل إلى المغرب إلا بعد نحو مئتي سنة من ظهورها في المشرق؛ على يد الجليل بن يوسف، فالجهم بن صفوان، فيشر المريسي، فأحمد بن أبي ذؤاد، وطلبتهم وأصحابهم من المعتزلة، وكذلك: من

أَخَذَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ مِمَّنْ لَمْ يَخْرُجْ مَجْرَى الْمَعْتَزِلَةِ، وَإِنَّمَا رَدُّ عَلَيْهِمْ؛ كَأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ، فَضْلًا عَنْ الْفَلَّاسَةِ الْمَثَانِينَ وَأَشْبَاهِهِمْ مِنَ الشَّارِقَةِ؛ كِعُقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيِّ.

وَإِنْ كَانَ فِي الْمَغْرِبِ فِلَاسِفَةٌ كَأَبِي مَسْرُةَ الْجَلِّي بِقَرْطَبَةَ مِنْ أَتْبَاعِ أَتْبَادُوفِيلِسَ أَحَدِ حُكَمَاءِ الْيُونَانِ السُّبْعَةِ، وَكَانَ يَزْعُمُ الْإِتْسَابَ إِلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ، وَاعْتَصَرَ «الْمَدُونَةَ»، وَكَانَ يَحْفَظُ مَسَائِلَهَا وَيُسَرِّدُهَا، وَهُوَ مِنْ فِلَاسِفَةِ الْمُتَصَوِّفَةِ، وَثَبَتَهُ تَلَامِيذُهُ نُدْرَةً عَلَى مَفْهُومِهِ كَمَحْمُودِ الْخَوْلَانِيِّ ابْنِ الْإِمَامِ، وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ حَكِيمٍ، وَكَانَ الْخَلِيفَةُ يَتَّبِعُ أَتْبَاعَهُ بِالْحَسَنِ وَالنَّفِي.

وَقَدْ رَدَّ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيُّ عَلَى ابْنِ مَسْرُةَ فِي كِتَابِهِ «الرَّدُّ عَلَى ابْنِ مَسْرُةَ الْحَارِثِيِّ»، وَيَقِي مَذْهَبَ ابْنِ مَسْرُةَ فِي الْمَغْرِبِ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ إِلَيْهِ ابْنُ عَرَبٍ فِي الْقُرُونِ السَّادِسَةِ بِالْأَنْدَلُسِ.

وكَذَلِكَ: لِإِنَّ فِيهِمْ مَعْتَزِلَةً قَلِيلِينَ؛ كَخَلِيلِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ ثُلَيْبِ الْقَرْطَبِيِّ، الْمَعْرُوفِ بِخَلِيلِ الْعُقْلَةِ، وَقَدْ شَدَّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ مَحَلِّيِّ، وَابْنِ وَشَّاحٍ.

وَمِنَ الْمَعْتَزِلَةِ: أَبُو طَالِبٍ شَيْخُ الْمَعْتَزِلَةِ وَلِسَانُهُمْ، وَفِيهِمْ أَهْلُ حُرَافَةِ فِي الْكُرَامَاتِ؛ كَأَبِي الْقَاسِمِ الْبُخَرِيِّ الصُّفِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ بِكَتَابِهِ: «الرَّدُّ عَلَى الْبُخَرِيِّ».

وَلَيْسَ لَهُؤُلَاءِ الْمَبْتَدِعَةُ كُتِّبَتْ، وَإِنَّمَا هِيَ أَقْوَالٌ تَقُولُهَا بَهَا.

وَقَدْ كُتِّبَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيُّ إِلَى الْبَاقِلَانِيِّ - مَعَ كَوْنِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ أَسْرًا مِنْهُ - بِسَأَلِهِ عَنْ الْكُرَامَاتِ لِيَعْلَمُوا بِأَقْوَالِ الْمَعْتَزِلَةِ، وَرَدَّهُ عَلَيْهِ؛ حَيْثُ نُسِبَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «رَدِّهِ عَلَى الْبُخَرِيِّ» بِمِثَابَةِ قَوْلِ الْمَعْتَزِلَةِ

بفي الخرائجات^(١) فانتصر الباغلاني لابن أبي زيد، وبين قوله^(٢)، وقد قال في ابن أبي زيد: «شبهنا»^(٣).

❦ أسباب انتشار علم الكلام في المغرب:

وقد كانت غالب البقع الكلامية في المغرب يحولها أفراد، وربما يهيئون الدعوة إليها، والكتابة بها، حتى إذا كان القرن الرابع والخامس، حملها بعض المغاربة إلى بلدانهم من بعض شيوخ المشرق، وبدأ الخوض في الكلام والفلسفة، وبذلت رياح المشرق الكلامية تصل وتؤثر في المغرب، بأسباب ثلاثة:

أولها: ارتحال المغاربة إلى المشرق الأدنى والأقصى، والأخذ والسماع من علمائهما، فسمعوا منهم القرآن والسنة والأثر، والفقه والكلام، ودخل فرج بن سلام القرطبي، ولقي الجاحظ، وأخذ ثنية، ودخل عبد الله بن عسرة بن نجيج، وأبو بكر يحيى بن السبيعي، وإبراهيم الفلاني، وقراس بن إسماعيل القيروانيون، وغيرهم.

ولم يأخذ - فيما أعلم - أحد من أعيان المغاربة المعتمدين من أبي الحسن الأشعري علم الكلام مباشرة، وإنما كان هناك من التقى ببعض أصحابه، كابي مجاهد الطائي، فقد ارتحل إلى العراق: أبو بكر إسماعيل بن إسحاق بن عذرة، ومحمد بن مخلد^(٤) وكلاهما من تلامذة ابن أبي زيد القيرواني، والتقيا ابن مجاهد بن جمل من النخلاء بالعراق، وقد استجاز ابن مجاهد كتاب «المختصر» لابن أبي زيد القيرواني، وأرسل إليه مع تلاميذه بطلبه، ودخل إلى المشرق: أبو بكر محمد بن مزهب، وهو جد أبي الوليد الباجي، وحكم بن ثعلب البلوطي.

(٢) في نفس الموضع السابق.

(١) «البيان» (ص ٥).

وأكثر المتكلمين أثرًا في المغرب: أبو بكر الباقلاني، وصاحبه أبو ذر الهروي، ثم الجويني:

الأول: أخذ عنه المغاربة في العراق، وبلغت بعض كتبه المغرب، كالتمهيد؛ فقد شرحه أبو القاسم عبد الجليل الرعي القيرواني، وشرحه: «التشديد» في شرح التمهيد، وكان مشغف القرن الخامس.

والثاني: أخذوا عنه في مكة؛ لأنه جاوز فيها، وأسع البخاري والفقه والكلام أزيد من ثلاثين عامًا، وكان يميل إلى مذهب مالك، وكان يُعجب من مذهبوه، وهو هروي، وكان يسأل: من أين تمذهبت بمذهب مالك وراي الأشعري، مع أنك هروي؟^{١٩} وأما الثالث: فقد انتشرت كتبه وتلاميذه في المغرب وغيره.

وقد سيع بين الباقلاني جماعة من أهل المغرب وساتنيتها: كابي جبران الفاسي، وأبي طاهر البغدادي، والحسين بن حاتم الأندلسي، والفريوان، وأبي عمرو الداني.

وسيع من تلاميذه الباقلاني جماعة من المغاربة: كعبد الجليل الرعي القيرواني.

وسيع من أبي ذر الهروي - وقد سكن مكة عفوًا - وأخذ عنه جماعة كثيرة من أهل المغرب، وكان يُنصّد لرواييه للبخاري، وصحة ضبطه له، وكان أكثر من أدخل أهل الحديث المغاربة في علم الكلام؛ فقد أخذ عنه أبو جبران الفاسي، وأبو الوليد الباجي، ومكي بن أبي طالب، وجماعة.

وسيع من الجويني جماعة من المغاربة: كابن أبي حفرة الأندلسي، ومحمّد الحيويني، وأبي القاسم الحفاري، ودخل بعض أصحابه المشاركة إلى المغرب معلّمين؛ كأي نصير سهل بن عثمان الكسابوري، ثم

لَقَبِي أَبُو بَكْرٍ بَيْنَ الْمَغْرِبِيِّ أَصْحَابِ الْجَوْنِيِّ فِي الْمَشْرِقِ؛ كَالْقَزَالِيِّ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلَقِ الْجَوْنِيَّ نَفْسَهُ؛ فَأَخَذَ عَلَمَهُ وَنَشَرَهُ فِي الْمَغْرِبِ وَاتَّسَعَ.

وَلَمْ يَكُنْ مَذْهَبُ الْمُتَكَلِّمِينَ - التَّأْوِيلُ وَالتَّفْوِيضُ التَّامُّ - مُنْتَظِمًا فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَالْأَدْنَى، وَلَا زَوَاجٌ لَهُ مُسْتَوْرًا، وَإِنَّمَا فِي أَفْرَادٍ وَزَوَايَا، حَتَّى آخِرِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيَّةَ قَامَتْ لَهُمْ سَوَقٌ بِبَيْفَلِيَّةٍ وَالْقَيْرَوَانِ، ثُمَّ رَفَى أَمْرُهُمْ»^(١).

وَكَانَ أَوَّلُ أَمْرِهِمْ وَإِدْخَالُهُمْ عِلْمَ الْكَلَامِ فِي الْإِعْتِقَادِ بِسُكْرَةِ عُلَمَاءِ الْمَغْرِبِ، وَرُبَّمَا هَالَعُوا فِي ذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ الْأَنْدَلُسِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ الْقُشَطَانِيُّ يَصِفُهُمْ فِي «قَصِيدَتِهِ» بِـ «الزُّنَادِقَةِ»، وَكَانَ ذَلِكَ فِي مُنْتَهَبِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ^(٢)، وَبَيْنَ بَعْدِهِ وَقَوْلُ ابْنِ حَزْمٍ، وَسُمِّيَ مُقَالَتُهُمْ بِـ «الْمُطَوَّنَّةِ»^(٣)، حَتَّى ذَكَرَ الْمَرَاكُشِيُّ فِي «الْمُعْجِبَةِ»: أَنَّ أَهْلَ الْمَغْرِبِ أَوَّلَ الْأَمْرِ كَفَرُوا كُلُّ مَنْ دَخَلَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ^(٤)، وَكَانَ بَعْضُ الْأَثَوِّ يُسْأَلُ عَنْ حُكْمِ لَعْنِ مَنْ اسْتَعْمَلَ عِلْمَ الْكَلَامِ وَسَمَّاهُمْ؛ كَمَا سَطَّلَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ، وَابْنُ رَشْدٍ^(٥).

وَالْإِشَارَاتُ فِي تَفْوِيضِ الْحَقِيقَةِ فِي كَلَامٍ بَعْضِ أَثَنَةِ الْمَغَارِبَةِ، لَا تَعْنِي: أَنَّهُمْ يَوْضَلُونَ لِلذَّكَاءِ، وَإِنَّمَا هِيَ تَقْرِيرَاتٌ عَارِضَةٌ يَفْرُودُونَ فِي نَظَائِرِهَا خِلَافَهَا؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عَلَى أَصُولِ الْكَلَامِ فِي التَّأْوِيلِ وَالتَّفْوِيضِ التَّامِّ، وَإِشَارَاتُ التَّفْوِيضِ عِنْدَ بَعْضِ الْمَغَارِبَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ نَظِيرُ إِشَارَاتِ التَّشْبِيهِ فِي كَلَامٍ بَعْضِ الْمَشَارِقَةِ الَّتِي لَيْسَتْ أَصْلًا لَدَيْهِمْ؛ يَفْرُودُونَ خِلَافَهَا فِي مَوَاضِعٍ أُخْرَى مِنَ النِّظَائِرِ.

وَقَدْ كَانَ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ عَلَى إِثَابِ حَقِيقَةِ الصِّفَاتِ وَإِمْرَارِ

(١) «الفصل» (١٥٥/٤).

(٢) «التوبة» (١٨٧).

(٣) «الفصل» (٣٤/٤).

(٤) «المعجبة» (ص ١٣١).

(٥) «مسائل ابن رشد» (١٥٣ و ٢١٥).

نصوبها؛ بلا تكبير ولا تفسير ولا تشبيه؛ حتى كانوا يُسمّونَ من
شُصوبهم بـ: «الحشويّة»؛ كما قال أبو القاسم بن خوقل في أهل
السوس: «والمالكية من قطايط الحشويّة»^(١).

وكلما تقدّم الزمّ في المغرب، اتّسع القول بالكلام مع الأعرام،
حتى نفّر وثبّت ورسخت أصوله في مجالس العلم والكتب بأيدي
المغاربة أنفسهم، بعدما كان بأيدي غيرهم.

وثانيها: انتقال كتب المشارقة إلى المغرب مع الرُّسل والنُّشاح،
وقد كان بعض المعتزلة ممن يزعمُ اتباعَ مذهب مالك في العراق، يُكاتبُ
أصحاب مالك بالمغرب بالاعتزال ويدعوهم إليه؛ فقد كتب عليّ بن
أحمد البغدائي رسالةً إلى أهل المغرب بالقيروان يدعوهم إلى الاعتزال،
ونقي القدر، وخلق القرائ، وزعم أن هذا مذهب مالك بن أنس؛ لأنه
يعلّم إجلالهم لمالك وقوله، وقد ردّ عليه جماعة من المغاربة، ومنهم
ابن أبي زئب في رسالته «الردّ على القدر»^(٢).

وكانت بعض كتب ابن مجاهد صاحب أبي الحسن قد أُدخلت
المغرب؛ ككتابه: «مَقُودُ أَهْلِ السُّنَّةِ»، ورسالته فيما التمسهُ أهل الثُّغر من
شرح أصول مذاهب المتعبدين.

وثالثها: انتقال بعض المشارقة إلى المغرب ممن له نظر في الفلسفة
والكلام، وهذا قليل؛ كالحسين بن حاتم الأندليّ نزيل القيروان، صاحب
أبي بكر البافلاني^(٣)، ولكن الأندليّ موصوف بالضعف في علم الكلام،
وكان أبو محمد بن عبيد الأندلسي في فهرمه يصفه ببلاد اللّعن في علم

(١) «صورة الأعراف» (١/١٩١).

(٢) انظر: «ترتيب المطاوع» (٢/٢١٨)، و«شجرة الثُّور» (ص ٩٦).

(٣) تاريخ مشيخة (١١/١٧١).

الأصول، وكان نحوياً يأنف له شيعته الباقلاني أن يصحح كتبه من جهة النحو، ونهاه عما عدا ذلك^(١).

❦ أثر الاعتزال في قبول علم الكلام على طريقة الأشاعرة:

وقد بلغت المعتزلة المغرب بالكلام والنظر، وحائت أهل المغرب لعل حديث وأثر، وكان دخول علم الكلام على طريقة الأشاعرة مؤثراً في تلقى المغاربة له؛ لأنه الحجة التي يردون بها على المعتزلة؛ فيردون عليهم بأنهم، ولو دخل علم الكلام المغرب على طريقة الأشاعرة أوّل الأمر، لم يكن له قبول ولا نظر ولا تمكّن، ولكن سبغته شر الاعتزال وفتته؛ فتلق علم الكلام بعضه بعضاً.

وقد ذكر الفيلسوف ابن قيمون القرطبي في القرون السادس^(٢): أن علم الكلام على طريقة المعتزلة نشأ في سبيل المغرب قبل دخوله على طريقة الأشاعرة فيهم، حتى أخذ يهود الأنلس علم الكلام من المعتزلة.

❦ مراتب المخالفين تقتضي مدح الأقرب واللين معه:

ومن هذا الباب: مدح جماعة من الأئمة بعض المنظرين من المتكلمين على طريقة الأشاعرة؛ لأن غالبه كان مقترباً بزمان شدة النزاع بين المعتزلة والأشاعرة، وكان لهم فضل في صدّ عادية المعتزلة، وكان ابن أبي زينة يفتي على الأشعري، مع كونه ليس من أهل الكلام ولا النظر فيه، بل كان محلّواً منه.

وتنازع على الأشعري وأصحابه إنما كان لأنهم على أهل البدع، وردّهم على المعتزلة والجهمية، وقد قال في أبي الحسن الأشعري لما وقع فيه المعتزلة: «هو رجل مشهور؛ أنه يرد على أهل البدع وعلى

(١) «فهرس ابن خلدون» (ص ٥٥).

(٢) «دلالة الحائرين» (١/ ١٨٠ - ١٨١).

القدري والجهمة، متمسك بالسنة^(١).

ومثل هذا قاله في الذب عن ابن كلاب^(٢).

وهذا من قبل ابن أبي رزق ودراجه؛ أن من انبرى من المخالفين لضد عادية الزناوة ومن هم أشد منهم مخالفة، ليس من القو دفعه بذاته؛ لأنه باب لو غير، لفتح على السنة بعده شر أعظم لا يقوم به غيره، وبعض المتسكين بالسنة والأثر يعاين كل مخالف بالنظر إلى مخالفته، ولا ينظر إلى ما وراءه من شروط مدفوعة به، وكان يسهل بيان السنة من البذعة، وعدم كسر باب بذعة يدخل على الإسلام منه بذعة أكثر منها.

وهذه طريقة الأئمة في التعامل مع المخالفين؛ يحفظون السنة من البذعة، ومن حفظها: تقدير مراتب المخالفين وأحوالهم؛ ففرق بين مخالف وجهه إلى بذعة أشد من بدعيه يحاربها، وبين مخالف وجهه إلى سنة يحاربها، ولو كانت مخالفة الثاني أخف، فرمما شدوا على الثاني، وعفوا في الأول.

وقد كان أبو عثمان الصابوني يثني على أبي منصور البغدادي، ويعظمه؛ لمداو به في الرد على المعتزلة، مع كونه من أهل الكلام^(٣).

وقد كان ابن أبي زيد على هذا النهج، ومعتقد يسهل ما كتبه وقاله، ولا يؤخذ من مضامين الشاء والمدح للأعلام.

وقد كان ابن أبي زيد على طريقة مالك وأحمد، وكان معظماً لأحمد، وكان يقول: «أحمد بن محمد بن حنبل به يقتدى، وقد أنكر هذا، وما أنكر أبو عبد الله أنكرناه»^(٤).

(٢) تبين كذب المفري (ص ١٠٥).

(٤) تبين كذب المفري (ص ١٠٨).

(١) تبين كذب المفري (ص ١٢٢).

(٣) تبين كذب المفري (ص ٢٥٢).

ونسية ابن أبي زيد في المغرب لطريقة الأشعري قديمة؛ بسبب ما تقدم ذكره من نصرة الأشعري وأصحابه في سائر صد المعترلة والجهمية.

وقد بين أبو نصر عبيد الله السجزي وهو في أوائل القرن الخامس - في رساليه «الرّد على من أنكر الحرف والصوت» - خطأ ظن بعض المغاربة أشعرية ابن أبي زيد، وأبي الحسني القاسبي؛ فرسأله على طريقة السلف؛ كما في «رساليه»، و«جابيه»، وبقية كتبه، ومثله القاسبي كما في كتابه في «الأعضاء».

وابن أبي زيد يُثبت الصفات لله على ظاهر يليق بالخالق، لا بالمخلوق، بلا تكليف؛ وهذا ظاهر في إثباته لصفة اليدين، والرضا والشحط والغضب، والنزول والمجيء، والضجك وغيرها.

❦ كتابة أهل المغرب في العقائد:

وبهذا بدأ علم الكلام يظهر في المغرب وينشأ في تقرير بعض علمائهم؛ على سبيل الاستطراد، لا على سبيل التأسيس؛ فيكون متوزعاً في ثانياً بعض كلامهم وفتاويهم، ورثاً جرى في كلام بعض أئمتهم في أواخر القرن الرابع والخامس من هو على طريقة السلف، ويحدّ من علم الكلام؛ فأدركه بعضه في فروع تقريراته، لا في تأسيساته.

ولهذا بدأ المغاربة بالكتابة في العقائد وأصول الدين وبيان الحق فيما اعتقد خلافاً من الباطلي، من غير تخصيص القائل بتلك البدعة، وهذه عادة العلماء عند بدء ظهور البدع من المنعوي: تقرير السنّة وإبطال البدعة، من غير ذكر صاحبها؛ حتى لا يترك عليه:

فمنهم: من كتب بأعيان البدع؛ كمحمّد بن سحنون في كتابه «الحجة على القدرية»، وكيع بن عمر الكتفاني السوسي في كتبه: «الرّد

على المُرَجِّفة، والثَّوَلِيَّة، والهِزَّان، وكأبي عُثْمَانَ الحَنَافِي في كتابه: «الاستواء»، وأبي عبد الله مُحَمَّد بن محبوب الزَّهَّاد، وابن أبي زَيْد لهما كُتُب في: الرد على القُتُوبِيَّة.

ومنهم: مَنْ أَجْمَلَ بَيَانُ معتقِد السلف، وكان من أوائل المتعارِفة الذين كُتِبُوا في تقرير أصول العقائد عامة: أبو القاسم شَلَمَةُ بنُ القاسم الفرطِيُّ في كتابه: «تبيين أصول الشُّعْ، وحفظ ما لا بُدَّ للعقلى منه بشايد القرآن والحديث»^(١)، وقد تُوَفِّي منتصف القرن الرابع قبل ابن أبي زَيْد بثلاثين وثلاثين عامًا، وضُمِّن كتابُهُ رُفًا على أهل الأهواء، واشتكى من شُحِّ البَذْعَةِ، وبَيَّن قول السلف في كلام الله، والتفكير إليه، وصلَّو واستَوَّو على عريشِهِ، ونزولِهِ إلى السماء الدنيا، وإثبات صفاتِهِ سبحانه، وفضلِ الصحابة وتفاضلِهِمْ، وغير ذلك من مسائل الاعتقاد.

❖ أصول مالك وفروعه، وأحوال أصحابه في المغرب:

وقد كانت عامة أهل المغرب في القرن الثالث والرابع على مذهب مالك في الأصول والفروع، في الاعتقاد والفقه، وقد شاع مذهب مالك في المغرب في حياته، وكان أقرب الناس إلى مذهبِهِ وأصولِهِ أقربهم منه زمانًا ومكانًا، وأقرب أهل المغرب إلى أصولِهِ وفروعه أقربهم إليه زمانًا، وقد كان أصحاب مالك من المتفريقين على طائفتين:

• الطائفة الأولى: المتفردون من سِخِّ مالِكَا وأخذ عنه، ومن انتَهَج نهجَهُمْ؛ كعبد الله بن فروخ الفارسي القيرواني، وقد كان مالك يُجِلُّه ويعظمه، وقيل: «إِنَّه كان يسمِّي لقبه أهل المغرب»^(٢).

(١) مطبوع بتحقيق: وضوان بن صالح الحصري.

(٢) «رياض النفوس» (١/١٧٧).

وكنهه لول بن راشد القيرواني، وأبي الحسن علي بن زياد التونسي، وقد قال أبو سعيد بن مؤنس: «إنه أوّل من أدخل المغرباً»، و«جامع سُفْيَان» المغربي^(١)، وفسّر لهم قول مالك، ولم يكونوا يعرفونه، وكان قد دخل الحجاز والعراق في طلب العلم، وهو معلّم سُخْنُون الفقه.

وكان سُخْنُون لا يقفم عليه أحداً من أهل إفريقيا، ويقول: «وما أنجبت إفريقيا مثل علي بن زياد»^(٢)، وقد نقله على المصريّين.

ومن هذه الطائفة: عبد الله بن غانم الإفريقي القيرواني، وكان مالك يُحبّه ويحبّه، وإذا التقى، اشتغل به عن أصحابه؛ حتى قيل: «إنه عرض عليه ابتاعه، وفيهم حذقة، فأبى»^(٣)، وكان أصحاب مالك إذا رأوه، قالوا: «اشغله المغربيّ هناك»^(٤)، ولما ولي قضاء المغرب، أحلّم مالك بذلك أصحابه، وسرّ به، وكان مالك يكاية وهو في القيروان؛ كما جاء في «المطوّقة»^(٥).

ومتهم: أبو محمد الغازي بن قيس الأموي القرطبي، وصيلاً بن زياد الهذليّ القيرواني، وأبو جعفر موسى بن معاوية الصُغَاوِيّ، وأسد بن الفُزَارِ الحُرانيّ القيروانيّ قاضي القيروان، وعيسى بن دينار القرطبي، وعباس بن أبي الوليد الفارسيّ التونسي، وأبو مسعود بن أشرم التونسي، وأبو خارجة حنّاسة بن خارجة الغافقي، وأحمد بن أبي سُحرز، وعبد الله بن أبي حسان التّحصيني، ويحيى بن يحيى اللّيثيّ الأندلسي، وأبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن القرطبي، وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن بشير بن سُراجيل.

(٢) دراهم الفوس (١/٢٢٥).

(٣) تهذيب الطبرك (٣/٦٦).

(١) دراهم الفوس (١/٢٣٤).

(٢) دراهم الفوس (١/٢١٧).

(٥) المطوّقة (٢/٥٩٥).

وهؤلاء كلهم سيعوا من مالك بن أنس، ونقلوا قوله إلى المغرب، يزؤون عن مالك السنة والأثر والفقه، وكانوا يكثرهون الكلام ومعارضة السنة بالرأي، وأصولهم أصول مالك، وفروعهم فروعهم، وكانوا في العقائد يجزون على أصل وفروع واحد، ولم يكن بينهم فيه نزاع، وإنما اختلفوا في الفروع، ويكفل على ذلك: أنهم لا يكتفون في العقائد إلا بكتاب، لاستقرار الأمر على الأمر الأول.

ولما بلغ أسد بن القزاعي قاضي القيروان: أن بشرًا عربيًّا كتب كتابًا «التوحيد»، قال: «أوجهل الناس التوحيد حتى يضع لهم بشر فيه كتابًا، هذه نبوة ادعاه»^(١).

وكانوا يعرفون مصدر البدع الشرقية وأصولها، وقد كان ابن أبي عسّان صاحب مالك قال فيمن يفاضل بين أبي بكر وعمر: «ليس هذا بين قريش، ولا بين العرب؛ هذا بين أهل قم»^(٢).

❦ الحديث والكلام، وأثرهما في الخلاف:

وأصل الكلام أكثر نزاعًا من أصل الحديث والأثر؛ فأصل الحديث نزاعهم في الفروع، وأصل الكلام نزاعهم في الأصول والفروع، وإذا تنازعوا في أصل، تنازعوا في فروعهم، والتأخر في ملحق الأشاجرة: يرى تشديدهم في الخلاف في العقليات، وأنهم يزؤون المخالفة يترقّد بين الكفر والابتداع والإثم، وبين أنتمهم خلافت في أصولهم؛ فقد خالفت رؤوس منهم في أصولهم، كابي المصالي الجوزيني، والفخر الرازي، وجلال الدين السيوطي:

(١) رياض النفوس (١/٢٦٤).

(٢) رياض النفوس (١/٢٨٧).

فالجونيني: يرى أنَّ القدرة الحادثة تؤثر في مقدورها، واستعمل إطلاق القول بأنَّ المبدأ خالئ أعماله، وأنَّ فعل العبد واقع بقدره قطعاً، وقدرته مفردة بالتأثير فيه^(١).

وكذلك قول الرازي في «الأربعين»، والمطالبي الخليفة: إنَّ الصفات إنما هي سبب وإضافات تحصل بين ذاتي تعالى، وبين المعلوم والمقدور والمراد^(٢).

وكذلك الجلال الدواني: فإنه يقول بتبعية الصفات، وأنَّ الصفات غير الذات، وأنَّ الحوادث لا أول لها؛ كما في شرح العقائد التصفية^(٣)، إلى غير ذلك من أنواع النزاع.

ثبات أهل المغرب، وامتحانهم بعلم الكلام:

ولم يكن أحد من أصحاب مالك يخوض في الكلام، ولا يفرِّقه في أصول الدين، ولما امتحن الناس بخلق القرآن في العراق، اقتضى كثير من السلاطين بذلك في المغرب، وامتحانوا علماءهم؛ فامتنحى بعض أصحاب مالك؛ كموسى بن معاوية الضمراوي، وأحمد بن يزيد، وسحنون بن سعيد، وخلق، وتولى المحنة قضاء؛ كفاضل القيرواني ابن أبي الجواد، وكان مقامه في القيرواني قريباً من مقام أحمد بن أبي ذؤاد في العراق في هذه الفتنة، وكان يسمى سحنون؛ فمزعزون هذه الأئمة وجبارها^(٤).

(١) النظامية (ص ٤٢).

(٢) الأربعين في أصول الدين (ص ١١٧ وما بعدها)، والمطالب العالية (١/٢ - ١٠٦).

(٣) وانظر: تفسيره صفائح الغيبة (٣٠٩/٧).

(٤) (١/٢٧٧ وما بعدها)، وانظر: رسائل إتيات الراجية (ص ٩).

(٤) البيان المغربي (١/١٠٩).

وَنَبَعَ هَؤُلَاءِ طَبَقَةً تَلَامُذِهِمْ مِمَّنْ جَرَى تَجَرُّاهُمْ، وَسَلَّكَ سَبِيلَهُمْ،
كَزَيْدِ بْنِ بَشِيرٍ الْأَزْدِيِّ الْقَبْرَوَانِيِّ^(١)، حَيْثُ سَكَنَ الْقَبْرَوَانَ لَمَّا هَرَبَ مِنْ بَغْدَادَ
بَعْدَمَا اسْتُجِرَّ فِي خِلْفَةِ الْقُرَّانِ، وَزَيْدُ بْنُ سَيَّانٍ الْأَسَدِيُّ الْقَبْرَوَانِيُّ،
وَمُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ حَضْرَمٍ الْقَبْرَوَانِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَحْتَوَيْ، وَكُرَيْبُ بْنُ حَمَّادٍ
الزُّنَّانِيُّ النَّاهَرِيُّ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَالِبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ وَهَّابٍ
الْقُرْطُبِيُّ، وَحُصَيْنُ بْنُ عَمَرَ الْكِنَانِيُّ، وَأَبِي عُثْمَانَ سَعِيدُ الْحَمَّادِ الْقَبْرَوَانِيُّ،
وَأَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ زِيَادِ الْهَوَّارِيِّ، وَلَقَمَانُ بْنُ يُونُسَ الْقَسَّاسِي.

وَقَدْ اسْتَمْسَكَ هَؤُلَاءِ الْأَتَمَّةُ بِالسُّنَنِ وَالْأَثَرِ، وَمَا عَلِمُوهُ مِنَ السَّلَفِ
فِي مَسْأَلَةِ خِلْفَةِ الْقُرَّانِ، وَحَلُّوهُ اللَّهُ، وَكَانُوا عَلَى مَعْتَقِدٍ مِمَّنْ سَبَقَهُمْ،
وَلَا يَرَوْنَ الْخُرُوضَ فِي الْكَلَامِ حَتَّى زَادَ عَنِ الْوَارِدِ فِي التَّصَوُّصِ^(٢) لَا بِأَوَّلِ
وَلَا نَسْبِهِ، وَقَدْ كَانَ سُحُفُونَ يَقُولُ: «مِنْ الْجَلْمِ بِاللَّو: الْجَهْلُ بِمَا لَمْ
يُخْبِرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ»^(٣).

وَهَذَا نَظِيرُ مَا يَقْرَأُ الشَّافِعِيُّ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ: أَنْ: «الْفِقْهَ فِي
الْكَلَامِ الْجَهْلُ بِهِ»^(٤)، لِأَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ يُوَدِّي إِلَى الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِمَا لَا عِلْمَ
نَفْيًا وَإِثْبَاتًا، وَمُنْتَهَى الْفَقْوِ فِي ذَلِكَ: الْكَلَامُ عِنْدَ وُرُودِ النُّصْرِ، وَالْوُقُوفُ
عِنْدَ عَدَمِ وُرُودِهِ.

وَبَيَّنَتْ شَوَاهِدُ الْقُبُورِ بِالْقَبْرَوَانِ شَاعِلَةً عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ، حَيْثُ
كُتِبَ عَلَيْهَا بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ: «وَأَنَّ الْقُرَّانَ كَلَامُ اللَّهِ، وَلَيْسَ بِمُخْلُوفٍ»،
وَالشَّوَاهِدُ مَوْزُوعَةٌ بِضَمِّ عَامٍ اثْنَتَيْنِ وَتَسْعِينَ وَبِشَتَّتَيْنِ، وَمِنْ شَوَاهِدِ الْقُبُورِ:
شَوَاهِدُ مَكْتُوبَةٍ عَلَيْهَا الْيَوْمَ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ: «وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ بَرَى يَوْمَ
الْفِجَاءِ»، وَمَوْزُوعٌ ذَلِكَ فِي شُعْبَانِ عَامٍ اثْنَتَيْنِ وَتَسْعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ.

(١) «التَّحْقِيقُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ» (١٤٦/٧). (٢) «مَعْرِفَةُ الْمُتَعَلِّقِ» (ص: ١٥٠).

وقد يرتفع الشرُّ، ويتقوى الباطلُ، حتى إذا غرَّ بعضُ الناسِ أن لا قائمةَ للحقِّ، أدار الله الدائرةَ للحقِّ وأهله؛ فالمعتزلةُ بدَّلوا الدِّينَ، وتسلَّطوا بالسلطانِ على المسلمين شرًّا وحرًّا:

• وفي التصريح: حُرِّتِ الْقُرْآنُ عَلَى كِبَرِ الْكُفَّةِ، فَكُتِبَ عَلَيْهَا: ليس كَيْفَ لَوْ شِئَ، وهو اللطيفُ الكبيرُ، أزالوا: «السَّوِجَ البَصِيرَ» يقولُ حَنِئِلٌ: حَمَّجْتُ فَرَأَيْتُ ذَلِكَ، فَلَمَّا قَلَيْتُ، أَخْبَرْتُ أَحْمَدَ، فقال: فَاتَّكَ اللَّهُ الْخَيْثُ - يعني: ابنُ أبي ذؤادٍ - عَمَدَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، فَغَيَّرَهُ^(١).

• وفي التحفريب: أَوْصَى الْعُلَمَاءُ أَنْ يُكْتَبَ الْحَقُّ عَلَى شَوَاهِدِ الْقُبُورِ، لَمَّا حَجَرُوا عَنْهُ عَلَى الْمَنَابِرِ؛ فَوَاجِبُ الْعُلَمَاءِ أَنْ يَبَيِّنُوا الْحَقَّ حَسَبَ الْمَقْدُورِ، وَاللَّهُ كَفِيلٌ بِإِظْهَارِهِ.

وبناءً على الأئمةِ يَصْنَعُونَ وَيَكْتُبُونَ فِي بَيَانِ الْمَعْتَقِدِ الْحَقِّ فِي ذَلِكَ إجمالاً وتفصيلاً؛ ككتابِ مُحَمَّدِ بْنِ وَهَّابٍ: «رِسَالَةٌ فِي رُؤْيَا اللَّهِ»، وكتابِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدُونَ كتابَ «الْحُجَّةِ عَلَى الْقُدْرَةِ»، وسعيدُ بْنُ الْحَدَّادِ كتابَ «الاستواء»، وله أيضاً مناقشاتٌ مع المعتزلةِ بالقُفْرَانِ.

وقد دخلَ سَعْدُونَ على ابنِ الْقُصَّارِ وهو مَرِيضٌ، فقال: أما هَذَا الْقَلْبُ؟ قال له: الموتُ والتَّحْدِثُ عَلَى اللَّهِ، قال له سَعْدُونَ: أَلَسْتُ مُصَدِّقًا بِالرُّسُلِ وَالْبَحْثِ، وَالْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنْ أُنْقَلَ هَذِهِ الْأَمْرُ أَبْرَ بَكْرٍ، ثُمَّ عَمَرَ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَأَنَّ اللَّهَ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَلَا تُخْرَجُ عَلَى الْأَئِمَّةِ بِالسُّلْبِ، وَإِنْ جَارُوا؟ قال: إِي وَاللَّهِ، فَقَالَ: مَتَّ إِذَا شِئْتَ، مَتَّ إِذَا شِئْتَ^(٢).

(٢) «رواه ابن الفوس» (١/٣٦٧ - ٣٦٨).

(١) «طبقات الحنابلة» (١/٣٨٦).

وكان أبو العباس عبد الله بن طالب يقول في خطبته على منبر جامع القيروان، والعلماء والعامة شهوداً: «الحمد لله الذي يُشكر على ما به أنعم، والحمد لله الذي عذب على ما لو شاء منه عذب، والحمد لله الذي على عرشه استوى، وعلى ملكه احتوى، وهو في الآخرة يُرى»^(١).

وتبع هؤلاء أئمة في المغرب؛ كابن أبي زيد القيرواني صاحب «الرسالة»، وفي المغرب الأقصى من الأندلس: أبو القاسم مسلمة بن القاسم، وابن أبي زعيم، وأبو عمر الطلمنكي، وابن عبد البر، ولم يخرجوا في أصولهم بخلاف أهل الكلام والفلسفة.

وقد مرّ المغرب بمحن شديدة، ومن أشد ما مرّ به أصحاب مالك في المغرب من محن في تلك القرون: حُكْمُ الْأَعْلِيَّةِ، وحُكْمُ الْفَاطِمِيَّينَ، وحُكْمُ الْمُوَحِّدِيَّينَ؛ الْأَوَّلُ: حَتَفِي - معتزلي وغير معتزلي -، والثاني: باطني، والثالث: أشعري خالي.

التأويل والتفويض في كلام بعض أهل السنة:

وقد يُوجَدُ في تقارير بعض هذه الطائفة تفريعات كلامية، لا تفاصيل، أو ما يشابه فروع أهل الكلام ولم يخرج على أصولهم، وتأتي في سياق كلامهم وثنايا استطرادهم، ولا يذكرون تلك الفروع تقريراً، وربما قلَّ مَنْ يقرأ بعض استطراداتهم وتفريعاتهم: أنَّ أصولهم كلامية، وليس كذلك:

• غابن عبد البر قرّر عقيدة السلف وأهل السنة في الصفات في قوله: «أهل السنة مُجْمِعُونَ على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن

(١) «تريب المنزلة» (١/٢١٤).

والسُّنَّةُ، والإيمانُ بها، وحملها على الحقيقة، لا على المجازة^(١)، وأثبت علو الذات، واستواء الله على عرشه، وأبطل قول المتكلمين بتفسير الاستواء بأنه الاستيلاء^(٢)، ولكنه في النزول حكى عنه في أحد المواضع أنه نزول الأمر والرحمة، وهذا ليس موافقاً للمتكلمين في أصلهم في الصفات الاختيارية؛ فإنه يتفَضَّلُ أصلهم في ذلك في مواضع، وفي مواضع أخرى يُثَبِّتُ نزول الله تعالى على الحقيقة على ما يليق به سبحانه ويُكَبِّرُ غيره.

ويوجد من هذه الطبقة بعضُ الأئمة الذين ربُّما وافقوا المتكلمين في بعض الأصول لا كلها؛ كآبي عمرو الثاني، فهو من تلاميذ الباقلاني، وله مُبَلِّغٌ إلى بعضِ تلاميذ في «الرسالة الوافية»، وفي «الأزجورة»، ورسالة «الوافية» أخذَ معانيها من كتاب «الإتصاف» للباقلاني، وقد وافق فيها الباقلاني في الصفات.

وربما كان فيهم من خالف في الإثبات؛ كما في قول أبي حمزة الظَّالِمُنِي في إثبات الجبِّ^(٣)، لقوله: ﴿يَحْتَضِرُكَ حَقٌّ مَا قَرِئْتَ فِي حَقِّي أَتَوْهُ﴾ (الزمر: ١٥٦)؛ وذلك أنه نظَّرَ لمجرَّد الإضافة، ومجرَّد الإضافة لا تُكَيِّدُ إثبات الصفوة؛ فللسياق معنى يجب الأخذ به؛ كما هو معروف في لسان العرب عند نزول الوحي، ولا يُنظَرُ لمجرَّد اللفظ، فقد يُهَيِّفُ الله إليه شيئاً، وليس منه، بل هو مخلوق من مخلوقاته؛ كنزوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَقُولُ وَمَنْ فِيهَا﴾ (الشمس: ١٦٣)، وقولوا: ﴿وَيَسْأَلُ الرَّحْمَنُ﴾ (الفرقان: ١٦٣)، وقولوا ﴿فِي خَالِدٍ مِنَ النَّارِ﴾ (سَبَّحَ مِنْ شَيْبٍ اللهُ)^(٤).

(١) «التهذيب» (١١٥/٢).

(٢) «التهذيب» (١٣٠/٢ - ١٣١).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٥٦٩/١٧).

(٤) البخاري (٣٧٥٧ و ٤٢٦٢) من حديث أنس.

والمراد من جنس القوم: هو القُرْبُ، فمن فرط فيما يقرُّبه من أحد، فقد فرط في جنِّه.

• الطائفة الثانية: طائفة كَثُرَ فيها تقريرُ العقائد على طريقة أهل الكلام، وكان ذلك في كثيرٍ من أصولهم، ولم يكن ذلك في فرع منها ولا في أصل واحد، وإنما كان ذلك كثيراً أو غالباً، وذلك كأبي الوليد الباجي، وأبي بكر بن الغري، وتلميذه القاضي عياشي، ومن هؤلاء من يَزِدُّ على المتفكرين ويخطئهم كأبي الغري في زَوْدٍ على أبي زيد في قولِهِ في استواء الفات، وعلى ابن عبد البر وغيره، كما في كتابهِ «العارضة»، و«العواصم».

وهذا يَدُلُّ على التَّوَلُّدِ بين الطائفتين، وسُمِّيَ الأوليان على طريقة السلف.

• وبين الطائفتين: من له أصولٌ يُوافقُ في بعضها أهل الكلام، وله أخرى أكثر: خلافاً لذلك، كأبي الحسن القاسمي في جعلِ الإيمانِ هو التصديق فقط، ويُعَصَّرُ على إخراج العمل منه، وله كتاب «المُتَقَدِّمُ فِي شَيْبَةِ التَّوَلُّدِ»، ولم أَرَ، وله كتاب في الاعتقاد، ذَكَرَ فيه: «أَنَّ الاعتمادَ على السمع، وَأَنَّ الجَدَلَ وعِلْمُ الكلام مَلْعُومٌ، وَأَنَّ هُوَ يَتَقَيَّنُ» كما يقول أهل الحديث والآثر^(١)، ولهذا عدَّه أبو نصر السجزي من سلك طريق السلف في الاعتقاد.

ومتهم: من يقرُّد على أصول بعض أهل الكلام في موضع، وفي مواضع على أصول السلف وأهل الآثر، كَمُتَحَنِّي بن أبي طالب، فإنَّ له شيئاً من التَّوَلُّدِ في كتابهِ: «الهُدَايَةُ، إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ»، وكان من تلاميذ

أبي قُرّ الهَرَوِيُّ، وابن أبي زَيْد، وقد تأول الامتراء وصفة اليد، فجعلتهما بمعنى القدرة في موضع^(١)، والأكثَرُ تصرُّحه بالإثبات، وقد قال: «واحسن الأقوال في هذه: «غلا»، والذي يعتقده أهل السنّة ويقولونه في هذا: أن الله جلّ ذكره: فوق سمواته على عرشه دون أرضه، وأنه في كل مكان معلوم، وله - تعالى ذكره - عرشه وسبع السموات والأرض، كما قال جلّ ذكره: وكذلك ذكر شيخنا أبو محمد بن أبي زَيْد رحمه الله^(٢).

وبين الأئمة: من فسّر الخير بما يظهر منه التأويل، وهو أراد معنى من معانيه، لا حقيقته؛ فإن من معاني الملو: القدرة؛ فلا يعلو إلا قايض قايض؛ كما أن من معاني القدرة والقهر: العلو؛ فلا يقهر ويقهر إلا عالي؛ فيقول أنه يتأول، ولو نظر إلى قوله في موضع آخر، لكان معتقده، وإن قصر قوله في موضع آخر.

والكلام في المتأخرين من المالكيّة أكثر من المتقدمين، حتى كان من هذه الطائفة: من يُكرّر على من لم يتجر على طريقة أهل الكلام؛ كما حكاه ابن العربي على ابن خُوَيْزَرٍ ونقله، وابن أبي زَيْد.

وإنما ظهر بعض كلام الأشعري في قلب من كلام أبي الحسن بن الفايومي، وبعض تلامذته؛ كأبي جبران القاسمي على ما تقدّم، وتوسع في بعض تلاميذ أبي جبران؛ كأبي محمد عبد الحميد بن الصائغ الفيرواني، وفي بعض تلاميذ الصائغ؛ كمحمد بن علي المازني شارح «مسلم» بكتابه «المعلم».

وبين طبقة الصائغ في المغرب: أبو بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي الفيرواني، صاحب «التجريد»، في علم الكلام، وتلاميذه؛

كاتب الحجاج يوسف بن موسى الكلبي، وأبي عبد الله محمد بن خلف
الإليري صاحب «الأصول»، إلى معروف الله والرسول، والرد على
أبي الوليد بن زينو، في مسألة الاستواء، وكان الإليري معقلاً للجوني.

وقد أخذ علم الكلام عن هذه الطائفة: القاضي بياض، فقد أخذ
عن أبي الحجاج يوسف بن موسى الطبري، وقد كان تلميذ «الإرشاد»
للجوني وتأثر به.

وقد أظاعه ابن تومرت في منتصف المئة السادسة بسلطانية،
وأبو بكر بن العربي بمطولة، وكلاهما أخذ عن القرطبي في المشرق.

وليس في عائذ المغرب الأدنى والأقصى حتى المئة الخامسة
أشعري خالص الأشعري على طريقة المتأخرين، وإن قيل، فهي ظنون
لا بُرهان عليها؛ فليس التثاء ولا التلمذة يُدخِل أحداً في مذنب أحد،
ولا الموافقة في قول يُدخِل أحداً مع أحد في الموافقة على الأصول.

وإن كان بعض المتكلمين على طريقة الأشعري من المتأخرين
ينسب بعض المتكلمين لطريقتهم، فلأنه وافقهم في موضع أو مواضع،
وليس لهم كتب ولا أصول متقولة تُدَلُّ على تلك النسبة المثابة.

ومن ذلك: ما يُنسب إلى إبراهيم بن عبد الله الزبيري الفلاسي،
وقراس بن إسماعيل؛ الفيراني، وكانا قبل ابن أبي زند، وليس لهما
كتب في العقائد بين أيدي الناس اليوم، ووجود بعض المسائل المنقولة
عنهم المشابهة لما عليه الأشاعرة شبيه بما عليه بعض الأئمة قبل
الأشعري بما يُشابهه في بعض أصوله؛ فالموافقة في مسائل لا تعني
الموافقة في المدرسة والأصول.

ولما تمكن محمد بن تومرت في القرن السادس من المغرب، نشر

الأشعرية المتأخرة المقوضة بالجملة والمتأولة، وأطر الناس عليها، وفتح المخالفين وشردهم، وسعى اتباع مذهبه: «الموحدين»؛ لئلا للمخالفين، وكان يسني من سبقه من أهل المغرب بـ: «المجسمة»؛ يُريد: المشيئة التي لا تأول، من المرابطين وغيرهم.

وفي زمن ابن تومرت وما بعده: قوي علم الكلام في المغرب، وأطر الناس على الظاهرية في الفروع، وعلى الأشعرية في الأصول، وشنع على المخالفين، وأحرقت كتب المالكية، وفتح أهل السنة بحجة أنهم مجسمة، وذكر أبو بكر البتلقي: أنه سببت نساؤهم لأجل ذلك، وانتشرت كتب ابن تومرت «المُرشقة»، و«أقر ما يُطلب»، وشاع تدريس كتاب «الإرشاد» للجويني.

ثم جاء أبو عمرو السلاجي في القرن السادس، وتصلى لتعليم عقيدة ابن تومرت، وألف «العقيدة البرهانية»^(١)، وبيّث عمدة المقاترة في علم أصول الدين إلى اليوم، ولا يزايمها إلا كتب المتأخرين؛ كالشوسني في القرن التاسع في رساليه «أم البراهين»، و«العقيدة الشفري»، وقد كانت في المغرب دولة المرابطين، وكان أولها خيرًا من آخرها، ثم بُعثت دولة الموحدين، وكان آخرها خيرًا من أولها.

وكان في المغرب قبل الموحدين من يصنف في الاعتقاد على طريقة المتكلمين؛ كأبي بكر المرادي الحضرمي، وكان يفتي عياض من أدخل علم العقائد بهذه الطريقة إلى المغرب.

وقد أخذ ابن تومرت ملغية من رحلته إلى المشافهة المتكلمين؛

(١) وهو مطبوع بتحقيق: نزار حساني.

كما ذكر ذلك: أبو الحجاج بن طلقوس^(١)، والناصري^(٢)، وابن خلدون^(٣)، وابن نعمة^(٤).

ولم يكن ابن تومرت يدعي الاعتزال، وقد نسبته إلى الأشعرية جماعة؛ كالشككي^(٥) وغيره، وربما نسبته إلى الاعتزال بعض من يسبغ الفعالة وتلقبهم بين الأشاعرة، وعلم الكلام سبق إليه المعتزلة، ومنهم أخذوا الأشاعرة، والاعتزال فكر انتشر في طوائف، وليست جماعة منتظمة لها أصولها وفروعها، لأن الاعتزال علم كلامي، وقد تغلغل في المرافضة والزيدية والإباضية، والأشاعرة وغيرهم.

والمذهب الأشعري تدرج حتى آل إلى ما آل إليه، ولم يكن أئمنه في المبتدئ كائنته في المنتهى، ومذهب المتأخرين غير مذهب المتقدمين.

وعلم العقائد علم ثابت لا يتوسع كعلم الفقه، وإنما اتسع لدى المتكلمين وتدرجوا في تطويره؛ لأنهم أجزوا فيه علم الكلام، كما أجرى الفقهاء في الفقه علم الرأي.

فالمستقدمون الأشعري وأصحابه؛ كابي الحسن العنبري، وابن مجاهد، وتلاميذهما؛ كالقاضي البافلياني: يُبَيِّنُونَ الصفات العنبرية، ولا يتأولونها؛ كالوجو واليد، والعلو والاستواء، وأما الطبقة التي تليهم؛ كالجوني، والمزالي، فيقولونها.

والأشاعرة منهج قبل أبي الحسن الأشعري، وإن سمي به، وهو

(١) «المبدل لصناعة المنطق» (ص ١٠).

(٢) «الاستقصا» (١/ ١٩٦).

(٣) «تاريخ ابن خلدون» ٣٠١/٦ - ٣٠٢.

(٤) «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٧٦).

(٥) «مطبوعات الشافعية الكبرى» ١٠٩/٦ - ١٣٨/٨.

مسلك جرى عليه بعض أهل العربية؛ كأبي زكريا يحيى بن زبائو الفراء،
وأبي العباس محمد المبرور، وغيرهم، ثم بدأ يلتزم شعثه وجميع نتائجه
بعد ذلك.

علم الكلام والإمام مالك بن أنس:

وقد كان مالك من المعظمين للأثر، المحلرين من علم الكلام،
وذلك أن الأثر يفيد العقل للوقوف عما لا يحسنه، وعلم الكلام يُطْلِقُه
ويجسره باسترسال على ما لا يُرهان له به؛ حتى يكون منتهاه على
حالتين:

• إما أن يقرر ما لا يُرهان له به من مشاهد الخالق للمخلوق،
ويحدث من لوازم الصفات صفات وتفسيرات، حتى لو كان في صفوة
تأبى بالدليل، لم يُجز له ذلك الأخذ بترك اللوازم بإطلاق.

• وإما أن يستحضر باسترساله معاني باطلّة؛ فيرجع على أصوله
بالنفي والتقصي، ويحايل على الحقائق بالتأويل والتفويض التام.

والوقوف على الحديث والأثر برامة من الخوض فيها لا علم للإنسان
به، وأسلم إليه، واجتمع للمسؤولين، من الشرقي في معرفتهم وصفاته.

ومعلوم أن الرؤوس الذين نشأت فيهم الفلسفة والكلام يُقِلُّ فيهم
علم الأثر؛ لأن الأثر يُحدِّد العقل من الخوض فيها لا يعلم، والكلام
يُربِّيه، ثم إنه لا حدَّ لخيال العقل في الغيبيات ولا منتهى له، وكثير من
فرعات المتكلمين في الأسماء والصفات والغيبات، لا رأي لأهل السنة
فيه، ويظنون أن هذا علم يعجزون عنه، وإنما يُمكن أهل السنة عنه؛
نعظيمًا لله، وأن يقولوا على الله ما لا يعلمون: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ شَيْئًا لَا
يَكُونُ﴾ (البقرة: ١٦٦)، والمتكلمون لا يتهنون إلى فرع.

ولهذا لما من يزلزل كلامي إلا كان أنتمها الأولون أخف من المتأخرين؛ لأنهم يتوسعون جيلاً بعد جيل، وقد قال مالك: «من طلب الثمين بالكلام، عزّزني»^(١)، يعني: انتهاء إلى ذلك، وأما الآثار: فإنها تحكّمهم، وقد قال مالك بن أنس: «ما قلت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء، ولا قلت العلماء إلا ظهر في الناس الجفأة»^(٢).

وقد كان مالك يحذر أصحابه من علم الكلام لأجل ذلك؛ ومن قولهم: «إنّا كنم والبدع، قيل: يا أبا عبد الله، وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته، وكلامه وعلمه وقدره، ولا يسكتون عما سكّته الصحابة والتابعون لهم بإحسان»^(٣).

وقد كان أهل المدينة يتفهون عن الخوض في علم الكلام، وهم أعلم الناس بأثريه على الحديث، وقد قال مالك ومصعب الزهري: «رأيت أهل بلونا - يعني: أهل المدينة - يتفهون عن الكلام في الدين»^(٤).

❦ الرأي وعلم الكلام:

والسلك يطالبون «الرأي»، وعلم الكلام، والأصل في كلامهم: أنهم يفتشون بعلم الكلام: ما يستدل به من المعقول في الأصول من المقائد، ويفتشون بالرأي: ما يستدل به من المعقول في الفروع من الفقه، وكانوا يتفهون عن الرأي، وهو باب للخوض في فروع أمرها أيسر

(١) علم الكلام للهرري (٨٥٩).

(٢) التلخيص والمقدمة (٣٩٠)، وعلم الكلام للهرري (٨٦٩).

(٣) علم الكلام للهرري (٨٥٨).

(٤) اشرح أصول الاعتقاد (٣٠٨ و ٣٠٩).

من الأصول؛ وذلك تعظيماً للوحي قرآناً وشعراً، وانتهاءً إلى ما بلغه الله
لنبيه، وكلُّ مَنْ شَدَّ في الرأي من السلف، فهو في علم الكلام أشدَّ،
ولا يوجد إمامٌ منهم نَهَى عن الرأي، ثم أُؤذِنَ بالكلام، حتى كان من
أصحاب مالك - وخاصةً المغاربة - مَنْ دَخَلَ العراق، ولم يَسْمَعْ من أهل
الرأي، ولم يأخُذْ عنهم الفقه، بل كانت تلك الطائفة من أهل الرأي يَهْوُونَ
عن علم الكلام؛ كما قال أبو يُوسُفَ: «مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بالكلام،
تَزَلُّقٌ»^(١)، وهؤلاء كانوا سَحْلُ إنكارٍ كثيرٍ من السلف، مع أنهم أدخلوا
الرأي في الفروع، لا في الأصول.

❦ نهى مالك عن علم الكلام، ومرافقه:

وقد كان مالك ينهى عن علم الكلام كله، ولا يستثني منه شيئاً؛ فهو
- وإن لم يَظْهَرْ في زمنه وفي بلده علمُ الكلام نائماً، كما هو عليه بعده
بفرون - إلا أنَّ مالكاً نهى عن الكلام، ولم يَسْتثنِ، وربَّما نهى عنه بجلل
في متعلِّقة في كلِّ علومِ الكلام؛ سواء ما كان عليه الجهميَّة أو المعتزلة
أو المتكلمون من الأشاعرة.

وبهذا فسرَّ جماعةٌ من أتباع مالك المتقدمين؛ كابن حُوزَيرٍ وشافعي،
وأبي عُصَمَر بن عبد البرِّ، وقد كان ابنُ حُوزَيرٍ ينهى عن قبولِ شهادةِ أهلِ
الكلام كافَّةً، وكان ابنُ عبد البرِّ ينقلُ كلامه معتبِراً عليه؛ فقد نقلَ عنه
قوله في تأويلِ قولِ مالك: «لا تجوزُ شهادةُ أهلِ البِدْعِ وأهلِ الأهواء»؛
قال: «أهلُ الأهواء عند مالكٍ رسائِلُ أصحابنا هم أهلُ الكلام؛ فكلُّ
متكلمٍ، فهو من أهلِ الأهواء والبِدْعِ؛ أشعريّاً كان أو غيرَ أشعريٍّ».

ولا تُقبل له شهادة في الإسلام أبداً، ويُهجر ويُؤذَّب على بدعيته؛ فإن
تعدى عليها، استُتيب منها^(١).

ولابن عبد البر كلام في غير موضع من كتبه، لا يرى تقرير ما
يتعلَّق بالغيثات ومسائل الصفات بالنظر، ولا يرى المناظرة فيها، ومن
ذلك قوله: «ليس في الاعتقاد كلُّه في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء
متصوراً في كتاب الله، أو صحَّح عن رسول الله، أو اجتمعت عليه الأئمة،
وما جاء من أعيان الأحاد في ذلك كلُّه أو نحوه: يُسلم له، ولا يُناظر
فيه»^(٢).

ولما كان التوضُّع في البدع الكلامية لم يكن في زمن مالك، ولم
يدخل فيه أهل السنَّة والأئمَّة إلا ما تقدَّر، ولم يستعمله كثيرٌ أحد في الردِّ
على أهل الأهواء والكلام في عصره -: جعل بعضهم كلام مالك لا يُريدُ
به طوائف من المتكلِّمين الذين استعملوا علم الكلام للردِّ على المعتزلة
والغلايفة؛ لأنهم رأوا أثر هؤلاء المتكلِّمين في الردِّ على الغلايفة
والمعتزلة.

فلقد كان البيهقي يُحيل كلام مالك على أنه يُريدُ كلامُ الغلاة،
لا الكلام الذي سلَّكه بعض أهل السنَّة من بعثوا؛ قال: «إنما يريدُ - والله
أعلم - بالكلام: كلام أهل البدع؛ فإنَّ في عصرهما^(٣) إنما كان يُعرفُ
بالكلام أهل البدع، فأما أهل السنَّة، فقلَّما كانوا يَخوضون في الكلام،
حتى اضطُّروا إليه بعد»^(٤).

وهذا صحيح في أنَّ مالكاً فضدَّ البدع الكلامية التي أظهرها الزنادقة

(١) «جامع بيان العلم» (١٨٠٠).

(٢) الموضوع السابق.

(٣) يعني: عصر أبي برقة ومالك.

(٤) «بين كلب المقري» (ص ٣٣).

والمعتزلة والجمعيّة؛ لأنها هي التي ظهرت في زمانه، ولكن قول مالك ونهيه عن علم الكلام لا يُحصر فيها؛ لأن دخول بعض أهل السُّنن في علم الكلام - مع نُزولِهِ - كان في طبقة شيوخ مالك وتلاميذهم، وكان مالك يعلم أنه في بعض شيوخه وبعض تلاميذه، وكان يحسد ردهم على أهل البدع به، وسلامة معتقدهم منه، ويحذرهم من الخوض فيه بلا علم من الآخر، ولا تمكن منه؛ حيث يُفحشون لبطلانهم به، فيفتتر المبطل بإطلاله لبطلانهم؛ كما حذر مالك تلميذه ابن قُروم بن ذلك^(١).

وقد اتخذت تلك الطبقة لإبطال باطل المبطلين، لا لإحقاق حق المؤمنين، وظهرت على هذا النحو في شيوخ مالك في ابن حُرْمِزٍ عبد الله بن يزيد التميمي، وقد قال مالك: «كان ابن حُرْمِزٍ رجلاً كنت أحب أن أفتدي به، وكان قليل الكلام، قليل الفتيا، شديد التحفظ، وكان كثيراً ما يقتي الرجل، ثم يبعث في أثره، فيُرثه إليه حتى يُخبره بغير ما أفتاه» قال: وكان بصيراً بالكلام، وكان يرث على أهل الأهواء قال: وكان من أحلم الناس بما اختلفت الناس فيه من هذه الأهواء^(٢).

وظهرت في تلامذة مالك على هذا النحو أيضاً: في عبد الله بن قُروم القيرواني، وقد كتب إلى مالك من المغرب يُخبره أن بلدة كثير البدع، وأنه ألف لهم كتاباً في الرد عليهم؛ فكتب إليه مالك يقول: «إن كنت ذلك بفعلك، جئت أن تزل فتلك؛ لا يرث عليهم إلا من كان ضابطاً عارفاً بما يقول لهم، لا يفترون أن يُرجوا عليه؛ فهذا لا بأس به، وأما غير ذلك، فإني أخاف أن يكلتهم ليخطئ؛ فينضوا على خطئه، أو يظفروا منه بشيء؛ فيظفروا ويزدادوا تمادياً على ذلك»؛ كما نقله أبو العزب في «طبقاته».

(١) رياض الخوص، (١/١٧٧).

(٢) حنين كلب المقرئ، (ص ٣٥٢).

وكلام مالك ونهيه هو لجميع علم الكلام في الغيبات، كالأسماء والصفات والقدرة، قليله وكثيره، سواء ما كان عند الفلاسفة وحلّاه المتكلمين، كالمعتزلة، أو كالذي يتخلّله الأشاعرة والمائريّة، يَرُدُّونَ به على خلافة المتكلمين والزنادقة، ثم يفرّزونَ به الحق لأهل الحق، فهو ينهى عن ذلك كلّ، وقد قال مالك: «أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته، وكلايو وعلوي وقريري، ولا يسكتونَ عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان».

فهو يرى أنّ كلّ قَلْبٍ زائل يوقّبه الكلامَ عما كان عليه الصّدُورُ الأوّل، صحابة وتابعين :- فهو يذمّه مع علوي بما اتكلّمه بعض شيوعه وتلاميذه لردّ الباطلي، لا لتقرير الحق، وهذا الذي يتفق عليه من بعده كشافعي، وأحمد.

وقد قهّم من نهى مالك عن علم الكلام العموم بلا استثناء: جماعة كالفزالي في «الإحياء»^(١)، بل جعله قول مالك والشافعي وأحمد.

وقد كان أبو حنيفة من أهل الرأي في الفتوى، وينهى عن الكلام في الغيبات، ويشدّد فيه، ويقول: «لَمَّا أَتَى اللَّهُ عَمْرُو بْنَ عَبِيدٍ، لَمَّاهُ فَفُتِحَ لِلنَّاسِ الطَّرِيقُ إِلَى الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَتَنَبَّهُونَ مِنَ الْكَلَامِ»^(٢)، وقد كان ينهى أصحابه عنه؛ كما قال محمد بن الحسن: «كان أبو حنيفة يَحْذَرُنا على الفتوى، وينهاها عن الكلام»^(٣).

وكان الأئمة ممن سبق مالكاً ومن في طبقه ومن جاء بعدهم:

(٢) فتح الكلام (١٠٢٠).

(١) «الإحياء» (٩١/١ - ٩٥).

(٣) الموضع السابق.

يَعْلَمُونَ أَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ قَرَجَاتٌ وَشُكُورَاتٌ، وَأَنَّ لَهُ مُبْتَدَى، وَلَهُ مُنْتَهَى،
وَقَدْ يُدْرِكُ بَعْضُ الدَّاعِطِينَ فِيهِ آخِرَهُ، وَبَعْضُهُمْ يُدْرِكُ مِنْ أَوَّلِهِ شَيْئًا،
وَمُسْتَعْنًى مِنَ الْإِسْتِرْسَالِ فِيهِ بِشَاعَةً مَا يُؤْوِلُ إِلَيْهِ مِنْ نَفْيٍ وَتَعْطِيلٍ، وَلِذَا
يَقُولُ ابْنُ تَهْمِيٍّ: «مَنْ طَلَبَ الْكَلَامَ، فَأَخِرُ أَمْرِهِ وَزَلَفَتُهُ»^(١).

وَكَثِيرٌ مِمَّنْ وَصَلَ إِلَى نَهَائِهِ، ثَوَمَ مِنْ بَدَائِهِ؛ لِأَنَّ أَصْلَ عِلْمِ الْكَلَامِ
يُنْتَى عَلَى الْقِيَاسِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا تَحِيلَ لَهُ يُشَاقِقُهُ.

الاسترسال في علم الكلام وأثره:

والحق: أَنَّ تَوَخُّدَ مَسَائِلِ الصِّفَاتِ وَالغَيْبِيَّاتِ عَلَى ظَاهِرِهَا الَّذِي
يَلِيْقُ بِاللَّهُ وَحْدَهُ، وَيُتْرَكُ مَا سِوَاهُ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْأُمَّةِ خَاضَ وَسَبَّحَ ذَهَبَهُ فِي
بَحْرِ الْخِيَالِ، وَانْتَهَى إِلَى التَّسْلِيمِ بِالْقِيَرَةِ، وَأَعْبَذَ النَّصْرَ عَلَى ظَاهِرِهِ
الْإِنْفَاقِ بِالْخَالِي لَا بِالْمَخْلُوقِ، وَالْإِمْسَاكُ عَنْ غَيْرِهِ؛ وَهَذَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى
كِبَرِ عَقْلِ، فَالَّذِينَ لَمْ يُتْرَكُوا لِلْإِدْكِيَاءِ، بَلْ أُنْزِلُوا لِلْأَسْوِيَاءِ؛ فَكُلُّ
مُكَلَّفٍ قَابِضٌ عَلَى تَكْمِيلِ مَعْتَقِدِهِ بِمَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنَ النُّصُوصِ.

وَقَدْ قَالَ هَذَا وَأَقْرَبُ بِهِ أُمَّةٌ أَهْلُ الْكَلَامِ فِي نَهَائِهِ ظَوَافِهِمْ فِي
الْمَعْقُولَاتِ الْكَلَامِيَّةِ؛ كَمَا قَالَ الْمُتَكَلِّمُ الْوَلِيدُ بْنُ أَبَانَ الْكُرَّابِيُّ لِمَا
حَضَرَتْهُ الْوَفَاءُ لِنَبِيهِ: «هَلْ تَعْلَمُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالْكَلامِ مِنِّي؟» قَالُوا: لَا،
قَالَ: فَتَنْهَمُونِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِمَا عَلَيْهِ أَصْحَابُ
الْحَدِيثِ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحَقَّ مِنْهُمْ^(٢)، وَقَالَ أَبُو السَّعَالِيِّ الْجَوْنِيُّ:
«أَمُوتَ عَلَى مَا يَمُوتُ عَلَيْهِ عَجَائِزُ نَيْسَابُورِ»^(٣)، وَيَقُولُ أَبُو الْوَفَاءِ بْنُ

(١) «أحاديث في فم الكلام» (ص ٩٧ - ٩٨).

(٢) «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٢٢٥ - ٢٢٦).

(٣) «طبقات الشافعية الكبرى» (٥/ ١٩١).

عقيل: «عُدْتُ الْفَهْرَ إِلَى مَنْعِبِ الْمَكْتَبِ»^(١)، ويقول الشَّهْرَسْتَانِي: «عَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَجَازَةِ»^(٢)، ويقول الفَخْرُ الرَّازِي: «لَقَدْ اخْتَبَرْتُ الطَّرِيقَ الْكَلَامِيَّةَ، وَالْمَنَاجِيخَ الْفَلَسَفِيَّةَ، وَالْعُلُومَ الْمُخْتَلِفَةَ؛ فَمَا رَأَيْتُ فِيهَا فَائِدَةً تَسَاوِي الْفَائِدَةَ الَّتِي وَجَدْتُهَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَعِي إِلَى تَسْلِيمِ الْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ بِالْكَلِمَةِ هُوَ تَعَالَى، وَتَسْتَعِي مِنَ التَّمَعُّنِ فِي إِعْرَافِ الْمَعَارِضَاتِ وَالْمَنَاقِضَاتِ»^(٣).

وقد روى الشاطبي في كتابه «الإقادات والإشادات»^(٤) بإسنادٍ إلى الرَّاظِي، آيَاتًا بَيِّنَ فِيهَا خَسْرَتُهُ وَوَحْشَتُهُ مِنْ مَبَاحِثِ الْعَقْلِيَّةِ.

§ التعرف على الله بعلم الكلام يورث الوحشة:

وَالْمُسْتَكْمِلُونَ يُحَاوِلُونَ التَّعَرُّفَ عَلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ اللَّهِ، وَمَا دَلَّ اللَّهُ عَلَى تَفْسُوهِ بِهِ، وَمِنْ أَظْهَرِ فُسُوقِ تِلْكَ الْعُلُومِ الْكَلَامِيَّةِ: أَنَّ الْعِلْمَ الصَّحِيحَ يُورِثُ خَشْيَةَ اللَّهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمَّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتْلِكُونَ﴾ [نظر: ٢٨]، وَلَا يَكَادُ دَاخِلٌ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ لِيَتَعَرَّفَ عَلَى اللَّهِ بِهِ، إِلَّا ضَعُفَتْ خَشْيَةُ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ، وَزَقَّ وَيْئَهُ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ الْكَلَامَ عَرَفَتْ شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ، فَلَوْ عَرَفَ اللَّهَ، لَازْدَادَ لَهُ خَشْيَةً لَا وَحْشَةً.

وَالْفَلَاسِفَةُ كُلُّهَا تَعَمَّقُوا فِي الْفَلَسَفَةِ، أَزْدَادُوا حَزَنًا وَخُيُوتًا، لَا طَمَاحِيَّةً وَبَقِيَّةً؛ يَتَقَدَّمُ الدَّاخِلُ فِي الْفَلَسَفَةِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ يَنْشُوءُ، ثُمَّ يَنْتَهِي بِخُيُوتَةٍ؛ كَمَا كَانَ يَقُولُ أَرِسْطُوطَالِيْسُ: «لَمَّا كُنَّا نَجَاوِزُنَا الْمَسْتَوَى الْمَتَوَسِّطَ فِي الْفَلَسَفَةِ، تَمَلَّكُنَا الْأَحْزَانُ، وَلَا زَمَنًا لِلْأَمْرَاضِ».

(١) دليل طبقات المتكلمين (١/ ٣٣٧).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٩١).

(٣) «الإقادات والإشادات» (ص ٨٤ - ٨٥).

(٤) نهاية الإقدام (ص ٧).

اعتقاد السلف في الصفات:

ولما كان السلف يُبرِّون آيات الصفات وأحاديتها، ولا يزدون على قرائتها، ولما ظهرت البدع الكلامية، وظهر التأويل والتشبيه والتعطيل :-
 توهم بعض الناس: أنَّ السلف يريدون نفي الحقيقة كلها، وأنَّ كتابتهم للنصوص من غير كلام؛ يعني الإيمان بالحروف فقط، لا مجرد أنهم ينفون كيفية الصفو وبيان كُتُبها، والسلف إنما يُشَوِّنون الحقيقة للصفو اللاتقة بالله، لا اللاتقة بالبعد، وإثباتهم للحقيقة تلك لا يعني تشبيهها كما أنَّ نفهم للتكييف لا يعني تعطيلها؛ فلا هم مشبهة، ولا معطلة، ولا مكينة؛ لأنَّ التأويل للحقيقة زيادة على النص، كما أنَّ التشبيه زيادة على النص.

والعدل: أنَّ يقيف الإنسان بينهما؛ فلا يحمله خوف التشبيه على نفي الحقيقة، ولا يحمله خوف التأويل على إثبات التشبيه، ويُعَمِّقُ عَمَّا عدا ذلك؛ لأنَّ هذا غاية العلم، وما سواه جهل؛ كما قال سَحُونٌ: فَيَرَى العلم بالله: الجهل بما لم يُخَيَّرْ به الله عن نفسه.

ويحوي قال ابن أبي زَيْنٍ^(١).

ويجب إسالكَ اللَّحْظي عن الاسترسال بالتفكير في كيفية ذات الله وصفاته؛ لأنَّ العقل يشبه ويمثل ويكيّف؛ فكلُّ عَقْلٍ يَصُوِّرُ الغائب عنه على ما يَرَى، حتى تَخْطِئَ الصُّوْرُ في العقول للذات الواحدة؛ لا اختلاف المشاهيد في كلِّ عقل؛ ولهذا نهى السلف عن الجدال في الله وصفاته وأسمائه؛ وقد قال ابن عبد البر: فَهَيْتَا عن التفكير في الله، وأبرزنا

(١) أصول الشك (ص ٦٠).

بالتفكير في خلقه الدال عليه^(١)؛ لأن التفكير في الأسماء يؤدي لمعرفة معناها وأثارها، والعمل بمقتضاها، وهو الإحصاء المقصود بقوله ﷺ: (إِنْ هُوَ يُشْعَلُ وَيُسْبِنُ اسْمًا، مِنْ أَحْصَاةَا دَخَلَ الْجَنَّةُ)^(٢).

اللغة وعلم الكلام، وأسباب انتشار البذعة:

كان اللسان العربيّ الأوّل حاميًا من الخروج عن وضع الشريعة، ومراد الله سبحانه، ولما انتشرت العُجْبَةُ في الناس، ظلّ أولاد العرب أنهم كتابتهم يروّون اللسان، كما يروّون النسب؛ ففسدت أفهام بعضهم للنصوص فساد اللسان؛ وقد صحّ عن الحسن البصريّ قوله: «أهلكتهم العُجْبَةُ؛ يَأْوِلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ»^(٣).

وكان مالكٌ يحدّث من تفسير القرآن وتأويله من غير معرفة بلسان العرب ولغاتها، ويدعو إلى تأديب فاعليه؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى حمل كلام الله على غير مراده؛ قال: «لَا أَوْتَى بِرَجُلٍ يَفْسُرُ كِتَابَ اللَّهِ غَيْرَ عَالِمٍ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ، إِلَّا جَعَلَتْهُ نَكَالًا»^(٤).

ويكفي في ردّ البدع الكلاميّة معرفة منشأها اللساني، وتبعها المكاني والزمني؛ ولهذا لم يكن العرب الذين سمعوا القرآن يستشكلون من الصفات ما استشكله المتكلمون حتى كثار قريش، ولم يكن الصحابة يسألون النبي ﷺ عن أنواع الصفات الدائية والفعلية؛ لأنّ لسانهم وبيانهم لا يحتاج ليقتل هذا التقسيم.

(١) «جامع بيان العلم» (١٧٦٩).

(٢) البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٢٧٧) من حديث أبي هريرة. وسباني بيان أنواع ظاهري الصفات عند السلف في شرح كلام ابن أبي زيد؛ يقدّمه الله.

(٣) «تفسير القرآن» لابن وهب (٨٨/الجامع).

(٤) شعب الإيمان (٢٠٩٠)، وعلم الكلام (٨٨٢).

وقد بين ابن أبي زيد القيرواني: أَنَّ الْبَدْعَ فِي الثَّنِينَ كَانَتْ بِسَبَبِ
تَصْدِيرِ بَنِي الْعَبَّاسِ لِلْعَصَمِ مِنَ الْمَرْسِ وَغَيْرِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي بَنِي
أُمَيَّة^(١).

ولما تمكن علم الكلام من بعض النامى، التمسوا من علم العربية
وأشعار العرب ما يؤيد قولهم، ولو كان مخالفاً للوضع العربي الأول،
ولسان قريش، فهم اعتقدوا بتلويح علم الكلام، ثم استأنسوا بالعربية،
حتى أصبح هناك من يقصد تعلم العربية، لتفريق علم العقائد على طريق
أهل الكلام.

وأهل السنة يرجعون فهم مسائل الثن إلى ما تواضع عليه أهل
الصدور الأول، واشتهر الأخذ به من زمن النبي ﷺ والصحابية والتابعين
خاصة المجازيين، ولا يعتمدون على كل لغة واستعمال، ويثبتون في
النقل، ولا يستدلون بكل شيء من شواهد العرب وأشعارهم، بل بما
نقله عامة العرب عند الإطلاع.

وقد نبه على هذا جمع من الأئمة؛ كالشافعي في «الرسالة»^(٢)،
وعبد العزيز الجكناني في «التهذيب»^(٣)، وهو الذي يجري عليه في
استعماله ونهجه أئمة العربية؛ كأبي عمرو بن العلاء، وحشاد بن سلمة،
والخليل بن أحمد، وسيبويه، والكسائي، والأصمعي،
وأبي عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة، ونعلب، وأبي منصور
الأزهري، وغيرهم.

(١) انظر: «مؤن المنطق» (ص ٧٥٦).

(٢) «الرسالة» (ص ٤٠ - ٥٣).

(٣) «التهذيب» (ص ٤٤ - ٥٨).

❦ خطأ المتكلمين في استعمال اللغة:

وأما المتكلمون: فيقلعون من اللغة ما يوافق أصولهم الكلامية، ويقطعون الاستعمال الأغرب على الأغلب، ولا يعتبرون بالسياق ولا القرائن ولا أحوال المتكلم والمخاطب؛ فقد يشابه الفعل مع غيره، ولكن يخطئ في سياقه، ويتغير معناه:

كالإتيان في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يُكِنُّهُمُ بِهِمُ الْقَوَائِدَ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ الْتَقَفُ مِنْ قَوْلِهِمْ﴾ [الحج: ٢٦]، فإنه يخطئ عن الإتيان في قوله تعالى: ﴿عَلَّ يَكْفُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ لَيْلٍ فَتَنْصَارُوا﴾ [البقرة: ٢٦٠]، مع أنَّ الإتيانين مضافان جميعاً إلى الله، ولكن الأول مفروق بإسقاط السقف وخروجه؛ فكان مكرراً بهم، والثاني صفة لله تعالى.

ومن ذلك: قوله ﷺ: (الْحَبِيرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ)^(١)، وقوله: (إِنِّي أَجِدُ نَفْسَ الرَّحْمَنِ مِنْ قِبَلِ الْبَيْتِ)^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ اللَّهُ وَشُكِّرَهَا﴾ [الشمس: ١٣]، وقوله ﷺ عن خالد بن الوليد: (سَيِّفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ سَلَّةُ اللَّهِ)^(٣)، فهذه نعرها المرث بسياقها: أنَّ الإضافة فيها لله، لا يعني كونها صفةً، وهذا السياق يُعرِّف بالوضع القريني الأول، وليس مجرد التركيب اللفظي كاتباً في الفهم.

ومثل هذا كان سبباً في خطأ المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة حينما ألزموا المثبتة على منهج السلف بأمثال هذه الأحاديث: أن تكون

(١) «العلل المتناهية» (٩٤٤) من حديث جابر.

(٢) أحمد (٥٤١/٢) رقم (١٠٩٧٨) من حديث أبي هريرة.

(٣) سبق تفريجه.

صفات الله كغيرها، أو يَتِمُّ تأويلُ الجميع كتابيها، وقد فهموا الألفاظ، وجعلوا السياق.

ومجرد العلم باللغة العربية لا يُجِزُ تقديم الوضع فيها على الوضع الشرعي، فالاصطلاح والوضع الشرعي مقدم على الوضع اللغوي، وما خالف ما أجمع عليه السلف من المعاني، فهو فاسد، وإن احتملته اللغة؛ ولذا يقول أبو عبيد القاسم بن سلام: «أهل العربية لغة، وأهل الحديث لغة، ولغة أهل العربية أئسف، ولا نجد بُدًّا من اتباع لغة أهل الحديث من أجل السماع»^(١)، ويقول ثعلب: «السنة تقضي على اللغة، واللغة لا تقضي على السنة»^(٢)، فالصلاة والزكاة والحج والصوم جاء الاستعمال الشرعي فيها على معنى مخصوصي يخالف الإطلاق اللغوي، ومن حمل معنى الصلاة والزكاة والصوم والحج على أحد معانيها اللغوية، كان حمله صحيحًا لغة، باطلًا شرعًا.

وكثير من الأئمة المغاربة يُدَوِّنون هذا المعنى؛ كابن أبي زيد، وابن عبد البر، وأبي عمرو الداني؛ يقول أبو عمرو الداني: «وانتبه القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الألف في اللغة، والألف في العربية، بل على الألف في الأثر، والأصح في النقل والرواية؛ إذا ثبت عنهم، لم يردّها قياس عربيّة، ولا فسّوا لغة؛ لأنّ القرآن سنة متبعة يُلزَمُ قولها والمصير إليها»^(٣).

ولما استقرت عقائد المتكلمين على التأويل أو التفويض المطلق، التمسوا من اللسان العربي شواهد لتوثيق قولهم؛ فاستدلوا بها، واستدلوا

(١) «الكفاية للخطب» (٥٥٤).

(٢) «مجالس شلمبه» (١/١٧٩).

(٣) «جامع البيان في القراءات السبع» (٢/٨٦٠).

إليها؛ كتفسيرهم الامتواء بالامتلاء؛ حيث استدل القاضي عبد الجبار بشواهد اللغة على ما استقرّ عنده قبل استدلاله؛ كما في اقتضائه القرآن^(١)، وكذلك تأويل اليد بالنعمة^(٢)، والكلام في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَخْفِيفًا﴾ [النساء: ١٦٤] حيث فسره بالكلم، وهو المخرج؛ يعني: ابتلاء، وبخرجه باليمن والشدة^(٣).

ولقد تعدى ذلك الاستدلال على الالتفاف بغير المحروق؛ إلى التوسع في تفسير المحلوفات؛ للوصول إلى الغاية؛ وهي التأويل؛ حتى عكّلوا جميع الصفات الفعلية عن حقيقتها؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَقِيَ زَيْدٌ لِيَكُونَ بِكَ كَصُلْبٍ﴾ [الأمراء: ١٤٣] جعلوا ثم تقديرًا محذوفًا، وهو نكّلني أمره وفدوتي^(٤)، ونحوه قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] فلو المخلوق: إتيان أمره وإرادته^(٥).

وهذا باب لا حد له؛ أدخلوا منه أكثر تأويلاتهم؛ حتى قال القاضي عبد الجبار: «مكنّا طريقنا في سائر المتشابهة: أنه لا بد من أن يكون له تأويل صحيح، يُخرج على منطبق العرب من غير تكلف ولا تعسف»^(٦).

ونوسعوا في إدخال كثير من تأويلاتهم للصفات من باب الكناية والمبالغة، والاستعارة والتشبيه وغيرها.

وأدخلوا من باب المجاز كثيرًا من الحقائق للخروج من الإثبات؛

(١) اقتضاه القرآن (ص: ١٤٢).

(٢) اقتضاه القرآن (ص: ٢٩٩ - ٣٠١).

(٣) الكشاف (١/ ٥٩١).

(٤) معاني القرآن للأخفش (١/ ٣٣٦)، والكشاف (٢/ ١٥٥).

(٥) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٨٣)، والكشاف (١/ ٢٥٣).

(٦) المعنى في أبواب التوحيد والعبادة (١٦/ ٣٨٠).

حتى جعلَ المعجزةَ مصطلحًا في العربية بُشاهي الحقيقة، وقد يفوتها كما يظهرُ في تفسيرات أوتلي من صبر عن هذا الاصطلاح كالأخفش في «معاني القرآن»^(١)، والجاحظ في «البيان»، و«الحَيَوَان»^(٢) حتى زعم ابنُ جني في «الخصائص»^(٣): أَنَّ أَكْثَرَ اللُّغَةِ مِعْجَازٌ، لا حقيقة.

والعجب: أَنَّهُمْ يَقْبَلُونَ التَّأْوِيلَ بِعُقُولِهِمْ، وَيَرُدُّونَ تَفْسِيرَ السَّلَفِ لِأَنَّهُ مِنْ عُقُولِهِمْ، وَعُقُولُ السَّلَفِ أَصَحُّ، وَالسَّلَفُ أَفْضَحُ.

ولما انتفع الأخذُ بعلمِ الكلام، طَوَّعَتِ الْعَرَبِيَّةُ لَهُ، وَلَمْ يُطَوِّعْ لَهَا، وَكَثُرَتِ الْبِدْعُ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ؛ حَتَّى قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْخَزِينِيُّ: «كَانَ أَهْلُ الْبَيْتَةِ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ، مِنْهُمْ أَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ، إِلَّا أَرْبَعَةً؛ فَزَاهِمٌ كَانُوا أَصْحَابَ سُنَّةٍ: أَبُو عَفْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ، وَالْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، وَيُونُسُ بْنُ خَبِيبٍ، وَالْأَصْمَعِيُّ»^(٤).

وقد ظهرَ الاعتزالُ في كثيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَ إِمَانِهِمْ فِيهَا؛ كَهَارُونَ الْأَعْوَرُ، وَابِي مُحَمَّدٍ الْبَزْدِيُّ، وَقَطْرِبُ، وَسَعِيدُ الْأَخْفَشِيِّ، وَابِي عَثْمَانَ الْمَازَنِي، وَالْجَاحِظُ، وَقَدْ كَتَبَ الْجَاحِظُ كِتَابًا لِنَصْرِ الْقَوْلِ بِخُلُقِي الْقُرْآنِ، وَتَعْطِيلِ الصِّفَاتِ؛ كَكِتَابِ «خُلُقِ الْقُرْآنِ»، وَالرُّدَّ عَلَى الْمَشْهُبَةِ؛ كَتَبَهَا لِأَبِي الْوَلِيدِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ قَاضِي الْمَتْوَكِّلِي، وَلَمْ يَبْقَ لَهُذِهِ الْكِتَابُ ذِكْرًا، وَهَجَرَتْ حَتَّى لُفِتَتْ.

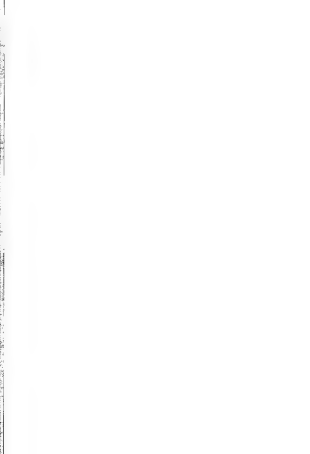


(١) «معاني القرآن» (١/٦١ و ٨٤) و (٢/٥٢٩).

(٢) «الحَيَوَان» (١/٢١٢ و ٣٤١) و (٤/٣٩٤ وما بعدها) (٥/١٣ - ٣٤).

(٣) «الخصائص» (٢/٤٤٩).

(٤) «تاريخ بغداد» (١٢/١٦٦ - ١٦٧).



الشَّحْ

﴿قَالَ كُنْ أَتَى رَبِّي﴾ : ﴿الْحَمْدُ شَحْ﴾ :

يُشْرَعُ الْبِدَاءُ بِذِكْرِ اللَّهِ قَبْلَ الشُّرُوعِ فِي الْمَقَامَاتِ الْمَهْمَةِ، وَالْمَوَاقِفِ الْجَلِيلَةِ، وَقَدْ اسْتَفَاضَتِ السُّنَّةُ الْعَمَلِيَّةُ بِذَلِكَ، وَقَدْ طَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى أَنْوَاعِ مِنَ الذِّكْرِ يُشْرَعُ الْبِدَاءُ بِهِ بِاِخْتِلَافِ أَنْوَاعِ الْمَقَامِ الْمَشْرُوعِ فِيهِ؛ فَجَاءَتْ نَصُوصٌ بِالْبَدْوِ بِالسُّمْلَةِ، وَنَصُوصٌ بِالْبَدْوِ بِالْحَمْدِ وَالشَّهَادَةِ وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ :

أَمَّا الْبِدَاءُ بِالْحَمْدِ: فَفِي الْخُطْبِ وَمَا فِي حُكْمِهَا مِنْ طَوِيلِ الْكُتُبِ وَالْمَقَالَاتِ، وَقَدْ اسْتَفَاضَتِ الْأَحَادِيثُ عِنْدَ حِكَايَةِ قِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ لَخُطْبِهِ يَقُولُونَ: ﴿فَحَمْدُ اللَّهِ، وَأَتَى عَلَيْهِ﴾؛ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(١)، وَأَبِي هُرَيْرَةَ^(٢)، وَابْنِ عُثْمَرَ^(٣)، وَأَبِي حَنِظَلٍ السَّاعِدِيِّ^(٤)، وَأَنَسٍ^(٥)، وَجَرِيرٍ^(٦)، وَعَائِشَةَ^(٧)، وَأَسْمَاءَ^(٨)، وَهَكَذَا الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَلَيْسَ فِي فَقْهِهِمْ التَّسْمِيَةُ فِي الْخُطْبِ.

وَأَمَّا اقْتِرَانُ الْحَمْدِ بِالشَّهَادَةِ: فَهُوَ مَشْرُوعٌ فِي صَدْرِ الْخُطْبِ

(١) البخاري (١١٧).

(٢) البخاري (٢١٢٤)، ومسلم (١٢٥٥). (٣) البخاري (١١٠٦)، ومسلم (١٦٩).

(٤) البخاري (٩٢٥)، ومسلم (١٨٢٢).

(٥) البخاري (٣٧٩٩)، ومسلم (١١٠١) فِي نَحْوِ أُخْرَى.

(٦) مسلم (١٠١٧). (٧) البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١).

(٨) البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥).

والكلام الجليل بلا خلاف، وقد جاءت به السنة القليلة:

كما في حديث عائشة في «الصحيحين»: لما اتهم الناس بصلواته بالليل، ولم يخرج لهم في الثالث، فخطبهم في الفجر، فقال: (إِنَّهُ لَمْ يَخَفْ عَلَى مَكَائِكُمْ)^(١).

وتشهد عندما حدثت عائشة بالإفك؛ فقال كما في «الصحيحين»: (يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ يَلْقَى عَنْكَ كَذَا وَكَذَا؛ فَإِنْ كُنْتَ بِرَيْئَةٍ، فَسَيِّرْكَ إِلَيَّ)^(٢).

وجاء بالتشهاد السنة القولية؛ كما في حديث أبي هريرة مرفوعاً؛ قال: (كُلُّ عَطِيَّةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُدٌ، فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَلَمَاءِ)^(٣).

وصح عن أبي بكر وعلي بن أبي طالب تشهدهم في خطبة غير الجمع؛ كما في «الصحيحين» عن عائشة، في تبعو أبي بكر^(٤).

وتشهد عمر في خطبته لما مات النبي ﷺ^(٥)، وشهد عثمان في كلامه لما أقام الحد على الوليد بن عقبة؛ وكلاهما في «الصحيح»^(٦).

وكان بعض الصحابة يشهد فيما بينهم، حتى في غير صعود المنبر، وغير الناس عامة:

كما جمع ابن عمر بنينو وأهلته في إنبات بيمو يزيد لما خلعه الناس؛ حيث رأى أنَّ الخلع نكثٌ وعُدرا؛ كما عند أحمد^(٧)، والأصل المرفوع في «مسلم»^(٨).

(١) البخاري (٩٢٤ و ٢٠١٢)، ومسلم (٧٦١).

(٢) البخاري (٢٦٦١ و ٤١٤١ و ٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٣) أبو داود (٤٨٤١)، والترمذي (١١٠٦).

(٤) البخاري (٤٢٠ و ٤٢١)، ومسلم (١٧٥٩).

(٥) البخاري (٧٢١٩).

(٦) أحمد (٤٨/٢) رقم ٥٠٨٨.

(٨) البخاري (٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٥).

وجاء عن ابن مسعود: التَّشَهُُّدُ فِي كُلِّ حَاجَةٍ يَخْطُبُ لَهَا.

وجاء عن عطاء، عن أبي البَحْرِيِّ: قَالَ: «كُلُّ حَاجَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُُّدٌ، فَهِيَ بِقِرَاءَةِ»^(١).

وَأَمَّا الْبِدَاءُ بِالْبِسْمَلَةِ: ففي المكاتبات والرسائل سُنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ والأنبياء؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ إِذْ يُرْسِدُ الْفُلَ إِلَى الْأَرْضِ يَهِيمُ فِيهَا وَأَنَّى يُهْدَى الْفُلُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَئِن رَّزَقَ الْفُلَ لَأَنزِلُ مِنْ رَبِّهِ الْفَلَاحَ وَالْجَارَ لَا تَفْلُكُ﴾ (الشَّل: ٣٠)، وكَلَّمَا كَانَ الْأَمْرُ الَّذِي يَشْرَعُ فِيهِ الْكَاتِبُ وَالْمُتَكَلِّمُ اعْظَمَ، كَانَ التَّأَكُّدُ بِالْبِدَاءِ بِذِكْرِ اللَّهِ فِيهِ أَشَدَّ.

وظَاهِرُ السُّنَّةِ: التَّضَرُّعُ بَيْنَ الْخُطْبِ وَالْمَكَاتِبَاتِ؛ فَالْخُطْبُ يُبْدَأُ فِيهَا بِالْحَمْدِ لِلَّهِ، وَالْمَكَاتِبَاتُ يُبْدَأُ فِيهَا بِالْبِسْمَلَةِ؛ كَمَا فِي كُتُبِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمُلُوكِ وَرُؤُوسِ النَّاسِ؛ كَكِتَابِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، وَكَشَرِّهِ عَظِيمِ فَارَسَ، وَالْمُقَوِّقِ عَظِيمِ الْفُتَيْطِ، وَالنَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ، وَالْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى النَّمِيعِيِّ حَاكِمِ الْبَحْرَيْنِ، وَالْحَارِثِ الْعَسَاثِيِّ مَلِكِ الْجَبَرَةِ، وَأَوَّلَ رِسَالَتِهِ ﷺ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٢)، وَبَقِيَّتُهَا فِي السَّبْرِ.

وَأَكْثَرُ السَّلَفِ فِي الْقَرْنَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ يَبْدُؤُونَ كُتُبَهُمْ بِالْبِسْمَلَةِ، ثُمَّ يَشْرَعُونَ فِي الْمَقْصُودِ؛ كَمَا لَوْ فِي «الْمَوْكِنَةِ»^(٣)، وَغَيْرِهِ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَى الْكُتُبِ الْبِدَاءُ بِالْبِسْمَلَةِ وَالْحَمْدِ لِهَيْبَتِهَا.

وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي الْأَمْرِ بِالْبِدَاءِ بِالْبِسْمَلَةِ وَالْحَمْدِ: مَعْلُومَةٌ، وَالسُّنَّةُ الْعَمَلِيَّةُ أَصَحُّ وَأَشْهَرُ.



(١) مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ (٢٧٢١٧). (٢) الْبُخَارِيُّ (٧)، وَمُسْلِمٌ (١٧٧٣).

(٣) (١/٢٣).

﴿قَالَ إِنِّي أَنزِلُهُ﴾ : «الَّذِي ابْتَعَا الْإِنْسَانَ بِنِعْمَتِهِ، وَصَوَّرَهُ فِي الْأَرْحَامِ بِحِكْمَتِهِ» :

التذكير بنعمة الله على عباده مُوجِبٌ لظهور حقِّ الله على عباده، فعن الله سابق ولا حق، ونعمته لا تحصى، وإِنَّمَا يُؤْنِسُ الْإِنْسَانُ بِعَمَلِهِ مِنْ هَذَا، وَضَلَالَتُهُ بِكَوْنِهِ مِنْ جَهَتَيْنِ :

الأولى : أَن يَنْسِبَ فَضْلَ اللَّهِ وَنِعْمَتَهُ عَلَيْهِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ، فَيُعْبُدَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

الثانية : أَن يَنْسَى فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَيَنْفُلَ عَنْهُ، فَيَنْفُلَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَقِّهِ عَلَيْهِ بِمَقْدَارِ قَلْبِهِ.

ولهذا نَأْمُرُ أَهْلَ التَّذْكِيرِ بِفَضْلِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ : إِنَّمَا بِالْإِسْلَامِ لِيَرْجِعَ، وَإِنَّمَا بِالْتَوْفِيقِ وَالْمَرَاجَعَةِ لِلْحَقِّ بِالتَّذْكِيرِ وَالْعِلْمِ وَالْفَهْمِ.



﴿قَالَ إِنِّي أَنزِلُهُ﴾ : «وَأَنْزِلُهُ إِلَى رَفِيقِهِ، وَمَا يَسَّرُهُ لَهُ مِنْ رِزْقِهِ، وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظِيمًا، وَكَتَبَهُ بِأَثَرِ حَقِيقَتِهِ، وَأَعْلَزَ إِلَيْهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُرْسَلِينَ الْخَيْرَةَ مِنْ خَلْقِهِ، فَهَدَى مَنْ وَفَّقَهُ بِفَضِيلَةٍ، وَأَضَلَّ مَنْ خَذَلَهُ بِعَدْلَةٍ، وَتَسَّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ لِلْيُسْرَى، وَفَرَّجَ شُكُورَهُمْ لِلذِّكْرِ، فَأَمَرُوا بِاللَّيْسِ بِهَيْبَتِهِمْ نَاطِقِينَ، وَبَقَالَتِهِمْ مُخْلِصِينَ، وَبِمَا أَتَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُ وَكُتِبَتْ عَلَيْهِمْ، وَتَعَلَّمُوا مَا عَلَّمَهُمْ، وَوَقَفُوا عِنْدَ مَا عَدَّ لَهُمْ، وَاسْتَعْتَفُوا بِمَا أَصَلَّ لَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ» :

ذَكَرَ الْمَوْلَى نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ إِعْجَازِهِ وَكَفَالَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ، وَذَكَرَ دَلِيلَ الْخَلْقِ بِقَوْلِهِ : «وَكُتِبَتْهُ بِأَثَرِ حَقِيقَتِهِ» : وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْفَرَائِدِ، بِأَمْرِ عِبَادَةِ النَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ وَالسَّيْرِ فِي الْأَرْضِ، لِتَدْبِيرِ آيَاتِ اللَّهِ وَالتَّأَمُّلِ فِيهَا،

فَإِنَّ هَٰذَا بَيِّنَاتٌ لِّكَ الْكَوَاكِبِ وَالْأَنْجَامِ، وَالنَّجْمِ وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،
وَأَنْوَاعِ الْمَوْجُودَاتِ الْحَيَّةِ وَالْجَامِدَةِ - تَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ شَوْجِدِهَا؛
قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنَّ بَنِي آدَمَ فِي مَكَلُوتٍ أُنْشِئُوا وَالْأَرْضَ وَنَا عَلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ
لَّكَافِرُونَ﴾ [مرايد: ٦٨٥]، وَقَالَ: ﴿وَالْأَرْضُ عِنْدَ إِسْرَافِهِمْ ۖ وَاللَّهُ أَشَدُّ
كَيْدًا﴾ [الطه: ٢٠-٢١]، وَقَالَ: ﴿لَقَدْ يَنْشُرُونَ إِلَى الْإِبْرَةِ حَقِيقَتَهُمْ ۖ وَلَقَدْ
يَكْفُرُونَ أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَٰكِنْ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٧-٢٠].

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ مَا أَجْرَاهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ تَسْوِيعِهِمْ عَلَى مَرَادِهِمْ بِفَضْلٍ وَعِزٍّ، وَلَا يَنْظُرُ اللَّهُ أَحَدًا، وَتَقْدِيرُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَعْمَالَهُمْ لَا يَحْصِي حُلَّتُهُمْ، وَلَا قَطَعَ حُجُوبِهِ عَلَيْهِمْ، وَإِنِّي الْكَلَامُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا فِي بَابِ الْقَدَرِ وَالْمَشِيئَةِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

وفي قوله: «فَاسْتَوْا بِاللَّهِ بِآيَاتِهِمْ نَاطِقِينَ»، وَيُقَالُ لَهُمْ مُخْلِصِينَ، وَبِمَا أَتَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُ وَغَنِيَّةَ عَالَمِينَ»، دُخِرَ لِلإِيمَانِ، وَأَنَّ قَوْلَ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ، وَلَا يَكُونُ إِيمَانٌ عَمْدٌ إِلَّا بِفِكَ، وَيَأْتِي بِأَنَّ هَذَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

﴿ سَمِعْتُ الْحَلَالَ، وَفِيكَ الْحَرَامَ: ﴾

وفي قوله: «وَتَعْلَمُوا مَا عَلَيْهِمْ»، وَتَعْلَمُوا مِنْدَ مَا حَدَّثَهُمْ، وَاسْتَأْذَنُوا
بِمَا أَهْلُ لَهُمْ عَمَّا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ:

تنبيه إلى أن الغاية من العلم: العمل بالمأمور، وترك المحظور، وأن الله جعل في الحلال غنية عن الحرام وكفاية، وكثيراً ما ينهى الله عن شيء، ثم يبيّن سنة الحلال؛ حتى لا يشعر الإنسان بالحرج والضيق، وتوهمته نفسه؛ فإن الشيطان يكثر من عرض المحرمات على الإنسان؛ حتى يشعر بسعيتها، ويبيّن الحلال حتى يشعر بفضيله وقبّله:

ومن ذلك: قوله تعالى قبل تحريم الميتة والدم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حَتَّىٰ تَخْرُجُوا مِن بُيُوتِكُمْ وَأَتُوا مَنَازِلَكُمْ وَأَنْتُمْ سَاهُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ قَالَ: ﴿لَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخُزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ...﴾ الآية [البقرة: ١٧٣].

والله تعالى يذكر الحلال ويؤمِّه، ويذكر الحرام ويضيِّقه، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتُمْسِكُوا بِرِشَاطِ اللَّهِ فَتَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ يُحْذَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، فلما ذكر الحلال أطلقه، ولما ذكر الحرام وصفه بالخطوات، ولا يتجرأ أحد على حرام إلا وقد ضاق الحلال عليه: إمَّا توهماً في نفسه، أو حقيقة في الواقع، والتضييق ليس من التشريع.

❦ بيان المؤلف لموجب التأليف:

❦ قَالَ الرَّبُّ الْعَزِيزُ: ﴿إِنَّمَا بَعَثْنَا نَبِيًّا وَعَلَّمْنَاهُ عَلَيْهِ مَا لَحِظْنَا وَمَا أَفْضَلْنَا مِنْ شَرِّ النَّبِيَّةِ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فإِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَكَ جُمْلَةَ مُلْتَمَسَةٍ مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّينِ:

شَرَعَ ابْنُ أَبِي ذَرٍّ فِي بَيَانِ مَقْصُودِهِ مِنْ «رِسَالَتِهِ»، وَمُوجِبِ كِتَابِهَا. وَاسْتَعْمَلَ: «إِنَّمَا بَعَثْنَا» سَنَةً لِفَصْلِ الْخُطَابِ، كَانَ يَفْعَلُهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي خُطْبِهِ وَمُكَاتِبَاتِهِ.

وَبَيَانُ مُوجِبِ الْكِتَابَةِ يَبِينُ الْمَقْصُودَ مِنْهَا، وَيُخْرِجُهَا عَنِ الْفَضُولِ وَقَصْدِ الْكِتَابَةِ لِلْكِتَابَةِ، وَبَيَانُ مُوجِبِ الْقَوْلِ يَزِيدُ مِنَ التَّوْضِيحِ؛ وَهُوَ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ؛ فَبِذِكْرِ اللَّهِ الْحُكْمَ وَالْجَوَابَ بَعْدَ ذِكْرِ الاسْتِشْكَالِ وَالسُّؤَالِ مِنَ النَّاسِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وَ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ [النساء: ١٧٦].

﴿قَالَ كُنْ لِيَ زَيْدٌ﴾: ﴿يَمَا تَتَوَلَّى بِوِ الْآلِيَّةِ، وَتَعْتَقِدُ الْفُلُوبِ، وَتَعْمَلُ الْجَوَارِحَ، وَمَا يَتَّصِلُ بِالْوَاجِبِ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْءِ، مِنْ مُؤَلِّفِيهَا وَتَوَالِيهَا، وَرَعَائِيهَا وَشَيْءٍ مِنَ الْأَقَابِ مِنْهَا، وَجُمْلَةٍ مِنْ أَصُولِ الْفِعْلِ وَقُوَّةٍ عَلَى مَلَقَبِ الْإِقَامِ تَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَجَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَطَرِيقَتِهِ﴾:

والمقصود بشرحنا هنا: هو لمعتقد المؤلف في صدر رسالته، فإنه قد أتبع معتقده أحكام الفقه وتفصيله، وسحل الكلام عليها غير هذا الكتاب.



﴿قَالَ كُنْ لِيَ زَيْدٌ﴾: ﴿مَعَ مَا سَهَّلَ سَبِيلَ مَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ، مِنْ تَفْسِيرِ الرَّاسِخِينَ، وَتَبَيَانِ الْمُتَعَقِّلِينَ، لِمَا وَغِيَتْ فِيهِ مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ الْوَلَدَانِ، كَمَا تَعَلَّمْنَهُمْ حُرُوفَ الْقُرْآنِ، يَنْشِقُّ إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ قَلَمٍ وَبَيْنِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ، مَا تُرْجَى لَهُمْ بَرَكَتُهُ، وَتُحَمَّدُ لَهُمْ عَاقِبَتُهُ، فَاجْتَنَبْتَ إِلَى ذَلِكَ، لِمَا وَجُوَّتْ لِنَفْسِي وَلَكَ مِنْ ثَوَابٍ مَنْ عِلْمٍ وَبَيْنَ اللَّهِ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ﴾:

لقد بسر الله كلاته لمن يريد فهمه من العرب ومن عرف لسانهم غيرهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا لِقَالِ الْفِرْعَوْنَ إِذْ هَبَّ مِنْ ظُلُمِهِ﴾ [النمر: ١٧]، وجعله سهلاً يسهلاً، لا يحول بينه وبين فهمه إلا إعراض قلبه وانصرافه عن الحق، ويحل هذا لو سبغ الحق، لم يستغنى به، ويكون سماعه كسماع الأحمس: ﴿وَلَوْ كَرِهَ اللَّهُ نِسْمَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ﴾ [الأنصاف: ١١٣].

وربما نظر من في قلبه مرض في القرآن، وتبيح المشابهة، فزاد زينة، لأن طلب الزينة بنفسه، والله لا يتبدى أحداً بلا علة: ﴿لَقَدْ رَأَوْا﴾ [الحج: ١٠].

ولا يصرف أحدًا عن الحق وهو بريء: ﴿ثُمَّ أَصْرَفْنَا عَنْكَ آلِهَ قَوْمِهِمْ﴾ (التوبة: ١٢٧)، ولا يثقل في قلب أحد مرضًا أو رجسًا إلا وهو يطلب المرض والرجس: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ لُزُومٌ مِّمَّا كَفَمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة: ١٠)، وقال: ﴿وَأَمَّا الْوَيْلُ فِي قُلُوبِهِمْ شُرَكَاءُ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَهُ رِجْسِهِمْ﴾ (التوبة: ١٢٥)، ومن كان في قلبه لصد الخير وطلبه، فإن الله يهديه: ﴿وَلَوْ كَرِهَ اللَّهُ لِيَوْمِهِمْ تِلْكَ الْأَشْجُمُ﴾ (الأنفال: ٢٣)، وإذا كان الإنسان كلما قرأ الأدلة، ازداد غيبًا وانحرافًا، فالعيب في قصده ومرض قلبه، لا في الأدلة.

ومن تجهل شيئًا من الوحي المتعين عليه، وجب عليه سؤال أهل العلم العارفين بذلك؛ فإن مجرد الجهل مع إمكان رفيق، لا يعتد صاحبه به؛ والأل لكان الجهل غيرًا من العلم، وتجهيل الناس أفضل من تعليمهم؛ لأن تعليمهم تكليف وحساب، وتجهيلهم إعلال وعفو.

وَنَشَأُ الصَّغِيرُ عَلَى الْفُطْرَةِ، وَتَقْبَلُ الْحَقَّ وَالْإِتْجَاءُ إِلَيْهِ، وَاسْتِنكَارِ الْبَاطِلِ وَالْقُرَّةُ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَتَوَكَّلُ عَلَى الشَّرِّ؛ إِذَا تَدَرَّجَ فِيهِ؛ كَمَا قَالَ ﷺ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَهُوَ عَلَى الْفُطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَجِّسَانِهِ...) (١).

وتعلم الولدان الحق والخير واجب، وهو حق لهم على واليهم، ويتأكد ذلك في الأزمنة التي يكثر فيها الشر؛ فيجب أن يسبق بالخير إلى قلوبهم قبل أن يسبق إليهم الشر؛ فيعتلونه ويشربونه.



(١) البخاري (١٢٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨)، من حديث أبي هريرة.

﴿قَالَ كُنْ لِي رُحْمًا﴾: «واعلم: أن غير القلوب: أوعاءها للخير، وأزجي القلوب للخير: ما لم يسبق الشر إليه، وأولى ما غني به الناصحون، وذهب في آخره الراغبون: يصل الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين؛ ليزرع فيها، وتربوهم على تعاليم الثبابة، وتحذروا الشريعة؛ ليزادوا عليها، وما عليهم أن تعتقد من الدين قلوبهم، وتعمل به بخوارضهم؛ فإنه روي أن تعليم الصغار لكتاب الله، يظفر غضب الله، وأن تعليم شيء في الصغر؛ كالنقي في الحبر».

وقد مثلت لك من ذلك ما ينتفعون - إن شاء الله - بحقيقة، وتشرعون بعلية، ويستعدون باعتماد والعمل به: ﴿

أنهى القلوب: القلب الذي يكون على الفطرة، ولم يرد إليه وارد من الشر؛ لأن القلب إذا تمكّن منه الشر، تصلب وقسا، وشق عليه الرجوع؛ كما قال تعالى: ﴿فَقَالَ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ فَهَتَّ قُلُوبَهُمْ﴾ (الحديد: ١٧) لأن للقلب منافذ يدخل منها الخير، وإذا كثّر الباطل والشر على القلب، كثّر إغلاقي منافذ الخير إليه؛ حتى يكون كالحجارة أو أشد قسوة في قبول الحق.

وفد جامع الأدلة في تعليم الصغار بين الله، وخاصة ما يتعلق بهم وما يثقل عليهم الثبات عليه بعد تكليفهم؛ كالصلاة وأحكام العزرة؛ كما قال ﷺ: (شُرُّ أَوْلَادِكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِينَ، وَأَشْرِيوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَلَمْ تَرَوْا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)^(١)، وكما في ظاهر آية العزرة من سورة النور.

(١) أحمد (٦/ ١٨٠ و ١٨٧ رقم ٦٦٨٩ و ٦٦٩٠)، وأبو داود (٤٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو.

وتعليم الصغير أثبت في قلبه من تعليم الكبير لخلو قلبه ولبه وقلوبه.

والأتم والشعوب التي تنشأ على الفطرة، ولم تبدل، فإنها أسرع لقبول الحق والسليم به كما هو اليوم في كثير من بلدان إفريقيا وبعض بلدان جنوب شرقي آسيا، وأما التي تبدلت فطرته، وطال الأمد على انحرافها، فإن قبولها للحق شاق؛ لأن قلوبهم منحرفة كالإناء المائل أو المنكوس، فيقدار ميله يقل نصيبه من ثقل وضع الماء فيه، وإذا كان منكوساً لا يقبل شيئاً حتى يعدل على الفطرة الصحيحة، ثم يصب الماء فيه، والجهل في هؤلاء شاق؛ لأنهم يحتاجون إلى جهاتين: جهاد تعديل الفطرة، وجهاد غرض الشريعة؛ وهذا كالفرق بين أهل مكة وأهل المدينة في أولي الإسلام؛ فاهل مكة أشد تبديلاً للفطرة، فعانقوا وكافروا، ولكن من آمن منهم، ثبت وكان إيمانه أقوى من غيره؛ لأنه جرب أقصى الضلالة، فرجع، فليس بعدها شيء؛ ولهذا كان مؤمنو مكة المهاجرون أفضل من مؤمني المدينة الأنصار.

ومن أراد دعوة أحد إلى الحق، فليُنظر إلى فطرته ومقدار انحرافها قبل دعوته، حتى يقوم الإناء قبل الصب فيه، ومن يدعو أصحاب الفطر مبدلة، اعظم أجراً ممن يدعو أصحاب الفطر الصحيحة، ولو كان أقل اتباعاً؛ نكل أولي العزم من الرسل أربلوا إلى أتم مبدلة للفطرة.

وإذا نشأ الإنسان في بيئة شر وعرف الحق، فهو أثبت وخير ممن عرف الحق في بيئة خير، ومن هذا قول أحمد: إذا أصيب الكوفي صاحب سنة، فهو أقوى الناس^(١)؛ وذلك لأنه تحلبت على الكوفة بدمعة التشيع والرفض.



﴿قَالَ كُنْ فِي زِينَةٍ﴾: «وَقَدْ جَاءَ أَنْ يُؤْمَرُوا بِالصَّلَاةِ لِسَمْعِ صَبِيٍّ، وَيُحَرِّثُوا عَلَيْهَا لِعَطْرِ، وَيَتَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ، فَكَذَلِكَ: يَتَّبِعِي أَنْ يَغْلَسُوا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ قَبْلَ بُرُوعِهِمْ، لِتَأْتِي عَلَيْهِمُ الْجُلُوعُ، وَقَدْ تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَتَكُنَّتْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ، وَأَبَسَتْ بِمَا يَفْعَلُونَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ جَوَارِحُهُمْ.

﴿وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ شِبْحَانَهُ عَلَى الْقَلْبِ عَمَلًا مِنَ الْإِغْنِثَاتِ، وَعَلَى الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ عَمَلًا مِنَ الطَّاعَاتِ.

﴿وَسَائِلُكَ لَكَ مَا شَرَفَتْ لَكَ ذِكْرُهُ بَابًا بَابًا، لِيَقْرُبَ مِنْ قَهْمِ مُتَعَلِّبِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَرِثَاءَ تَسْتَعِيرِ، وَيَوْمَ تَسْتَعِينِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ﴾:

أَمْرُ الصَّبِيِّ بِالصَّلَاةِ فِي صَبَرِهِ مُتَوَجِّةٌ فِي الشَّرْعِ لَوْلِيًّا، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ...»^(١)، لِأَنَّ الصَّبِيَّ غَيْرُ مَكْلُوفٍ، فَلَا يَتَوَجَّعُ إِلَيْهِ الْخُطَابُ، وَالْتِصَامُ فِي ذَلِكَ يَقَعُ عَلَى وَلِيٍّ لَا عَلَيْهِ، وَإِذَا بَلَغَ، وَقَعَ عَلَيْهِ لَا عَلَى وَلِيٍّ.

﴿وَأِنَّمَا خُصِّصَتِ الصَّلَاةُ بِالتَّكْبِيرِ عَلَى الصَّغِيرِ فِي أَوَّلِ تَعْيِينِهِ لِأَسْبَابٍ مِنْهَا:

الأول: كَوْنُهَا أَعْظَمَ الْأَرْكَانِ الْعَمَلِيَّةِ وَأَقْدَمُهَا، وَالْإِهْتِمَامُ فِي الشَّرِيعَةِ يَكُونُ لِلْأَهَمِّ وَالْأَعْظَمِ.

(١) سبق تفريجه.

الثاني: أَنَّ الصلاةَ ثَقِيلَةٌ، وَتَحْتَاجُ إِلَى تَوَكُّنٍ، وَالنَّضْضِ حَقِيقَةً؛
حتى إِذَا عَجَزَتْ، لَا تَسْتَقْبِلُ الصَّلَاةَ، وَقَدْ اعْتَادَتْ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، وَمَنْ
لَمْ يُوَدِّعْهَا وَهُوَ صَغِيرٌ بِأَيِّ حَالٍ، شَقَّ عَلَيْهِ الْقِيَامُ بِهَا عِنْدَ أَوَّلِ بَلُوغِهِ؛
ولهذا جَاءَ أَمْرُ الْوَلِيِّ بِأَنْ يَأْمُرَ الصَّغِيرَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعٍ سِنِينَ؛ حَتَّى يَبْلُغَ
الْعَاشِرَةَ، وَهِيَ ثَلَاثُ سِنِينَ، يُؤْمَرُ فِيهَا عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، ثُمَّ يُضْرَبُ عَلَيْهَا
بَعْدَ الْعَاشِرَةِ إِلَى بَلُوغِهِ، ضَرْبًا غَيْرَ مَبْرُوحٍ؛ وَلَكِنْ مَنْ انْتَهَلَ عَلَى الْأَوَّلَى،
لَمْ يَخْتِجْ إِلَى الثَّانِيَةِ؛ لَيْ: مَنْ انْتَهَلَ بِأَمْرِ الصَّغِيرِ بَعْدَ السَّابِعَةِ ثَلَاثَ
سِنِينَ، لَمْ يَبْلُغِ الْعَاشِرَةَ إِلَّا وَهُوَ مُدَاوِمٌ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَخْتِجْ إِلَى ثَوْبِهِ.

الثالث: أَنَّ الصلاةَ ثَقِيلَةٌ بِلَا خُشُوعٍ، وَالخُشُوعُ ثَقِيلٌ فِي ذَاتِهِ عَلَى
مَنْ لَمْ يَتَوَكَّنْ عَلَيْهِ، وَالصَّغِيرُ أَوَّلَ مَا يُوقَّعُهَا لَا يَعْرِفُ الْخُشُوعَ؛ فَيَرَادُ
تَوْطِئَتُهُ عَلَى الْأَمْرِ نِيسَانًا عَلَيْهِ: ﴿وَأَتَّبِعُوا الْوَعْدَ وَالْأَمْلَ وَالْأَمْلَ وَالْأَمْلَ﴾
إِلَّا عَلَى الْكُفْرَانِ ﴿الْبقرة: ٤٥﴾، وَالخُشُوعُ ثَقِيلٌ عَلَى ضَعِيفِ الْيَقِينِ بِرَبِّهِ؛
كَمَا وَضَعَتْ اللَّهُ الْخَاشِعِينَ فِي نَفْسِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا عَلَى الْكُفْرَانِ﴾
﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ أَهْلَهُمْ ثَلَاثًا وَرَبَّهُمْ﴾ ﴿الْبقرة: ٤٥ - ٤٦﴾.

فَالثَّلَاثَةُ مَتَلَزِمَةٌ: أَدَاءُ الصَّلَاةِ، وَخُشُوعُهَا، وَالْيَقِينُ بِالْهَوَا؛ وَلَمَّا كَانَ
الصَّغِيرُ يَحْتَاجُ إِلَى جَمْعِهَا فِي نَفْسِهِ، احْتَاجَ إِلَى التَّكْبِيرِ بِهَا أَوَّلَ تَعْيِيرِهِ.

الرابع: أَنَّ الصلاةَ بَابٌ لِحَقِيقَةِ بَقِيَّةِ الدِّينِ؛ فَهِيَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ، وَتَحْتَاجُ الصَّغِيرُ إِلَيْهَا؛ لِتَرْدَعَهُ عِنْدَ بَلُوغِهِ، وَتُحْتَمُّ عَلَى الْعَمَلِ
الصَّالِحِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْبَاطِنِ، فَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا
الْكِتَابِ بِإِذْنِ اللَّهِ.

﴿قَالَ لِي رَسُولِي﴾: ﴿وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَكَوْنِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا﴾:

فُتْرِخُ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الْخُطْبِ، وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ لِأَنَّ تَعْظِيمَ الرَّسُولِ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَتَعْظِيمِ النَّبِيِّ مِنْ تَعْظِيمِ النَّبُوَّةِ وَالنَّبِيِّينَ؛ وَهَذَا يَعْمَلُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالْمُسْلِمُونَ مِنْ أَبِي جُبَيْرٍ قَالَ: «صَوَّدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: خَيْرٌ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، وَالثَّانِي عُمَرُ ﷺ، وَقَالَ: يَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْخَيْرَ حَيْثُ أَحَبَّ»^(١).

فَضْلُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَمَوَاضِعُهُ:

وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَرَكَةٌ عَلَى قَائِلِهَا، وَهِيَ مُؤَثَّرَةٌ فِي قُبُولِ الْعَمَلِ وَالِدَعَاءِ فِي «السُّنَنِ» مِنْ حَدِيثِ قُصَالَةَ بْنِ عُثَيْبٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِمَنْ صَلَّى وَدَعَا، وَلَمْ يُتَجَدَّ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ: (عَجَلْتُ إِلَيْهَا الْمُصَلِّي)، وَقَالَ لِمَنْ صَلَّى فَمَجَّدَ اللَّهَ وَخَوَّفَهُ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: (ادْفَعْ نُجَبًا، وَتَقِلْ ثَقَلًا)^(٢).

وَقَدْ نَوَاقِثُ الْأَحَادِيثِ وَالْأَنَاءُ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عَائِدَةً، وَصَحَّتْ فِي مَوَاضِعَ خَاصَّةٍ:

فَتُفْرَغُ كَسَائِرُ الْأَعْمَارِ لِغَيْرِ سَبَبٍ؛ إِمَّا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ

(١) تزيادات المسند (١٠٦/١) رقم (٨٣٧).

(٢) أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٤٧٦ و ٣٤٧٧)، والنسائي (١٧٨٤).

أبي هريرة^(١) قال ﷺ: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاجِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)^(٢).

وهي من أعظم أسباب مكفّرات الذنوب وجلّاء الهموم؛ ففي «المسنّد» من حديث أبي طلحة^(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاجِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ)^(٤).

وتُشرّع عند أسباب، وأكثرها: في الصلاة عند التشهّد^(٥)، وعند ذكر النبي ﷺ^(٦)، وبعد الأذان^(٧)، وفي صلاة الجَنَازَةِ^(٨)، وعند الهَمِّ والحاجات^(٩)، وفي مجالس الذِّكْرِ عامة^(١٠)، وعند الدعاء^(١١)، وكان بعض الصحابة يَحْتِمُّ قُوَّةَ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ^(١٢)، وَدَوِيَّ فِيهِ مَرْفُوعَاتُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَتِهَا^(١٣).

(١) مسلم (٤٠٨).

(٢) «المسنّد» (٢٩/٤) رقم (١٧٣٥٢)، وهو في «شعب الإيمان» (١٤٥٥) من حديث أنس.

(٣) البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧) من حديث أبي حنيفة الساعدي. والبخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦) من حديث ثعلبة بن حنّرة. وورد عن عليّ من الصحابة في الصحيحين وغيرهما.

(٤) الترمذي (٣٥٤٥) من حديث أبي هريرة، و(٣٥٤٦) من حديث الحسين بن علي.

(٥) مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٦) «مسند الشافعي» (٢١٠/١ - ٢١١) من حديث رجل من الصحابة.

(٧) الترمذي (٢١٥٧) من حديث أبيّ بن كعب. وأبو نُعَيْم في «معركة الصحابة» (٢/١٤١٣) من حديث جابر بن سُرّة.

(٨) الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٦٧٢) من حديث أبي هريرة.

(٩) الترمذي (٥١٣) من حديث ابن مسعود.

(١٠) «فضل الصلاة على النبي» (١٠٧).

(١١) المسائي (١٣٧٤) من حديث أنس بن أوس. وابن ماجه (١٦٣٧) من حديث

أبي الدرداء. والبيهقي (٢٢٩/٢) من حديث أنس وأبي الدرداء.

وَيُرَوَّى الصَّلَاةُ عَلَيْهِ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ، وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنْهُ؛ وَهُوَ مَعْلُولٌ^(١).

وَإِنَّمَا دُكِرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ، نَأْتَلَتْ.

وَتُجْزَى مَرَّةً وَاحِدَةً، وَتُكْرَرُهَا عِنْدَ ذِكْرِ أَوَّلَى وَأَخْرَطَ؛ وَفَلَك لَأَنَّ جَبْرِيلَ دَعَا عَلَى مَنْ تَرَكَهَا بِالْبُعْدِ، وَأَمَّنْ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَعْدَةَ؛ قَالَ: صَبَحَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَيْتَرَ، فَقَالَ: (أَيُّيْنَ، أَيُّيْنَ، أَيُّيْنَ)، قَالَ: (أَتَأْتِي جَبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مَنْ أَلَزَكَ أَحَدَ أَبَوَيْهِ، قَمَاتَ، فَتَخَلَّ النَّارَ، فَأَبَيْتَهُ اللَّهُ، قُلْ: أَيُّيْنَ، فَقُلْتُ: «أَيُّيْنَ»، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مَنْ أَلَزَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ، قَمَاتَ، فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَاتَّخِلَ النَّارَ، فَأَبَيْتَهُ اللَّهُ، قُلْ: أَيُّيْنَ، فَقُلْتُ: «أَيُّيْنَ»، قَالَ: وَمَنْ دُكِرَتْ مِنْهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، قَمَاتَ، فَتَخَلَّ النَّارَ، فَأَبَيْتَهُ اللَّهُ، قُلْ: أَيُّيْنَ، فَقُلْتُ: «أَيُّيْنَ»؛ صَحِيحٌ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ^(٢)، وَرَوَى نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَمَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ، عِنْدَ ابْنِ جِبَانَ^(٣)، وَعَنْ كُثَيْبِ بْنِ عُجْرَةَ عِنْدَ الْحَاكِمِ^(٤)؛ وَكُلُّهَا مَعْلُولَةٌ.

وَرَوَى مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ بِنَحْوِهِ، وَلَكِنْ فِيهِ: (رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ دُكِرَتْ مِنْهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ)^(٥).

وَجَاءَ مِنْ حَدِيثِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالتِّرْمِذِيِّ مَرْفُوعًا: (الْبَحِيلُ: مَنْ دُكِرَتْ مِنْهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ)^(٦).

(١) انظر: (مناقب الأئمة) (١/ ٢٧٥ - ٢٧٧).

(٢) «المعجم الكبير» (٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤) ولم (٢٠٢٢).

(٣) في «صحيحه» (٤٠٩ و ٩٠٧ و ٩٠٨). (٤) في «المستدرک» (١/ ١٥٣ - ١٥٤).

(٥) البزار (١٦٥٢).

(٦) أحمد (١/ ٢٠١) ولم (١٧٣٦)، والترمذي (٣٥٤٦) من حديث حسين بن علي.

﴿ حَكُمُ الصَّلَاةُ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ :

الصَّلَاةُ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَلُوِّ وَأَصْحَابِهِ، مَعَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ :
جائزاً .

وَأَمَّا أَنْ يُفَرِّدَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِصَلَاةٍ مِنْ غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَبِمَا ذَلِكَ قَوْلَانِ
مشهوران للعلماء : المنعُ ، والجواز :

وَمَنْ أجازَ ، احتجَّ بِأَنْ عَلِيًّا قَالَ لَمُتَّ : «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ»^(١) .

وَمَنْ مَنَعَ ، احتجَّ بِمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : «لَا أَعْلَمُ الصَّلَاةَ تُنْبِئُ
مِنْ أَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٢) . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، عَنْ
يُحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ .

وَيُكْرَهُ تَخْصِيصُ أَحَدٍ بِالصَّلَاةِ دُونَ غَيْرِهِ ، عَلَى وَجْهِ يُفْهَمُ مِنْهُ
الغلطُ .

وَيُذَلُّ عَلَى جَوَازِ الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَخْصِيصِهِ ،
وَاتِّخَاذِهِ شَعَارًا لِمَعِينٍ : جَمَلَةٌ مِنَ الْأَمَلَةِ :

مِنْهَا : قَوْلُهُ تَعَالَى : «فَقَرَأَ الَّذِي يُسَلِّى عَلَيْكُمْ وَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ» [الاحزاب : ٤٣] .

وَمِنْهَا : قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : (إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَصَلَّى عَلَى أَحَدِكُمْ ، مَا دَامَ فِي
مُصَلَاةِ الَّذِي صَلَّى لِيَوْمٍ مَا لَمْ يُحْدِثْ) . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٣) .

وَمِنْهَا : حَدِيثُ قَبِيضِ الرُّوحِ ، يَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ : (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ،
وَعَلَى جَسَدِكَ كُنْتَ تَتَفَرِّقُهُ) . رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٤) .

(١) مسائل أحمد : رواية أبي داود (ص ١١٣) .

(٢) ابن أبي شيبة (٨٨٠٨) .

(٣) البخاري (٤٤٥) و ٦٥٩ و ٢١١٩ ، ومسلم (٦٤٩) .

(٤) مسلم (٢٨٧٢) .

شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِلُ، فَلَيْسَ قَوْلُكَ شَيْءٌ؛ أَقْبَىٰ عَنَّا الذَّاهِبِينَ، وَالْحَقُّ مِنَّا الْفَلْهُي^(١).

ودى عمران بن حصين رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الْأَنْحَامِ كُلِّ شَيْءٍ)^(٢).

﴿حَكَمَ التَّفَكُّرُ فِي ذَاتِ اللَّهِ:

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «لَا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الْوَاضِعُونَ، وَلَا يُحِبُّ بِأَمْرِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ﴾:

الْكُنْهَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: هُوَ حَقِيقَةُ الشَّيْءِ وَغَايَتُهُ وَنَهَائَتُهُ؛ فَيَقَالُ: هَذَا أَمْرٌ لَا يُدْرَكَ كُنْهُهُ؛ إِذَا كَانَ عَصِيًّا عَلَى إِدْرَاكِ كَيْفِيَّتِهِ^(٣).

وإثبات صفات الباري إنما هو إثبات للوجود والحقيقة والكيفية اللاتفة به التي لا تعلمها، لا إثبات للكيفية في أذهان المبتدئين؛ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَيْسَ لَهُ مَثِيلٌ يُكَيَّفُ عَلَيْهِ، وَلَا شَيْءٌ لَهُ حَتَّى يَفَاسَ عَلَيْهِ؛ قَالَهُ يَقُولُ عَنْ تَفْسِيهِ: «لَيْسَ كَيْفِيَّةَ شَيْءٍ وَهُوَ الْكَيْفِيَّةُ الْبَهِيمَةُ» (الشورى: ١١)، وَلَا أَعْلَمَ مِنَ اللَّهِ بِفِيهِ سُبْحَانَهُ.

والواجب على العقول: أَنْ تَتَوَقَّفَتْ عِنْدَ إِثْبَاتِ حَقِيقَةِ الصِّفَاتِ وَمَعَانِيهَا الثَّابِتَةِ، وَلَا تَتَجَاوَزَ ذَلِكَ إِلَى الْكَيْفِيَّةِ تَفَكُّرًا أَوْ بَحْثًا؛ فَلَا تَشْبَهُ وَلَا تَزُولَ، وَلَا تَفْوِضَ وَلَا تَحْرَفَ؛ فَكُلُُّ مَجَاوِزَةٍ لِلْعَقْلِ عَنِ الْحَدِّ الْمَأْدُونِ بِهِ شَرَحًا فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا بُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ بِصَاحِبِهِ إِلَى

(١) مسلم (٢٢١٣).

(٢) البخاري (٣١٩١ و ٧٤١٨).

(٣) تهذيب اللغة (٢٣/٦).

تشبيه أو تمثيل، أو تحريف وتعطيل، والخوض فيما نهى الله عنه يؤدي إلى هلاك صاحبه، وهو من أسباب دخول النار؛ فقد ذكر الله قول أهلي النار في سبب دخولهم فيها: ﴿وَسَفَّيْنَا عَنْ آلِ الْفِرْعَوْنَ﴾ (النسر: ١٥).

وإنما نهى الله عن الخوض فيما لا يدرجه العقل؛ لأنه باب للشيطان لإغواء الناس؛ فيستدرجهم إلى الخوض في غيب لا يحسبونه، ويغرهم بعقولهم، وربما ابتدأ بهم بالمشروع، نطميناً لنفوسهم حتى يجرهم إلى الممنوع؛ كما في قوله ﷺ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَخَذَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ فَيَقُولُ: اللهُ ﷻ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللهُ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللهُ؟ فَإِذَا أَحَسَّ أَخَذَكُمْ بِشِرِّهِ مِنْ ذَلِكَ، فَلْيَقُلْ: كُنْتُ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ^(١)) وفي رواية: (فَلْيَسْتَعِذْ بِاللّهِ وَلْيَسْتَنْتِ^(٢))، والنهي ليس للبدو بالتفكير المشروع، وإنما للمحذر أن يكون طريقاً للممنوع.

ويجب إمساك العقول والأذهان عن استرسالها بالتفكير في كيفية ذات الله وصفاته؛ لأن الأذهان تشبه وتمثل وتكيف؛ فلا يمكن لعقل أن يتصور شيئاً جديداً للذات لم يرها من قبل، ولو ابتكر شيئاً جديداً، فإنما هي صفات مرغبة من جذوة ذوات جتمعتها الذات واحدة، فكل عقل يصور الغائب عنه على ما يرى؛ حتى تختلف الصور في العقول للذات الواحدة؛ لاختلاف المشاهدة في كل عقل؛ ولهذا نهى السلف عن الجدال في الله وأسمائه وصفاته.

وقد قال ابن عبد البر: «نهى عن التفكير في الله، وأمرنا بالتفكير في

(١) أحمد (٢/ ٣٢١) رقم (٨٢٧٦) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤/ ٢١١).

خَلَقَهُ الدَّانِ عَلَيْهِ^(١)، لَأَنَّ التَّفَكُّرَ فِي الْأَسْمَاءِ يُوَدِّي لِمَعْرِفَةِ أَثَارِهَا، وَالْعَمَلُ بِمَقْتَضَائِهَا، وَهُوَ الْإِحْصَاءُ الْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ ﷻ: (إِنَّ لَهُ بِشْعًا وَتِسْمِينَ أَسْمَاءً مِمَّنْ أَحْصَاَهَا دَخَلَ الْجَنَّةُ)^(٢).

وَقَدْ قَالَ سُحُتُونُ: «مِنْ الْعِلْمِ بِاللَّهِ: الْجَهْلُ بِمَا لَمْ يُخْبَرْ بِهِ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ».

وَنَحْوُهُ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْنٍ.

أنواع ظاهري الصفات:

وظاهري الصفات عند السلف نوعان:

النوع الأول: ظاهري يليق بالمخلوقين؛ فهذا يَنْفُوتُهُ وَلَا يَنْشِئُهُ؛
لَأَنَّ اللَّهَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﷻ (الشورى: ١١).

النوع الثاني: ظاهري يليق بالخالق، وهذا الذي يُشِئُهُ وَلَا يَنْفُوتُهُ.

وإِنَّمَا هُمَ لِهَذَا النَّوعِ مِنْ ظَاهِرِ الصِّفَاتِ، لَا يَعْنِي مُشَابَهَةُ الْخَالِقِ لِلْمَخْلُوقِ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ: أَنْ يَجْعَلُوا لِلصِّفَةِ حَقِيقَةً تَلِيْقُ بِاللَّهِ، لَا تَفْسِيرًا غَيْرَ الظَّاهِرِ بِتَأْوِيلِهِ إِلَى مَعْنَى آخَرَ كَتَفْسِيرِ الْوَجُودِ بِاللَّاتِ، وَالْيَدِ بِالْقُدْرَةِ؛ فَهَمَّ يَجْعَلُونَ صِفَةَ الْوَجُودِ صِفَةً حَقِيقَةً تَلِيْقُ بِاللَّهِ، لَا تَشَابَهُ الْمَخْلُوقِ، وَالْيَدَ صِفَةً حَقِيقَةً تَلِيْقُ بِاللَّهِ، لَا تَشَابَهُ الْمَخْلُوقِ، وَيَقُولُونَ: جَلَّتْهُمْ بِالْكَيْفِيَّةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ نَفْيَ الْكَيْفِيَّةِ لَا يَعْنِي عَدَمَ وُجُودِهَا، وَلَكِنْ عَدَمَ جُلُوبِهَا؛ فَلَا يَعْلَمُهَا النَّاسُ.

وَهَلْ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ: أَنَّ إِثْبَاتَ حَقِيقَةِ الصِّفَاتِ اللَّائِلَةِ بِاللَّهِ،

وعدم تأويلها، هو أخذ بلوازم الجسميّة والتحيّز، ثم فرّعوا عن ذلك إحاطة المخلوق بالخالق، وغير ذلك من التصورات.

وإنما حصلهم على ذلك لوازم التشبيه؛ فالمخلوق حينما تُثبت له صفة حقيقيّة، فأنث ثبوت له هذه الأشياء واللوازم، فأرادوا نفي حقيقة الصفات وتعطيلها؛ هروباً من تشبيه انفذخ في أفعالهم، فوَقَعُوا فيما أنكرُوهُ على مَنْ أثبت الحقيقة اللائقة بالله؛ حيث زعموا أنهم يشبهون المخلوق بالخالق للاشتراك في الحقيقة واللوازم.

والسلف حينما يقولون: إنّ لصفات الله حقيقة لا تشابه حقيقة صفات المخلوقين، فإنهم تبعاً لذلك لا يلتزمون بشيء غير ما ورد، وإن صحّ لازم عندهم، فإنهم يجعلون اللوازم لا تشابه لوازم المخلوق، فلا يحتمل قولهم ما لا يحتملونه، وهم جعلونهم يقولون بلوازم تشابه المخلوق، فرجعوا إلى الحقيقة بالنفي التام.



﴿قَالَ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾: «يَعْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلَا يُتَفَكَّرُونَ فِي مَا جِئُوا بِهِ»:

مائيّة الشيء: كميّة الشيء، ويُقال أحياناً: مائيّة، ومائيّة^(١)، وللحارث المحاسبى: كتاب «مائيّة العقل»، ويُسمّى أحياناً: «مائيّة العقل»؛ يعني: حقيقته وكميّته التي هو عليها، وفي بعض نسخ «الرسالة»: «مائيّة»، بدل: «مائيّة» وهذه الكلمة ليست مضافةً لغيره في كلام الصديق الأول، فضلاً عن نصوصي الوحيين.

(١) «التحريفات» (ص ١٩٠).

■ معرفة الله بآياته الكونية :

والتَّكْوَرُ فِي آيَاتِ اللَّهِ مَشْرُوعٌ؛ فَإِنَّهَا تَذُلُّ عَلَى عَظِيمِ صِفَاتِهِ، وَحَسَنِ
أَسْمَائِهِ، وَكُلُّ عَظِيمٍ لَهُ آيَاتٌ، وَلَا أَحْظَمَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَلَا أَكْبَرَ؛ لِأَنَّهُ
لَا أَحْظَمَ مِنَ اللَّهِ وَلَا أَكْبَرَ، وَمَنْ لَمْ يَرِ آيَاتِ اللَّهِ، ضَمِنَتْ عَظَمَةُ اللَّهِ فِي
قَلْبِهِ؛ لِأَنَّ عَظَمَةَ الشَّيْءِ تُعْرَفُ بِرُفُوعِهِ، أَوْ بِرُفُوعِ آيَاتِهِ، أَوْ بِهِمَا.

وقد أمر الله بالشكر في آياته المأثورة عليه؛ حتى يبرق العبد عظمته الله
وقوته وضمعت غيره؛ فيعرف المستحق للتعظيم والعبادة من لا يستحقها،
فقد أمر الله بالنظر إليها، والشكر فيها:

فَأَمَّا بِالْغَيْبِ فَهُمْ أَعْيُنُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ قَالِ تَعَالَى: (هَؤُلَاءِ أَكْثَرُونَ)
مَكَانًا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِي الْأَيَّامِ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا يَسْتَرْفِعُونَ.
[يونس: ١٠١].

❖ وأمر بنظري الإنسان إلى أصله، فقال: ﴿نَظَرُ الْإِنْسَانِ إِلَى أَصْلِهِ﴾ (الطارق: ٥).

□ وامرؤ أن ينظروا إلى معاشيهم فقالوا: ﴿فانظروا إليكم﴾ الآية (صبر: ٢٤ - ٢٥).

□ وأمره بالنظر في خصائص بعض المخلوقات؛ فقال: ﴿لَا تَقْرَءُ فِي الْإِنِّ حِكْمَ خُلُقٍ ۚ﴾ (١٧) ﴿وَالْأَنْثَىٰ كَيْفَ بُعِثَ ۚ﴾ (١٨) ﴿وَالْإِنِّي كَيْفَ بُعِثَ ۚ﴾ (١٩) ﴿وَالْأُنْثَىٰ كَيْفَ مُلِحَتْ ۚ﴾ (٢٠).

وَأَمَّا إِنْ كَانَ يَتَفَكَّرُ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ: ﴿وَرَبِّهِ أَكْبَرُ﴾^{٢١}.

باب الوقوف في الشرك:

وإنما وقع الشرك في الناس بسبب جهلهم برؤسهم، وعدم معرفته قُدْرته؛ فقد يوهّم الإنسان عظمة ضعيف عاجز فيفئد له من العبودية ما يناسب ما

أَعَدُّ مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَتَحَكَّ! أَتَذَرِي مَا اللَّهُ ۚ ۱٢ ۚ بِأُ
عَزَمْتُ عَلَى سَمَوَاتِهِ لَهْكَذَا - وَقَدْ يَمُضِيهِ بِفَلِ الثُّبُتِ عَلَيْهِ - وَإِنَّهُ لَيَبْطُ بِه
أَلْيَطُ الرُّخْلِي بِالرَّاحِبِ»^(١).

وإنما عرّف النبي ﷺ الأعرابي بآيات الله؛ لأنها أعظم باب مشاهد
ومعلوم في تلك الحال يدرك به الأعرابي عظمة خالقه.

❦ عقيدة التفويض:

ولا يعني ابن أبي زَيْدٍ من قوله: «وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَا هِيَ ذَاتُهُ»
التفويض، وإنما مراد: نفى تشبيه الصفات ونفى العلم بكيفيتها، لا نفى
حقيقتها؛ فإنَّ التفكّر في الذات قلّ زائدٌ عن إثبات الحقيقة؛ فإثبات
الحقيقة شيء لا يلزم منه معرفة الكيفية.

ومن هذا: قولُ الحسن لما سُئِلَ: هل تصف ربك؟ قال: نعم،
بغير مثال^(٢). فنفى التفويض بإثبات حقيقة الصفة، وبين أنَّ القدر المنقضي
هو المثال الذي هو التشبيه والتكييف، فالإيمان بحقيقة الشيء مع عدم
العلم بكيفيته صحيح شرعاً وعقلاً، فتؤمن بحقيقة صفات نعيم الجنة مع
أنَّ الله يقول في الحديث القدسي: (أَعَدْتُ لِمِثْلِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ
رَأَتْ، وَلَا أَفْئِدَةٌ سَوَّغَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ)^(٣).

وعقيدة السلف: إثبات حقيقة الصفات، وتفويض كیفيتها، ولا يلزم
- في العقل - من إثبات الحقيقة: التشبيه؛ فإثبات مثلاً تُثَبِّتُ صفة الحياة
حقيقة لعلو ذواته كحياة الأرضي، وحياة الشجر، وحياة الإنسان،

(١) أبو داود (٤٧٢٦).

(٢) «الرد على الجهمية» للشارح (٢٩)، و«المعبر» لعبد الله (٤٩٩ و١١٣٢).

(٣) البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٤٤) من حديث أبي هريرة.

والحياة في هذه اللوات صفه حقيقه؛ فتقول: حَيَّيت الارض ومائت،
وحَيَّيت الشجره ومائت، وحَيَّيت الانسان ومائت، وإثبات الحقيقه لهذه
اللوات لا يعني تشبيها؛ فحياء كل ذات تختلف عن الأخرى، وكذلك
في بقيه الصفات اللازمه للذات، والصفات الفعلية المتعلقة بالمشية.

وتوهم أن إثبات الحقيقه يلزم منه التشبيه، هو الذي حصل بعض
الطوائف على القول بالتفويض والتعطيل؛ ففرّوا بين باطل إلى باطل،
وتهموا آية نفي التشبيه والتمثيل على غير وجهها؛ فقلوا في معناها غلوا
حملهم على القول بالبدعه؛ فتقوا أصل الحقيقه للصفات؛ خوفاً من
إثبات الحقيقه المشابهة؛ حتى قال أحمد في «الرد على الزنادقة»:
«قالوا: هو شيء لا كالأشياء فقلنا: إن الشيء الذي لا كالأشياء، قد
عرف العقل أنه لا شيء؛ فعند ذلك: تبين أنهم لا يكتفون شيئاً بشيء،
ولكنهم يذوقون عن أنفسهم الشئنة بما يقولون من العلانية»^(١) واللازم
لنفي حقيقه الصفات: تعطيل الذات والتشبيه بالمعلومات، ولا يلزم لإثبات
الحقيقه: التشبيه، كما قال محمد الكرجي القصاب في «نكت القرآن»^(٢).

تاريخ ملحق التفويض:

ولا يعرف في أقوال أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أتباعهم:
تفويض حقيقه الصفات، وإن أخذ من لم يعرف مناوئهم بعض
إطلاقاتهم، فحملها على التفويض، فهذا إنما أخذوا اللفظ المحتول،
ولم يعرفوا سياقه، ولا المواضع الأخرى الفاضلة بضيقه.

وإن كان بعض الأئمة من أهل السنه يشير إلى اعتقاد بعض الناس

(١) الرد على الزنادقة (ص ٩٩).

(٢) (١/٦٨).

وَسَمِيَ كِتَابُهُ بِالْمَفْصُولِ وَالْبَيِّنِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُتِبَ فِيهِ﴾ [النمل: ٧٥]،
وَقَالَ: ﴿وَكُتِبَ فِيهِتُ مَكْتُبُهُ فُرُكًا صَرِيحًا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [نصحت: ٣]، وَأَمَرَ
كَثِيرًا بِتَفْصِيلِهِ؛ قَالَ: ﴿لَقَدْ مَّا تَكْتَبُ﴾ [مر: ٢٩]، وَقَالَ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ
الَّذِينَ﴾ [النساء: ٨٢]، وَقَالَ: ﴿لَقَدْ يَذَكَّرُوا الْقَوْمَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

وَالْقَوْلُ بِأَنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ مِنَ الْمُشَابِهَاتِ، وَعَلَى هَذَا تُفْنَى حَقَائِقُهَا
وَتَفْوِضُ، لَمْ يُسَبَّحْ ثَابِتُهُ بِهَذَا؛ لَا مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَا مِنَ التَّالِعِينَ.

❦ نِسْبَةُ التَّفْوِضِ لِلسَّلَفِ:

وَيُنْسَبُ جَمَاعَةُ التَّفْوِضِ إِلَى السَّلَفِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ فِي بَعْضِ كَلَامِ
بَعْضِهِمْ مَا يُتَوَهَّمُ مِنْهُ التَّفْوِضُ، كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ
وَأَحَادِيثِهَا: كَالزُّهْرِيِّ، وَمَكْحُولٍ: «أَمَرُوا الْأَخْيَارَ كَمَا جَاءَتْ»^(١)، أَوْ
قَوْلِ بَعْضِهِمْ: كَالْأَوْزَاعِيِّ، وَالتَّوْرِيِّ، وَمَالِكٍ، وَالليثِ، وَأَحْمَدَ: «أَمَرُواهَا
كَمَا جَاءَتْ»^(٢)، أَوْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ: كَالْوَلِيدِ بْنِ سُلَيْمٍ: «أَمَرُواهَا
بَلَا كُتِبَ»^(٣)، أَوْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ: كَابْنِ حُبَيْبَةَ: «هِيَ كَمَا جَاءَتْ؛ تُقَرَّبُ بِهَا،
وَتُحَدَّثُ بِهَا بِلَا كُتِبَ»^(٤)، أَوْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ: كَوَيْكَيْجٍ: «تُسَلَّمُ عَلَيْهِ
الْأَخْيَارُ كَمَا جَاءَتْ، وَلَا نَقُولُ: كُتِبَتْ؟ وَلَيْمَ جَاءَ هَذَا؟»^(٥)، وَنَحْوَ ذَلِكَ
مِنَ الْأَقْوَالِ.

وَيَحْمِلُونَ إِسْرَارَ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا بِمَعْنَى تَرْكِهَا حُرُوفًا

(١) «شرح أصول الاعتقادات» (٧٣٥)، و«ترسالة الواقعة» (١٩).

(٢) «الترجمة» (٧٢٠)، و«شرح أصول الاعتقادات» (٩٣٠)، و«الاسماء والصفات» (٩٥٥).

(٣) «شرح أصول الاعتقادات» (٨٧٥)؛ فَقَلَّ مِنْ جَمَاعَةِ مِنَ الْأُمَّةِ.

(٤) «الصفات للناوقشي» (٧٣).

(٥) «السُّنَّةُ لِمُعِدِّ اللَّهِ» (١٩٥)، و«الصفات للناوقشي» (٦٢).

كألا عجمية غير المفهومة، أو كما يَرَى القارئ خطوط الأهم السابقة الأثرية من أصحاب اللغات البائدة، إلا أنَّ حروف القرآن مفهومة، ولكنَّ الجهل بالمعنى واحدٌ.

وهذا غلطٌ شنيع، وقدح في بيان القرآن ومقاصده، وفي الحكمة الإلهية من التنزيل، وفي هذا قال الإمام المحدث عبد العزيز الماجشون قريئاً مالك - لما نظر مرة في شيء من سلب الصفات -: «هذا الكلام خذم بلا بناء، وصفة بلا معنى»^(١).

ويُؤدَّ على أنَّ الأئمة لا يرضون بقولهم: «أمرؤها كما جاءت» تفويض إثبات الحقيقة: أنَّ مالكاً سُئِلَ عن رؤية الله؟ فقال: «هروئة بأعينهم»^(٢)، ثُمَّ سُئِلَ عن أحاديث رؤية الله؟ فقال: «أمرؤها كما جاءت»^(٣).

وهذا كله ليس تناقضاً بين مالك، بل إنَّ الإمرار لا يُنافي الإقرار بالحقيقة، بل تفويض كيفيةها إلى الله لا تفويض إثباتها.

وقراءة القرآن والبيان فيه يفتضي إثبات حقيقة الصفات وتغايبها الصحيحة، وما زاد عن ذلك، فهو منفيٌّ من التكليف والتشبيه والتمثيل، والتأويل والتعطيل؛ فالمفسِّرون يعلمون أنَّ الحقيقة معنى مقصود في الآية، يستقر في نفس القارئ؛ كما قال يزيد بن هارون: «من زعم أنَّ الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يُقرُّ في قلوب العاشق، فهو جاهل»^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٣١٧).

(٢) «الشرية» (٥٧٤)، وشرح أصول الاعتقاد (٨٧٠).

(٣) «الشفعة لعبد الله» (١١٠).

(٤) سبق قيل قليل.

ومرارة بالعائق: أهل السليقة، والفطره الصحيحه، الذين يقرؤون آية الاستواء، ويقرؤون قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] يَرَوْنَ أَنْ لَا تَأْتِضَ وَلَا تَضَادَّ بَيْنَ إثبات الحقيقة، ونفي التمثيل. وهذه العبارات لم تكن يميز بها الصحابة ولا كبار التابعين؛ لأن أنوال التعطيل أو التمثيل لم تكن قد ظهرت في زمانهم؛ ولما ظهرت بعد ذلك أراد أولئك الأئمة دفع تلك البذرة، لا نفي معاني الصفات وحقائقها من الأخبار؛ فهذا قلرو يقرؤون به؛ وينسرو ذلك نصوصهم الأخرى.

والأمر في قولهم: «أمرؤها كما جاءت»؛ يعني: الإثبات والإقرار بحقيقتها؛ لأن هذا مما جاءت به، والمغزى في الشريعة: التشبيه والتمثيل في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وما كان سوى التمثيل من إثبات الحقائق والمعاني الصحيحة، فليس منقياً، بل هو مقصود في نصوصي الوحي.

ولهذا يقول مالك بن أنس: «الاستواء معلوم»^(١)؛ يعني: ليس حروفاً، وإنما هو حقيقة، وإثبات حقيقته لا يعني تشبيهه بغيره.

ولما ضلّت اللسان العربي، وراجت مقولة التشبيه، والمفالات ضلّها، وفسدت السليقة بإثبات الحقيقة، والمعاني الصحيحة -: مال بعضهم: إلى ملحق التوفيق؛ للخلاص من تلك البدع، وبعضهم: أراد للقرآن السلامة من تلك الآفات؛ كما قاله القرطبي^(٢).

حتى شاعت تلك المقالة بسبب أهل بعض فصول أهل الحديث

(١) شرح أصول الاعتقاد (٦٦٤)؛ بمعناه.

(٢) كما قرره في كتابه «إلجام العوام».

بها، كالحَقَائِقِ في بعضِ شروجه عند تعليلِهِ على بعضِ الصفات^(١)، وكذلك: البيهقي في كتابَيْهِ: «الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ»^(٢)، و«الْإِعْتِقَادُ»^(٣)، وكذلك: جماعةٌ من أهلِ الفقه والتفكير من الشافعية كالجويني في «الرسالة النظامية» التي كل رأية إليها^(٤)، والفزاري في «إلجام العقول»^(٥)، ومن الحنابلة كالتميمي، وابن عقيل^(٦)، ومزيجي الكرمي^(٧)، ومن هؤلاء: من يضطرب في موضوع تارة، ويؤوض في موضوع آخر تارة.

وليس من السلامة: ترك مراد الله في كلامه كما يزعمه المؤوضون فإن ترك حقائق النصوص ومعانيها الصحيحة: هلاك، لا سلامة؛ لأن الضوض مبني على التعطيل.

والمعتزلة الذين هم أسبق في علم الكلام من الأشاعرة يعرفون الفرق بين مذهب السلف وبين مذهب الكَلَابِيَّة في الصفات الخبرية؛ فالأشاعرة يجعلون السلف مؤوضين؛ تمسكاً ببعض الإطلاقات المشبهة من أقوالهم، والمعتزلة يفرقون بين مذهب الكَلَابِيَّة في التفويض، وبين مذهب السلف أهل الحديث في إثبات حقيقة الصفات الخبرية بل والعقلية.

§§§ العُلُو في التنزيه يؤدي إلى توهم التعظيم في التفويض والتعطيل:

لما كثرت المذاهب البدعية في التشبيه والتأويل والتحريف، كان التفويض عند بعضهم مغلفاً منها؛ فتوهم تعظيم الله بتفويض معاني نصوص الصفات إليه أو تعطيلها؛ وهذا الدافع قديم؛ فقد ذكر عند

(١) معالم الشك (٢/ ١٦٥).

(٢) الاعتقاد (ص ١١٨ - ١٢٠).

(٣) إلجام العقول (ص ٤٢ - ٤٣).

(٤) كما في رساله آثار ارباع الفقه (ص ٦١ - ٦٥).

(٥) نظار: حوز الصاوي (١/ ١٥).

(٦) العقيدة النظامية (ص ٣٢ - ٣٤).

(٧) الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٣).

ابن مهديّ الجهميّه، وأنهم ينفون الصفات، ويقولون: «الله أعظم من أن يوصف بشيء»، فقال ابن مهديّ: «قد ملك قوم من هذا الوجه»^(١).

ورجّح أهل التفويض من مشابهة كلام بعض الأئمة؛ من إمرار أحوال الصفات كما جاءت: ما يؤيد ذلك المنهج، حتى شاع التفويض في المغرب، حتى عدّه ابن خلدون في «مقدمته» مذهباً للسلف، والأقوال الباطلة مهما بلغت شائعة، لا يجوز حمل الناس على باطل آخر لأجلها، فلا يفر من باطل إلى باطل، ولو كان أقل منه، مع إمكان بيانه، ولهذا يقول أحمد بن حنبل: «لا يُزيل عنه صفة من صفاته، إشتاقوا شعث»^(٢).

والأئمة حينما يقولون: «قُورَها لا تُفسَرُها»، لا يريدون بذلك: نفي الحقيقة، فالتفسير المراد به: التكييف، كما قال أبو حنبل: «إذا قيل: كيف وضع قنينة؟ وكيف صنعك؟ قلت: لا يُفسر هذا، ولا سبغت أحداً يفسره»^(٣)، فجعل السؤال عن كيفية الصفة سؤالاً عن تفسيرها.

ومثل ذلك: قول بعض الأئمة: كأحمد بن حنبل: «لا كيف، ولا نفي»^(٤)، وليس مرادهم بذلك: نفي وجود الكيف، ولكن نفي العلم به، وكذلك في نفي المعاني: ليس مرادهم نفي وجود المعاني، ولكن نفي التأويلات الباطلة؛ لأنها كانت شائعة ذائعة في كثير من البلدان والمجاليس في زمانه.

ومن هذا: قول أبي حنيد القاسم بن سلام: قاصداً المعاني الفاسدة خاصة: «تحرى تروى هذه الأحاديث، ولا تُربّع لها المعاني»^(٥).

(١) «إبطال التأويلات» (٢٧). (٢) «مزمع التأويل» (٢٢).

(٣) «الصفات للناظرين» (٥٧). (٤) «مزمع التأويل» (٢٢).

(٥) «الأسماء والصفات» (١٩٢/٢)، و«الناظرين» (١٧٨).

وبين أئمة السلف: من يريد بالمعنى: التكييف؛ فينبو؛ كما قيل
يزيد بن هارون عن معنى حديث في الصفات، فعُصِبَ وحَرَدَ، وقال:
قَوْلُكَ مَنْ يَنْدِي كَيْفَ هَذَا؟^(١).

فجعل سؤاله عن المعنى سؤالاً عن الكيف؛ لأنه فهم مقصود
السائل على ذلك، ومعرفة سياقات كلام الأئمة مفسرة لألفاظهم المنبأية
في الاستعمال؛ بحسب مؤيديها، وحملها على معنى واحد متطابق
باطل، والسلف كانوا يَسْكُتُونَ عن آيات الصفات؛ لأنَّ إبيات الحقيقة
مستغرة في تفويضهم؛ وقد قال مالك وأصفاء أهل الدخ: «ولا يَسْكُتُونَ عَمَّا
سَكَتَ عنه الصحابة».

ولا يَلْزَمُ من تنزيه الله عن التشبيه نفي الحقيقة في صفات الله تعالى؛
كما لا يَلْزَمُ من إثبات الحقيقة التشبيه، وما زال العلماء يَحْتَرِزُونَ من هذا
الفهم كلَّ بحسب تعبيره، ولما أثبت عبد الغني المقلبي الاستواء، قال:
«لا تنزيه يعني حقيقة النزول»^(٢)؛ دفعا لتوهم التعطيل والتفويض.

والمفوضة سَكُتُوا عَمَّا سَكَتَ عنه الصحابة من التكيف والتأويل
المخالف لظاهر اللفظ، ونَفَرُوا مع السكوت: ما أثبتَّ الصحابة من
الحقائق والمعاني.

❦ رواية الأئمة لأحاديث الصفات، واحترازهم من سوء فهمها:

والسلف يَحْتَرِزُونَ حقائق الصفات ومعانيها الصحيحة بالإجماع؛ وهذا
ما جاءت به النصوص، ويفرَّقُونَ بين سياقات الأكوال، والزمن الذي
تَشِيرُ فيه الدخ عن غيره:

(١) عقيدة السلف للصائلي (ص ٦٥). (٢) «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص ١٠٠).

لربما منعوا رواية حديث صحيح؛ خشية فهموه على غير وجهه، وربما حذروا إطلاق لفظه واردة؛ لأنّ فهم الناس قد تغيّر، ولم يكونوا على السليقة الأولى؛ فتعاملوا مع فهم، لا مع مجرد النص؛ وهذا من الفقه والحكمة، وربما جاء مزيد توضيح بإشارة أو عبارة تناسب أذهان السامعين عند الحديث.

ومن ذلك: أنه جاء في الإشارة باليد إلى تحضي في الإنسان أو غيره؛ لإثبات صفة من الصفات الإلهية؛ وذلك لإثبات حقيقتها، لا للتشبيه؛ كما جاء من حديث أبي هريرة؛ أنه قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْرُكُم أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَعْيُنِهَا...﴾ (النساء: ٥٨)، إلى قوله تعالى: ﴿يَهْدِيكُمْ بَيْنَهُ﴾ (النساء: ٥٨)، ثم قال: «رَأَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ يَدَهُ عَلَىٰ أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَىٰ عَيْنِهِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: رَأَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُهَا، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا»^(١).

ومرأ النبي ﷺ: إثبات حقيقة السمع والبصر، لا التشبيه. وهكذا فهمه السلف؛ كما قال ابن جرير: «قال المقرئ»^(٢)؛ يعني: إن الله سميع بصير؛ يعني: أنَّهُ سَمِعًا وَبَصِيرًا^(٣). وجعله أبو داود رداً على المعطلة، فقال: «هذا ردٌ على الجهمية»^(٤).

ولم يجعلوه حجةً للمشيئة، بل هم ينفقون قولهم ويردونه؛ فهم يعرفون سياقات الأدلّة، والمراد منها، والجمع بينها وبين بقية النصوص في الباب.

(٢) هو: عبد الله بن يزيد المقرئ.

(٤) الموضع السابق.

(١) أبو داود (٤٧٢٨).

(٣) أبو داود (٤٧٢٨).

وجاء في معنى ذلك: حديث في صفة التجلي: من حديث أنس
عند الترمذي^(١)، وفي صفة القبض للأرض والظن للسحاب: من حديث
ابن عمر عند أحمد^(٢)، وأصله في مسلم^(٣)، وفي وضع الأرض على
إصبع، والسماء على إصبع: من حديث ابن عباس عند أحمد
والترمذي^(٤)، وينحوي من حديث ابن مسعود^(٥)، وأصله في البخاري^(٦)،
وقد حدث به يحيى بن سعيد أحمد بن حنبل وأشار بإصبعه، وحدث به
أحمد ابنه عبد الله وأشار بإصبعه^(٧).

وهذه الأحاديث لا تنحى على الألفاظ كماله، وأحمد: كيف وقد
رواها بعضها، ويعلمون المقصود منها.

ومع ذلك: فإتفقوا نهوا عن الإشارة باليد عند الحديث عن صفات
الرب: لاختلاف الفهم، وضعف اللسان؛ فقبحها ضعف إدراك المعنى
المراو، وربما اختلف قولهم من حاله إلى حال، ومن سياق إلى سياق؛
وقد قال مالك: «من وصف شيئا من ذات الله: مثل قوله: ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الْغَلَقِ﴾ [الشورى: ٦٤]، وأشار بيده إلى عنقه، ومثل قوله: ﴿وَوَهَبَ
لِالسَّيِّدِ الْيَتِيمَ﴾ [الشورى: ٦١]، فأشار إلى عينيه وأذنيه، [أو شيء] من
بدنه: قطع ذلك منه؛ لأنه شبه الله بنفسه^(٨).

وقد قرأ رجل عند أحمد قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لَكَ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ

- (١) الترمذي (٣٠٧٤).
(٢) أحمد (٢٧٨٨).
(٣) مسلم (٢٧٨٨).
(٤) أحمد (٢٥١/١) و٣٢٤ رقم ٢٢٦٧ و٢٩٨٨، والترمذي (٣٢٤٠).
(٥) أحمد (٣٧٨/١) و٢٢٩ رقم ٤٥٧، رقم ٣٥٩٠ و٤٠٨٧ و١٣٦٨، والترمذي (٣٢٣٨) و٣٢٣٩.
(٦) البخاري (٤٨٦١)، ومسلم (٢٧٨٩).
(٧) علقته بعد الله (٤٨٩).
(٨) التمهيد (١٤٥/٧).

جَمِيعًا فَمَنْسُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْمَكُونُ مَقْلُوبَتُهُ يَسِينُ» (المصدر: ٢٧)، ثُمَّ أَوَّاهُ يَبْكُو، فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ: «نَقَلَهَا اللَّهُ إِذَا نَقَلَهَا اللَّهُ»، ثُمَّ حَرَّهَ وَقَامَ^(١).

مع أنه قد رَوَى الْخَلَّالُ فِي «كِتَابِ السُّنَنِ»، عَنْ أَبِي بَكْرٍ التَّوْرِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ: أَنَّهُ رَوَى حَدِيثَ وَضَعَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَغَيْرَهَا، كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى إصْبَعٍ، وَقَالَ: «وَرَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يُشِيرُ بِإِصْبَعٍ إِنْصَبَ»^(٢).

وَبُيِّنَ أَنَّ الْأَعْمَشَ^(٣)، وَسُقْيَانُ التَّوْرِيُّ، عِنْدَ حَدِيثِ وَضَعَ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ^(٤)، وَجَاءَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ النَّمْيِ ۖ عِنْدَ الدَّارَقُطْنِيِّ فِي «الصَّنَائِعِ»^(٥).

وَقَصْدُ الْأَثْمَةِ - كَمَا لَيْكَ، وَأَحْمَدُ - فِي تَهْنِئِهِمْ عَنِ التَّحْدِيثِ بَعْضُ الْحَدِيثِ، وَالتَّحْدِيثُ مَعَ الْإِشَارَةِ، وَلَوْ كَانَ وَارِعًا وَصَحِيحًا -: خَوْفُ تَغْيِيرِ الْعَامَّةِ؛ وَعَلَيْهِ نَصُّ مَالِكٍ لَمَّا سُئِلَ عَنْ حَدِيثٍ: «إِنَّ الْعَرْشَ اهْتَزَّ لِمَوْتِ سُلَيْمٍ»^(٦)، قَالَ: «لَا يُحَدِّثُ بِهِ، وَمَا يَدْعُو الْإِنْسَانُ إِلَى الْحَدِيثِ بِذَلِكَ، وَهُوَ يَرَى مَا فِيهِ مِنَ التَّغْيِيرِ»^(٧).

وَحَدِيثُ اهْتِزَّازِ الْعَرْشِ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، وَلَكِنْ جِئَتْهُ بَابٌ، وَتَهْنِئَةُ بَابٍ آخَرٍ، فَمَا كُلُّ صَحِيحٍ يَصِحُّ التَّحْدِيثُ بِهِ، وَقَدْ كَانَ مَالِكٌ رُبَّمَا وَصَفَ مَنْ يَقَعْلُ ذَلِكَ بِعَدَمِ الْفَقْهِ؛ فَقَدْ سُئِلَ عَنْ تَحْدِيثٍ بِالْحَدِيثِ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى سُوْرَتِهِ»^(٨)، وَإِنَّ اللَّهَ يُخْشِفُ عَنْ سَائِلِهِ يَوْمَ

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٧٣٩). (٢) «فتح الباري» (٣٩٧/١٣).

(٣) «سنن ابن ماجه» (٢٨٢٤). (٤) «حديث سقيان» (٢٩٧).

(٥) «الصفات» (٤١) من «حديث جابر»، و(٤٢) من «حديث أنس».

(٦) البخاري (٢٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٧) من «حديث جابر».

(٧) «المطهر» (٣٥٧/١).

(٨) البخاري (٧٧٧٧)، ومسلم (٢٨٨١) من «حديث أبي هريرة».

القياس^(١)، وإلّا يُدْخِلُ بَدَأَ فِي جَهَنَّمَ، فَيُخْرِجُ بِهَا مِنْ أَرَادَ^(٢)؟ فأنكر ذلك إنكاراً شديداً، ونهى أن يُحَدِّثَ بِهِ، قيل: قد تُحَدِّثُ بِهِ إِنْ خُيِّلَانَ؟ قال: لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُفْهَمِ^(٣).

وَرَبَّمَا امْتَنَعَ أَحْمَدُ عَنِ التَّحَدِيثِ بِبَعْضِ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، بَلْ: مَا تَلَفَّظَ الْعُلَمَاءُ بِالْقَبُولِ - كَحَدِيثِ جَابِرٍ مَرْفُوعاً، وَفِيهِ: (فَضَحِكَ حَتَّى يَبْثُ...)^(٤) - كَانَ أَحْمَدُ يَصِفُهُ بِأَنَّ الْعُلَمَاءَ تَلَفَّظَ بِالْقَبُولِ، وَمَعَ هَذَا يَقُولُ: «مَا أَعْلَمُ أَنِّي حَدَّثْتُ بِهِ إِلَّا لِمَحْمُودِ بْنِ دَاوُدَ الْمُصْبِغِيِّ»^(٥)؛ وَسَبَّ ذَلِكَ - كَمَا قَالَ أَحْمَدُ - أَنَّهُ شَنَّعَ بِهِ.

وَالْأَمْتَةُ عِنْدَ إِرَادَةِ الْإِتْبَاتِ يَخْتَلِفُونَ فِي طَرِيقَتِهِمْ عِنْدَ النِّفْيِ + فَرَبَّمَا تَجَوَّزُوا بِعِبَارَةٍ وَإِشَارَةٍ لِإِتْبَاتِ الْحَقِيقَةِ، وَإِصْطِلَاحِ الْمَرَادِ مِنَ النَّصْرِ لِلْسَامِعِ، وَلَيْسَ مَرَادُهُمُ التَّشْبِيهُ؛ فَيُفَادَتُ الْكَلَامُ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا لِتَمْيِيزِ الْأَلْفَاظِ، وَقَدْ سَوَّلَ ابْنُ إِفْرِيصَ عَنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ: «الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ»؟ فَاسْتَشْنَعَ ذَلِكَ، وَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ شَيْءٌ مِنْهُ مَخْلُوقٌ»، وَأَشَارَ بِبَيِّنَةٍ إِلَى فَيَوْ^(٦).

وَأَرَادَ بِهَذَا: إِتْبَاتِ الْحَقِيقَةِ، لَا إِتْبَاتِ الْقَمِّ وَالشَّفَقَتَيْنِ، وَاللِّسَانِ وَاللِّهَاقِ، وَالْحَاجَةُ إِلَى الْهَوَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(١) البخاري (١٩١٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٢) البخاري (٧١٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٣) التمهيد (١٥٠/٧)، وفتح المبارك (٤٤/٢).

(٤) تفسير الطبري (٦٠٤/١٥)، والإيمان لابن منته (١٢٣/٢)، وإبطال التاويلات (٢٠٢ - ٢٠٤).

(٥) إبطال التاويلات (٢١٢).

(٦) المشقة لعبد الله (٣٠).

﴿ تَوْحَمُ اللّٰوْزِمِ الْبَاطِلَةِ يُفْضِي إِلَى التَّوْضِي وَالتَّوْبِلِ وَالتَّعْطِيلِ :

وَرُبَّمَا تَوْحَمُ السَّامِعُ لِأَخْبَارِ الصَّفَاتِ لِأَنَّمَا يَلْزَمُ مِنَ الْبَاطِلِ، فَحَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى تَأْوِيلِهَا وَتَوْضِيحِهَا، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى لَا يُشَبِّهُ شَيْءًا فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ، فَإِنَّ نَفْسَ التَّشْبِيهِ بِاللّٰوْزِمِ مِنْ بَابِ أَوْزَى، وَاسْتِحْضَارُ لَوَازِمِ بَيْنِيهَا تَدْلُقُّ صَاحِبَهَا إِلَى الرَّجُوعِ إِلَى الصَّفَةِ وَتَعْطِيلِهَا أَوْ تَأْوِيلِهَا أَوْ تَوْضِيحِهَا.

وَقَدْ سَمِعَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ قَاضِيًا يَرْوِي حَدِيثَ النَّزُولِ، وَيَقُولُ: هَلَا زَوَانٌ، وَلَا انْتِقَالٌ، وَلَا تَغْيِيرٌ حَالًا، فَارْتَمَدَ أَحْمَدُ، وَاصْفَرَّ لَوْنُهُ، وَقَالَ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ: «قِفْ بِنَا عَلَى هَذَا الْمُتَخَرِّصِ»، فَلَمَّا حَاضَا، قَالَ: «يَا هَذَا رَسُولُ اللَّهِ أَغْيَرَ عَلَى رَبِّهِ وَمَنْكَ؟» قُلَّ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَانْصَرَفَ^(١).



﴿ قَالَ أَتَأْتُونَ بَشَرًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُ ذَرِيَّةً وَمَنْ يُشَاءِ اللَّهُ لَا خَالِقَ لَهُ شَيْءٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، الْعَالَمُ الْخَبِيرُ، الْخَبِيرُ الْفَقِيرُ، أَلَسْبِخُ الْجَبِيرُ، أَلْتَلَّى الْكَبِيرُ :

﴿ عَلُوُّ اللَّهِ :

يَجِبُ الْإِيمَانُ بِعُلُوِّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى لَوْقَ السَّمَاءِ عَلَى عَرْشِهِ، وَالْدَّلَالُ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى بِقُرْبَةٍ وَعَقْلِيَّةٍ وَنَفْلِيَّةٍ، وَهَذَا لَا يَنْتَصِرُ عَلَى الْعُقُولِ، بَلْ فَطَرَ الْحَيَوَانَ الَّتِي لَا عَقْلَ لَهَا تَعْرِفُ عُلُوَّ رَبِّهَا، فَإِنَّهَا إِذَا شَكَّتْ، سَمَتْ وَوَقَعَتْ بِصَرِّهَا إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى إِذَا فَرَعُونَ - مَعَ عُنَادِهِ وَكَفَرِهِ وَاسْتَهْزَائِهِ - تَوَجَّهَ إِلَى الْعُلُوِّ يُرِيدُ الْإِطْلَاقَ

(١) «الاتصاف في الاعتقاد» (ص ١١٠).

إلى إله موسى: ﴿وَقَالَ يَهْجِدُونَ إِيَّايَ بِضُرٍّ وَلَقَدْ أَنذَرْتُ أَنبُلُغَ الْأَشْيَاطِ﴾^(١٦٦)
 أَشْيَاطِ الشَّيَاطِينِ فَالْجِبِّ إِنَّ إِلَهُهُمُ هُوَ وَإِلَىٰ أَلْبُلُغُهُمْ حَكِيمٌ﴾ (عاد: ٣٩ - ٤٧).

وما يكون هذا إلا لأنه يؤمن أن الإله الذي يجهل: إن وجد، فلن يكون إلا في السماء، وأن موسى قال له ذلك، وما أنكر على موسى مكانة، ولكنه أنكر وجوهه؛ لأنه لو كان موجوداً، فلن يكون في غير العلو.

وما من إنسان مهما كان بيته اشكى الظلم والفقر، إلا وجد في نظريته رغبة بيت شكواه إلى السماء، ومناجاة من فيها، ولو كان قد تدبّر بخلاف ذلك.

وفد تواترت نصوص الوحيين علماً بالتلليل على ذلك؛ سواءً بذكر أسماء الله: ﴿الْعَلِيُّ﴾ (عاد: ١٦٢)، و﴿الْعَلِيُّ﴾ (النحل: ٦٠)، و﴿الْعَلِيُّ﴾ (الزمر: ١٩)، أو ذكر بعض صفاته الدالة على علوه؛ كالاستواء، والنزول، وارتفاع الأعمال إليه، وذكر عرشه وكُرسِيِّه، وحمله العرش، ونزول الوحي منه، وعودته إليه، ونزول الملائكة وعروجها، وتجليه سبحانه، وإخلائه على عباده، وإنزال الأسرى والعقوبات، وإخراج الأرواح وبالنبي ﷺ، ورفع عيسى ونزوله، وغير ذلك مما يدل صراحةً على علو الله تعالى على خلقه، ولو أراد أحد أن يتبع أدلة العلو بين الوحيين تصريحاً أو تضييماً، لَمَا وَبَّغَهُ ذَلِكَ، ولو قُلَّ، ثم أعاد، لَوَجَدَ أَنَّ الذي لَمَّا فَوْقَ مَا جَمَعَ.

وفد ذل القرآن على علو الله بآياته، وعلوه بآله، وعلوه بآله، وعلوه بآله،
 كما في قوله: ﴿وَهُوَ الْكَافِرُ فَوْقَ عَصَاكُمْ﴾ (الأنعام: ١٨)، وقوله: ﴿يَكُونُ رِجْمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (النحل: ٥٠).

وهو أمرٌ لم يتَّزَع الصحابةُ في فهمه من أحدٍ في زمانهم، ولم يكن
مَحَلُّ بَحْثِهِمْ لِقِطْعَتِهِ، وَلَمَّا ظَهَرَ الْقَوْلُ بِخِلَافِ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ
الضَّلَالِ، أَكْثَرَ الْعُلَمَاءُ مِنْ إِيرَادِ الْأَدَلَّةِ وَحِكَايَةِ الْإِجْمَاعِ عَلَى عِلْوِ اللَّهِ
كَمَا حَكَاهُ الْأَوَازِيُّ^(١)، وَتُكَيِّفُ بْنُ سُوَيْدٍ^(٢)، وَخَلَقَ.

وَمَنْ نَفَى عِلْوَ اللَّهِ، فَقَدْ كَذَّبَ الْفُطْرَةَ وَالْعَقْلَ وَالنُّقْلَ

وَمَعَ تَضَامُّرِ الْأَدَلَّةِ مِنَ الْحِسِّ وَالنَّصِّ، فَقَدْ كَثُرَتْ طَوَائِفُ مِنَ
الْفَلَّاسِقَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَنَشَبَ الْعِلْوُ، وَمَعَ صِرَاحَةِ الْأَدَلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ التَّمَسُّوا
بِمِنِ الْأَدَلَّةِ مَا يُؤَافِقُ تِلْكَ الضَّلَالَةَ:

وَذَلِكَ كَاسْتِدْلَالِ بَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ بِقَوْلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ فِي بَطْنِ
الْحُوتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾^(٣)، وَالْأَسْمَاءُ:
٨٧، وَأَنْ عِطَابَةَ بـ «أَنْتَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَفِي بَطْنِ الْحُوتِ»،
وَاحِدًا

وَعَلَى الذَّخَرِ مِنْ يُوسُفَ اسْتِغْنَاءَ وَتَلْذُّلًا، وَاللَّهُ يَسْتَعْنَى وَيرَاءُ، لَا بِحَوْلٍ
ذُوْنُهُ شَيْءٌ، وَالْيَوْمَ يَهَابُ الرَّجُلُ رَجُلًا مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ بِالِاتِّصَالِ،
وَيَقُولُ لَهُ: «أَنْتَ»؛ لِأَنَّهُ يَسْمَعُ كَلَامَهُ، وَيَرُدُّ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَ بِ
النَّفْسِ التَّمَسُّسَ شَاهِدًا لِمَا تَرَاهُ، وَجَدْتَهُ، وَلَوْ كَانَ أَزْهَى مِنْ بَيْتِ
الْعَنَكِبُوتِ، وَغِيِيَتْ عَنْ صِرَاحَةِ الْأَدَلَّةِ الثَّبُوتِ؛ كَالشَّمْسِ فِي رَاقِعَةِ النَّهَارِ.

﴿الْعِلْوُ وَالْمُجِيبَةُ﴾:

يَجِبُ إِثْبَاتُ عِلْوِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ مَعَ خَلْقِهِ يَعْلَمُوهُ
وَإِحَاطَتِهِ؛ فَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ قَالَ مَالِكٌ: «اللَّهُ

(٢) «الطُّور» (١٧٠).

(١) «الْأَسْمَاءُ وَالصَّفَات» (٨٦٥).

في السماء، وعلمته في كل مكان، لا يخلو من جليوه مكاناً، كما نقله عنه أبو القاسم المقرئ^(١)، وأبو عمر الطلمنكي^(٢)، وابن عبد البر^(٣).

والثبات الملو على الحقيقة هو ما يقرره أهل السنة في المغرب، كابن أبي زعيم في «أصول السنة»^(٤)، ونحوه أبو المطرب الفنازي في القري في «تفسير الموطأ»^(٥): «أن الله فوق عرشه، وهو في كل مكان بجله، وبحبه يقره أبو القاسم المقرئ كما في «شرح الملخص لمسند الموطأ» لأبي الحسن القاسمي^(٦)، وهكذا المتأخرون، كابن عرو في المالكي الثوري^(٧): «يقره أن الله مستور على عرشه، بائن بين خلقه، قريب لهم بجله».

وكان أبو العباس بن طالب يخطب في القزوان، ويقول: «الحمد لله الذي على عرشه استوى، وعلى ملكه احتوى، وهو في الآخرة يرى»^(٨).

وربما كان السبب لقول بني الملو: الجهل بلسان العرب، وتبعاً لذلك نفهم بعض نصوص القرآن على غير وجهها:

ومن ذلك: استدلال بعض المعطلة الفايظي بأنه في كل مكان بذاته بقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا يُؤْتَىٰ فِي الْكَنَازِ مِن لَّدُنِّي إِلَهُ وَفِي الْغُرُفِ﴾ [الزمر: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿مَّا يَكُونُ مِن مَّجْنُونٍ إِلَّا مُرْسِلَةٌ﴾ [الجملة: ٧].

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢/ ١٥٧ - ١٥٨).

(٢) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢/ ١٤٢).

(٣) في «المنهاج» (٧/ ١٣٨).

(٤) «تفسير الموطأ» (١/ ٤٠١).

(٥) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢/ ١٥٧).

(٦) «أطيلة التوحيد الكبرى» (ص ١٠).

(٧) «ترتيب المدارك» (٤/ ٢١٤).

(٨) «الزمر» (٢١).

وهذا فهم فاسد:

فأما الآية الأولى: فالمراد منها: أن الله معبود في السماء من أهلها، ومعبود في الأرض من أهلها؛ وهذا قول أهل النفسانية^(١) كما قاله ابن عبد البر^(٢)، وقال: «وما خالفهم في ذلك أحدٌ يُحتجُّ به»^(٣).

وأما الآية الثانية: فالمراد بها: معية الله وعلمه بمباهده ودليل ذلك قوله تعالى في آية: ﴿لَمْ يَلْبِسْهُمْ يَمًا حَمَلًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [المجادلة: ١٧] فالأمر يتعلق بالعلم الذي يتبعه إنباء، وقد أنكر أحمد بن حنبل على من استدل بهذه الآية وأخذ أولها، وترك آيةها الذي يُعْمى المعنى ويدل عليه^(٤).

ومن شبهات بعض المعطلّة للملوك والاستواء من متكلمة المغرب: ما استشكله سليمان الفراء بقوله: «أين كان ربنا إذ لا مكان؟»^(٥):

وهذا السؤال يُجيب عن نفيه بالبطلان؛ فإنه لا يُسأل بـ «أين» إلا عند وجود المكان، وعند عدم وجوده، فيجب أن يكون السؤال بـ «أين» غير موجود، ولا يُسأل بـ «متى» إلا عند وجود الزمان، وأما عند عدم وجوده، فالسؤال يجب عدم وجوده من باب أولى.

وقد رد ابن الحنّال على الفراء بنفي سؤاليه وظلالته، وأن الصواب

(١) انظر: التفسير ابن جرير (٦٠/٦٤٩ - ٦٦٠).

(٢) في «التبوية» (١٣٤/٧).

(٣) في «التبوية» (١٣٩/٧).

(٤) الرد على الجهمية والرافضة (ص ١٥٤).

(٥) تطبيقات علماء إفريقيا (ص ١٩٩).

القول: كيف كان رُبُّنا إذ لا مكان؟، وقد أجاب ابنُ الحدَّاد: فإنه الآن على ما كان عليه، ولا مكاناً^(١).

وهذا كله لا ينفي أصلَ تخلُّق الزمان والمكان، ووجودهما تعالفاً، فوجودهما جنباً شياً، ووجودهما أحاداً شياً ثانٍ، ومشاهدتهما والعلمُ بهما شياً ثالث.

والشُّبُهَاتُ الكلاميةُ والفكريةُ التي تَسْجِلُهَا العقولُ، وتَضَعُهَا فِي سياقاتٍ غيرِ سياقاتِها، ثُمَّ تَخْرُجُ بِنتِيجَةٍ تَظُنُّهَا كَامِلَةً، وتَضَعُهَا فِي مَوْضِعٍ لَيْسَ لَهَا: يَفْعُ يَسْتَبِيهَا الضَّلَالُ، وَيَفْعُ الْحَقُّ، وَيَكُنُّ الْبَاطِلُ، وَأَشَدُّ ذَلِكَ وَأَعْظَمُهُ: مَا كَانَ مُتَعَلِّقًا بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَذَاتِهِ.

وَالْجَهْمِيَّةُ الْقَائِلُونَ بِنَفْيِ عِلْوِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَلَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ: يَتَنَاقِضُونَ مَعَ أَصُولِهِمُ الْعَقْلِيَّةِ، وَالْأَدَلَّةُ الْعَقْلِيَّةُ هُمْ يُقَرُّونَ أَنَّ اللَّهَ كَانَ وَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، ثُمَّ خَلَقَ الْخَلْقَ، وَلَكِنْ لَا يَدْرُونَ أَيْنَ خَلَقَهُمْ؟ فَمَا أَنْ يَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ دَاخِلًا نَفْسِهِ سُبْحَانَهُ، أَوْ خَلَقَهُمْ خَارِجًا عَنْهَا:

فَالْأَوَّلُ: مُحَرَّرٌ، إِذْ كَيْفَ يَخْلُقُ اللَّهُ خَلْقَهُ فِي نَفْسِهِ، فَتَكُونُ مَحَلًّا لِلْحَوَادِثِ الَّتِي يَنْطَوُّهَا فِيهِ، وَمَحَلًّا لِخَلْقِ اللَّهِ مِنْ الشُّرُوبِ وَالْخُبَثِ وَالشَّيَاطِينِ!! تَعَالَى اللَّهُ

وَأَنْ قَالُوا: يَأْنِ اللَّهُ خَلَقَهُمْ خَارِجَ نَفْسِهِ، ثُمَّ دَخَلَ فِيهِمْ، أَوْ دَخَلُوا فِيهِ، فَقَدْ أَفَرُّوا بِمَكَانٍ لَيْسَ فِيهِ اللَّهُ عِنْدَ الْخَلْقِ.

(١) مطبوعات علماء إفريقيا للفرنسيين (١٩٨ - ١٩٩).

وإذ قالوا: بآله خلق الخلق خارج أنفسهم، وهم على ذلك، فقد سلموا بالحق عقلاً.

والله تعالى تجلّى للمجلى، ويُظهِر على خلقه، وبما هي بهم يوم عرفة، وإذا كان تجلّى للمجلى - وعرفة فيه، وهو فيها - فكيف يصحّ التجلّي لشيء هو فيه؟ ولكن الله فوق عرشه ويتجلّى لشيء ليس فيه سبحانه.

والآيات التي يستدلون بها على أن الله في كل مكان هي دالة بتفسيرها على خلاف ذلك، وأن الله على عرشه، وهو مع الناس بجلوه؛ فقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرْزُقْ إِلَهُ مِنْ عِلَى الْوَيْدِ﴾ (ق: ١٦) يعني: بالويل؛ فليس هو في الويل؛ فقد قال: ﴿وَلَكِنْ مَا تَسْمَعُونَ بِهِ نَسْفَةٌ وَمَنْ أَرْزُقْ إِلَهُ﴾ (ق: ١٦)، فبدا بالويل؛ ليبين أنه هو المقصود بالقرب.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَرَوْ تَقْتَرُ أَنْ مَا كَانُوا﴾ (المجادلة: ١٧) يراد: بجلوه، وبهذا استفتح الله الآية، واختتمها؛ ففي أولها قال: ﴿إِنَّمَا رَأَى اللَّهُ يَتَمَّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (المجادلة: ١٧)، وفي آخرها قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُنِّي لَكُمْ عِلْمٌ﴾ (المجادلة: ١٧)، ولم يقل: إنه في كل مكان بجلوه، وإنما بجلوه.

ففي بعض الصفات لأجل توهم إحاطة المخلوقات بالخالق:

لا يلزم من إثبات العلو والاستواء والنزول له إحاطة مخلوقاته به، واحتواؤها له، لا منفردة ولا مجتمعة؛ لأنه ﷻ أكثر من كل شيء، ويتوهم من بني تلك الصفات أن في إثباتها لزوم إحاطة المخلوقات به، وهذا باطل عقلاً وشرعاً:

- أمّا بطلانه عقلاً: فإنه لا يصح أن يحوي الشيء ويحيط بهما هو أكثر منه، وهذا معلوم في كلِّ المحسوسات، فلا يمكن أن تُصور إحاطة الأرض بالسنوات، ولا إحاطة الثقل بالجبل، ولا إحاطة النور بالحدث الرجل يقيسها، فإذا كان دافع الثقل توهم الإحاطة كما في المخلوقات فهذا غير لازم حتى فيها، مع أن الله ليس كمثل شيء، والسنوات تُحيط بالأرض ولكن الأرض لا تُحيط بها، فإذا كان الله تعالى أكبر من كل المخلوقات مجتمعاً، فكيف يُقال بإحاطتها به عقلاً، ويُروى في الحديث: (مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكَرْمِيِّ، إِلَّا كَخَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ مُلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكَرْمِيِّ، كَفَضْلِ بِلَاقِ الْفَلَاكِ عَلَى بِلَاقِ الْخَلْقَةِ)^(١)، ويُروى في بعض ألفاظه: (وَمَا جَمِيعُ ذَلِكَ فِي قَبْضِ اللَّهِ ﷻ إِلَّا كَالْحَبَّةِ وَالْأَصْفَرِ مِنَ الْحَبَّةِ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (الرؤى: ٢٧)^(٢)، وللحديث عروق والغاظ تدلُّ أن له أصلاً.

- وأما بطلانه شرعاً: فلأن الله ليس كمثل شيء في ذاته، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، فكلُّ ما أخبر الله به عن نفسه فيجب إثباته له على الحقيقة، والتوقف عن لوازمه التي تقتضي التشبيه، فإذا لم يُشبهه أحد في ذاته فكيف يُشبهه أحد في صفاته ولوازم صفاته؟ ولو أن أذهان المعتزلة تخلت من القياس لخلت من التعطيل.

(١) ابن حبان (٢/٧٦).

(٢) «المطبعة لأبي الشيخ (٢/١٣٥).

الاستواء على العرش:

﴿قَالَ رَبِّيَ زَيْدٌ﴾: «وَأَنَّه قَوْفٌ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ، وَهُوَ فِي ثُلِّ مَكَانٍ يَجْلُوهُ»:

يجب إثبات استواء الله على عرشه، ويذكر ابن أبي زيد لاستواء الدائم في قوله: «بذاته» دفع لمقالة التأويل التي تنفي إثبات الاستواء حقيقة بلا تشبيه ولا تكييف، ممن يتوهم أن إثبات الحقيقة لازم للتشبيه والتكييف.

وقد قرر إثبات الاستواء على العرش حقيقة المصنف في «الجامع»، فقال: «وَأَنَّه قَوْفٌ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ قَوْفٌ أَرْضِهِ»^(١).

وقد نص على استواء الله بذاته السلف، وجاء عن مالك النص على «الدائم» حكاه غير واحد؛ قال أبو نصر السجزي في كتابه «الإبانة»: «فَأَمَّا شَأْنُ كُتُبِ الْفَرَوِيِّ، وَمَالِكٍ، وَصَفِيَّانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، وَفَضْلِ بْنِ عِيَّاسٍ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيِّ - مُتَّفَقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ بِذَاتِهِ لَفَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّ جِلْمَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَأَنَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ لَفَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ يَفْضُضُ وَيَرْفُسُ وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ؛ فَمَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَهُوَ مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَهُمْ مِنْهُ بَرَاءَةٌ»^(٢).

وقال أبو عمر الطَّلَمَنْكِيُّ في كتابه «الأصول»: «اجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بِذَاتِهِ»^(٣).

(١) «الجامع» (ص ١٠٩).

(٢) «نزهة العارضي» (٦/ ٢٥٠)، و«مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٢٢ و ٢٦٢).

(٣) «اجتماع الجيوش» (٣/ ١٤٢).

والأئمة بذكروا بعض الألفاظ غير الواردة بنصها في الوحي، لا لعدم كفاية الوحي في الإلهام، وإنما لورود معنى باطل جديد بعد انقطاع الوحي، فأرادوا دفعاً بلفظ جديد، من غير أن يؤثر على مقصد الشارع ومزاده، ولو لم يوجد المعنى الجديد الباطل، لم يوجد اللفظ الجديد، لأنه لا حاجة إليه.

وقد ذكر لفظة «بلاته» غير ابن أبي زيد من الأئمة؛ لما شاعرت مقالة التأويل والتعطيل، ممن ثبت لفظ «الاستواء» ويتأول أو يعطل معناه؛ فكان إثبات اللفظ القرآني للناس، من غير زيادة تدفع الباطل الجديد في الآذان، موجهة لهذه اللفظة عندهم، وقد ذكر أبو بكر المرادي الفيرواني في «الإيمان» في مسألة الاستواء^(١) جماعة ممن نكسوا على ذكر استواء الذات، ونسبوا إلى ابن جرير، والقاضي عبد الوهاب، وظاهر كلام أبي الحسن الأشعري، والباقلاني.

وقد انتصر ابن عبد البر وغيره لابن أبي زيد^(٢)؛ بأن الله أثبت الفوقية لنفسه بقوله: ﴿يَكُونُ ذِكْرُكُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ﴾ (النحل: ٥٠)، وقوله: ﴿وَهُوَ أَكْبَرُ كُلِّ شَيْءٍ كَوْنًا وَبُحْرًا﴾ (الأنعام: ١٠٨) فقد على علو ذاته واستوائها على العرش على الحقيقة التي تليق به، لا كما تليق بالمخلوق.

والإتيان بالألفاظ مطابقة لم ترد في الشرع لإثبات حقيقة الصفات بلا تشبيه عند من تعسف بتأويلها لإلهابها؛ شيء، ومقابلة الإفراط بالتأويل بالإفراط بالتشبيه؛ شيء آخر غير جازم.

(١) حكاه عنه القرطبي في «الأماني شرح أسماء الله الحسنى» (١٢٣/٢).

(٢) انظر: «النسبية» (١٢٩/٢ - ١٣٠ و ١٣٨ - ١٣٩).

وهذه اللفظة التي أوردها ابن أبي زئب: «لَوْقَ عَزَّيْبِ السَّجْدِ» بِذَاتِهِ اعْتَقَلَ فِي التَّعَاثُلِ مَعَ قَوْلِهِ: «بِذَاتِهِ» كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ الشُّرَاحِ وَغَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّهَا تُثَبِّتُ الْأَسْتَوَاءَ حَقِيقَةً، وَكَانَ خَطَرُهُمْ فِيهَا عَلَى وَجْهَيْنِ:

الوجه الأول: شَكَّكُوا فِي ثبوتها عنه، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ إِنْجَاهَهَا فِي كِتَابِهِ، مِنْهُمْ: أَبُو عَلِيٍّ الْبِجَائِيُّ؛ كَمَا ذَكَرَهُ الْفَاكِهَانِيُّ عَنْهُ^(١)، وَزَعَمَ إِنْجَاهَهَا عَصِيرًا فِيهِ فِي كِتَابِ الشُّرُوحِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا، حَتَّى شَرَحَ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَرَدَّ تِلْكَ الدَّعْوَى الْمُتَكَلِّمُونَ أَنْفُسَهُمْ؛ كَابْنِ نَاجِي التَّنُوحِيِّ^(٢)، وَهَذِهِ اللفظة: «بِذَاتِهِ» فِي الْأَصُولِ الْخَطِيئَةُ لِكِتَابِ «الرَّسَالَةِ»، وَعَلَيْهَا سَمَاعَاتُ الْأَلْفَةِ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ اسْتَنْكَرَهَا عَلَى الْمُؤَلِّفِ، وَتَأَوَّلَهَا، وَلَمْ يَقُلْ: بِأَنَّهَا مَنْسُوسَةٌ؛ لِاسْتِحَالَةِ ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ ثَمَّةَ بَابٍ مُحْتَمِلٌ لَكُونِهَا مَنْسُوسَةً، لِأَخْطَرَةِ الْمُحَقِّقُونَ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّهُ أَيْسَرُ مِنْ تَكْلِيفِ التَّأْوِيلِ.

وقد أثبتها طَلَّابُ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ وَالْقُرَيْبِيُّونَ مِنْ زَمَنَّا فِي شَرْحِهِمْ لَهَا؛ كَابْنِ بَنَكْرِ مُحَمَّدٍ بِنِ مَرْزُوقٍ، وَابْنِ عُمَرَ الطَّلَمَنْشَكِيِّ، وَعَبْدُ الْوَهَّابِ الْبَغْدَادِيُّ، وَمَنْ جَاءَ بِمَعْنَاهُ^(٣)، وَهِيَ عِبَارَةٌ مُسْتَعْتَلَةٌ فِي زَمَنِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ وَفِيهِ.

وقد رأيتها فِي نَسْخَةِ خَطِيئَةٍ عَنِيْقَةٍ مِنْ «الرَّسَالَةِ»، لِابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْفَرِزَوَانِيِّ، عَلَيْهَا سَمَاعُ الْبِقَاعِيِّ عَنْ ابْنِ حَبِشٍ الْعَسْكَلَانِيِّ بِإِسْنَادِهِ الْمُتَّصِلِ

(١) شرح الرسالة لابن ناجي (٢/٢٤).

(٢) شرح رسالة ابن أبي زئب له (١/٢٤).

(٣) «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» للقرطبي (٢/١٢٢).

بالأتم إلى المؤلف أبي محمد بن أبي زيد القيرواني^(١).

الوجه الثاني: تأولوا معناها بتأويل إعرابها، والمنصود منها: فجعَلُوا حَلُوًّا لهُ: حَلُوًّا قَهْرًا وَقُدْرًا، وتأولوا حَلُوًّا الذات في كلام ابن أبي زيد بتأويلين:

الأول: أنهم جعلوا لفظة «المجيد» صفة لهُ، لا للقرشي، فزادوا أَنَّهُ قد نَمَّ الكلام بقوله: «قَوْقُ عَزَّيْهِ»، وقوله: «المجيد بِذَاتِهِ» كلام مستأنف، فجعلوا المعنى: أَنَّ اللهَ مُجِيدٌ بِذَاتِهِ، لا مستحقٌ للمجيد بغيره، فكان الكلام يتضمن صفتين: صفة الاستواء، وصفة المجيد لهُ، ولكنهم تأولوا قوله: «بِذَاتِهِ»: أَنَّهُ سبحانه استوى بِذَاتِهِ بلا مُعين من مالٍ وأخوان.

الثاني: أنهم جعلوا اسمَ «المجيد» بالكسْرِ صفة للقرشي، ولكن جعلوا الباء في قوله: «بِذَاتِهِ» بمعنى «في» بمعنى: في ذاتِهِ، يعني: أَنَّ القرشَ عظيمٌ في ذاتِهِ.

(١) صورة للمخطوط عليه صناع مسلسل بالألوان وفيه إثبات قول ابن أبي زيد: (بذاته).



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

وهذا كله خلط، وتكلف، وتحريف للنصوص وتأويل لها لا حد له؛ لأن التحريف المتوهم بلغ القرآن وعلى أسرار الكتب زمن ابن أبي ذؤاد؛ حيث غيب عليها: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»؛ فأبدلها عن قولها تعالى: «التَّيَّيُّنُ الْغَيُّورُ» (الشورى: ١١)؛ فكل هذا ليس في صفة السمع والبصر عن الله؛ فكيف بكلام عالم في مذهب مشيخ^(١)؟

والذي فهمته تلازمة ابن أبي ذؤاد: هو استواء الله بذاتيه على الحقيقة؛ كما قال أبو بكر بن مؤهب ميثا مرادة: «ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ عُلُوَّهُ فَوْقَ غَزْوِهِ إِنَّمَا هُوَ بِذَاتِهِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى بِذَاتِهِ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ...»^(٢)، وكان الظلمتك على هذا الاعتقاد، وهو من أعلم الناس بكلام شيخه يقول: «وَأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ بِذَاتِهِ، تُسْقَوُ عَلَى عَرْشِهِ، كَيْفَ شَاءَ»^(٣)؛ فقدم فقط الذات على ذكر العرش؛ لأنه يعود إلى الله، بل هذا هو قول مالك المقول عنه؛ كما نقله أبو نصر السجزي عنه؛ أنه وغيره متفقون على أَنَّ اللَّهَ ﷻ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

وهذا لا يتحول غير حقل استواء الذات لله على الحقيقة بلا تشيؤ، وعلى هذا المعنى جملة جملة من الأئمة في المغروب وغيره؛ كابن جزي في «التسهيل»^(٤).

وقد كان جملة من المخالفين لابن أبي ذؤاد من الأئمة، لم يتأولوا

(١) «العلو» (٥٩٦).

(٢) «بيان نليس الجهمية» (١٨٦/١) و (٣٩٨/٣)، و«العلو» (٥٦٦)، و«اجتماع الجيوش» (١١٢/٢).

(٣) «التسهيل» (٢٩٠/١).

قوله: «لأنصافهم من هذا الوجه، وحملوا قوله على ظاهره بلا تكلف،
كأبي بكر بن العربي^(١)، والبر بن عبد السلام^(٢)، والشبكي^(٣)،
وابن جماعة^(٤)، وأبي عبد الله الجوزي^(٥)».

وقد استعمل لفظه الذات في عند استوائه جماعة قبل أبي زيدا
كالمرئي صاحب الشافعي^(٦)، وابن جرير الطبري^(٧)، وأبي أحمد الكرجي
القصاب^(٨)، ويحيى بن عمار السجستاني^(٩)، وغيرهم.

❦ الكُرْبِي:

ويُنبِئ أن في كرميًّا، كما قال ❦: «ويج كُرْبِيَّةُ السَّكُونِ
والأرض» (البقرة: ٢٥٥)، ولهم ذلك على ما تفهّمه العرب الأولى من
كلاهما من أهل الصدور الأولى، وقد قال ابن عباس: «الكُرْبِي مُؤَبَّعٌ
الْقَتَمِينَ»^(١٠).

وصح هذا القول عن وهب بن منبه^(١١)، ويروى عن أبي موسى^(١٢)،

(١) «المراصب» (٢/٢٩٠).

(٢) «التوازي» (٦/٢٠).

(٣) «مطبوعات الشافعية» (٦/١٤٣).

(٤) «إيضاح الليل» (ص ١٠٧).

(٥) «أزهار الرياض» في أخبار عباس الشافعي (٣/٥٨).

(٦) «شرح الشُّكَّة» (ص ٧٥).

(٧) «تلم».

(٨) «العلو» (ص ١٣٦).

(٩) «الحجة في بيان المحجة» (٢/١٠٩)، و«المطو» (٥٦٤).

(١٠) «الشُّكَّة» لعبد الله (٥٨٦) و١٠٢٠ و١٠٢١، و«المؤيدة» لابن خزيمة (١/٢٤٨ و٢٤٩).

(١١) «الشُّكَّة» لعبد الله (١٠٩٢)، و«المطو» (٤/١٣٩٩).

(١٢) «الشُّكَّة» لعبد الله (٥٨٨) و١٠٢٢، و«تفسير الطبري» (٤/٥٣٨).

وَأَمَّا مَا لَكَ^(١)، وَهَذَا فَسَرَهُ ابْنُ أَبِي زَيْنٍ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي «أَصُولِ الشُّكَّةِ»^(٢).

وَلَا يَجُوزُ تَكْيِيفُ فِعْلِهِ الْوُجُودِ، وَلَا تَشْيِيقُهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ كَمَثَلِهِ شَيْءٌ،
وَقَدْ وَدَّ فِي بَيَانِ حُجْمِ الْكَرْسِيِّ فِي الْحَدِيثِ: (مَا السَّمَوَاتُ السَّنُخُ مَعَ
الْكَرْسِيِّ إِلَّا مَخْلُوقٌ مَخْلُوقٌ بِأَرْضِي فَلَا، وَلَفْضُ الْفَرَضِ عَلَى الْكَرْسِيِّ تَفْضِيلُ
الْفَلَاحِ عَلَى الْخَلْقِ)^(٣).

رُويَ: أَنَّ الْكَرْسِيَّ: هُوَ عِلْمُ اللَّهِ^(٤)، وَقِيلَ: قُلُوبُهُ^(٥)، وَقِيلَ: هُوَ
الْعَرْشُ^(٦).

وَالْأَصَحُّ: أَنَّهُ مَوْضِعُ الْقَلْبَيْنِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللَّهِ، لَا عَلَى مَا يَلِيقُ
بِالْمَخْلُوقِ.

وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّ الْكَرْسِيَّ: عِلْمُ اللَّهِ؛ فَقَدْ رُويَ هَذَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ،
وَفِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ لَيْسَ، وَاسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:
مَا لِي بِأَنَّكَ كَرْسِيٌّ أَكْبَامُهُ وَلَا يُكَرْسِي عِلْمُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ^(٧)
وَهَذَا مَخَالَفٌ لِمَوْضِعِ الْعَرَبِ عِنْدَ إِطْلَاقِ الْكَرْسِيِّ، وَالْكَرْسِيُّ
لَا يُهْتَرُ^(٨).

(١) الشُّكَّةُ: لَعِبُ اللَّهِ (٨٩) و (١٠٢٣).

(٢) «أَصُولُ الشُّكَّةِ» (ص ٩٦).

(٣) الْعَرْشُ وَمَا رُويَ فِيهِ (٥٨)، وَاصْبَحَ ابْنُ حَيَّانَ (٣٦١).

(٤) رُويَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. انْظُرْ: «الشُّكَّةُ» لَعِبُ اللَّهِ (١١٥٦) و (١١٨٢)، وَالتَّفْسِيرُ
الطَّبْرِيُّ (٥٣٧/٤).

(٥) اِصْعَانِي الْقُرْآنَ لِلْحَمَاسِ (٦٦٤/١)، وَالتَّفْسِيرُ الْقُرْطُبِيُّ (٢٧٦/٤).

(٦) رُويَ ذَلِكَ عَنْ الْحَمَاسِ. انْظُرْ: «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٥٣٩/٤).

(٧) لَا يُهْتَرُ قَائِلُ هَذَا الْبَيْتِ. انْظُرْ: «تَأْوِيلُ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ» (ص ١١٩)، وَاصْعَانِي
الْقُرْآنَ لِلْحَمَاسِ (٦٦٣/١)، وَ«الْبَحْرُ الْمَحِيطُ» (٢/ ٦٩٠)، وَالتَّلَاتِبُ فِي عِلْمِ
الْكَتَابِ (٣٢٢/٤).

(٨) انْظُرْ: «تَأْوِيلُ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ» لابْنِ قُتَيْبَةَ (ص ١١٩ ط. المَكْتَبُ الْإِسْلَامِيُّ).

وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّهُ: قُدْرَةُ اللَّهِ، فَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَفِيهِ ضَعْفٌ.
وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّهُ الْكُرْسِيُّ: هُوَ الْعَرْشُ، فَمَرْبُوعٌ عَنِ الْحَسَنِ،
وَالضَّحَّاكِ، وَغَيْرِهِمَا.

وهذا ليس فيه شيء يبيح عن الصحابة والتابعين، وأصل ما جاء
فيه: أَنَّهُ مَوْضِعُ الْقَدَمَتَيْنِ عَلَى مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيمَا سَبَقَ، وَلَمْ يُخَالِفْهُ
أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وقد كان ابن مسعود يُمَدُّ الْكُرْسِيَّ غَيْرَ الْعَرْشِ، كَمَا رَوَى ابْنُ شُرَيْمَةَ
فِي «التَّوْحِيدِ» عَنْهُ: قَالَ: «يَتَنَزَّلُ السَّمَاءُ الثَّلَاثَا وَالْثَلَاثِينَ خُمْسَ يَوْمٍ غَامًا،
وَيَتَنَزَّلُ كُلُّ سَمَاءٍ خُمْسَ يَوْمٍ غَامًا، وَيَتَنَزَّلُ السَّمَاءُ السَّابِعَةُ وَالْكَرْسِيُّ خُمْسَ يَوْمٍ
غَامًا، وَيَتَنَزَّلُ الْكُرْسِيُّ وَالْمَاءُ خُمْسَ يَوْمٍ غَامًا، وَالْعَرْشُ قَوْقُ الْمَاءِ، وَاللَّهُ
قَوْقُ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ»^(١).

وهذا لا يقولُهُ الصَّحَابِيُّ مِنْ رَأْيِهِ.

وَأَمَّا حَتَلَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ الْكُرْسِيَّ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ، أَوْ قُدْرَتِهِ؛
لِإِتِّكَارِهِمُ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ، وَالْأَعْمَالَ الْإِلَهِيَّةَ؛ لِأَنَّ الْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ لَا بُدَّ
أَنْ يَكُونَا مَحَلًّا لِلْفِعْلِ.

وَالْحَقُّ: أَنَّ الْعَرْشَ: لِلْأَسْتَوَاءِ، وَالْكُرْسِيَّ: مَوْضِعَ الْقَدَمَتَيْنِ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِالْكَفَيَّةِ الَّتِي لَا تُشْبِهُ الْمَخْلُوقَ.

﴿إِحَاطَةُ عِلْمِ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾:

﴿قَالَ الْإِسْلَامِيُّ الرَّبُّ: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ، وَتَعَلَّمَ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ
الْمَرْبُ إِلَيْهِ مِنْ خَبْلِ الْوَرِيدِ، وَتَمَا تَسَلَّمَ مِنْ تَدَاوُلِهَا لَا يَسْلَمُهَا وَلَا يَحْتَرِقُ فِي
حُلَاكَتِهَا الْأَرْضُ وَلَا تَكْبَرُ وَلَا تَكْبُرُ إِلَّا فِي كَيْفٍ مُبِينٍ»﴾ (الاسلام: ١٥٩):

وكان أبو العباس بن طالب يخطب في القبروان، ويقول: «الحمد لله الذي على عرشه استوى، وعلى ملكه احتوى، وهو في الآخرة يرى»^(١)، وإياهم للاستواء على الحقيقة، لا يحيلهم على القول بالتشبيه، ونوهم لزوم إثبات الحقيقة للتشبيه لا يحيلهم على التفويض؛ ولهذا يقول القرطبي: «لم يُنكر أحدٌ من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة... وإنما جعلوا كيفية الاستواء»^(٢).

والعرب تطلق العرش على السرير كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبْنَاءَهُ عَلَى السَّرَائِرِ﴾ يوسف: ١٠٠، وقال أمية بن أبي الصلت:

تَجِدُوا اللَّهَ وَهُوَ يَلْمِجُ لِقُلٍّ وَبُنَا فِي السَّمَاءِ أُنْسَى كَهَيِّرَا
بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّاسَ مَنْ وَسَوَّى قَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرَا^(٣)

وإثبات هذا التعبير لا يعني إثبات التشبيه بين عرش الخالق وعرش المخلوق، ولا بين استوائهما، ومثل ذلك السرير؛ فإن للمخلوق عرشاً، وورود التشابه في الاسم لا تعني المشابهة في الحقيقة؛ فضلاً عن المشابهة بين الخالق والمخلوق في الفعل.

❦ **الحذر من التشبيه، وحكم التعبير عن الصفات بما لم يرد في الشريعة من الإشارة والكلام:**

ويقتصر على اللفظ الولود في الوحي؛ وهو: «الاستواء»، ولو تقارب مع اللفظ غيره بالمعنى أو اتحد؛ التزاماً باللفظ المشروع الذي اختاره الله لنفسه، ودفعاً لنوهم الناس الذي قد يقع في قلوب الناس من

(١) ترتيب المطابق (٢١٤/٤). (٢) تفسير القرطبي (٣٩٩/٩).

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص ١١٩ و ٣٩٦).

الألفاظ المجملة غير المحكّمة، وقد كان مالك بن أنس يكره التحديث ببعض أحاديث الصفات للعامة؛ وذلك حتى لا يسيق إلى أذهانهم معنى محظور من التشبيه؛ كما قاله يحيى بن مُزَين^(١)، وابن عبد البر القرطبي^(٢).

فلذا كان هنا عند مالك في اللفظ الوارد في الحديث، فكيف بالفاظ لم تردّ تلقّ في ذهن السامع موقفاً لا يليق بالله، وكان مالك يسلّد في إشارة الإنسان بيده عند ذكره لصفات الله بما يؤهّم تشبيهاً؛ قال مالك: «من وصف شيئاً من ذات الله؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (النور: ١١)، فأشار إلى عينه وأذنيه، أو شيء من يديه -: قطع ذلك منه؛ لأنّه شبه الله بشيء».

وهذا من مالك فيمن قصّد التشبيه، أو فهم منه ذلك، وأمّا عند الأمن من ذلك عند من صحّ معتقده، وسلم لسانه، لإثبات حقيقة الصفة لا تكييفها -: فذلك وردّ فيه الحديث؛ كما في حديث أبي هريرة؛ أنه قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمْزُجُ آبَ السَّمَاءِ بِآبِ الْأَرْضِ﴾ (البقرة: ١٧)، فقلتُ: يا رسول الله! إنّ الله يمزج بين الماء والطين؛ فقال: «بعض الماء على الأرض، وبعضها على السحاب»؛ رواه أبو داود^(٣).

وربّما أجاز بعض السلف التعبير بلفظ آخر طابق المعنى في موضع، فقلّته بعض الناس جازاً في غيره، فيقع التشبيه والتعطيل؛ ولهذا

(١) «المهيد» (٧/ ١٥١).

(٢) انظر: «المهيد» (٧/ ١٥٠).

(٣) سبق تخريجه.

يقول ابن عبد البر: «نقول: استوى من لا مكان إلى مكان، ولا نقول: انتقل؛ وإن كان المعنى في ذلك واحداً؛ ألا نرى أننا نقول: له عرش، ولا نقول: له سرير؛ ومعناها واحداً؟ ونقول: هو الحكيم، ولا نقول: هو العاقل، ونقول: خليل إبراهيم، ولا نقول: صديق إبراهيم؛ وإن كان المعنى في ذلك كله واحداً؟ لا نسبه، ولا نعيه، ولا نطلق عليه، إلا ما سمي به نفسه»^(١).

وقد كان بعض السلف يعبر عن الاستواء بغيره؛ كما صح عن خارجة بن مصعب^(٢)، والحسن البصري، وعكرمة: أنهم عبروا عن الاستواء بالجلوس^(٣)، وجاء عن الشافعي، عن ابن مسعود أيضاً؛ وفيه انقطاع^(٤)، وقبحهم وكبح، وأحد؛ كما نقله ابنه عبد الله في «السنة»^(٥)، والدارمي في «ردّه على بشره»^(٦)، والدارقطني في بعض كتبه^(٧)، وهذا الذي أراد الشافعي في «سننه» في باب «ثم استوى إلى التل»^(٨) [فصل: ١١] حيث أورد حديث ابن عمر في استواء المسافرين، وقد عبر عن الاستواء عبد الوهاب الزيات بالعمود^(٩)، وجاء عن مجاهد تفسير قوله: ﴿عَسَىٰ كُن يَسَعَكَ رَبُّكَ كَمَا سَعَتَهُ﴾ [الإسراء: ٧٩]: «يقوله سعة على العرش»^(١٠).

(١) التمهيد (١٣٦/٧ - ١٣٧).

(٢) السنة لعبد الله (١٠)، وفتح الخلال (١٦٩١).

(٣) الرواية للحكم بن عمار: انظر: فتح السجد (١٧٥/١).

(٤) انظر: كتاب إنبات الحدة لأبي محمد بن إدريس الشافعي (ص ١٧٠).

(٥) (٣٠٢/١). وانظر: الرد على الجهمية (ص ٣٠٠).

(٦) (٢١٥/١).

(٧) «المصنفات» (ص ١٠)، وانظر: إبطال التاويلات (ص ٤٩٢).

(٨) «السنن الكبرى» (٢٤٥/١٠)، حديث رقم (١١١٠٢).

(٩) بيان تليس الجهمية (١٤/٣).

(١٠) ابن أبي شيبة (٣٢٣٠٩)، والأجري في «الشرعة» (١١٠١ - ١١٠٥).

وبهذا عبر ابن العربي في سورة الأحزاب من «أحكام القرآن»، وهو على طريقة المتكلمين.

والثابت في الحديث المرفوع: أَنَّ المقام المحمود هو الشفاعة العظمى^(١).

وكثيرٌ من الأئمة: يذكرون الاستواء، ويذكرون معناه في اللغة كالجلوس، والاستقرار، والتمكين في الشيء؛ كما فعل ابن عبد البر^(٢)، وغيره^(٣)، ويريدون من ذلك: بيان الحقائق، والإبادة عن المجاز؛ وليس التمثيل؛ تعالى الله!

وربما نرى بعض الأئمة مثل هذه الألفاظ كالجلوس؛ إنما يرى لها من لوازم تليق بالمخلوق؛ كإين رشو في «البيان والتحصيل»^(٤)، فقد جعل الجلوس عليه، والتحيز فيه، والمماثلة، مستحيلًا في صفات الله تعالى؛ لأنه من التكيف الذي هو من صفات المخلوق، مع أَنَّ ابن رشو لم يمنع أن يكون الاستواء من صفات الله الفعلية.

وهذه اللوازم والأعراض التي ذكرها لم ترؤ في الشريعة، وإنما لما لزمت للجواهر، نفاها عن الخالق، ولو ترحمت تلك اللوازم، وسكت عنها لسكوت الشارع، وأنت ما جاء في الوحي وفسرة السلف: لكان أسلم وأعلم وأحكم.

وتعبر بعض السلف بالجلوس والوقوف^(٥): من باب إثبات

(١) البخاري (٧١٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٢) الشهادة (١٣١/٧).

(٣) فتاويل مختلف الحديث (ص ٢٧١).

(٤) البيان والتحصيل (١٦/٣٦٨ - ٣٦٩).

(٥) انظر: إنبات الخلد هو هـ، وبأنه ثابتٌ وجائزٌ على مرقبه للثغنين.

الحقيقة، ونفي التأويل عن الظاهر، لا لتقرير لفظ مغاير، وتجويز مثله في كل موضع، فهؤلاء حينما يعبرون عن الاستواء بغيره، لا يجعلون تعبيرهم تشبيهاً، فهم يُقَوِّنُونَ اللفظ الآخر بلا تشبيه ولا تمثيل، فيذكرونه دفقاً للتعطيل والتأويل، وإثباتاً للحقيقة التي تليق بالخالق، ونقياً لما يليق بالمخلوق، فكما أنهم يَتَقَوَّنُونَ التشبيه عند التعبير بالاستواء، فكذلك يَتَقَوَّنُونَ عند التعبير بالجلوس والقفود.

ولما كان بعض المفوضة الذين يتوقفون في إثبات حقيقة الاستواء التي تليق بالله، وبعض المتأولة الذين يجعلونه على معنى غير الحقيقة، يستنكرون على بعض السلف إطلاق مثل هذه التعابير؛ لأنهم يفوضون أو يتأولون اللفظ الواحد، فيستعملون اللفظ غير الوارد :- فهم فوضوا وتأولوا؛ فراراً من التشبيه المتوهم؛ فتأويلهم للتعبير بغير الوارد تقول على ما يعتقدون؛ لأنه يرسخ إثبات الحقيقة، وهم يَفُوتُونَ منها؛ وأما فإن السلف الذين يعبرون بما لم يَرِدْ، لا يُرَيِّقُونَ التشبيه به؛ فهم إذا لم يشبهوا باللفظ الوارد في النص، فغير الوارد من باب أولى.

وقد جاء في حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: «إِنَّا جَلَسَ الرَّبُّ ﷻ عَلَى الْكُرْسِيِّ»^(١)، ورواه عنه عبد الله بن خليفة؛ أخرجه الناجي، وعبد الله بن أحمد في «الثقة».

وربما عبر بعض السلف عن الاستواء ببعض لوازمه؛ كالعلو، والارتفاع؛ لأنه لا يستوي إلا مرتفعاً وعالي على غيره، ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿عَلَى الْمَرْفَعِ﴾ (طه: ٥)؛ فـ «على» تدلُّ على العلو والقوّة. ولا يلزم من إثبات حقيقة الاستواء: القول بالتشبيه؛ وهذا اللازم

(١) نقض الناجي (١/ ١٢٥ - ١٢٦)، والثقة (٥٨٥ و ٥٨٧ و ١٠٦٩).

المتوهم هو الذي دُفع إلى تعطيل الصفات وتأويلها، والجهل بكيفية الشيء لا يُجيز تأويله أو نفيه؛ كما قال ابن عبد البر: «لقد أفرطنا بخواتنا: أن لنا أرواحاً بأبداننا، ولا نعلم كيفية ذلك، وليس جهلنا بكيفية الأرواح يُوجب أن ليس لنا أرواح، وكذلك ليس جهلنا بكيفية [استوائها] على عرشه، يُوجب أنه ليس على عرشه»^(١).

فيجب إثبات الاستواء حقيقة، وتفويض كميته؛ لأن الله ﴿كَيْفَ يُقَالُ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقد قال رجل لمالك: «يا أبا عبد الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]؛ كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف منه غير معقول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، وأراك صاحب بدعة؛ أخرجه»^(٢).

لقد نفى مالك معرفة الكيفية وفوضها، ولم يفوض الحقيقة؛ ولذا قال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول»، ولا يكون الكيف إلا لما له حقيقة، وما لا حقيقة له لا يُحتاج إلى تفويض تكيفه؛ لأنه ليس صفة للذات التي ليس كميها شيء.

وقد نفت المعتزلة الاستواء، وفسروه بالاستيلاء؛ وهذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز في كلامها؛ كما قاله الخليل بن أحمد^(٣).

وكل ما لا تنجا للعقل فيه، فلا يجوز الخوض فيه، ومن ذلك: ذات الله وصفاته، وإنما يكتفى بالقدر الوارد في السمع، ولا يراذ عليه؛ فما دل السائق على حقيقته ثبت حقيقة؛ لأن هذا مقتضى اللسان العربي الأول بلا تكلف، وفوض كميته.

(١) التمهيد (١٣٧/٧).

(٢) الرد على الجهمية للدارمي (١٠٤)، وشرح أصول الاعتقاد (٦٦٤).

(٣) «العرض وما روي فيه» (ص ١٦٥ - ١٦٦).

وقد كان غير واحد من الأئمة المتأخرين على هذا؛ كما قال ابن رشد في «المقدمات»: «وإنما ما وصفت به نفسنا تعالى في كتابه: أَنَّ لَهُ وَجْهًا وَيَمْنَةً وَعَيْنَيْنِ، فلا مجال للعقل في ذلك، وإنما يُفهم ذلك من جهة السمع؛ فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به من غير تكيف ولا تعديل»^(١).

وقد كان بعض أهل المغرب يتأولون ما ثبت من الصفات بالسمع، ويصفون المُنْبَتَّ بـ «المجسِّم»، و«المشيَّو»، و«الحشويَّة»، توهمًا أَنَّ مَنْ بُنِيَ الحقيقة يأخذ بلوازيها التي يستحضرها اللهن عند التفكير.

وهذه لوازم لا يجوز الإلزام بها؛ لأنَّ مَنْ كانت ذاته لا شبيه لها، فصافته لا شبيه لها كذلك، ومَنْ كانت لوازم ذاتها لا شبيه لها، فلوازم صفاتها لا شبيه لها كذلك.

وقد تعلّقَ الإلبيريُّ ابنُ رشد في إثبات ما ثبت بالسمع من الصفات^(٢)، وقد أخطأ لأجل تلك المقدمات والإلزامات والتوهمات.

وأصل تأويل الاستواء: توهم التشبيه بالمخلوق: إمَّا بذات الصفة، وإمَّا بلوازيها من الحدِّ وغيره؛ وهذا يَرُدُّ على المخلوق، ولا يَرُدُّ على الخالق؛ لأنَّ: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^(٣) الضروري؛ ١٢١؛ كما سمعت امرأةً من بني صفوان رجلًا يقول: الله على عرشه، فقال: محدودة على محدودة؛ فقال الأصمعي: فهي كائنة بهذه المقالة^(٤)؛ فقد توهمت تشبيهها؛ فصارت إلى التعطيل، ولو سلّمنا من التشبيه، لم تعطل.

(١) «المقدمات» (١/٢٠).

(٢) له رسالة في الرد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستواء.

(٣) «الآيتين في صفات رب العالمين» (١٢)، و«العلو» (١٣٦)، و«اجتماع الجيوش» (١٢/٢٢٤).

❦ الأسماء والصفات:

❦ **قَالَ ابْنُ رَبِيعٍ:** «زَلَّةُ الْأَسْمَاءِ الْخُشْيُ، وَالصِّفَاتُ الْمُلَا، لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً، وَأَسْمَاءُهُ مُخْلَقَةً»:

قَوْلُ ابْنِ أَبِي رَبِيعٍ هُنَا فِي مَقْطَعِ «الرَّسَالَةِ»، وَلِي «الْجَمِيعِ»^(١): «لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ» أَي: أَنَّهُ سَبْحَانَهُ عَلَى كَمَالِهِ، لَا يَغَيِّرُهُ الزَّمَانُ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى عِلْمٍ يَكْتَسِبُهُ، وَلَا يَنْقُصُهُ شَيْءٌ فَيُكْتَبُ، وَلَا فِيهِ شَيْءٌ زَائِدٌ يَنْقُصُهُ.

وَقَدْ أَخَذَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ أَبِي رَبِيعٍ: «لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ»: نَعْنِي الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ كَالْإِسْتَوَاءِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ مُسْتَوِيًا قَبْلَ خَلْقِ الْعَرْشِ، وَهَذَا بَاطِلٌ؛ فَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ: أَنَّهُ «يَقُولُ لِمَا يُرِيدُ» (أَمْرٌ: ١٠٧، وَالْبُرُوجُ: ١٦)، وَأَنَّهُ «يَقُولُ مَا يَشَاءُ» (إِنْ شَاءَ اللَّهُ: ٤٠، وَالْحَجَّ: ١٨)؛ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ، فَلَا يَجُوزُ نَعْنِي صِفَةِ الْخَلْقِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ خَالِقًا قَبْلَهُمْ، عَلَى قَوْلِهِمْ بِعَدَمِ تَسْلُكِ الْحَوَائِثِ:

فَإِنْ كَانَ مِنْ صِفَاتِهِ: أَنَّهُ يَقُولُ مَا يُرِيدُ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَعْمَالَهُ تَكُونُ مِنْهُ فِي زَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ؛ كَالْإِسْتَوَاءِ، وَالنُّزُولِ، كَمَا تَكُونُ مِنْهُ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ؛ كَتَجَلِّيهِ سَبْحَانَهُ لِلجَبَلِ، وَهُمْ يَعْتَرِضُونَ عَلَى الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ تَنْزِيمَهَا لِهَ عَنِ الْحَوَائِثِ، وَأَنَّ الْحَوَائِثَ لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً، لِحَدَّثَتِ، فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ، وَنَزَّ اللَّهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْهُ مَخْلُوقًا.

ومما كُله تاصيلُ القاعدةِ الجَوْهَرِ والعَرَضِ والحوادثِ، وانصباطها على الإنسانِ لا يُجِيرُ تنزيلها على الله؛ فالحقُّ تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [النورى: ١٦١]؛ لَمَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ في ذاته، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ في صفاته.

والسَلَفُ يُنَبِّهُونَ في الأسماء والصفات؛ كما أثبتَّ الله لنفسه، وأثبتَّها له نبيه ﷺ من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تعطيل ولا تكيف ولا تأويل، والذي عليه السلف: إثبات ما أثبتَّ الله لنفسه، وما أثبتَّ له نبيه ﷺ، والإيمانُ بذلك، وأنه على الحقيقة؛ فلا يؤوَّل، ولا يُلزَم من إثبات الحقيقة: التشبيه؛ كما أنه لا يُلزَم من إثبات ذات الله على الحقيقة: إثبات الشبه لها، ومن جعل ذلك لازماً، فإلزامه إنكار حقيقة الذات؛ كما يُتكرَّر حقيقة الصفات؛ فالعلة التي تُستوجب نفي الحقيقتين واحدة.

❦ ما وَرَدَ من الأسماء والصفات عن الصحابة والتابعين:

الأصل: ألا تُثبت الأسماء والصفات لله إلا بما ثبت في الوحيين؛ لأنَّ مسائل الغيب مرَّعة إلى علم الله، لا مجال فيها للاجتهاد والتفكر؛ فالحقُّ تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [النورى: ١٦١] حتى يُفانَى على غيره، أو يُفانَى غيره عليه.

وأما ما يُثبتُّه الصحابة من الصفات والأسماء لله؛ فهم لا يقولون على الله بلا علم، وليسبب العقائد من موارد النزاع عندهم؛ ولهذا لا يُحفظ عنهم خلاف في الأسماء والصفات وتوحيد الله؛ فقول الواحد في ذلك هو قول التقيَّة، ولَمَّا أُذِنَ الشرع لهم بالحمد عن بني إسرائيل، مما لا يُخالِف الشريعة، في قولهم ﷺ: (خَلَقُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،

وَلَا خَرَجَ^(١)، كَانَ الصَّحَابَةُ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَى قِسْمَيْنِ:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: الَّذِينَ لَا يُعْرَفُونَ بِالنَّقْلِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُمْ الْأَصْلُ وَالْأَعْلَى، فَهَؤُلَاءِ يُجَزَّمُ أَنَّهُمْ لَا يَخْرُصُونَ عَلَى اللَّهِ بِالْقُلِّ، وَأَنَّ نَقْلَهُمُ إِنَّمَا هُوَ عَنْ وَخِي.

وإثبات ذلك صحيح، كما جاء عن ابن عباس، وابن مسعود، وأبي موسى: إِبْرَاهِيمُ الْفَلَّاحِيُّ هَ^(٢)، فهذا يقوِّدُ إِبْرَاهِيمَ صَفَةَ الْقَدَمِ لَهُ تَعَالَى فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا^(٣)، وَفِي «الْمُسْنَدِ»، وَعَنْدَ ابْنِ عُزَيْمَةَ فِي «التَّوْحِيدِ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٤)، وَلَهُ مَا يَصُفُّهُ مِنْ مَرْفُوعٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي «الْمُسْنَدِ»، وَغَيْرِهِ^(٥).

وَنَقَلَ الْأَجْرِيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ»^(٦): «أَنَّ عَمَلًا مَنَعِبَ أَهْلَ الْحَقِّ وَالْعِلْمَاءِ: أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللَّهَ ﷻ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ ﷻ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ الصَّحَابَةُ ﷺ».

وَلَا أَنْ مَجْرَدَ كَلَامِ الصَّحَابِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَفِيمَا لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ إِلَّا بِالْوَخِي، فَذَلِكَ كَأَنَّمَا أَسْتَفْتُهُ وَرَفَعْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيُؤَكِّدُ ذَلِكَ: أَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَلْقَ بِتَنَهُمُ اخْتِلَافَاتُ وَزَاعٍ فِي هَذَا الْبَابِ، كَمَا وَلَقَّ بِتَنَهُمْ فِي الْفُرُوعِ؛ لِأَنَّ الْفُرُوعَ مَحَلُّ رَأْيٍ وَاجْتِهَادٍ.

(١) أَبُو هَارُونَ (٣٦٦٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٥٨١٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ.

(٢) سَبَقَ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى التَّكْرِيمِ.

(٣) الْبُخَارِيُّ (٤٨٨٨)، وَمُسْلِمٌ (٢٨٨٨) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ. وَالْبُخَارِيُّ (٤٨٨٩)، وَمُسْلِمٌ (٢٨٨٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٤) «التَّوْحِيدُ» (٢٤٨/١ وَ ٢٤٩) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا.

(٥) أَحْمَدُ (٢٥٦/١) وَلَمْ (٢٣١٤)، وَالْقُرَظِيُّ (٣٧٤٥).

(٦) «الشَّرِيعَةُ» (١٠٥١/٢).

وكان أحمد وغيره^(١) يجعلون من أصول السنة: التمسك بما عليه الصحابة.

القسم الثاني: من عُرِف بالأخذ والرواية عن بني إسرائيل؛ فذلك مما يؤلف فيه، ولا يثرَب على من حكى التروية كما حكاه الصحابة، ما لم يكن في ذلك شبهة على ما يبع.

والثالث التابعون: فما جاء عنهم من مرويات في الصفات كصفوة الرُّحمة - رواها مجاهد عن عبيد بن عمير^(٢) - فإذا لم يكن في الباب ما بعضدها من مرفوع أو مقطوع، فالأصل عدم الاحتجاج بذلك؛ لأنَّ التابعين - خاصة الحجازيين - وإنَّ لم يخلقوا في هذا الباب، ولا يقولون برأيهم فيه، إلا أنَّ قولهم في ذلك من جنس المرسلات إلى النبي ﷺ؛ فالأصل التوقف، حتى يبيح مروياتهم إلى صحابه.

والأئمة - كمالك وأحمد وغيرهما - لا يجعلون قول التابعي حجة مقطوعة في الفروع والأصول، ولكنه يستأنس به ويحتج به؛ لقصد أصلي قد ثبت بدليل آخر.

❦ أسماء الله:

هو الأسماء الحسنى؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْأَعْلَى الْعَزِيزُ الْمُذْكَرُ بَدِيُّ الْإِبْرَاهِيمِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وليس له من يُشابهه في أسمائه: ﴿قُلْ تَقَرُّ لَهُ سُبْحَانَ﴾ [مريم: ٦٥]، وكلُّ اسم له معنى؛ فيثبت الاسم والمعنى جميعاً؛ وذلك أنه من إحصائها معرفة معانيها، والعمل بمقتضاها؛ كما قال ﷺ:

(١) شرح أصول الاعتقاد (٣١٧).

(٢) السنة لعبد الله (١٠٨٥ - ١٠٨٧ و ١١٦٢ و ١١٦٣ و ١١٦٥ و ١١٦٦ و ١١٨٠ - ١١٨٣).

(إِنْ لَوْ نَسْنَعُ وَنُسَوِّبُ اسْمًا مِّنْ أَحْصَاكَ تَحْتَ الْجَنَّةِ) ^(١).

ولا يُقال بنفي الأسماء؛ كما تقول الجهميَّة، ولا يأتيناها مجردة عن معانيها؛ كما تقول المعتزلة، بل يأتيناها مع معانيها.

وأسماء الله: عَلَّمَ للمسي، ودَالَّ عليه، وَإِنْ أَرِيدَ بها ذَاتُهُ، فالاسم هو المسي، ولا يجوز القول بأنَّ الاسم غير المسي، ما لم يُرَدَّ بذلك اللفظ العربي لا كلام الله، أو كان في سياق الإعراب؛ فهذا يُرادُّ الاسم، لا المسي ذاته.

وقد أظهر المتكلمون إطلاق أنَّ أسماء الله مخلوقة؛ ليخرجوها عن ذاتِهِ سبحانه؛ فلا يَلْتَوِضُوا بما تَتَّصِفُ الأسماء من الصفات؛ وهذا قول الجهميَّة والمعتزلة ^(٢).

وقد كان أهلُ العربيَّة من الصُّنُو الأوَّل يُنْكِرُونَ ذلك؛ كما قال الأصمعي: (إِذَا سَوِّفْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: الاسم غير المسي، فاحْكُم عليه بالزندقة) ^(٣).

❦ حقيقة الصفات:

والصفات حقيقة ظاهرة؛ وهي على نوعين:

النوع الأوَّل: حقيقة ظاهرة تليق بالخالق، وهي تَظْهَرُ عند إضافة الصفة إلى الله تعالى، وهذه يَجِبُ إثباتها هو سبحانه.

(١) البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) مجموع الفتاوى (١٨٥/٦ - ١٨٦).

(٣) شرح أصول الاعتقاد (٢٤٦ و ٢٤٧).

النوع الثاني: حقيقة ظاهرة تليق بالمخلوق، وهي تظهر عند إضافة الصفو إلى المخلوق؛ وهذه تثبت لصفو المخلوق، ويجب نفيها عن صفة الخالق؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (التورى: ١٦١) وهذه الحقيقة اللائقة بالمخلوق لا تظهر من إضافة الصفو إلى الله تعالى، إلا عند المعطلة والمثبته؛ وهو ما أدى بهما إلى نفي الصفو بحقيقتها اللائقة بالله تعالى وتعطيلها.

وقد كان السلف يتفون أن يكون إثبات الحقيقة يلزم منه التشبيه؛ ولذا يقول إسحاق بن راهويه: «إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد أو مثل يد، أو سمع كسمع أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه، وأما إذا قال - كما قال الله تعالى -: يد وسمع ونصر، ولا يقول: كيف، ولا يقول: مثل سمع، ولا: كسمع، فهذا لا يكون تشبيهاً»^(١).

وقد أراد إسحاق أن يدفع التوهم الذي يقع في بعض النفوس؛ أن إثبات الحقائق يلزم منه القول بتشبيها.

فقد كان المعطلة يتفون حقائق الصفات خروفاً مما يليق بالمخلوق؛ فحملهم ذلك على تأويل الصفات، ثم هم تأولوا الصفات على معانٍ لا تخرج عما فرؤوا منه من حقائق الصفات؛ فالذي انتهوا إليه من تأويلها تضمن محظوظين:

الأول: أن قولهم هذا هو تعطيل في صورة تأويل؛ فصرّفوا الصفة عن الحقيقة المرادة إلى غيرها؛ فمطلت عن المقصود.

(١) الترمذي بعد حديث (٦٦٢).

الثاني: أَنَّ المعنى الذي أُثْبِتَهُ بعدَ تأويلِهِمْ، هو نفسُ المعنى الذي يكونُ مِنَ المخلوقِ عندَ صرفِ حقيقةِ صفِهِ عن ظاهِرِها:

فمثلاً: الاستواءُ والنزولُ: فَمَنْ يُثْبِتُهُمَا على الحقيقةِ التي تليقُ بالخالقي، وينزِّهُهُمَا عن الحقيقةِ التي تليقُ بالمخلوقِ، لم يُشَبِّهْ خالقًا بمخلوقٍ، ولم يتأوَّلْ، وَمَنْ نَفَى الحقيقةَ التي تليقُ بالخالقي، فتأوَّلَ الاستواءَ بالعلوِّ، والنزولَ بالرحمةِ، استعملَ لغةَ العربِ في هذا الموضعِ على المعنى الذي يَصِحُّ مِنَ المخلوقِ والخالقي جميعًا كذلك، وإنَّ اعْتَظَفَ علوُ الخالقي ونزولُهُ عن علوِّ المخلوقِ ونزولِهِ، فليست رحمةُ اللهِ كرحمةِ المخلوقِ، ولا علوُّه كعلوِّه؛ فلماذا لا يُثْبِتُونَ الصفاتِ على الحقيقةِ، وَيَتَوَقَّنُونَ ما يليقُ بالمخلوقِ؛ كما يُثْبِتُونَ المعاني بالتأويلِ، وَيَتَوَقَّنُونَ ما يليقُ بالمخلوقِ؟

❦ الإقرار بإثبات الصفة يُعْطِلُ التضييق:

والله ﷻ لا يُنَزِّلُ شيئًا في كتابِهِ، ويريدُ أَنْ يَتَلَوَّ الناسُ الحروفَ، ولا يَفْهَمُونَ شيئًا مِنَ المعاني بإطلاقٍ، والذين يقولونَ بتضييقِ الصفاتِ، وأنه لا يُعْلَمُ معناها، يَتَنَاقَشُونَ؛ وذلك أَنَّهُمْ يَسْتَوْنَهَا صفةً، ثم يفرضونَ معناها كُلَّهُ، وَيَتَوَقَّنُونَ حقيقتها؛ فكيف عرَفُوا أنها صفةٌ إِذْ؟ ١٩ فالحكمُ على المعنى بِكونِهِ صفةً إيجابًا للعلمِ بِقَدْرِ من معناه؛ فَإِنَّ مجردَ إضافةِ الشيءِ للربِّ ليس دليلًا وحدهُ لكونِ المضايي صفةً للمضايي إليه؛ فالإضافةُ هُـ قد تكونُ إضافةً لشريفٍ، وقد تكونُ إضافةً صفوةً، وتحديدُ إحدى الإضافتينِ إقرارًا بالمعنى حقيقةً.

وقد صَنَّفَ جماعةٌ مِنَ المَخَافَةِ كُتُبًا في إثباتِ حقيقةِ الصفاتِ، والردُّ على المتكلمينَ والمعتزلةِ كسعيدِ بْنِ الحَقَّافِ في كتابِ «الاستواء»،

وقد قال: «قَصَدْنَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ إِلَى الرَّدِّ عَلَى النَّافِيَةِ هُوَ بَيْنَهُمْ لَصِفَاهُ»^(١).

وعلى هذا المحققون منهم: كما نقلَ ذلك ابنُ رشدٍ في «البيان والتحصيل»: قال: «بَيَانٌ هُوَ يَتَّبِعُ وَجْهَهَا وَحَيْثُيْنِ»^(٢)، ثم عزا لبعض الشيوخ تأريلاً ذلك، وأنَّ المراد بالوجود: الذات، وبالحَيْثُيْنِ: إدراك المَرثِيَّاتِ، والمراد باليَتَّبِعُ: النعمتان، ثم قال: «وَالصَّوَابُ: قَوْلُ الْمُحَقِّقِينَ الَّذِينَ أَتَوْهَا» وهو الذي قاله مالك^(٣).

وهذا ما قرَّره أبو القاسم السَّهْلِيُّ المغربي المالكي في كتابه «تنتائج الفخر»، عند كلامه على صفة اليد، وأنها لا تُؤَوَّلُ بِالْعَمَلِ وَلَا بِالْفُكْرِ، بل على الحقيقة، وقال: «كَانَ مَعْنَاهَا مَفْهُومًا عِنْدَ الْقَوْمِ الَّذِينَ تَزَلَّ الْقِرَاءَةُ بِأَعْيُنِهِمْ» ولذلك لم يَسْتَظْ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ مَعْنَاهَا، وَلَا خَافَ عَلَى تَقْيِيدِ تَوْقِيفِ الشَّيْءِ، وَلَا احتَاجَ مَعَ قَهْمِهِ إِلَى شَرْحٍ وَتَبْيَإٍ»^(٤).

وذلك أنَّ إثبات حقيقة الصفة لله، لا يعني القول بمشابهتها لحقيقة صفة المخلوق؛ فلكل حقيقة تليق به، والله «الَّذِينَ كُتِبُوا عَلَيْهِمْ» وَهُوَ الْكَوْنُ الْعَبِيدُ»^(٥) (الشورى: ١١).

وقد كان متفقاً الأُشَاعِرَةُ كَالْبَاقِلَانِي، يُتَّبِعُونَ هُوَ تَعَالَى الْوَجْهَ وَالْيَدَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، بل عَدَّ الْبَاقِلَانِي فِي «التَّهْمِيدِ»^(٦) نَفْيَ ذَلِكَ مِنْ تَحَاذِي الْمُعْتَرِلَةِ، وَخِلَافِهِمْ وَقِيحَ مَلْفِهِمْ، وَعَدَّ الْفَخْرُ الرَّازِيْ إِثْبَاتَ

(١) نَقَرْنَا قَلْبًا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ عَبْدِ الْمَجِيدِ حَمْدًا، ضَمِنَ كِتَابَ الْمَدَارِسِ الْكَلَامِيَّةِ بِالْمَغْرِبَةِ (ص: ٣٠٩).

(٢) «البيان والتحصيل» (١/١٦٠: ١٦١).

(٣) الموضوع السابق.

(٤) «التَّهْمِيدُ» (ص: ٢٨٦ - ٢٨٧).

(٥) «تنتائج الفكرة» (ص: ٢٢٩).

الأشعري للبد، وأنها غير الثففة، وللوجوه، وأنه غير الوجود: أن ذلك إثبات، لا توفقت فيه، كما في كتابه «المحصل»^(١)، حيث خالفت فيه رأي الأشعري، وتوقف وفؤوس.

ومن شبهات المعطلة: قولهم بحدوث الأسماء والصفات، وبهذا استدلل بعض متكلمي المغرب، وهو سلفيمان الفراء، «فقد سأل ابن سحنون بسند رجة: يا أبا عبد الله، الله سئى نفسه؟ فقال ابن سحنون: الله سئى نفسه، ولم يزل له الأسماء الحسنى»^(٢).

❦ كلام الله:

❦ قال ابن الجوزي: «كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته، لا خلق من خلق»:

والله متكلم متى شاء بما شاء، والقرآن كلامه، وكلامه بان من خلقه، وخلق خلق، ولا يكون كلامه مخلوقاً لكونه مسموعاً ومفروفاً، ومحفوقاً ومكتوباً ومتدبراً، بل المخلوق الأداة، وهي: أذن الإنسان ولسانه وشفاه، وريقه وأهوائه، وقلبه وعقله، والوزن والجبر، قال تعالى: ﴿كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُ رُبُّهُ﴾ [الاعراف: ١١٣]، وقد أخذ الكلام بالمصدر: «تَكْلِيمًا» يُعْلَمُ أَنَّهُ كلام على الحقيقة.

والعرب تسمي ما يعقل من القول إلى الإنسان كلاماً، بأي طريق وصل إليه، كتابة أو غيرها، ولكن لا تحفقه بالمصدر، فإن أخذ الفعل بالمصدر،

(١) (ص ١٣٧).

(٢) مطبقات علماء إفريقيا للبخاري (ص ١٩٨).

لم يُحْصَلْ إِلَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ غَيْرِ وَاسْطَوْءٍ، وَقَدْ قَالَ ثَقَلَبٌ فِي قَوْلِهِ:
﴿تَحْقِيلِي﴾ (المعاد: ١٦٤): «مَرَجَ الشُّكَّ الَّذِي كَانَ يَدْخُلُ فِي الْكَلَامِ»^(١).

وهذا إجماعُ النحويين؛ كما حكاه عنهم أبو جعفر الثَّعَالِبِيُّ^(٢).

والقولُ بخلقِ القرآنِ بذعةٍ، لم يُقْلَ بِهَا معروفٌ بصَلاحٍ، فضلًا عن
 معروفٍ بعلمٍ في الصِّدْقِ الأوَّلِ.

﴿شَيْدَةُ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ عَلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ﴾

قال مالكٌ: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَكَلَامُ اللَّهِ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ
 مَخْلُوقٌ»^(٣).

وقال أيضًا: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَكَلَامُهُ لَا يَبِيدُ وَلَا يَنْفَدُ، وَلَيْسَ
 بِمَخْلُوقٍ»^(٤).

وكان يَصِفُ مَنْ قَالَ بِخَلْقِ كَلَامِ اللَّهِ بِالزُّنْفَرَةِ، وَيَأْتُرُ بِقَتْلِهِ، وَلَمْ
 يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ أَصْحَابِ مَالِكٍ فِي الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَلَا مِنْ أَصْحَابِهِمْ:
 مَنْ يُخَالِفُ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَهُوَ إجماعُ القُرُونِ
 الْمُفْتَلَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ.

وَقَدْ بَلَّغْتُ قِسْمَةَ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ أَصْحَابَ مَالِكٍ فِي الْمَدِينَةِ
 وَافْرِيقَةٍ، وَتَبَيَّنَ عَلَى الْحَقِّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْمَدِينَةِ وَغَيْرِهَا:
 يَقُولُ مُوسَى بْنُ الْحَسَنِ: «سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ بْنَ أَبِي أَرْقَسٍ، وَمُطَرِّفَ بْنَ
 حَبِيبِ اللَّهِ، وَقَدْ دُعِيََا إِلَى الْمَحْنَةِ فِي الْقُرْآنِ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا قُرِئَ عَلَيْهِمَا

(١) «تهذيب اللغة» (١٠/٢٦٥). (٢) «إرباب الفرائد» (١/٥٠٧).

(٣) «الشيعة لعبد الله» (١٤٥)، و«الشيعة للخليل» (١٩٩٩ و ٢٠٢١)، و«الشرعية» (١٦٥).

(٤) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٣).

الكتاب، قال أبو بكر: أَكْفَرُ بِاللّهِ بعد نَيْفٍ وتسعين سنة، ومجالس مالك، ورجال من أهل العلم بالمدينة متوافرون؟ قيل له: لَيْسَ بِكَ بِشَيْءٍ.^(١)

وقد قال أبو محمد يحيى بن خلف المقرئ: «كنت عند مالك بن أنس سنة ثمانٍ ومِئتين، فأنا رجُلٌ، فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ قال: كافرٌ زنديقٌ؛ افعلوه، قال: إنما أحكي كلامًا سمعته، قال: لم أسمعهُ من أحدٍ؛ إنما سمعته منك.

قال أبو محمد: فَعَلَّطَ ذَلِكَ عَلَيَّ، فقلتُ بضر، فقلتُ الليث بن سعد، فقلت: يا أبا الحارث، ما تقول فيمن قال: القرآن مخلوق، وحكيث له الكلام الذي كان عند مالك؟ قال: كافرٌ، فقلتُ ابنُ لهيعة، فقلتُ له مثلُ ما قلتُ لِيُثْبِتَ بنُ سعدٍ، وحكيثُ له الكلام؟ فقال: كافرٌ.

فأتيتُ مَكَّةَ، فقلتُ سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ، فحكيثُ له كلامُ الرجل؟ فقال: كافرٌ، ثُمَّ قَدِمْتُ الكوفةَ، فقلتُ أبا بكرٍ بنَ عِيَّاشٍ، فقلتُ له: ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق، وحكيثُ له كلامُ الرجل؟ فقال: كافرٌ، ومن لم يقل: إنه كافرٌ، فهو كافرٌ، فقلتُ علي بنَ حاصمٍ، ومُشَيْمًا، فقلتُ لهما، وحكيثُ لهما كلامُ الرجل؟ فقالا: كافرٌ، فقلتُ عبدُ الله بنُ إدريسَ، وأبا أسامةَ، وعبدُ بنُ سُلَيْمَانَ الكِلَابِيَّ، ويحيى بنَ زُهْرِيَّ، ووكيعًا، فحكيثُ لهم؟ فقالوا: كافرٌ، فقلتُ ابنُ المبارك، وأبا إسحاقَ الفَرَزَاقِيَّ، والوليدُ بنُ مسلمٍ، فحكيثُ لهم الكلام؟ فقالوا كلُّهم: كافرٌ»^(٢).

(١) «البحر» (ص ٣٤٩).

(٢) «الآبَانَةُ» (٦٥١/ الرد على الجهمية)، وشرح أصول الاعتقاد (٤١١ و ٤١٢).

وقد ذكر الله القرآن في أربعة وخمسين موضعاً منه؛ فلم يُذكر في شيء منها إلى خلقه، وذكر الإنسان في ثمانية عشر موضعاً ثلث ذلك العدد؛ فصرح في جميعها بخلقها؛ كما ذكره ابن عطية، وقال: «وهذا يدل على أنه غير مخلوق»^(١).

❦ ظهور القول بخلق القرآن في المغرب:

ولما ظهر القول بخلق القرآن في المغرب بين بعض المتكلمين؛ كسليمان الفراء، ومحمّد بن الكلبي، وهنّ السني، وكتبوا فيه، وقد كتب ابن الحداود وإبراهيم الضبي كتاباً في ردّ دعوى القول بخلق القرآن.

ولم يكن المسلمون في المغرب يعرفون القول بخلق القرآن في القرون الأولى، حتى ظهرت فتنة في المشرق، وقد هُموا بقتل سليمان الفراء، حينما قال بخلق القرآن؛ كما ذكره ابن عسري العراقي في «البيان»^(٢).

وكان أهل الإسلام في المغرب يصفون القائل بخلق القرآن من المغاربة بأنهم: «أهل الجراقة»؛ لأنهم ساروا على نهجهم، وأخذوا بقولهم؛ أي: أن هذا القول لا يُعرف من قبل في بلادهم عند المسلمين، وإنما يقول به بعض فلاسفة أهل الكتاب المغاربة في التوراة والإنجيل، الذين أخذوا الفلسفة وعلم الكلام في دينهم على الطريقة التي سلكتها بعض الطوائف الإسلامية، وقد كان الفيلسوف موسى بن ميمون القرطبي اليهودي يقول: «بإجماع أئمتنا أن التوراة مخلوقة»^(٣)، وأصل فلاسفة

(٢) «البيان الثريب» (١/ ١١٩).

(١) «المعجم الوجيز» (٥/ ٢٢٢).

(٣) «دلالة الحائرين» (١/ ١٦٦).

أهل الكتاب الذي دعاهم للقول بهذا الكلام هو أصل الفلاسفة المتسبين للإسلام، الذين قالوا: إن القرآن مخلوق!

﴿أصل فتنة خلق القرآن، والكلام النفسي:﴾

وكان أصل الفتنة في القول بخلق القرآن في المشرق والمغرب: إنما هو في المسموع والمقروء والمكتوب، والمحفوظ والمتنبر، وبهذا يقول الجهمية والمعتزلة.

حتى جاء ابن خلاب، وأثبت الكلام النفسي، وقال بخلق ما عداه من المسموع والمقروء والمحفوظ، والمكتوب والمتنبر، وظن هو ومن قال بقوله: أنهم يُثبتون الكلام، وأن قولهم خارج عن محل النزاع؛ توهمًا أن النزاع إنما هو في الكلام النفسي مع الجهمية والمعتزلة فحسب، وإنما النزاع في الكلام كله، وجرى مع ابن خلاب الأشاعرة؛ فآخذوا يُثبتون الكلام فهو، ويريدون به: ما قام في النفس، لا ما أدرجه الإنسان بسمعه وبصره، وقلبه وعقله، وبلغه الإنسان بصوته ولسانه.

وهذا الطريق لا يعرف قبل ابن خلاب، وكان الأئمة عند ظهور فتنة القول بخلق القرآن لا يعرفون، ويعرفون أن فتنة القول بخلق القرآن، كانت لشبهات من أعطوها: شبهة أن المسموع والمقروء منفصل عن الذات؛ فلا يكون منها؛ ولهذا قال أحمد بن حنبل في «عقيدته» التي رواها عنه قاضي قرطبة أسلم بن عبد العزيز أبو الجهم: «أشهد أن الله تبارك وتعالى يقول، وقوله الحق، خلقه خلق، وقوله بائن من خلقه ﴿إِنَّكَ مِثْلُ بِئْسَ جُنْدٍ لَقِيَ كِتَابًا مَدَّتْ خَطْمَهُ مِنْ رَبِّكَ لَوْلَا كَيْفَ فَبَيِّنْ﴾» (ال عمران: ٦٥٩) بقوله: ﴿لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ﴾^(١).

فانظر كيف ذكر أحمد بن حنبل كلام الله من خلقه، ويريد بذلك:
المسموع والمقروء وبقيّة جهاتِهِ؛ لأنّ الكلام التّفسّي لا حاجة للقول
ببنيويته من تخلّقه.

وهذا الكلام من أحمد مما انفرد به المتأخرون عنه؛ ذكره الحُشني
في «أخبار الفقهاء والمحدثين»^(١)، مستنًا.

وعلى هذا جرى تقريرُ اثبتة السُّكّ في التّيزان وما وراءها، ومنهم:
ابن أبي زَيْد؛ كما قال ابن أبي زَيْد: «يَجِبُ أَنْ يُعْتَدَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَسَمِعَ
مُوسَى ﷺ كَلَامَهُ الْقَائِمَ بِذَاتِهِ، لَا كَلَامًا قَامَ بِغَيْرِهِ»؛ نقله عنه القرطبي في
«الذخيرة»^(٢)، ونحوه قاله هو في «الجامع»^(٣).

وقد قال ابن الحنّاد: «كُلُّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُوسَى سَمِعَ الْكَلَامَ مِنْ
الشَّجَرَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَقَدْ كَفَرَ؛ لِأَنَّهُ يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَكَلِّمْ
مُوسَى، وَلَمْ يَفْضُلْهُ بِكَلَامِهِ»^(٤)، وقوله هنا: «مِنْ الشَّجَرَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ»؛
يعني: أَنَّهُ يَقْصِدُ الْكَلَامَ الْمَسْمُوعَ؛ فَالَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ، وَأَسَمِعَهُ مُوسَى حَقِيقَةً،
وَلَمْ يَخْلُقْهُ فِي الشَّجَرَةِ، أَوْ أَمَرَهَا فَتَكَلَّمَتْ بِهِ حَقِيقَةً.

ويُخطئ طوائف من المتكلمين؛ حيث يظنون أنّ خلافت السلف مع
أهل البدع، إنما هو في الكلام التّفسّي وحده، ويظنون أنّهم بعيدون عن
النزاع بإنائهم له، وقولهم بأنّ كلام الله المسموع والمقروء والمحمول
مخلوق، ويسمونه كلام الله مجازًا؛ كما يقول بعض أهل الكلام؛
كالأشاعرة.

(١) «أخبار الفقهاء والمحدثين» (ص ١٦).

(٢) «الذخيرة» (١٣/ ٢٣٥).

(٣) «الجامع» (ص ١٠٧).

(٤) «مباحث التفسير» (٢/ ٧٢).

الْحَرْفُ وَالصَّوْتُ:

ومن هنا نشأ الكلام على مسألة «الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ»، وأن الله تكلم بكلام حرفاً وصوتاً؛ لأنَّ الكلام في اللغة في الأصل لا يُطلق إلا على ما كان بحرفٍ وصوت، وأما غيره، فيحتاج إلى تقييد، كأن يقال: «كلام مكتوب»، و«كلام في النفس»، والله أثبت الصوت لنفسه بقوله: ﴿قُلْ أَتَنكَ حُكْمُ مُوسَى﴾ [كه: ٢٥] ﴿إِذْ كُنْهَ رَبُّهُ﴾ [الزمر: ١٥-١٦]، والنساء لا يكون إلا بصوت، ويقول النبي ﷺ: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَافٍ)^(١)، وقال ﷺ: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ)^(٢)، ويقول كما في «الصحيح»: (تَلَاىِ صَوْتٍ: إِذْ لَمْ يَلْمُزْكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ فَرْجِكَ نَهْثًا إِلَى الثَّانِي)^(٣)، وفي السنن أن المنادي هو الله^(٤).

وقد سَمَّى الله المسموعَ كلاماً ووَحْيَةً: ﴿وَأَنزَلْنَاهُ فَنَسْتَحِ لِمَا يُؤْتَى﴾ [طه: ١١٣]، وقال: ﴿عَلَى يَسْمَعُ كَلِمَ لَقَوْلِهِ﴾ [التوبة: ٤٦]، ولا يكون السمع في لغة العرب إلا بصوت.

وهذا ما يفرِّقه السلفُ صحابةً وتابعين، وتابعهم والتابعهم؛ قال ابن مسعود: (إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ صَوْتُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ)^(٥)، وهذا ما يَكْتِفِي الأئمةُ كأحمدَ والبخاري، وصُفِّ فيه أئمةٌ مصنفات؛ كابن مَنَظَرٍ، وأبي نُصَيْرٍ السَّجَزِيِّ، والنووي، وكان الأئمةُ يشهدون على المخالفين في

(١) البخاري (٢٤١٩)، ومسلم (٨١٨) من حديث عمر.

(٢) الترمذي (٢٩١٠) من حديث ابن مسعود.

(٣) البخاري (٢٧١١ و ٢٧٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٤) الترمذي (٣١٦٩).

(٥) «السُّنَنُ لِمَعْدِ اللَّهِ» (٥٣٦)، والإيضاح لابن بطَّة (١٦/الرد على الجهمية)، وعلفه

البخاري (١٤١/٩) بنحوه.

ذلك، وتحكي إجماع الخلي والمغلام على إثبات الصوت والحرف، وأن القول بنفي لا يعرف قبل ابن ثلّاب والقلّيسي، والصالح والاشعري، إلا ما كان من الجهمية والمعتزلة من نفهم لكلام الله كنه.

قال أحمد بن حنبل: «إِنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِالصَّوْتِ وَالْحَرْفِ»؛ فكان يُجَلُّ الحكاية، ويُضِلُّ القائل بذلك؛ كما نقله عنه عبد الواحد بن الحارث التميمي في «اعتقاد أحمد»^(١)، وقد نصّ على ذلك البخاري في كتابه «تخلي أفعال العباد»^(٢)، فقال: «صَوْتُ اللَّهِ لَا يُشَبَّهِ صَوْتُ الْخَلْقِ»؛ لأنَّ صوت الله يُسَمَّعُ مِنْ بَعْدٍ، كما يُسَمَّعُ مِنْ قُرْبٍ.

ولا يَمْنَعُ صوت الله حواجز، ولا يحتاج في إيلائه إلى هواء، وإنما يُسَمِعُهُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَحْجِزُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ.

وكان أحمد يُجَنِّلُ نفي الصوت والحرف هو قول الجهمية؛ لأنه يؤدي إلى أصلي واحد، وهو التعطيل^(٣).

وقد نقل عبد الله، عن أبيه أحمد بن حنبل: «أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ: لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى، لَمْ يَتَكَلَّمْ بِصَوْتٍ، فَقَالَ أَبِي: بَلْ تَكَلَّمَ بِصَوْتٍ؛ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ تُرَوَّى كَمَا جَاءَتْ»^(٤)، ونقل عنه عبد الله والمروزي وصفاً من نفي الصوت بالجهمية^(٥).

❦ من حجب نفاذ الصوت والحرف لله:

وأعظم ما جعل طوائف المتكلمين يقولون بنفي الصوت والحرف: أنهم أضلوا قواعد كلامية تجري على المخلوقات؛ فأرادوا إجراؤها على

(١) «اعتقاد أحمد» (ص ٣٣ و ٣٤).

(٢) «تخلي أفعال العباد» (٢/ ٢٤٠).

(٣) «الشيعة لعبد الله» (٥٣٤).

(٤) «الشيعة لعبد الله» (٥٣٤)، وشرح العقيدة الأشعرية (ص ٦٨).

الخالقي وصفاته؛ فعملوا صفات الخالق، وأظهر حُججهم في هذا الباب هي:
 الأولى: أن الحروف والأصوات متعاقبة، وأن الكلمة لا تكون كلمة
 إلا وحروفها متوالية، وهذا التعاقب يعني حدوثها، والله منزلة عن
 الحوادث؛ وهذا يُفَرِّقُون فيه، فينصرون التعاقب في صفه الاستواء
 والنزول، والفَيْض والتَّسْبُط، فيظنون تلك؛ لأنها حوادث، والله منزلة عنها،
 ولو اظَّهَرُوا، لَعَرَّضُوا تعاقب السمع والبصر؛ لأنه على أصلهم فالنظر يقتضي
 سماع الله للكلام خلقه متواليًا، فقول العبد: «يا رَبِّ» يُلْزَمُ منه أن السمع
 يَسْمَعُ الباء قبل الألف والراء والياء؛ وهذا حدوث في السمع، كما هو
 حدوث في المسموع؛ وسمِعَ الله منزلة عن الحوادث، ومثله البصر؛ فصلاً
 العبد ركعتين؛ يُبْصِرُ الله ببصره تكبيرة الإحرام قبل التسليمتين؛ وهذا
 حدوث في البصر، كما هو حدوث في البُصْر؛ والله منزلة عن الحوادث.

ويُلْزَمُ من هذا التَّأصيل: فَمَنْ السمع والبصر، وجعل السمع والبصر
 هو العلم فقط؛ ولكن الله يَعْلَمُ بالفعل قبل حدوثه، وبراء عند حدوثه،
 وَيَعْلَمُ بِدَعَاءِ العبد له قبل حدوثه، وَيَسْمَعُهُ عند حدوثه.

وذلك التَّأصيلُ الغايذُ يَرْجِعُ إلى أنهم اتخذوا قواعد تجري على
 حوادث المخلوقين؛ فعملوها تجري على الله وصفاته، والله يَعْمَلُ ما
 يشاء، كيفما شاء، متى شاء، وبين ذلك ثلاثة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا
 أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢)، فعَلَّمَ الله الكلام
 بالمشيئة، وقال: ﴿إِنَّا﴾ الدالة على المستقبل.

الثانية: أن إثبات الحرف والصوت يُلْزَمُ منه إثبات الخلق واللسان،
 والحاجة للهواء؛ وهذا عَيْنُ التشبيه الذي يستقرُّ في نفوسهم؛ والحق أنه
 لا يُلْزَمُ من إثبات الصوت والحرف حَقِيْقَةُ إثبات تلك اللوازم، فالله أثبت

للمخلوقات الكلام والنطق والسمع بلا حاجة لذلك، وهي جمادات؛
كما قال تعالى من السموات والأرض: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ [نصت: ٢١]،
وقال من الجبال: ﴿وَسَخَّرْنَا نَحْمَاسَهُمْ لَنَا وَبَرَأَ إِلَيْنَا الْوَحْشَ وَالْأَنْبِيَاءَ﴾ [نصت: ٢٩]،
وقال من الجوارح إنها تقول: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ الْعَلِيمُ﴾ [نصت: ٢١] وهذا في مخلوق؛ فكيف بخالق ليس كمثله شيء؟ ١٢

ثُمَّ إِنَّ هَذَا التَّأْصِيلَ يَنْسَجِبُ عَلَى جَمِيعِ الصِّفَاتِ؛ كَالْبَصَرِ؛ فَهَلْ
يَصِحُّ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ الْبَصَرَ بِحَتَّاجٍ إِلَى خَلْقِهِ وَأَوْرَءَ كَمَا بِحَتَّاجِ الْكَلَامِ
لِخَلْقِهِ وَمَوْرَءَ؟ ١٣

وهؤلاء يتوهمون أنهم إِنْ تَفَقَّاهُ الصَّوْتُ وَالْحَرْفُ، وَاتَّبَعُوا الْكَلَامَ
الطَّبْعِيَّ: أَنَّهُمْ يُبْتِغُونَ صِفَةَ الْكَلَامِ لِلَّهِ، وَكَمَا قَالَ أَحْمَدُ عَنِ الْجَهْمِيَّةِ:
«قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَكَلَّمْ وَلَا يَتَكَلَّمْ، إِنَّمَا كَوَّنَ شَيْئًا، فَغَبَّرَ عَنِ اللَّهِ، وَخَلَقَ
صَوْتًا، فَاسْمَعُ»^(١).

وكلام متقدمي المالكية يجري مجرى السلف؛ فكلامهم جارٍ في
إثبات أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ كُلَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَقَدْ سَأَلَ مُحَمَّدُ بْنُ سُوَيْدٍ عَنْ قَالَ
بِخَلْقِ الْقُرْآنِ: «أَرَأَيْتَ كُلُّ مَخْلُوقٍ: هَلْ يَذَلُّ لِمَخَالِيْقِهِ؟ فَسَكَتَ الرَّجُلُ! ثُمَّ
قَالَ ابْنُ سُوَيْدٍ: إِنَّ قَالَ: كُلُّ مَخْلُوقٍ يَذَلُّ لِمَخَالِيْقِهِ، فَقَدْ كَفَرَا؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ
الْقُرْآنَ ذَلِيلًا عَلَى مَذْهَبِهِ الَّذِي يَرَى الْقُرْآنَ مَخْلُوقًا، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَرَأَيْتُ
لِكَلِمَةٍ عِزًّا ۖ ﴿١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجَمُ مِنْ سَكِينٍ
يَمِينٍ﴾ [نصت: ٤١ - ٤٢]، وَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ لَا يَذَلُّ، فَقَدْ رَجَعَ إِلَى مَذْهَبِ
أَهْلِ الْحَقِّ»^(٢).

(١) الرد على الجهمية (ص ١٣٥ - ١٣٦).

(٢) أرياض القنوس (١/ ٤١٨ - ٤١٩).

وكلامه هذا كله لا يجري على الكلام النفسي فحسب، لأنه استدلَّ
بالكلام المكتوب المنزَّل، كما في الآية: ﴿ثُمَّ لَكُمْ أَنْتُمْ﴾، ﴿تَبَرُّوا﴾،
والمكتوب والمنزَّل على قولهم، ليس هو الكلام المعنوي القائم بالنفس.
وهكذا في كلام أبي عمرو الداني في «منظومته»:

وَالْقَوْلُ فِي كِتَابِهِ الْمُقْصَلُ بِأَنَّهُ تَمْلَأُهُ السُّنَنُ
عَلَى وَشُولِهِ النَّبِيُّ الصَّاقِ لَبَسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بِخَالِقِ
مَنْ قَالَ يَوْمَئِذٍ مَخْلُوقٌ أَوْ مُخَلِّدٌ فَقَوْلُهُ مُرَوِّقٌ
وَالْوَلَفُ يَوْمَ بَذْعَةٍ سُحِيلَةٌ وَمِثْلُ ذَلِكَ اللَّفْظُ جُنْدُ الْجِلَّةِ^(١)

وكلامه: في الكلام المنزَّل أنه غير مخلوق، بل بدع القائل بالوقوف
فيه.

وكلام الله الذي كلمه لجهنم ولنبينا ﷺ، هو ما نُسَّعة ونقرؤه،
وهو غير مخلوق، ولو كانت أصوات المخلوقين وأقوالهم والسُّنة
مخلوقة، كما هم مخلوقون.

وقد كان الأئمة يُكثرون القول بخلق القرآن لِمَلِكِهِ كونه مسموعاً في
الأرض، ومنزلاً إليها، كما قال أشدُّ بن الفُرات، وهو من تلاميذ مالك:
فَوَيْحَ أَهْلِ الْبَدْعِ، هَلَكْتَ قَوَالِكُمْ، يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ تَمْلَأَنَا، يَقُولُ
فَإِنَّ الْكَلَامَ الْمَخْلُوقَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُتَكَبَّرُ﴾^(٢)، ١٩٤: ١٩٥.

وأهل اللسان العربي يَحْكُمُونَ أَنَّ المقصود بكلام الله غير المخلوق:
هو المنزَّل والمقرء والمسموع، ولهذا ذكَّر غير واحد منهم، كاتب
عَبِيدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ: «أَنَّ الرَّجُلَ لَوْ حَلَفَ أَلَّا يَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ، فَفَرَأَ

(١) «الأجزاء السنية» (ص ١٨٠ - ١٨١).

(٢) «طبقات علماء الريشة» (ص ٨٢).

القرآن، لم يَحْتِ؛ لأن القرآن كلام الله^(١).

ومن الجهل بالعريضة: التفريق بين كلام الله لفظاً ومعناً، وزعم أن هذا مخلوق، وهذا غير مخلوق؛ كما قال ابن الأعرابي اللغوي: «ما رأيت قوماً أكذب على اللغة من قوم يزعمون أن القرآن مخلوق»^(٢).

❦ الواقعة في خلق القرآن، وسبب التشديد عليهم:

ولا يجوز الوقوف في مسألة القرآن بزعم التوسط والإسكان عن قول: مخلوق، ولا غير مخلوق؛ لأن هذا شك في صفات الله، والواقفون في مسألة كلام الله يُسمَّون: واقفة؛ لأنهم لا قاموا بالحق، ولا ناموا عن الباطل، وقد قال أحمد عمن يقول بقول الواقعة: «لا يكون من أهل السنة، ولا كرامة»^(٣)، وكان عبد الله بن محمد الضعيف يقول: «قعد الخوارج أحيث الخوارج، وقعد الجهمية هم الواقفة»^(٤).

وسبب تشديد الأئمة على الواقعة: أن ظاهر الحال أنهم أهون من الخلق؛ لأن القول بالوقف يُغري ضعفاء أهل الحق به؛ توهماً للسلامة والتوسط، فهو يُخرج أهل الحق إلى الباطل، ويُخرج أهل الباطل إلى باطل آخر؛ ولهذا يقول إسحاق بن راهويه: الواقعة شرٌ عندي ممن يقول: القرآن مخلوق؛ لأنه يقتدي به غيره^(٥).

(١) الشُّكُّ للخلال (١٨٥١ و ١٨٥٢).

(٢) شرح أصول الاعتقاد (٦٢٣)، ومجمع الأبيات (٦/٢٥٣٣).

(٣) مسائل حربة (١٨٠٤).

(٤) مسائل أحمد؛ رواية أبي داود (١٧٤٩).

(٥) مسائل حربة (١٨٠١)؛ راجع للخلال في الشُّكِّ (١٨٠١).

﴿ مِنْ أَدَلَّةِ الْقَائِلِينَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ ﴾

هذا : ويستدلُّ الجَتهِيُّ والمعتزلةُ على خَلْقِ القرآنِ بعموماتِ القرآنِ وإطلاقاتِهِ :

- وذلك : كإدخالِ القرآنِ في عمومِ خَلْقِ الله لكلِّ شيءٍ في قوله : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ نَفْسِي ﴾ [الزُّمَرُ: ١٦، والزُّمَرُ: ١٦٦] لأنَّهم يَرَوْنَ كلامَ الله شيئاً غيرَ الله، فَيُدْخِلُونَهُ في غيرِهِ .

لكنَّ كلامَهُ منه، ثُمَّ إِنَّهُ قد جاءَ في القرآنِ والحديثِ : أَنَّ اللهَ شيءٌ : كقوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّ نَسْفَةَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ قُلْ اللَّهُ ﴾ [النَّامُ: ١٥١٩] فهل يجوزُ أَنْ يقالَ : إِنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ نَفْسَهُ ؟ ومثْلُهُ : القرآنُ، فيسمَّى شيئاً كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ قَالِ الْأَوَّلِينَ إِنَّكَ وَأَنْتُمْ يُحْجَى إِلَيْهِمْ ﴾ [النَّامُ: ١٥١٣] وفي حديثِ سُفْيَانَ قَالَ : ﴿ أَتَمَّتْكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ ؟ ﴾^(١)، فإذا لم يَدْخُلِ اللهُ في الشيءِ المخلوقِ، فكذلكَ كلامُهُ : لأنَّهُ منه .

وكذلك : فَإِنَّ العمومَ يُطْلَقُ في القرآنِ، وله ما يَخْصُصُهُ مِنَ الْجِسْمِ وغيرِهِ : كقوله تعالى صَنِيعَ قَوْمٍ عَادٍ : ﴿ لَقَدْ كَرَّمْنَا كُلَّ نَفْسٍ بِأَمْرِ رَبِّنَا ﴾ [الأحْقَافُ: ٢٥]، وقوله تعالى صَنِيعَ بَلْقِيسَ : ﴿ وَأَرْسَلْنَا مِنْ كُلِّ قَوْمٍ مُنْشِلًا ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٢٣] وهذا لَا يُمَكِّنُ القولَ بعمومه .

- وبين الأَخْيَرُ بالعموماتِ عندَ الجَتهِيِّ والمعتزلةِ : استدلالُهم على خَلْقِ القرآنِ بقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الفرقان: ٥٩، والشُّعَرَاءُ: ١٤] لأنَّ القرآنَ موجودٌ بينهما .

ولو قيلَ بالعمومِ، لَنَزِمَ القولُ بأنَّ ما كانَ فوقَ السمواتِ غيرَ

(١) البخاري (٥١٣٢) و٥١٣٥ و٥١٤٩ و٧٤١٧، ومسلم (١٤٢٥)، والنسبُ للبخاري .

مخلوق؛ لأن الآية جعلت خلق الله هو السموات والأرض وما بينهما، ومعلوم أنه فوق السموات أشياء مخلوقة، فإذا جاز أن يكون فوق السموات شيء مخلوق، فيجوز كذلك أن يكون بينهما شيء غير مخلوق.

ثم إن الله فرق بين كلاميه، وهو (أمره)، وبين خلق السموات والأرض وما بينهما؛ في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَنْزِلُ الْأَمْزُ بِمَنْزِلٍ﴾ [الطلاق: ١٢]؛ فوضعت الأمر بالتنزيل، والسموات والأرض بالخلق، وأمر الله: كلامه وقوله؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٤٢].

- وكذلك: فإن استدلالهم بمجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة على كونهما مخلوقتين - كما في الحديث^(١) - لا يؤم للقول بذلك على الله؛ لأن الله يقول: ﴿وَيَوْمَ تَكُونُ الْأَرْضُ دُخَانًا وَمَا تَكُونُ إِلَّا شِعَارٌ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

- وقوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَاتِلٌ يَرْصُدُ لِمَن يَأْمُرُهُ اللَّهَ يُحْذِرُ لِمُنْذَرٍ﴾ [الأنبياء: ٢١]؛ برأه به؛ مُحذَرٌ مِنَ الْعَرْشِ؛ لأنه أَمْرٌ مَا نَزَلَ مِنَ الْكِتَابِ مِنَ الْعَرْشِ؛ كما قاله إسحاق بن راهويه^(٢).

والنزول قد يتكرر، فيسمى آخرها: أخذتها؛ فإله تعالى ينزل كل ليلة نزولاً يُلْقِي به وحده، ونزولته الليلة أحدث من نزوله ليلة أمس.

وقد وصفت الله بعض كلاميه بالسبقي بقوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ [البقرة: ١٩]، ومورد: ١١٠، وطه: ١٢٩، ولعلست: ٤٥، والطور: ١٦٤، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

(١) مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة. (٢) مسائل حرمية (١٨٠٥).

ويقابله قوله تعالى: ﴿بِمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٥].
 (١٦) عمران: ١٦١؛ فهنا حدوث النجوى لكلام الله وهو جلته، وهكذا يكون
 في الصفات العقلية بين الخلق والرزق، والإحياء والإماتة، والقبض
 والبسط، ثم إن غضب الله على فرعون سابق لغضبه على أبي لهب.

وكلمة: ﴿تَحَكَّنَ﴾ [الأنبياء: ٢، والشورى: ٥] في الآية: لا يراد بها
 المعنى الاصطلاحي عند المتكلمين الذي أضلوه على المخلوقات؛ فنزلوه
 على الخالق، فغلّب هذا المعنى لقلوبهم؛ ولهذا كان بعض السلف ينهى
 عن وصف القرآن بـ: «مُحَدَّث»؛ كقبيصة؛ فقد كان يقول: «من قال:
 «مُحَدَّث» فهو يقول: إنه مخلوق»، ومن قال: إنه مخلوق، فهو كافر
 بالله^(١).

ومهما كان القرآن على جهة أو تصريف - مسموع أو مكتوب، أو
 مقروء أو محفوظ أو متبصر - فهو كلام الله غير مخلوق، ومن الله،
 وربما يتهيب الإنسان لأجل خيال المماثلة والتشبيه من قول ذلك،
 فيستبشع الكلام بما ورثه بالنصر؛ ولهذا كان أحمد يقول لبعض
 أصحابه: «لا تجزّع أن تقول: ذلك كلام الله ومن الله، ومن
 ذات الله»^(٢).

وفي خبر ابن عباس: (أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ)^(٣): دليل على أن
 كلأمة غير مخلوق؛ لأن الله لم يخل من الكلام والعلم؛ فلا يقال: إن الله
 لم يتكلم إلا بعد خلق القلم، ولكن كلأمة غير مخلوق، وهو من
 ذات الله؛ ولهذا لا يُذكر في مخلوقاته.

(١) «الشفقة للخلال» (١٩٤١).

(٢) «الشفقة للخلال» (١٩٤٤).

(٣) ابن أبي شيبة (٢٣/٢٧ و ٢٧/٢٧).

❦ صفة التجلي هو تعالى:

❦ قال ابن عربي: ﴿وَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ فَصَارَ دُكَّانًا مِنْ جَلَالِهِ﴾:

تجلي الله للجبل: حقيقة تلويق به، لا كتجلي المخلوقين؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى تَلْوَهُ يَسْجُدْ سَجْدًا وَحِيدًا﴾ [الاعراف: ١٨٢]، والتجلي: صفة فعلية خبرية، وهي بمعنى الظهور والبيان^(١)، ومقتضى اللسان العربي: عخله على ذلك؛ فالقرآن نزل به، وقد جاء إثبات التجلي على الحقيقة في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، في «المسند»^(٢).

وعلى هذا المعنى من الإثبات يجري السلف وأهل الشئ؛ فلا يتأولون ما ورد على معنى يتكلفونه ليخرجوا به عن المعنى المتوهم الذي يحطرون.

وقد قال ابن عبد البر: «وقول رسول الله ﷺ: ﴿يُنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الْاُولَى﴾، عندهم مثل قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى تَلْوَهُ يَسْجُدْ﴾ [الاعراف: ١٨٢]، ومثل قوله: ﴿وَبَكَرَ رَبُّكَ وَاللَّيْلُ سَمَاقًا﴾ [الفجر: ٢٢]؛ كلهم يقول: ينزل ويتجلي ويحي، بلا كيف، لا يقولون: كيف يحي؟ وكيف يتجلي؟ وكيف ينزل؟ ولا: من أين جاء؟ ولا: من أين تجلي؟ ولا: من أين ينزل؟ لأنه ليس شيء من خلقه، وتعالى عن الأشياء، ولا شيء له.

وفي قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى تَلْوَهُ يَسْجُدْ﴾ دلالة واضحة أنه لم يكن قبل ذلك متجليا للجبل، وفي ذلك ما يفسر معنى حديث التنزيل.

(١) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٧٧).

(٢) أسد (٢/ ١٢٥ و ٢٠٩ رقم ١٢٢٦٠ و ١٢١٧٨).

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقِفَ عَلَى أَقَابِلِ الْعُلَمَاءِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَجَّى
رَبُّهُ، بِالْحَكْلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ فَلْيَنْظُرْ فِي تَفْسِيرِ يَنْجِي بِنِ مَحَلُّو، وَمَحَلُّو بِنِ
جَرِيرٍ، وَلَقِفْتَ عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ ذَلِكَ، قَعِيمًا ذَكَرْنَا مِنْهُ كِتَابُهُ^(١).

❦ صِفَةُ نُزُولِ اللَّهِ تَعَالَى:

وَيُثَبِّتُ النُّزُولُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِلَا تَأْوِيلَ
وَلَا تَشْبِيهِ، وَلَا تَكْيِيفَ وَلَا تَعْطِيلَ، وَمَنْ يَتَأَوَّلُ النُّزُولَ أَوْ يَعْطِلُهُ يَسْتَحْضِرُ
أَحْوَالًا تُشَابِهُ الْمَخْلُوقَ، وَالْحَرَكَةُ وَالْإِنْتِقَالُ لَمْ يَرِدْ بِهَا النَّصُّ، فَتَرْكُ،
وَلَا ثُبُتٌ وَلَا تَنْفِيٌّ، وَلَوْ كُنَّا عَلَى النَّصِّ؛ كَمَا كَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ يَأْتُرُ
بِذَلِكَ، يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: «كُنْتُ أَنَا وَأَبِي فِي الْمَسْجِدِ، فَسَمِعَ
قَاصِدًا يَقُصُّ فِي حَدِيثِ التَّزْوِيلِ؛ فَقَالَ: «إِذَا كَانَ لَيْلَةُ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ،
يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا بِلَا زَوَالٍ، وَلَا انْتِقَالٍ، وَلَا تَغْيِيرَ حَالٍ»؛ طَارَتْهُ
أَبِي وَاصْفَرَّ لَوْنُهُ، وَلَزِمَ يَدِي، فَأَمْسَكْتُهُ حَتَّى سَكَنَ، ثُمَّ قَالَ: قِفْتَ بِنَا عَلَى
هَذَا الْمُنْخَرِصِ، فَلَمَّا حَافَا، قَالَ: يَا هَذَا؛ رَسُولُ اللَّهِ أَغْيَرُ عَلَى رَيْكَ
مَنْ؛ قُلْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَانصَرَفَ^(٢).

وَمِنْ الْأَثْمَةِ: مَنْ يُثَبِّتُ ذَلِكَ؛ كَحَرْبِ الْبُخْرَمَانِيِّ^(٣)، وَعُثْمَانَ
الْبَارِمِيِّ^(٤).

وَمِنْهُمْ: مَنْ يَنْفِيهِ؛ كَأَبِي الْحَسَنِ التَّمِيمِيِّ^(٥)، وَأَبِي مُحَمَّدٍ عَمِّي بْنِ
أَبِي طَالِبٍ فِي كِتَابِ «الْهَدَايَةِ»، إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ^(٦)، وَمِنْهُمْ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ^(٧).

(١) «التَّوْبَةُ» (١٥٣/٧).

(٢) «مَسَائِلُ حَرْبٍ» (٢٦/١٥٦٠).

(٣) «الْقَضَى» (١/٢١٥) وَ (٣٥٩ - ٣٥٦).

(٤) «مَجْمُوعُ الْفَوَائِدِ» (٤٠٢/٥).

(٥) «الْهَدَايَةُ» (١/٢٠٩) وَ (٦٩٠)، وَ (١٣/٧٦٧ - ٧٦٨).

(٦) «التَّوْبَةُ» (٧/١٣١ - ١٣٧).

وطائفة ثالثة: تُثَبِّتُ المعنى، وتتوقَّفُ عن اللفظ؛ لعنَمِ ورويه^(١).

والإسالكُ من الزيادة على النصِّ أَحْوَذُ؛ كما فقَهُهُ أَحْمَدُ؛ وهذا لا يُنافي الحقيقةَ بِأَثْبَاتِ النزولِ والتجليِّ طَوْ حَقِيقَةً؛ بَلَا تَأْوِيلَ وَلَا تَشْبِيهِ وَلَا تَكْيِيفَ.

والزيادةُ على النصِّ قد تُدْفَعُ صاحبُهَا إلى تأويلِ صفاتٍ أُخْرَى من حَقِيقَتِهَا أَوْ الْقَوْلِ بِمَا لَمْ يَرِدْ فِيهِ النَّصُّ؛ كِمَسْأَلَةِ خَلْقِ الْمَكَانِ عِنْدَ النَّزُولِ؛ فَلَمَّا سُئِلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ؛ فَقِيلَ لَهُ: «كَيْفَ يَنْزِلُ اللَّهُ؟» أَلَيْسَ يَخْلُقُ ذَلِكَ الْمَكَانَ؟ فَقَالَ: يَنْزِلُ كَيْفَ شَاءَ^(٢)؛ فَلَمْ تُدْفَعْ ابْنُ الْمُبَارَكِ زِيَادَةَ السَّائِلِ عَلَى النَّصِّ إِلَى تَأْوِيلِ الصِّفَةِ، بَلْ أَثْبَتَهَا، وَأَرْجَعَ السَّائِلَ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ، بِمَا تَضَمَّنَ تَحْقِيقَةُ السَّائِلِ.

وَمَنْ أَثَبَتَ صِفَةَ الْإِسْتَوَاءِ وَالنَّزُولِ عَلَى حَقِيقَةٍ ثَلَاثًا يَالَهُ لَا كَمَا يَلِيْقُ بِالْمَخْلُوقِ، لَا يُبَدِّعُ لِنَفْسِ الْحَرَكَةِ وَالْإِنْتِقَالِ، وَإِنْ كَانَتْ السُّئَةُ الْوُقُوفُ عَلَى النَّصِّ؛ وَقَدْ سَأَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ إِسْحَاقَ مَسْتَشْفِرًا عَنِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا: يَصْعَدُ، وَيَنْزِلُ؟ فَقَالَ إِسْحَاقُ: «تَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْزِلَ وَيَصْعَدَ وَلَا يَحْرُكُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَلَمْ تُشْكِرْ^(٣)، ١٩.

وَالْمَتَكَلِّمُونَ يَتَأَوَّلُونَ النَّزُولَ وَالْمَجِيءَ وَغَيْرَهُمَا لِاسْتِحْضَارِ مَا لَا يَرَوْنَ صِحَّةَ نِسْبِهِ لِلْخَالِقِ، وَلَوْ سَلِمُوا مِنْ هَذَا الْاسْتِحْضَارِ الْمَبْنِيِّ عَلَى الْقِيَاسِ لَصَحَّ لَهُمُ الْإِحْتِقَادُ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يُظَاهِرُونَ التَّأْوِيلَ وَيَكْتُمُونَ التَّوَهُّمَاتِ، وَهِيَ أَصْلُ مَا ظَهَرَ مِنْ تَأْوِيلِهِمْ، وَكَانَ الْأَثْمَةُ يُنْتَبِهُنَّ التُّزْوِيلَ حَقِيقَةً وَيُظَاهِرُونَ عَلَى بُطْلَانِ تَأْوِيلِهِمْ لَهُ؛ كَمَا قَالَ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيُّ فِي

(١) المعْرِفَةُ السَّلَاقَةُ لِلصَّابِلِي (ص ٥١).

(٢) الْمَوْضِعُ السَّابِقُ.

(٣) فَرْحُ أَصُولِ الْإِحْتِقَادِ (٧٧٤)، وَطِلَالُ التَّأْوِيلَاتِ (٢٢٢).

أصول الدين - لَمَّا اثْبَتَ النزول حقيقةً :- لا بمعنى نزول رحمته ونوابه على ما اذهبت المعتزلة والأشعرية^(١).

﴿القرآن كلام الله غير مخلوق﴾:

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ قَبِيضٌ، وَلَا صِفَةٌ لِمَخْلُوقٍ يُقْبَضُ»﴾:

أراد ابن أبي زَيْدٍ أَنْ العرفاء بكلام الله: هو ما بين أيدينا من المسموع والمتلوّ، والمكتوب والمحفوظ، وليس قَصْرُهُ على ما في النَّفْسِ، فَإِنَّ هَذَا الْقَصْرَ لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ فِي كَلَامِ السَّلَفِ، وَكَلَامُهُ هَذَا مَأْخُودٌ مِنْ كَلَامِ مَالِكٍ؛ كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ فِي «الجامع»: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَكَلَامُهُ لَا يَبِيدُ وَلَا يَقْبَضُ، وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ»^(٢).

لأنَّ الله باقٍ، فيبقى كلامه، وليس بمخلوقٍ، حتى يخلق كلامه، وحكم الصفوة حكم الذات، ومن قال بخلق الصفوة، فليزعمه القول بخلق الذات؛ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وَالسَّلَفُ يَعْلَمُونَ: أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ هُوَ هَذَا الْخَارِجُ مِنْهُ الْمَسْمُوعُ وَالْمَقْرُوءُ، وَالْمَكْتُوبُ وَالْمَحْفُوظُ، وَلَيْسَ الْكَلَامُ النَّفْسِيُّ فِي الذَّاتِ؛ كَمَا يَقُولُ بَعْضُ الْمُشْكَلِّمِينَ^(٣)، وَلِهَذَا نَقَلَ عَشْرُونَ بَيِّنَةً مَا أَفْرَكَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ؛ وَهُوَ: «أَنَّ اللَّهَ الْخَالِقُ، وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ؛ إِلَّا الْقُرْآنُ؛ فَإِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، مِنْهُ غَرَجٌ، وَإِلَيْهِ يَهْوَدُ»^(٤)، وَنَحْوُ هَذَا قَالِ ابْنُ عُثَيْمَةَ: «الْقُرْآنُ

(١) «أصول الدين» (ص ١٢١).

(٢) «الجامع» (ص ١٢٣).

(٣) «الإحصاء للباقلاني» (ص ١٠١، ١٠٢، ١٠٣)، و«غاية المرام للأمدّي» (ص ٨٨).

(٤) «الرد على الجهمية» للشافعي (٣١٤)، و«مسائل حرب» (١٨٢١).

يُخْرِجُ مِنَ الْإِسْلَامِ^(١٦)، وَيُحْيِيهِ قَالَ أَحْمَدُ^(١٧)، وَكَوْنُهُ مَسْمُومًا وَمَقْرُومًا لَا يَعْنِي: أَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُ، أَوْ أَنَّهُ بَائِنٌ عَنْهُ، كَمَا قَالَ أَحْمَدُ^(١٨): «كَلَامُ الْإِسْلَامِ مِنْهُ، وَلَيْسَ بِبَائِنٍ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ».

وَقَوْلُ يَسْرُبُ مِنَ الْحَارِثِ الْحَافِي: فَتَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ وَيَخْلُقُ، وَقَوْلُهُ يَقُولُ، وَخَلَقَهُ خَلَقَ، وَقَوْلُهُ بَارِئٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلَقَهُ بَارِئٌ مِنْ قَوْلِهِ⁽¹⁾.

وقولهم هذا دفعا لتوهم أن المسموع والمقروء والمكتوب يجعله
سَمْعُهُ وقراءته وكتابه مخلوقا، بل هو مبين للمخلوق، وهذا لا يقال لما
قام بهات الله، كما يقول المتكلمون من الكلام النفس، لأنه لا يؤهم
شئ.

﴿ الإِيمَانُ بِالْقُرْآنِ ﴾

﴿قَالَ إِنِّي أَنزِلُكَ فِيهَا﴾ «وَالْإِيمَانُ بِالتَّقْدِيرِ خَيْرٌ مِنْ شَرِّهِ وَخُلُوعٌ وَتَمَرُّ، وَفُحْلٌ ذَلِكَ فَلَا قُدْرَةَ لِلَّهِ وَتَجَا، وَمَقَالِيدُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ، وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِهِ»:

والإيمان بالقدر خيره وشره واجب؛ كَمُلْ عِلْمُ اللَّهِ، فَكَمُلْ تَقْدِيرُهُ؛
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدْرَةٌ قَيُّومٌ﴾ [الفرقان: ٢٦]، وَقَالَ: ﴿لَا كَلَّ لَهُ شَيْءٌ قَدْرَهُ﴾ [النمل: ٤٩]، وَقَالَ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ بِقَدَرٍ مَقْدُومٌ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وعندما سُئِلَ النبي ﷺ عن الإيمان، قال: (الإيمان: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَنِعَالَيْهِ وَتُحِبَّ وَتُؤْمِلَ وَتُؤْمِنَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَتُؤْمِنَ بِمَا نَزَلَ مِنْ رَبِّكَ وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ لَكَ شَيْئًا مِمَّا تَتَّقَى) وقال ﷺ: (أَعْلَمُ شَيْئًا بِقَدْرِ حَقِّ التَّوَكُّلِ وَالْكَفَرِ).^(١١)

(T) μ is the mean of the population (1989).

09/17/2013 09:00 AM

(٢٢) دفتر عمومي الاعمال (٢٢٧٢).

(1) فليم شرقة (٢١٦)، وفي العلوم (١٦٥)، وفي الأركان، فم. صفات رب العالمين (١٧).

(۵) مسلم (۸) من حديث عمر، (۶) مسلم (۲۶۵۵) من حديث ابن عمر،

ولا يَحْتَلِفُ السَلَفُ أَهْلُ السُّنَّةِ فِي ذَلِكَ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، وَغَيْرُهُ^(١)، وَقَدْ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَسْمِي الْقَدْرَ: «نِظَامَ التَّوْحِيدِ»^(٢).

وَقَطَرَةُ الْإِنْسَانِ قَاطِعَةٌ بِالْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ كَمَالِهِ الْخَالِقِ كَمَالٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَثُرَ عِلْمُهُ، كَثُرَ تَقْدِيرُهُ وَتَدْبِيرُهُ لِمَا خَلَقَ، وَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ حَتَّى فِي الْجَاهِلِيَّةِ تُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ، وَلَا تَكْتَلِبُهُ؛ وَقَدْ قَالَ عَمْرُو بْنُ كُلثُومٍ:

وَأَنَا سَوِّفُ تُدْرِكُنَا الْمَتَانَا مُقْدَرَةً لَنَا وَمُقْدَرُونَ^(٣)
وَيَقُولُ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ:

.....
إِنَّ الْمَتَانَا لَا تَطْيِشُ سَهَانَهَا^(٤)
وَيَقُولُ عَتْرَةُ:

يَا عَيْلَ أَبْنِ مِنَ الْمَتَانَةِ مَهْرِي إِنَّ كَانَ رَمَى فِي السَّمَاءِ قَضَاهَا^(٥)

وَيَقُولُ هَانِئُ بْنُ مَسْعُودٍ الشَّيْبَانِيُّ لَمَّا خَلَبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي يَوْمٍ ذِي قَارٍ: «إِنَّ الْقَدْرَ لَا يُتَّجَى مِنَ الْقَدَرِ»^(٦).

وَيُرَوَّى فِيهِ حَدِيثُ مَرْفُوعٌ: «لَا يُخْضَى خَلْوٌ مِنْ قَدَرٍ»^(٧)، وَهَذَا نَظِيرُ مَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «إِنَّمَا جَاءَ الْقَدْرُ حَالِ دُونَ الْبَصَرِ»^(٨).

(١) «الاستبصار» (١٨/٢٦٠ و ٢٦/٩٥)، وشرح النووي (١/١٥٥ و ١٦/١٩٥ - ١٩٦)، وفتح الباري (١١/٤٧٨).

(٢) «القدر» للقرطبي (٢٠٥)، وشرح أصول الاعتقاد (١٢٢٤).

(٣) «شرح القصائد المشهورة» (٢/١١٧)، وشرح التعليقات السبع للزوزني (ص ٢١٦)، وشرح القصائد المشهورة للتهريزي (ص ٢١٩).

(٤) «ديوان لبدا» (ص ١٧/عار صادر)، (٥) «ديوان عترة» (ص ٩٢).

(٦) «أحاديث الثقات» (١/١٦٩).

(٧) «الدعاء للطبراني» (٣٣)، و«المستدرك للحاكم» (١/٤٩٢) من حديث عائشة.

(٨) ابن أبي شيبة (٣٢٥/٢)، والحاكم (٤٠٥/٢).

وكلُّ مَنْ صَحَّ لَهُ الْعَقْلُ، كَتَبَ أَنَّ مَنْ ثَبَّتَ لَهُ كِمَالُ الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ يَثْبُتُ لَهُ كِمَالُ التَّقْدِيرِ، وَهَذَا الْكَوْنُ وَالْخَلْقُ بِنِظَائِهِ وَدَقِّقِهِ وَثَبَاتِهِ، وَتَلَاوُظِ أَسْبَابِهِ بِمُسَبِّبَاتِهِ، أَمَّا لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ، لَا يَكُونُ إِلَّا بِتِمَامِ عِلْمِهِ، وَاحْتِكَامِ خَلْقِهِ، وَدَقِّقِ تَقْدِيرِهِ.

وقد جعلَ اللهُ ذَلِكَ الْخَلْقَ مِتْلَافًا مَعَ الْعِلْمِ وَالتَّقْدِيرِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ وَتِلْكَ الْأَرْضُ يَبْدُوَنَّ لِلنَّاسِ كَأَنَّهُ وَاحِدٌ كُلٌّ لَهَا لَوْحٌ وَاحِدٌ وَاللَّهُ يَخْتَصِرُ الْوَسْطَى وَالْأَرْضُ كَأَنَّهُ ظِرَّةٌ وَهُوَ السَّمَاءُ كَأَنَّهُ زُرُبَانٌ وَمَعْلُومٌ مُبِينٌ﴾ (الأنعام: ١٢).

وإذا كانَ هُوَ كِمَالُ الْعِلْمِ وَالتَّقْدِيرِ، فَلِلَّهِ ثَبَاتٌ لَهُ التَّقْدِيرُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْتَرُ إِلَّا عَالِمٌ قَادِرٌ، وَمَنْ نَفَى التَّقْدِيرَ، فَيُلْزَمُ بِنَفْيِ الْعِلْمِ وَالتَّقْدِيرِ؛ فَالْقَادِرُ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْأَعْلَمُ بِهَا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (المعارج: ١٢)، وَقَالَ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا دِينًا مِثْلَ دِينِ اللَّهِ كَفًّا لَمْ يَخْلُقْهُمْ أُولَئِكَ أَعْمَى لَهُمْ أَعْيُنُهُمْ أَغْمِيَتْ وَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام: ١٠١)؛ وَالْعَالِمُ وَالْقَادِرُ هُوَ الْمُقَدِّرُ لَهَا أَعْمَالُهَا، وَالْمُدَبِّرُ لَهَا أَرْزَاقُهَا، وَنَظَامُ حَيَاتِهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَمْلِكُ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ عَذَابًا يُعَذِّبُكُمْ بِهِ فَلَهُ اتَّخَذَ الْأَنْبِيَاءُ أَلْوَانًا مِمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٢).

وقد كانَ طَيْرٌ وَاحِدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَأَحْمَدَ، يَسْتَبِي الْفَتْرَ: «الْفَتْرةُ الْهَوِيَّةُ»^(١). وَكَانَ مَالِكٌ يَشْفُقُ عَلَى مُنْجِي الْقَدَرِ، وَدَرَى أَنَّهُمْ يُسْتَبَاهُونَ؛ فَإِنْ نَابُوا، وَإِلَّا فَيُلْتَوَى، وَكَانَ لَا يَرَى الصَّلَاةَ خَلَقَتْهُمْ، وَلَا يَرَى تَزْوِجَهُمْ؛ وَيَسْتَدِلُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانَ اللَّهُ مُبْصِرًا فَاعْلَمْ﴾ (البقرة: ٢٦١).

تقدير الخير والشر:

وكلُّ شَيْءٍ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ؛ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا؛ كَمَا فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ:

(١) (الشُّكُّ لِلْعَلَلِ (٩٠٤).

قال **ع**: (وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرًا وَشَرًّا)^(١)، ويُروى في حديث جابر؛ قال **ع**: (لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرًا وَشَرًّا)^(٢).

والله لا يفتقر لعباده شرًا محضًا، كما أنه لا يخلق شرًا محضًا ولا راجعًا على الخير ولا مساويًا له، إلا وهو يؤول إلى خير في صميمه، وقد يرى العباد وجهًا من وجوه التدبير، فيرون شرًا محضًا أو غالبًا أو مساويًا، ويغفل عنهم ما لو رأوه، لتعلموا عظيم خلق الله وتقديره وحكمته.

وقد شرع الله الاستعاذة من الشرّ النسي الذي يراه العبد من القضاء عليه؛ كما في «الصحيحين»؛ قال **ع**: (تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَفَرِّكِ الشَّقَاءَ، وَسُوءَ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ)^(٣).

والعقل قبل النقل دال على أن الخالق لا يخلق شرًا محضًا، بل يُقر بهذا فلاسفة؛ كَبَارِزُ سِيئُونَا؛ كما في «الرسالة الموجزة في الله والإنسان»، وكان من أصل يهودي، فيرى بُؤْسَ الشَّرِّ في الدنيا؛ لأن إدراك الناس ضعيف محدود؛ لكونه ينظر من ناحية؛ فينقص نظرة للأحداث؛ حيث يتلقى الشر من ناحية التي يرى فحسب.

ومن لم يسلم للنقل، لم يستقر له رأي على قدم؛ فالعقول مهما بلغت، تتباين نتائجها في الأمر الواحد:

فأفلا حول يرى الشر من الجهل، ليس من الآلهة وتفسيرها، وسفراط يفي القدر كله.

(١) مسلم (٨) من حديث عمر. (٢) الترمذي (٢١١٤).

(٣) البخاري (٦٣٤٧، ٦١١٦)، ومسلم (٢٧٠٧) من حديث أبي هريرة.

﴿ لَا يُنْسَبُ الشَّرُّ إِلَى اللَّهِ ﴾

وليس من الأدب مع الله نسبة الشر إليه على سبيل التخصيص، وقد قال النبي ﷺ: «كما في مسلم»: (وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ) (١).

ومن أدب إبراهيم الخليل مع ربه: قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ (الشعراء: ٨٠) فنسب المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله، مع أن كل شيء من الله.

وكذلك في قول الخبير لما كان يخرق السفينة، وظاهرة شرًا قال: ﴿لَمَّا كَثُفَتْ تُكَاتٍ يَسْكُونُ فِي الْخَرِّ طَرْدٌ لَنْ لَيْسَ﴾ (الكهف: ١٧٩) فنسب عيبها إلى نفسه، ولكنه لما ذكر الخير الحاصل للعلامة، نسب إلى الله فقال: ﴿هَلَاكَ دُكَّ أَنْ يَلْمَأَ أَتَدْعُنَا وَمَسْخَرًا كَرَفْنَا﴾ (الكهف: ٨٢)، مع أنه هو الذي عرق السفينة، وهو الذي أقام الجدار، ولكن الله جعله سببًا، والله لا يفتل شرًا محضًا، فنسب الخير إلى الله، ونسب الشر الظاهر إلى غيره.

والشبهة التي جعلت قلعاء الفلاسيقة من أرباب الجمل، يتفنون علم الله بخلقهم، هي وجود الشر في الكون، وقد بين مذهبهم وشرحه ابن ميمون القرطبي الفيلسوف اليهودي (٢).

وقد فر بعض الفلاسفة والمتكلمين إلى نفي نسبة تقدير الشر إلى الله، وأراد تنزيه الله، فوقع فيما هو أعظم من ذلك، وهو: أن يجعل في الكون مدبرًا وغالبًا غير الله، وأنه يكون في كونه ما لا يبيده، فيعضى وهو لا يبيد المصيان قتلًا، تعالى الله عن ذلك.

(١) مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب.

(٢) أدلة الحائرين (١٨/٣ - ٥٢٠).

ولم تكن العرب تعرف إنكار القدر حتى دخلت فيهم العلوم
الفلسفية والكلامية، اليونانية والفارسية والهندية؛ فظهرت في القدر في
العراق والشام قبل غيرها.

وكان أول من أشهر القدر: مَنبَذُ الجَهَنِيِّ، وقد أخذهُ من نصراني
يقال له: سَوسَن^(١)، ولم تكن النصارى على قول واحد في القدر:
فمنهم: جَبْرِيَّةٌ؛ كَالْأَسْكَوَرِيِّينَ.

ومنهم: مُدْرِيَّةٌ؛ كَالْبَغْدَادِيِّينَ.

ومنهم: مُتَوَسِّطُونَ؛ كَالْأَوْغُسْطِينِ.

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْقَدْرِ، قَرَّمَ زَوَالَ أَشْيَاءَ عَظِيمَةٍ لَا يَصُحُّ بِزَوَالِهَا إِيمَانُ؛
فَلَا يَصُحُّ مِنْ نَافِي الْقَدْرِ تَوَكُّلٌ عَلَى اللَّهِ، وَلَا رَجَاءٌ، وَلَا دَعَاءٌ لَهُ،
وَلَا رِضًا بِمَا يُنْزِلُ مِنَ الْبَلَاءِ؛ إِذْ كَيْفَ يُسْأَلُ مَنْ لَا يَقْبِضُ عَلَى الْعَطَاءِ
وَالِاخْتِيَارِ فِي الْكُونِ؟^(٢) وَكَيْفَ يُتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَيُتَرَجَّى وَيَرْضَى عَلَى تَقْدِيرِهِ،
وَهُوَ لَمْ يَفْقَرْ؟^(٣)

الجدال في القدر:

وَالْقَدَرُ: مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ الَّتِي لَا يَجُوزُ الْخَوْضُ فِيهَا بِغَيْرِ مَا وَدَّ فِي
الْشَّرْحِ؛ فَلَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ أَنْ يَصِلَ إِلَى غَايَتِهِ وَنَتِيجَتِهِ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا،
وَالْعَقْلُ إِنَّمَا تَبَحَّثَ فِي مُمَكِّنَاتِ الْإِدْرَاكِ الْعَقْلِيِّ، لَا فِي مُحَالَاتِهِ، فَيَتَحَنَّنُ
فِي مُحَالَاتِهِ لَيْسَ لَهَا؛ فَإِنَّهُ نَهَى عَنِ الْخَوْضِ فِي كُلِّ مَا لَا سَبِيلَ
لِلْإِدْرَاكِ، وَلَا الْعِلْمَ بِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقَفْ مَا كُنْتَ لَكَ بِهِ بِعِلْمٍ﴾
[الاسراء: ٣٦].

(١) «القدر» للقرطبي (٣٤٨)، وشرح أصول الاعتقاد (١٣٩٨).

والنهي عن بحث غيب القدر إنما هو المعجز العقلي عن إدراكه، لا لكونه في ذاته لا يُدرَك؛ فاطَّ يَعْلَمُهُ؛ لأنه مَفْتَرُهُ، وقادرٌ سبحانه أن يجعل مَنْ شاء بين خلقه مُدْرِكًا له، ولكنه جعل ذلك في بيِّنةٍ بيِّراً يُؤمِّنُ به، ولا يُبْحَثُ عنه.

ولهذا جاء الوحي بالإيمان بالقدر فقط، وجاء في الأدلَّة ما يقتضي الإمساك، بل وبأمر به؛ فقد كان النبي ﷺ يُسأل عن المعالي والفناء، فيقول: (اسْتَلُوا؛ لِكُلِّ مُبَشِّرٍ لِمَا خَلِقَ لَهُ)^(١)، وقد دخل على أصحابه وهم يتنازعون في القدر، فاحترَّ وجهه، وقال: (أَبْهَذَا أُمِرْتُمْ؟) أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ؟ إِنَّمَا هَؤُلَاءِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ^(٢)، ويُروى عن ابن مسعود: (إِنَّا دُكِرَ الْقَدْرُ، فَأَنبَسَكُوا)^(٣)، وهو كما قال ابن عبد البر: «لا يُدْرَكُ بِجَهْدٍ، ولا ينفي منه مقال»^(٤).

﴿أَفْعَالُ الْعِبَادِ وَخَلْقُهَا﴾

وأفعال العباد مخلوقةٌ كقولهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ١٦]، وأفعالهم شيء، و﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، ولكن قَوْلَهُمْ خُلِقَتْ بلا اختيارٍ منهم، وأما أفعالهم، فخلقت باختيارهم، والقرآن مليءٌ بالدلائل على ذلك، وتلك الآيات الدالة على خلق أفعال العباد، هي أثقلُ الآيات على المعتزلة؛ حتى كتب القاضي عبد الجبار كتابين؛ تعسفًا وتكليفًا في تأويلها وتحريفها^(٥).

(١) البخاري (٤٩١٥)، ومسلم (٢٦١٧) من حديث علي.
 (٢) الترمذي (٢١٣٣) من حديث أبي هريرة.
 (٣) الطبراني في «الكبير» (١٩٨/١٠) رقم (١٠٤٤٨) من حديث ابن مسعود مرفوعاً.
 (٤) «المهتدة» (١٣٩/٢) و(١٣٩/١) - (١٤٠).
 (٥) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص ٣٢٣)، والمغني في أبواب المصلحة (٣/٨).

ولم يكن السلف وأئمة الصلوة الأولي يشككون في خلق أفعال العباد، حتى قيل بنفي القدر؛ فثبت القول بخلق العباد لأفعالهم، وقد قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ صَائِعٍ وَصَنَعَهُ)^(١)، وقال حذيفة: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ صَائِعَ الْكَرْمِ وَصَنَعَهُ)^(٢).

وقد نشأ القول بنفي القدر في المشرق، ولم يكن معروفاً في المغرب، حتى انتقلت أقوال المعتزلة إلى المغرب، وكان الأئمة يذكرونه على من أظهره فيهم، وقد كان محمد بن سحنون يقول في رد قول بعض أهل الاعتزال: «الإقرار بغير مخلوق، وما سوى ذلك من الأفعال مخلوقة»^(٣).

وجعل الله للمكلفين شيئاً يختارون بها الخير والشر، ثم يحاسبهم على ما اختاروه، فإذا ارتفع الاختيار منهم، ارتفع التكليف عليهم؛ كالفرق بين القائم والتائم، والعاقلي والمجنون، والعايد والمخول، والذكي والناسي، والعالم والجاهل؛ فهؤلاء قد يتساوى تصرفهم في الظاهر بالنسبة بفعل المحذور، وترك المأمور؛ فيحاسب الأول، ولا يحاسب الثاني؛ لأن الاختيار في الأول وجد، وفي الثاني لمجد؛ فثبت الحساب والعقاب، وجواً وحكماً.

﴿أمر الله ونهيه وقدره، وتوهم بعض النفوس الظلم:

وقد توهمت القدرية - من المعتزلة وغيرهم - أن القول بإلزام القدر يلزم منه القول بقلم الله لعباده؛ فيكون ذلك حجة للعباد على

(١) «خلق أفعال العباد» (١٢٤)، «والشئ لا ين أبي حنيفة» (٣٥٢ و ٣٥٨) من حديث طيفه مرفوعاً.

(٢) «خلق أفعال العباد» (١٢٥).

(٣) «فرياض النفوس» (١/ ١٥٤).

رَبُّهُمْ، فيريدون تنزيه الله عن فعل القبيح مِنَ الظلم والتعسف، فَعَزَّوْا الْفَقْرَ بِشَيْءٍ مِنْهُمْ دَخَلُوا فِيهِ، فَشَبَّهُوا قَلْبَ اللهِ بِأَكْرَأِ المخلوقِ للمخلوق.

والتشبيهُ الموقوفُ: أصلُ ضلالٍ الفِرَقِ في الله، وفي أسمائِهِ وصفاتِهِ، قال الله مَثَبًا لِقَدَرِهِ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ وَقَدَرْتُ﴾ [التكوير: ٤٩]، وقال مَثَبًا لِحُجَّتِهِ النَّاتِيَةِ عَلَى الخَلْقِ: ﴿وَقَفَّوْا أَلَمِيَّةً أَلِيمَةً﴾ [الأنعام: ١١٩]، وقال نافيًا الظلمَ عن نفوسِهِ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سجدة: ٤٦].

ولا يُلْزَمُ من إثبات ما في هذه الآيات القولُ بالتناقض، وقد كان تورُّطُ الظلمِ يُلْغَى في بعضِ الفوسى حتى في الصلحِ الأوَّلِ، وذلك لضعفِ العقلِ وقصورِهِ عن فهمِ دقائقِ القلمِ وبرِّهِ:

ففي صحيح مسلم، عن أبي الأسود الدبيلي، قال: قال لي جبران بن الحَضِيثِي: أَرَأَيْتَ مَا يَفْعَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْذِبُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَنُصِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرٍ مَّا سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يَسْتَقِيلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نُبَاهُ، وَبَيَّنَّتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟

فقلت: بل شيءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَنُصِيَ عَلَيْهِمْ.

قال: فقال: أَنَا بِكَوْنِ كُلِّمَا؟

قال: فَفَرَعْتُ فَرَعًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَ اللهُ، وَمِلْكُ يَبُورٍ لَمْ يَسْتَلْ عَنَّا بِفَعْلٍ وَنُفٍّ يَسْتَلُوتُ﴿ [الأنبياء: ١٢٢].

فقال لي: يَرْحَمُكَ اللهُ، إِنْ لَمْ أَرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَخْرِجَ عَنْكَ^(١).

وكان الأئمَّةُ مِنَ السَّلفِ - وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الحديثِ والفقهِ والعربِيَّةِ - يُفَرِّغُونَ أَنْ لَا تَنَاقُضَ بَيْنَ الإِيمَانِ بِالْقَلَمِ، وَبَيْنَ إِيْجَابِ الْعَقْلِ

والحساب عليه؛ يقول أبو عمرو بن العلاء: «أشهد أن الله يُخِيلُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَلَهُ عَلَيْنَا الْحَقُّ، وَمَنْ قَالَ: ثَقَالُ أَخَابِكَ، قُلْتُ لَهُ: أَهْنِي مَنَّا فَتَسْكُ^(١)؛ ثُبُتَ الْقَوْلُ، وَتَمَيَّكَ عَنْ الْجِدَالِ فِيهِ.

وكان ابنُ العلاء - وهو من أهل القرن الثاني - من أعلم أهل العربية باللسان، وحُفَّةِ علته العريضة عاتقة من كلام وبيان الجاهليين ونصائحهم؛ قال الأصمعي: «جَلَسْتُ إِلَى أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ عَشَرَ صَبَاحٍ، فَلَمْ أَسْمَعْهُ يَخْرُجْ بَيْتَ إِسْلَامِي^(٢)».

ويحوي هذا قال يونس بن حبيب لما سُئِلَ عن القدر؟ قال: «لَا يَفْكَرُ لِي فِيهِ»^(٣).

❦ العلم بالأسباب لا يُخرج صاحبه من قَلْوِ الله:

وَلَا يُعِينُ أَنْ يَخْرُجَ الْخَلْقُ عَنْ مَرَاوِ اللَّهِ وَمُشِيتِهِ، حَتَّى لَوْ عَلِمَ الْأَسْبَابَ الَّتِي تُخْرِجُهَا عَنْهَا، فَلَنْ يَتَمَكَّنَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُغْلِقُهَا عَلَيْهِ؛ لِيَبَيِّنَ لَهُ ضَعْفَهُ وَعَجْزَهُ أَمَامَ قُدْرَةِ اللَّهِ وَمُشِيتِهِ.

وقد جاء رجلٌ إلى الخليل بن أحمد، فقال: «إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ فَبَيِّنْ لِي ذَلِكَ، قَالَ الْخَلِيلُ: يُبَصِّرُ شَيْئًا مِنْ مَخَارِجِ الْكَلَامِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَيْنَ مَخْرَجُ الْحَاو؟ قَالَ: مِنْ أَصْلِ اللِّسَانِ، قَالَ: أَيْنَ مَخْرَجُ النَّو؟ قَالَ: مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ، قَالَ: أَجْمَلُ هَذَا مَكَانَ هَذَا، وَهَذَا مَكَانَ هَذَا، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: فَأَنْتَ عَبْدٌ مَدْبُورٌ^(٤)».

(١) «تأويل مختلف الحديث» (ص ١٣٩).

(٢) «تجويد الرواية» (٧٦/٤).

(٣) «تهذيب الكمال» (٣٢٩ - ٣٢٨/٨).

(٤) «البيان والتبيين» (١/٣٢١).

﴿عَلَّمَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾

﴿عَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ لَبِئْسَ لِقَابُ غَوِيٍّ﴾ لَجَزَى عَلَى قَدْرِهِ، لَا يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ كَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ، وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا الْوَعْدَ الَّذِي لَكَ﴾ (الملك: ١٦٤) :

كُلُّ مَا فِي الوجودِ خَلَقَهُ اللهُ، وهو عالمٌ محيطٌ بهم، لا يَمُرُّبُ عنه شيءٌ من ذلك، جليلُهُ وعظيمُهُ، كثيرُهُ وقليلُهُ، كليَّاتُهُ ومهما تَفَرَّثَتْ، وجزئياتُهُ مهما ذَلَّتْ، يَرَى الثَّرَّةَ، كما يَرَى العَجْرَةَ، لا يَزِيدُ عِلْمُهُ في الثَّورِ، ولا يَقْصُرُ في الظلامِ، يَعْلَمُ ما كان وما يَكُونُ وما لم يَكُنْ لو كان كيف كان يَكُونُ.

قال تعالى: ﴿وَلَعَلَّكَ مَلَكُوتُ الْقَدَرِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْغُرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٥٥) وَمَا تَشْفَقُ مِنْ قَرْصَةٍ إِلَّا بِعِلْمِهَا وَلَا حِجَابُ فِي عِلْمِكَ الْأَشْيَاءِ وَلَا رُكْبٌ وَلَا بَابٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ ثَبِينٍ﴾ (الأنعام: ٥٩)، وقال: ﴿وَمَا مِنْ قُوَّةٍ فِي الْأَشْيَاءِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ثَبِينٍ﴾ (النمل: ٤٧٥)، وقال: ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْكَ غُورٌ فِي الْأَشْيَاءِ وَلَا فِي السَّمَكِ﴾ (ال عمران: ٤٥)، وقال: ﴿يَبْقَى إِلَهِا مِنْ نَفْسٍ يَنْفَالُ حَقُّهُ مِنْ حَرَمِهِ فَتَكُنْ فِي سَحَرٍ أَوْ فِي التَّكْوِينِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَلِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَلِطِيفِ خَبِيرٍ﴾ (الحسان: ١٦٦)، وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَاطِنُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ مِنْكَ السَّمَكُ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا أَزْجَرُ الْقَتْلُ﴾ (اسما: ٢٢).

وَيَعْلَمُ اللهُ ما لم يَكُنْ مِنْ العبادِ لو كان: كيف كان يَكُونُ، وكيف يَأُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ؟ فقد قال اللهُ عن الكافرين الذين يَتَعَمَّوْنَ الرجوعَ إلى الدنيا بعدَ معانِقِ النارِ: ﴿وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا إِنْ شَاءَ عَتَّةٌ﴾ (الأنعام: ٤٢٨)، وقال تعالى عن حال المعاندين: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ أَقْرَبُ﴾ (الأعداء: ١٢٢).

وزعم بعض الفلاسفة والمتكلمين عظم علم الله بالجزئيات فيزعمون أن الله يعلم الأشياء على وجودها ثابت كلي، لكنه لا يدخل تحت تحيل الزمان، فلا يعلم الجزئيات التي يكون حدوثها بموجب تحدّد الإحاطة بها، فيحدث تغيراً في ذات العالم.

وقد أشار إلى هذا الجوزي في «الزمان»^(١)، وهذا ضلال مبين؛ فكل ما في الوجود خلق الله، وإذا كان خلقه، فهو عالم به، وقد استغنى الله على من فصل بين العلم والخلق: ﴿أَلَا يَتْلُمَنَّ خَلْقَ وَهَرِ الْبَلِيْثِ الْفَيْثِ﴾ (الشك: ١٤).

وقد ردّ انتماء الشئ هذه الضلالة، ووجدت في بعض مقالات المغاربة، وردّ عليهم أنتماء كاتب العربي^(٢)، بل قال المازري لشيئ فاساها: «ويؤدّي لو سخوت هذا من هذا الكتاب بما يضرّي»^(٣)، يعني: من كتاب الجوزي.

❦ مشيئة الله وقدرته على خلق أفعال العباد:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «يُمْبَلُ مَنْ يَشَاءُ فَيُخَلِّقُهُ وَيَخْلِقُهُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُؤَقِّدُهُ وَيُضِلُّهُ، فَكُلُّ شَيْءٍ بِتَقْدِيرِهِ، إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ جُلُودٍ وَقَدَرَةٍ مِنْ شَيْءٍ أَوْ سَعِيدٍ»:

لا يخرج النائم عن تقدير الله لهم، وتقديره لهم لا يعني: أنه سبحانه لا يرهّد من الكافرين شرّاً الإيمان، ولا يرشاهم لهم، ولكنه سبق في علوه ما هم فاعلون؛ فمن أراد الخير، هداه، ومن أراد الشرّ أضله.

(٢) «المواسم» (ص ١٣٨).

(١) «الزمان» (١/ ١٤٠ - ١٤٦).

(٣) «المصاحح المحصول» (ص ١٢٥).

قَالَ لَا يَحْرَمُ مَرِيدُ الْخَيْرِ مِنْهُ؛ وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «جَامِعِهِ»: «وَكُلُّ
يَتَّقِي إِلَى سَابِقِ جُلُوبِهِ؛ لَا مَجِيئَ لِأَعْيِ عَنْهُ»^(١)، وَقَالَ: «وَتَحْدَلُ مَنْ
عَصَاهُ وَكَفَرَتْ بِهِ، فَأَسْلَمَتْ وَمَسَرَتْ لِدَلِيلِ قَمَحَبَةٍ وَأَسْلَمَتْ» «وَمَنْ يُشِيلُ مَنْ
يَحْدَلُ لَهُ رُكْبَتُهُ»^(٢) (الكشف: ١٧)، وَقَالَ هُنَا: «يُشِيلُ مَنْ يَشَاءُ لِيُخَذِّلَهُ
يُخَذِّلُهُ، وَيَنْهِي مَنْ يَشَاءُ فَيُؤَلِّقُهُ بِفَضْلِهِ».

وَأَمَّا النَّبِيُّ ﷺ كَمَا تَقَدَّمَ بِالْإِسْلَامِ عَمَّا سَكَّتْ عَنْهُ الشَّرْعُ فِي
الْقَدْرِ، وَوَجُوبِ الْإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ؛ لِعَجْزِ الْعُقُولِ عَنِ الْإِدْرَاكِ؛ فَمَنْ
دَخَلَهُ، بِحُكْمٍ فِيمَا تَعَجَّزَ عَنْهُ الْعُقُولُ وَالْأَفْكَارُ، فَتَحَيَّرَ وَتَقَيَّلَ وَتَزَيَّعَ، وَقَدْ
دَخَلَ فِي هَذَا الْبَابِ طَوَائِفُ، فَانْتَهَى بِهِمْ إِلَى ضَلَالٍ.

المُخَالِفُونَ فِي الْقَدْرِ:

وَقَدْ خَالَفَ فِي الْقَدْرِ طَوَائِفُ: جُمْهُاءُ، وَهَلَاءُ، وَأَشْبَاهُ هَؤُلَاءِ فَاتَّبَعُوا
بِالْكَسْبِ:

• أَمَّا الْجُمْهُاءُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْقَدَرَ: فَيَجْعَلُونَ تَصَرُّفَ الْمَخْلُوقِ مُتَفَرِّقًا
كَتَصَرُّفِ الْخَالِقِ، وَلَا مَشِيئَةَ لِلْخَالِقِ فَوْقَ مَشِيئَةِ الْمَخْلُوقِ بَعْدَ خَلْقِهِ،
وَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ وَدَبَّرَهُمْ، وَسَبَّبَ لَهُمْ وَتَرَكَّهُمْ.

وهؤلاء هم القدرية، وقد أظهرَ هذا القولَ مَعْبِدَةُ الْجَهَنِّيِّ، وَغَيْلَانُ
الدُّنْطِقِيِّ، وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْإِعْتِرَالِ.

وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ: «وَالْقَدَرِيَّةُ أَشْرُ النَّاسِ، وَرَأَيْتُهُمْ أَهْلَ عِلَاشٍ وَسُخَافٍ
عَقُولٍ وَبَدَحٍ، بَاطِلُ كَثِيرَةٍ عَلَيْهِمْ؛ مِنْهَا قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿لَا يَزَالُ يُتْلَىٰ لَكَ
الَّذِي بَيَّنَّا بِكِ فِي الْقُرْآنِ﴾ (التوبة: ١١٠)، وَمِنْهَا: ﴿وَأَوَّحَ بِكَ مِنْ أَمْرٍ لَّهُ لَنْ

يُؤْمِنُ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ بَانَ ﴿١٣٦﴾ [سورة: النور: ١٣٦]، وقال: ﴿وَلَا يَخْشَى إِلَّا كَبِيرًا
صَكَّارًا﴾ [سورة: النور: ١٣٧]، وقال: ﴿وَمَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ وَهُمْ ﴿١٣٨﴾ إِلَّا مَنْ قَدْ بَانَ كَبِيرًا
[الصافات: ١٦٢ - ١٦٣]، وقال: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ لِيَأْكُلَهُمْ لُحُومَهُمْ﴾ [العنكبوت: ١٦]، في أي كثيرة^(١).

والقدرة أصلها لقولهم بالكلام والنظر، ثم استدلوا بأدلة مشابهة
في قلوبهم، توهموها حجة لقولهم:
وذلك كالأيات التي تبين أن العباد يفعلون ويشعرون، فيؤمنون
ويشكرون ويفسقون، ويطيعون ويعصون.

وهذا كله داخل في مشيئة العبد، ولا يخرج مشيئة الله النافذة عليه.
وكاستدلالهم بأدلة إنقاذ الله لخلقهم وصنعهم؛ كقولهم تعالى: ﴿سَخَّرَ
اللَّهُ الْوَيْلَ لِمَنْ كَفَرَ﴾ [النمل: ١٨٨]؛ فجعلوا لازم ذلك قضي يشبه تصرفات
الناس إلى الله؛ لما تضمنته من عدم إنقاذ وإخلاق، وضلال وكفر.

والله سبحانه يريد أصل خلقه حيث أبدعه وأنشأه، وأما فساد أفعال
الناس؛ فبمن مشيئتهم التي أودع الله بها إيجامه، فلم يخرجوا عن إرادته
وتفكيره، والآية نفسها دالة على إثبات الفعل للناس؛ فإله قال: ﴿سَخَّرَ
اللَّهُ الْوَيْلَ لِمَنْ كَفَرَ﴾ [النمل: ١٨٨]، فلما ذكر صنع
الخالق، أضاعه إلى نفسه: ﴿سَخَّرَ لَكُمْ﴾؛ لأنه لا مشيئة لأحد معه فيه،
ولما ذكر فعل الناس، أضاعه إليهم: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ لما لهم من اختيار
ومشيئة بعد مشيئته.

وليس ما يستفيحه الناس من ذوات وأفعال دليلًا على إسبئتها

لغير الله؛ فانه يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وهناك من الناس من يؤلّد مشوّماً مريضاً خبيثاً كالعمور والمشلول، ومن يؤلّد برجل أو يد أو عين، أو يكثر من عشرة أصابع، أو برأسين، وهذا كله لا يُجيزُ نسبة تلك الأجساد لخالق غير الله؛ وإنما جعلها الله كذلك ليحكمه.

وقد كان لازم قولهم: أنّ العباد يخلقون ما يفعلون؛ فجعلوا إلهين وخالقاً غير الله؛ فشابهوا بذلك المجومّ الدين يتجملون إلهين: إله الخير، وهو النور، وإله الشر، وهو الظلمة.

• وأما الغلاة: فهم الذين يقولون بالجبر؛ أي: أنّه لا اختيار للمكلفين، ولا مشيئة، وحال المكلف كحال الجمادات؛ فالملائكة والإنسان والجان؛ كالكوكب والأجرام؛ فالإنسان مسير بلا اختيار؛ يقوم ويقعد ويتكلم، كما تطلع الشمس وتغرب.

وهؤلاء هم الجبرية، وقابلوا نفاة القدر بقول، وأول من أشهره: الجهم بن صفوان، وقد كان شيخه الجهم بن ذرهم يقول به.

وهم كسابغيهم قالوا بالجبر، أرادوا تنزيه الله من وجوه مقابل للنفاة بالكلام والنظر، ثم استدلوا بالدعوة الوحي:

- وذلك؛ كآيات الدالّة على أنّ الله خالق كل شيء، وعلى نفي خالقي غيره؛ كقولو تعالى: ﴿اللهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿عَلَّ مِنْ خَلْقِي حَزَنًا أَلَمًا﴾ [طه: ٣].

- وكذلك الأدلة التي تجعل تصرف الإنسان تحت مشيئة الله وتدبيره؛ كقولو تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وجعلوا ذلك سلباً لإرادة الإنسان.

وحملوا الأداة ما لا تحتمل، وهي أدلة عليهم لا لهم، أدلة للحق الذي يقول به السلف؛ فإله تعالى خلق النائم وأفعاله؛ فهو عاقل كل شيء، وجعل لهم مشيئة تدل على اختيارهم وتصرفهم، ولكن بعد إذن الله ومشيته، فلو كان للكواكب مشيئة كمشيئة النامي، لذكرها، وهم يحتملون النائم كالكواكب وسائر الجمادات؛ فلماذا خص الله النائم بالمشيئة، ولم يخص الكواكب بمثلها إلا لتمايز بينهم، وقد قال الله مضيفاً فعل النبي ﷺ بالرمي إليه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] فأتيت لنبيي رمياً واختياراً: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، وأثبت لنفسه القدرة والمشيئة الممضية لذلك: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

ولازم قولهم: أن التكليف الشرعي جبر، وأن الطاعة والمعصية من العباد جبر.

وقد أثبت الله لعباده مشيئة بعد مشيئته، وإرادته بعد إرادته؛ قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ أَفَّ أَنْ يَتَّقِيَكُمْ ۖ وَمَا تَنَالُوا إِلَّا أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩]، وقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرِي﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال: ﴿وَمَا تَنَالُوا إِلَّا أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ﴾ [الأنفال: ٢٩ - ٣٠]، وقال: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ أَفَّ أَنْ يَتَّقِيَكُمْ ۖ وَمَا تَنَالُوا إِلَّا أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩].

فقلوه: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ أَفَّ أَنْ يَتَّقِيَكُمْ ۖ وَمَا تَنَالُوا إِلَّا أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨] إبطال لقول الجبرية، وقولوه: ﴿وَمَا تَنَالُوا إِلَّا أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ﴾ [التكوير: ٢٩] إبطال لقول القدرية؛ فكيف لعبد أن يفعل ما لا يشاؤه الله؟ لا يفعل أحد في الكون شيئاً بغير علمه وإذنه.

وأدلة الجبرية هي أدلة يعرف بها فساد قول القدرية، وأدلة القدرية هي أدلة يعرف بها فساد قول الجبرية، وكثيراً ما يعرف فساد قول طائفة

بأداة حصرها عليها، وفي طوائف الضلال من المجادلة والتقص بعضها لبعض ما لا يوجد عند غيرهم، خاصة في الطوائف التي تتقابل في قولها باطل: واحدة في انصاء يمينها، وثانية في انصاء شمالها.

وكان أئمة السنة في المغرب يتركون قول القدرية والجبرية، ويحتاجون من قال به؛ يقولون: «عَنْ بَنِي بُوشَافِ الْخَزَاعِي - وهو من علماء الفيرزان، وكان أكثر من سحنون، ومن أصحاب عبد الله بن وهب -: «إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكْفُرَ الْقَدْرِيَّ، فَقُلْ لَهُ: مَا أَرَادَ اللَّهُ بِكَ مِنْ خَلْقِهِ؟ فَإِنْ قَالَ: أَرَادَ مِنْهُمْ الطَّاعَةَ، فَقَدْ كَفَرَا؛ لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ عَصَى؛ وَكُلُّهُ إِنْ لَا تَيْمُّ إِرَادَتُهُ، فَلَيْسَ بِإِلَهِ، وَإِنْ قَالَ: أَرَادَ مِنْهُمْ الْمَعْصِيَةَ، فَقَدْ كَفَرَا؛ لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ أَطَاعَ؛ وَكُلُّهُ إِنْ لَا تَيْمُّ إِرَادَتُهُ، فَلَيْسَ بِإِلَهِ»^(١).

• وإثنا القائلون بالكسب: فجمهور الأشاعرة ومتأخروهم؛ يُثبتون لله الخلق والعيشة، ولكنهم يحتفلون أفعال العباد الاختيارية بإرادة الله وقدرته وحده، لا باختيار العبد ولا قوته، ولا أثر له في ذلك، وإنما هو كاسب لها، وكسب العبد عندهم هو مقارنته لقدراته من غير أن يكون هناك من تأثير أو تدخل في وجوده سوى كونه محلاً له؛ كما بقوله صاحب «المواقف»^(٢).

وقد تأثر الأشاعرة القائلون بالكسب بالفِراريَّة والتَّجاريَّة قبلهم.

وهذا القول مشابه قول الجبرية، ومن أشد ما شجع به المعتزلة عليهم؛ فهم ينفون أي قدرة للعبد أو تأثير في أفعاله؛ فإن الله قادر على إيجاد الحوادث التي يريدُها الإنسان بدون فعله، فهو موجدُها وحده، ولو كان الإنسان مشاركاً مفترقاً في إحداثها في الظاهر، فلا أثر له في الحقيقة.

(١) الرياض النوسية (١/٣٨٦).

(٢) «المواقف» (٣/٢٠٨ - ٢١٤).

وقولهم هذا قريب من حتمل رجل كبير قويّ حجارة ثقيلة يغير عليها وحده، فبشارته فيها طفل صغير - بيد ضعيف - لا يقوى على تحريك الحجارة، فضلاً عن حتملها؛ فهد الطفل مقترنة بالفعل، لكنّها غير مؤثّرة في الحتمل.

وهذا القول من الأقوال التي لا يقبلها النص، ولا يعطّلها العقل، ولا يؤكّدها الجسد؛ فالعقل يفرّق بين الرغبتين التي تغلب بذّة بلا اختيار، وبين فعله باختياره.

وقد كان جماعة من فضلاء الأساطرة لا يقولون بذلك؛ كالباقلائي^(١)، وغيره.

§ الحتمية السببية:

ونشأ قول القائلين بالحتمية السببية؛ وهم الذين يجعلون الكون منتظماً بنظام محكوم لا يخرج عنه، وكل واقعة لا يمكن أن تكون إلا كذلك، ولا شأن لأحد فيها؛ فإن اختيار الله إنما كان في أصل الإيجاد، لا في تشييع المعادلات ونتائجها؛ فلا يزوّن أن للإله إرادة تتعرّض لذلك النظام بالتبديل والتغيير.

وهؤلاء جبهة في المبتدأ، وقدرية في المنتهى؛ وبهذا يقول كثير من الفلاسفة الغربيين مثل سبينوزا، وكانت، وهيجل، ومنهم من يستثني الروح؛ فيرى أن كل جسد محكوم بقوانين الطبيعة، إلا الروح فهي طليقة من هذه القوانين، ويرى أن عليها أن تُجاوِذ الجسد، وتلتبس القوّة من الله بالمعرفة في جهادها.

(١) «الإصناف» (ص ١٢ - ١٤).

﴿نَفِي الْقَدَرِ يَلْزَمُ مِنْهُ الْعَجْزُ﴾

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ:﴾ «تَعَالَى أَنْ يَكُونَ فِي مَلِكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، أَوْ يَكُونَ لِأَعْدِيٍّ عَنْهُ غِنًى، أَوْ يَكُونَ خَالِقٌ لَشَيْءٍ إِلَّا هُوَ، رَبُّ الْعِوَانِ وَرَبُّ أَهْمَالِهِمْ، وَالْمُقَدَّرُ لِحَرَكَاتِهِمْ وَأَجَالِهِمْ، الْبَاسِطُ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ؛ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ»:

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ مُقْتَضِي نَفْيِ الْقَدَرِ: أَنَّهُ يَكُونَ فِي مَلِكِ اللَّهِ مَا لَا يَرِيدُهُ اللَّهُ؛ لِإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ حَوَادِثُ الْكَوْنِ بِتَقْدِيرِهِ؛ فَهُوَ أَرَادَهَا قَدَرًا، وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ مِنْ غَيْرِهِ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يَتَوَالَقُ أَحَدٌ مَعَ غَيْرِهِ فِي كُلِّ مَرَادٍ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا يَرِيدُ مَا لَا يَرِيدُهُ الْآخَرُ؛ فَلِذَا زُمَ نَفْيُ الْقَدَرِ: أَنْ يُحْصَرَتْ فِي كَوْنِهِ بِمَا لَا يَرِيدُهُ، وَيُعْجَزُ عَنْ دَفْعِهِ؛ تَعَالَى اللَّهُ عُلُوًّا كَبِيرًا؛ فَلَا يَكُونُ فِي مَلِكِ اللَّهِ إِلَّا مَا يَرِيدُهُ اللَّهُ؛ وَيَقْدَرُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، مُحِبُّوهُ أَوْ مُكَرِّهُوهُ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ فِي «مُسْلِمٍ»: «وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَفَاءَ قَائِلٌ»^(١)، وَفِي «الْمُسْتَقْبَلِ» بِإِلْفٍ: «وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَفَاءَ قَائِلٌ»^(٢).

وَبَعْضُهُمْ^(٣)؛ بِكَرَّةٍ إِطْلَاقِي قَوْلٍ: «وَاللَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ»؛ لِأَنَّهُ قُدْرَةُ اللَّهِ أَوْسَعُ:

وَفِي هَذَا التَّحْلِيلِ نَظَرٌ؛ فَالْحَدِيثُ فِيهِ ثَابِتٌ، وَهُوَ يَنْتَضِي إِثْبَاتًا لَهُ، وَتَنْزِيهًا لَهُ:

○ فَالْإِثْبَاتُ: فَهُوَ إِثْبَاتُ الْقَدَرِ وَالْجُحْمُ لَهُ.

(١) مُسْلِمٌ (١٨٧) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ. (٢) الْمُسْتَقْبَلُ (٦) / ١١٠ رَقْمٌ (٣٨٩٩).

(٣) «الْمُسْلِمُ» (٥٥٥).

○ وأما التنزيه: فإن الله لا يشاء من الأقدار إلا ما هو خيرٌ كابلٍ أو غائب، وله حكمه فيه كله، وما لا يشاؤه الله، لم يُذكر في الحديث؛ لأن الله بمنزلة من العبيد؛ فما اختار الله من التقدير إلا ما هو أحسن من غيره، وأتم وأحكم، وما لم يشأه دون ما شاءه حسناً وتاماً وحكمةً، وبمختلف الثبائن في ذلك بحسب اختلاف الأعيان والأفعال والأحوال، والأزمان والأمكنة.

وقد جعل الله خلقه على نوعين في باب الاختيار والمشية:

□ خلق: لا اختيار لهم ولا مشية؛ كالجمادات من الكواكب والنجوم، والحجر والتراب؛ فهذه غير مكلفة؛ لأنها غير مختارة.

□ وخلق: لهم اختيار ومشية؛ وهم على قسمين:

أولاً: مكلفون بالدين والدنيا؛ وهم العقلاء؛ كالملائكة والإنس والجن؛ فهؤلاء يُمدحون بحسب ما يَخْتَارُونَهُ مِنَ الامْتِنَانِ لله، وبحسب ما يَجِدُونَهُ مِنْ صَبْرٍ عَلَى ذَلِكَ وَمَشَقٍّ وَثِقَةٍ:

وقد جعل الله في بعضهم: شهوات ورغبات يبتليهم بها، ويختبرهم في اتباع أمره، وتقديروا على شهواتهم ورغباتهم؛ وهذا كالإنس والجن.

ولم يجعل في خلقه بعضهم شيئاً من الشهوات والغرائز تُنازعهم الحق؛ ولهذا فهؤلاء الملائكة لا يَخْرُجُونَ عَنْ أَمْرِ اللهِ؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَتَّبِعُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَتَّبِعُونَ مَا يَشَاءُونَ﴾ (النجم: ١٦).

ومن هنا: فضل أكثر العلماء من أهل السُّنَّةِ الصَّالِحِينَ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ.

ثانياً: مكلفون بالدنيا بلا عقل؛ وهي البهائم؛ فاطع خلقها، وجعل فيها إدراكاً، ولم يجعل فيها عقلاً؛ فتدرك دنياها، ولا تفهم تكاليف

العبادة كما يفهمه البشر، وعبادتها تسخيرية من جنس عبادة الجنادات، ولكن لها اختيار ومشيئة دنيوية، تعمل وتدبر باختيارها، وتحاسب على عطلتها الذي تفهمه في الدنيا والآخرة؛ ومن ذلك قوله ﷺ: (لَيْفَتَصْنُ اللَّهُ لِلشَّائِءِ الْجَسَدُ مِنَ الشَّائِءِ الْفَرَاغِ)^(١)، وفي «الصحاحين»: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ أُمَّ شَرِيكٍ بِقَتْلِ الْأَوْزَاعِ، وَقَالَ: (كَأَن يَنْفُخَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ)^(٢).

ومن ذلك: إدراك الغار لبعض ما تفعله من شيء؛ كما روى البخاري عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أَطِيعُوا الْمُتَصَابِحَ؛ فَإِنَّ الْفَوَاسِقَ رُبَّمَا جَرَّتْ الْفِتْلَةَ؛ فَأَحْرَقَتْ أَفْعَالُ الْجِبِّ)^(٣).

وإدراك البهائم للأوامر الدنيوية مفطورة عليه بقلبيها؛ ولهذا فهي تختلف وتبائن بحسب جنسها ونوعها؛ فبهيمة الأنعام ليست كالسباع؛ فالشَّاءُ إِذْ تَنَاقَضَتْ، تَحَاسَبَتْ، وَلَوْ أَكَلَ السَّيِّعُ الشَّاءَ، لَمْ يُحَاسَبْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ رِزْقَ السَّيِّعِ فِيهَا، وَلَمْ يَجْعَلْ رِزْقَ الشَّاءِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ.

رسالة النبي ﷺ، وكتابه:

﴿قَالَ كُنَّا فِي نَزِيلٍ إِذْ جَاءَنَا رَسُولٌ مِنْ رَبِّنَا بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ، وَكَانَ مِنْهُمْ نَذِيرٌ﴾ (١) ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادَتِهِ﴾ (٢) ﴿وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّهُ لَمْ يَدْعُ أَثَمًا مِنْ الْأَمَمِ إِلَّا وَقَدْ آتَاهُمْ عَلَيْهِمْ

بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ، وَكَانَ مِنْهُمْ نَذِيرٌ﴾ (٣) ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادَتِهِ﴾ (٤) ﴿وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّهُ لَمْ يَدْعُ أَثَمًا مِنْ الْأَمَمِ إِلَّا وَقَدْ آتَاهُمْ عَلَيْهِمْ

(١) مسلم (٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة؛ بنحوه.

(٢) البخاري (٣٣٥٩)، ومسلم (٢٢٣٧). (٣) البخاري (٣٣٦٦) و(٦٢٩٥).

حُجَّتُهُ، وَلِيُبَيِّنَ لَهُمْ رَسُولُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُ إِتَّخِذُ مِنْكُمْ نَحْبَةً﴾ [طه: ٢٢٤]، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ [الشع: ٢٢٦]، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ [يونس: ١٢٧] فَكَانَتْ الرُّسُلُ تَتَنَاقِصُ لِلْبَلَاغِ، نَبِيًّا بَعْدَ نَبِيٍّ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنَ الْحَقِّ مِنَ الْأَرْضِ بِالْكَلْبَةِ، قَالَ تَعَالَى عَنْ تَنَاقُصِ رُسُلِهِ: ﴿فَمَنْ أَتَمَّ شَيْئًا مِمَّا كُنَّا نَفْعَلُ﴾ [الشورى: ١٢١].

وَتَنَاقُصُ الرُّسُلُ حَتَّى تَقُومَ الْحُجَّةُ فِي الْأَرْضِ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَتَضَعُ أَهْلَ الْأَرْضِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا الْفُتَيَّرُونَ وَمُسْتَوْدِعُونَ إِلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بِمَا أُرْسِلُوا﴾ [النساء: ٢٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

وَالْإِيمَانُ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ وَاجِبٌ، وَالْكَافِرُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ كَافِرٌ بِجَمِيعِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلٌّ مِمَّنْ يَأْتِ الْفِتْنَةَ وَيَكْفُرُ وَتَكُفُّوهُمْ فَلَا يُقْرُونَ بِهِمْ أَعْلَوْتَ مِنْ تُسَبِّحُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الْأَوَّلِينَ كَفَرْتُمْ بِالَّذِي يَأْتِ الْفِتْنَةَ وَتَكُفُّوهُمْ فَلَا يُقْرُونَ بِهِمْ﴾ [النساء: ٢٨٥] فَجَعَلَ الْكَفْرَ بِهِ وَرُسُلِهِ وَاحِدًا، وَلَا يَلْزَمُ مِنَ الْإِيمَانِ بِرَسُولِهِ أَنْبَاءُ شَرِيعَتِهِ، بَلْ إِنَّ الْإِيمَانَ بِهِ يَقْتَضِي تَصَدِيقَ الْخَبَرِ، وَالْإِقْرَارَ بِالْمَنْزِلَةِ وَالْفَضْلِ، وَأَمَّا الْإِتِّبَاعُ، فَقَدْ خَتَمَ اللَّهُ جَمِيعَ الشَّرَائِعِ بِرِسَالَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ.

خَتَامُ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِلرُّسُلَاتِ:

وَكُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ اللَّهُ لِأُمِّيَّةٍ وَقَوْمِهِ، وَيَجْعَلُ رِسَالَتَهُ مُقِلَّةً بِزَمَانٍ تَنْتَهِي بِهِ، إِلَّا رِسَالَةَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ عَامَّةً لِلْعَالَمِيِّينَ جِنًّا وَنَسَاءً، وَجَعَلَهَا دَائِمَةً وَخَاتِمَةً لِلرُّسُلَاتِ السَّابِقَةِ، فَلَا يَجُوزُ التَّنَدُّبُ بَأَيِّ رِسَالَةٍ سَابِقَةٍ بَعْدَ بَعَثِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

أَمَّا عَمُومُ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ، فَلَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِحَقِّهَا

الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما أتوا، ثم قلت: «الشمس والليل» (الامراء: ١٥٨)، وقولوا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وقولوا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا حَكِيمًا لِّبَٰئِسِ الْيَهُودِ وَكَذِبًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبا: ٢٨)، وفي الحديث: قال ﷺ: «كُلُّ النَّاسِ يَتَّبِعُ إِلَى قُرْبَى خَاصَّةً، وَيَتَّبِعُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً»^(١).

وأوجب الله على جميع الأنبياء اتباع محمد لو بُعث وهم أحياء، وأخذ الميثاق عليهم بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَيْءٍ أَنشَأْنَاهُ شَيْعًا جُنُودًا لِّقَاتِلِكُمْ فَنَهَمْنَا بِهَا مَكَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (الأنبياء: ٢١)، وهذا في الرُّسُل، وهو في العالمين من باب أولى، قال ابن عباس: ﴿مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ: لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ، وَهُوَ حَيٌّ، لِكُلِّ مَنٍّ بِهِ وَلِكُنْصُرَتُهُ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ عَلَى أُمَّةٍ الْمِيثَاقَ: لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ، وَهُم أحياء، لِكُلِّ مَنٍّ بِهِ وَلِكُنْصُرَتُهُ»^(٢).

وقد كان النبي ﷺ يكتب الناس برساليه، وأمرهم بإجابته عليها، فَيَبْعَثُ إِلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَالصَّابِئَةِ وَالْمَشْرِكِينَ، وَيَبْعَثُ إِلَى الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَالْأَحْمَرِ وَالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ، وَلَمْ يَفْرُقْ بَيْنَهُمْ فِي الْخُطَابِ إِلَّا بِمَا يُوجِبُ تَرْكُ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ دِينٍ سَابِقٍ، فَكُلُّ دَاخِلٍ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَدَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ.

فَاللهُ أَمَرَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِاتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُم أَقْرَبُ الْأُمَمِ إِلَى أَمْرِ مُحَمَّدٍ، وَكَتَبَهُمْ أَقْرَبُ الْكُتُبِ الْمَرْسُومَةِ إِلَى الْقُرْآنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا

(١) البخاري (٣٣٥ و ٤٢٨)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٠٠ و ١٢/ ٥٤٦)، وعزله الحافظ في فتح الباري (٦/ ١٣٤) للبخاري.

الَّذِينَ آوَوْا إِلَى الْكُتُبِ آتَيْنَا بِهَا زَكَاةً مَّقْبُولَةً لِّكُمْ مَتَّكُمُ ﴿١٧٩﴾ وقد خافهم الله في القرآن كثيراً به: «يا أهل الكتاب»، وبه «يا بني إسرائيل».

﴿حَكْمُ اتِّبَاعِ دِينِ غَيْرِ الْإِسْلَامِ﴾

وَمَنْ زَعَمَ: أَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ، يَجُوزُ لَهُ اتِّبَاعُ مَا شَاءَ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْكُتُبِ الْأُخْرَى، وَأَنْ يَتَّبِعَهُنَّ هُوَ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّهُ نَاجٍ فِي الْآخِرَةِ، مَعَ عَلَيْهِمُ بِالرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ -: فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ ﷻ قَالَ ﷻ: (وَالَّذِي نَفْسِي مَخْمُودٌ بِحَبْلِهِ، لَا يَسْمَعُ بِمِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) ^(١).

وعند تجويز بقاؤ اليهودي والنصراني على دِينِهِ، لا يعني تعيُّن قَبْلِهِ، بل عَدَمُ الْجَوَازِ: لِيَبْدَأَ كُفْرَهُ، وَعَدَمُ صِحَّةِ عَمَلِهِ، وَأَنَّ مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ إِنْ مَاتَ عَلَى دِينِهِ، وَلَا يَنْفَعُهُ إِيمَانُهُ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِذَا كَانَ لَمْ يُتَّبِعْهَا وَتَنَقَّدَ لَهَا؛ كَقَوْلِهِ بِرَى أَنَّهَا خَاصَّةٌ بِالْعَرَبِ، أَوْ أَنَّ النَّاسَ يُخْتَارُونَ بَيْنَ الْوَلَدِ، وَكُلُّهَا تُوْدِي إِلَى الْجَنَّةِ؛ فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ نَسْخَ جَمِيعِ الشَّرَائِعِ السَّابِقَةِ، وَأَخْبَرَ بِتَحْرِيفِ مَا سَبَقَ مِنَ الْكُتُبِ مِمَّا بِيَدِي أَهْلِ الْكُتُبِ.

﴿وَالْكُفْرُ - حَيْثُ - جَاءَ مِنْ جِهَاتٍ، أَعْظَمُهَا﴾

الأولى: عَدَمُ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَجْوِيزُ الْخُرُوجِ مِنْ رِسَالَتِهِ، وَأَنَّ الْأُمَرَ الْمُتَوَاتِرَةَ فِي الْكِتَابِ وَالشُّكُّ بِاتِّبَاعِهِ لَا مَعْنَى لَهَا عَنْهُمْ.

الثانية: الْإِيمَانُ بِصِحَّةِ كُتُبِ أَخِيَرِ اللَّهِ بِتَحْرِيفِهَا، وَتَسْوِغِهَا بِالْقُرْآنِ؛

وهذا تكذيب هو والرسول، ودوي أن النبي ﷺ وجد قطعاً من الثوراة مع حمز بن الكلاب، فقال له: (لو كان موسى حياً بين أظهركم، ما حل له إلا أن يقتلي^(١))، حتى إن عيسى ﷺ ينزل في آخر الزمان، يقتل الدجال والخزي، ويكسر الصليب، ولا يقضي إلا بشريعة محمد ﷺ^(٢).

الثالثة: أن كل جهاد النبي ﷺ للأمة الكافرة يهوداً ونصارى، ومشرقيين وسجوساً: أنه عدوان، وأن قتالهم كان سفكاً لدم معصوم، وغنائمهم سلب لمال معصوم، وسيقتلهم استعباد لأنفس حرّة؛ إذ إنه قاتلهم وهم غير ملزمين برساليته وهذا كفر عظيم، وضلال مبين.

الرابعة: أن جميع الأحكام في الشريعة التي نزلت على تعاليم المسلمين عن الكفار - أو بعضهم - باطلة؛ كآبواب الثوالة والمعاذاة، والشجاج والذباح، والفتيات والمواريث، وأحكام الرقة ودخول البيت الحرام، والقراري بجزيرة العرب، وغير ذلك.

وأما كون النبي ﷺ خاتم الأنبياء، ولا نبي بعده: فلقولوا تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ دِينِكُمْ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤٠)، وقولوا ﷺ في «الصحيحين»: (أنا خاتم النبيين)^(٣)، وفيهما من حديث سعد بن أبي وقاص: أن النبي ﷺ قال لعلي: (ما ترضى أن تكون بني إسرائيل هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بقوي)^(٤).

وكل دعوة للنبوّة بعده، فهي كذب، ومذمومة كاذبة؛ يحكم بقتل ولو زعم أنه لا يخرج عن حقي الأنبياء وأنه لا جديد لقدم عنهم؛ لأن وحي

(١) ابن أبي شيبة (٢٦٩٤٩)، وأحمد (٣٨٧/٣) رقم (١٥١٥٦).

(٢) البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦) من حديث أبي هريرة.

(٤) البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

السماء انطلق بموت النبي ﷺ إلى قيام الساعة، ولم يبق منه إلا الرؤيا الصالحة.

ومن زعم أنه يأبى وحى؛ فإن كان صادقاً، فهو من الشياطين يسؤلون له: فإله سئ وشراسهم وحياً ومنزلاً: ﴿قُلْ أُنذِرَكُمْ عَلَىٰ مَا تُنذِرُونَ﴾ ﴿١٨٩﴾ ﴿قُلْ مَنْ مَلِكِي أَمْرًا﴾ [الجمرات: ٢٢١ - ٢٢٢]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُدْعُونَ إِلَهُكُمُ الَّذِي كَفَرْتُمْ بِهٖ لَآتَيْنَهُم مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ سُلٰتٰنًا وَلَٰكِن أَفْتَرْتُمُ الْإِلٰهَ لَعَلَّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

﴿الْإِسْلَامُ وَحُرِّيَّةُ الدِّينِ﴾

ولم يجعل الله لأحد خياراً غير الإسلام؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ يَكُنْ مِّنْ بَاطِلٍ مِّمَّا فُتِنَ بِهِ﴾ [البقرة: ١٧٥]، ونحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِسْلَامَ جُنْدٌ لِّكَ﴾ [الجمرات: ٢١٩].

وأما حُرِّيَّةُ الدِّينِ: فإله تعالى كما أنه أمر الناس كافةً باتباع نبيه ﷺ، وعدم الخروج عنه، إلا أنه خص أهل الكتاب اليهود والنصارى بعدم القتال على الدخول في الإسلام؛ وإنما خيّرهم عند فُتْنَةِ الْمُسْلِمِينَ وَقُوَّتِهِمْ عَلَيْهِمْ: بين الإسلام، أو الجزية، أو القتال، وتجاوز المهادنة والمواقعة والمسألة - بينهم وغيرهم من المشركين، وبين المسلمين - بشروطها المعروفة؛ كما يثبتها في التفسير^(١).

ومن دخل الإسلام من أيّ بلد كانت، فلا يَسْمُهُ الخروج من الإسلام بحالٍ، ولا يأخذ أحكامه السابقة قبل دخوله الإسلام لو كان يهودياً أو نصرانياً، ويجب على إمام المسلمين إقامة حُدِّ الرِّدَّةِ عليه، وقد استفاضت في ذلك الأحاديث، وبه قضى معاذٌ وأبو موسى في اليمن؛

(١) سورة البقرة آية (٢٠٨)، وسورة التوبة آية (٢٩)، ومواضع من سورة الأنفال.

فيمس اوتد من اليهود^(١)، وفيه قال ﷺ: (مَنْ بَدَّلَ دِيْنَهُ، فَاُفْتُلُوهُ)^(٢)، وقد قاتل أبو بكر الصديق والصحابه المرتدين.

ومن كان له شؤكة وقوة من المرتدين، ولا يقبل للمسلمين به، فتجوز مهاذته ومسالمة لمصلحتهم، وحفاظا على شؤكتهم؛ كما كانت طوائف من القرى تقيم بين المسلمين وهي واقعة في مكفرات كثيرة، وكان المسلمون يتركونهم ويهادنونهم، وربما عاملوهم عند الحاجة؛ وذلك لكثرة الطوائف وانشغال المسلمين بأمر جماعتهم، وربما بعثوا من خارجهم يخشون تريصه بهم.

شبهات في حرمة ترك الإسلام:

وأما الاستدلال ببعض الأدلة التي يظهر منها قبول الرد، أو زعم بعضهم منها مساواة الإسلام بغيره؛ كقول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ [الكهف: ٢٦] - فهذه ليست أدلة لمساواتنا هذه:

• أما قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فقد نزلت في اليهود الذين بقوا على يهوديتهم، وأراد بعض الصحابة إكراههم على الدخول ابتداء في الإسلام.

وهذا لا إشكال فيه؛ فإنه لا يجوز إكراه أهل الكتاب عليه ابتداء؛ كما تقدم بيانه؛ وهذا - مع كونه لا يعني الإكراه بعينه وبينهم، ولا أنهم لو دخلوا الإسلام، جاز لهم الخروج منه - فتلك مسائل مختلفة؛ كما

(١) البخاري (٢٣٤١ و ٢٣٤٢ و ٢٣٤٤ و ٢٣٤٥ و ٢٩٢٣)، ومسلم (١٧٢٣).

(٢) البخاري (٣٠١٧ و ٢٩٢٢) من حديث ابن عباس.

روى أبو داود من حديث ابن عباس: قال: «كُتِبَ الْمَرْثَاءُ تَكُونُ بِمِثْلَانَا، فَجُعِلَ عَلَى نَفْسِهَا إِنْ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ أَنْ تُهْرَقَ، فَلَمَّا أُجْلِيَتْ بَوَّ الشَّيْبِ، كَانَ فِيهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، فَقَالُوا: لَا تَدْعُ أَبْنَاءَنَا؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ كُنِيَ الْإِكْرَاهُ مِنَ الْكُفْرِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)»^(١).

والقائل بأن هذه الآية تُدَلُّ على جواز الخروج من الإسلام، أو أنه مسار لغيري، فُضِرَبَ بفهم ظاهر آية ألف آية وحديث وأبطلها، وهذا لا بقوله من جهة الشرع عالم، ولا من جهة النظر صاحب فكر؛ فالدليل لا يُضْرَبُ به دليل آخر يُخَالِفُهُ من وجوه ويُعَارِضُهُ من وجوه؛ فكيف يُبْطَلُ الدليل، بظاهر دليل؟

• وأما قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٦) فقد حَتَلَ بعضهم^(٢) هذه الآية على التخيير بين الإسلام وغيره، والمساواة بينهما؛ وهذا لا تُدَلُّ عليه الآية؛ لا في ظاهرها، ولا في باطنها:

□ أما المساواة: فالآية تُنْفِيهَا؛ فقد سَمَّيَ الْإِيمَانَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِيْمَانًا، وَسَمَّيَ الْإِيمَانَ بِغَيْرِهِ كُفْرًا.

□ وأما القول بأنها تُفِيدُ التَّخْيِيرَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ: فهذا كلام من لا يَفْهَمُ لِسَانَ الْعَرَبِ؛ فالآية هي تهديد ووعد، وهو أسلوب معروف عند واضع الحجة وإقامتها على أَحَدٍ يَتِمُّ تَهْدِيئُهُ وَتَحْلِيئُهُ بِقَوْلِهِمْ: «إِنْ شِئْتَ أَفْعَلْ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَتْرُكْ»؛ يعني: سَتَجِدُ ثَوَابَكَ وَعِقَابَكَ.

وهذا يَدُلُّ عَلَيْهِ كَمَا لَ الْآيَةِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَالَ: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾

(١) أبو داود (٢٦٨٧).

(٢) انظر: «مكتشبه» (٢/ ٧٧٢).

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَكْفُرُ (الكهف: ٢٩)، قال بعد ذلك مشوحاً: ﴿إِنَّا أَنتَهُمَا
وَالْمُكَلِّبِينَ ذَا لَأَمَلٍ يَوْمَ تَرْوَاهُمَا﴾ (الكهف: ٢٩) وبهذا فسرهما الصحابة
والتابعون، ولا خلاف بينهم في ذلك^(١).

ولكن مَنْ نَظَرَ في هذه الآية، نظر إلى كلمتي منها؛ وهي قوله:
﴿لَمَنْ ذَا﴾ (الكهف: ٢٩)، ولم ينظر إلى السياق؛ فتوهم أن المشيئة تعني
حرية الاختيار، والمشيئة هنا هي كقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْتارُونَ﴾ (النحل: ٩٧) لم
يَنْ يَخْتَارُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اخْتَارُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَعِيدُونَ﴾ (ص: ٤٠).

ولم يختلف المفسرون من السلف على صحة هذا المعنى؛ وبهذا
قال ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد^(٢).

وجاء بمعناه الحديث؛ كما في قوله ﷺ: (الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ
الْجَنَّةِ؛ حَافِظٌ عَلَى وَالِدَيْكَ أَوْ اثَرُكَ)^(٣)؛ وليس هنا تخيير بين العقوب
والبراء؛ وهو معروف في لسان العرب؛ فأنمر بالشئ وتخير فيه، والمراد:
الوعيد والتهديد؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُوا بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فَتَنَوْنَ
فَتَنَوْنَ﴾ (النحل: ٩٥)؛ وليس في هذا أمر بالكفر، ولكنه تهديد.

وكما يكون في التهديد والوعيد يكون في الرجاء؛ لكنه لا يثبت من
مثل هذا السياق التخيير؛ كما في قول النبي ﷺ: (لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى
أَهْلِ بَنِي إِسْرَءِيلَ فَقَالَ: اخْتَلَوْا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ خَفَرْتُ لَكُمْ)^(٤)؛ فلا يقول عاقل:
«إنه يجوز لأهل بني الكفر والفسوق والعضيان»، ولكن الآية السابقة

(١) تفسير الطبري (٢٤٤/١٥ - ٢٤٥)، والقرطبي (٤/٢٩٩).

(٢) الموضع السابق.

(٣) الترمذي (١٩٠٠)، وابن ماجه (٢٠٨٩ - ٢٦٦٣) من حديث أبي النور.

(٤) البخاري (٢٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب.

فإن هذا لا يجوز في شريعة محمد ﷺ، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين؛
 فإن في شريعته الناسخ، وفيها المنسوخ؛ فلا يجوز العمل بالمنسوخ؛
 فالإيمان بالكتاب وتعظيمه شيء، والعمل به شيء آخر، والقرآن نسخ ما
 قبله من تشريعات الكتب السابقة؛ فالقرآن قاضي على شرائع ما سبق،
 وحاجم عليها؛ كما قال تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
 وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].



﴿وَقُلْ أَتَىٰ لِيَ رَبِّي: ﴿وَشَرَحَ بِهِ بَيِّنَةُ الْقُيُومِ، وَهَدَىٰ بِهِ الصِّرَاطَ
 الْمُسْتَقِيمَ﴾:

بيان لمنزلة القرآن والجحيم منه؛ فقد جعله الله حجة على عباده؛
 لجعله بينا محكما، واضحا مفضلا؛ كل من أراد الحق فيه، وجدّه، ومن
 لم يلقه زئج، زاع، وأما القرآن، فكله حق؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ
 الْكِبَلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجَمُ عَنْ حُكْمٍ ظَاهِرٍ﴾ [ص: ١٢].

﴿مصدر تفسير القرآن:

ومن الله إنزاله، وعليه بيانه؛ فليس لأحد أن يجتهد فيه براه
 وهواه؛ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ إِتْمَامًا لِلَّذِينَ آمَنُوا نَحْنُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٤] وهذا البيان من الله، لا من غيره؛ كما قال
 تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ ثُمَّ يُدْعَىٰ إِلَيْنَا يُخَافُنَا﴾ [القيامة: ١٨ - ١٩]،
 ولكن البيان نسب إلى النبي ﷺ باعتبار بلاغته له؛ وأما فإن النبي ﷺ
 مأمور بالاتباع لأمر الله؛ كما قال الله: ﴿وَلَسْتُمْ كَمَا أَوتِيتُمْ وَمَنِ ظَنَّتْكُمْ﴾
 [نور: ١١٢].

ومن صبح لسانه الغرير، وفهم لغات العرب، لم ينجح إلى تكلف

وتنطع في تأويل القرآن، فلا أصل فيه: أن يفهمه العربي عند نزوله، ولكن لما بعد الزمان، وضعت اللسان، احتاج الناس إلى الرجوع إلى تأويل السلف من الصحابة والتابعين؛ حتى لا يحيلوا القرآن على غير مراد الله.

وقد عصم الله نبيه ﷺ فكان مفسراً للقرآن بقوله وفعله، ومرجعاً لمعانيه بحياته، وقد كان يتخلف به، ويقوم بما أمر الله فيه؛ وقد قالت عائشة رضي الله عنها: «كان خُلُفَةُ الْقُرْآنِ»^(١)، وقد أمره الله بتلاوة كلامه وتعليمه للناس: «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ أَمْيَنُ. وَرَضُّهُمْ وَفَرَّغَهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ»^(٢) قال عمران: ١٦٤، والحكمة هي سنة؛ فإنها لا تتعارض مع القرآن لعصمته ﷺ، وإنما هي مبينة مفسرة له.

وكل ما استقر عليه فهم الصلح الأول من القرآن، فهو مراد الله فيه؛ لأن الله أنزله بلسانهم ليفهموه، ولا يسكت النبي ﷺ على معنى باطل استقر في نفوسهم؛ فهذا يخالف مقتضى الرسالة، والله مطلق على ما في نفوسهم من فهم.

ولو علم الله أن عائشة أو أكثرهم فهموا القرآن على غير مراد الله، لأنزل الله البيان في ذلك؛ لأن هذا مقتضى حفظ دينه وتمايمه وكمايله؛ فكما أن القرآن وتامم النبي هو للمعاني كما هو للحروف؛ قال تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي»^(٣) (البقرة: ٢١٨).

وجب الإيمان بكل ما جاء في كلام الله وكلام رسوله؛ لكل ذلك وحى من الله، وقد قرأ الله طاعته بطاعة نبيه، ومعصيته بمعصيته؛ لأن

النبي ﷺ الأمرُ بأمر الله، الناهيُ بنهيهِ، ولا يخرجُ عن ذلك؛ فمن أحبَّ الله، ولم يُطِعْ نبيَّهُ، فدعواه كاذبة؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣٢).

ومن جهلَ شيئاً من كلام الله، وجب عليه السؤالُ عن مرادِ الله عند من تعلَّمه من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم من أهل العلم؛ وقد قال ابن أبي رَزْوَيْ في «الجامع»: «وَتَصَلُّقِي بِمَا جَاءَنَا عَنِ اللَّهِ ﷻ فِي كِتَابِهِ، وَمَا نَبَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْخَبَائِدِ: يُوجِبُ الْقَتْلَ بِشُكْكِهَا، وَتُجْرُ بِغَيْرِ مُشْكِلٍ وَمُتَشَابِهٍ، وَتَكُلُّ مَا غَابَ عَنَّْا مِنْ حَقِيقَةِ تَفْسِيرِهِ، إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ يَعْلَمُ فَأَبْدِلَ الْمُتَشَابِهَ مِنْ كِتَابِهِ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ: ﴿بِمَا يَوْمَ كَلَّمَ رَبِّيَ هُوَ رَبُّنَا﴾ (آل عمران: ٤٧).

وقال بعضُ الناس: إنَّ الراسخينَ يَعْلَمُونَ مُشْكِلَهُ، وَلَكِنْ الْأَوَّلُ قَوْلُ أَهْلِ التَّوْبَةِ: وَحَلِيهِ يَنْتَلِ الْكِتَابُ^(١).

الإيمانُ بالقيامة وما فيها:

﴿قَالَ إِنْ لَيْتَ رَبِّي: «وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ، كَمَا بَدَأْنَاهُمْ يَوْمَئِذٍ»﴾:

الإيمانُ بالبعث بعد الموت من أركانِ الإيمان، ولا يصحُّ إيمانُ أحدٍ إلا به، وقد قال النبي ﷺ: «لَمَّا سَأَلَهُ جَبْرِيلُ عَنِ الْإِيمَانِ -: (الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)^(٢).

ولنعلمُ البعثَ والإيمانَ به أقسمَ الله عليه في مواضع ثلاثة؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَكُنَّكُمْ﴾ (سبا: ٣)،

تَشْكُرُونَ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَكَاهُ اللَّهُ وَلَهُ الْآثَرُ كَيْفِيَّةٌ﴾ (النمل: ١٨٧)، وقال تعالى: ﴿وَلْيَخُصَّ فِي الْغُيُوبِ فَاصْبِرْ مَنْ فِي الشُّكُوفِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ لِيَوْمٍ يَدْعُونَكَ فَيَأْتِيهِمْ يُظْهِرُ﴾ (الزمر: ١٦٨).

والخلف في النجاسات:

نتیجہ: ایک اعلیٰ

والجواب: أنها ثلاث.

وقيل: إنها أوتيت.

وقد بُيِّنَ ذلك في الخُرَاسانية^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والله يُعِيدُ أَجْسَادَ النَّاسِ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، لَا غَيْرَهَا، وَيُحْيِي الْعِظَامَ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، لَا غَيْرَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ بَرِيَّةً حَكِيمَةً يُبَيِّنُ اللَّهُ لِلْعَالَمِينَ إِذْ خَلَقَ عَلَى أَكْوَافٍ بَرِيَّةً﴾ (التكوير: ١٩)، وقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩)، وقال تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا بِنَاءً إِذْ تُصَوَّرُونَ ۖ كُونُوا حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْ بُحْبُوحَتِكُمْ ۚ سَبِّحُوا لِلَّهِ مِمَّا يُخْبِرُ ۚ قُلْ لِلَّهِ الْغَلْبُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْبَاقِي﴾ (الأنعام: ٥٠-٥١)، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزِيدُ فِي أَحْجَابِهِمْ وَحَالِهِمْ بِنِجْسٍ مَا يُزِيدُهُ اللَّهُ فِيهِمْ فِي الدُّنْيَا، فَيُكْثِرُ الصَّغِيرَ، وَيَهْزِلُ الْعَظِيمَ، وَيُسَمِّنُ الضَّعِيفَ، وَيَضَعِفُ السَّمِينِ، وَالزِّيَادَةُ فِيهِمْ لَا تَعْنِي: أَنَّ الْأَبْدَانِ لَيْسَتْ الْأَبْدَانُ، وَلَا أَنَّ الْجُلُودَ لَيْسَتْ الْجُلُودُ، وَلَا أَنَّ الْعِظَامَ لَيْسَتْ الْعِظَامُ.

وقد قال ابن أبي زيد في عقيدته في «الجامع»: «وَأَنَّ اللَّهَ أَطَاعَتْ

وَعَصَتْ فِي الْيَوْمِ تَبَعَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِتَجَارَى، وَالْجُلُودُ الَّتِي عَانَتْ فِي الدُّنْيَا فِي الْيَوْمِ تَشْهَدُ، وَالْأَلْسِنَةُ وَالْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ فِي الْيَوْمِ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ^(١).

وَمَنْ كَفَرَ مِنَ الْمَدْمُونِينَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْخَلْقِ، لَمْ يَكْفُرْ بِالْبَعْثِ إِلَّا بِأَنَّ اللَّهَ يُعِيدُ ذَاتَهُ كَمَا هِيَ؛ فَهُوَ يُجْعِلُ هَذَا، وَأَمَّا خَلْقٌ غَيْرُهُ مِنْ جَدِيدٍ، فَهُوَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُ وَأَوْجَدَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ خَلُّوا وَكَفَرُوا.

﴿أَشْرَاطُ السَّاعَةِ﴾:

وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِمَا قَبْلَ السَّاعَةِ مِنْ عَلَامَاتٍ وَالْمَارَاتِ وَأَشْرَاطٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَنْظُرُوا إِلَّا الْآيَةَ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمُ الْغُرْثَاءُ﴾ [محمد: ١٨]، وَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ؛ كَخُرُوجِ الدَّجَالِ، وَالْمَائَةِ، وَبَاجُوجٍ وَمَاجُوجٍ، وَنُزُولِ عِيسَى، وَخُرُوجِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا. وَلِلْسَّاعَةِ أَشْرَاطٌ كَبِيرَى وَصَغِيرَى، وَعَاشَةُ الصَّغِيرَى سَابِقَةٌ لِلْكَبِيرَى، وَمِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهَا، وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا الصَّحِيحُ الْمَتَوَاتِرُ، وَمِنْهَا ذَوْنُ ذَلِكَ، وَمِنْهَا الضَّعِيفُ بِسَبِيلِ الضَّعِيفِ، يُسْتَأْنَسُ بِهِ وَلَا يُجَرَّمُ بِهِ، وَمِنْهَا الْوَاهِي وَالْمَطْرُوحُ وَالْمَكْدُوبُ؛ وَهَذَا مِمَّا لَا يَجُوزُ رَوَايَتُهُ إِلَّا لِيَانِ تَكَارَرِهِ.

﴿تَنْزِيلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ عَلَى الْوَاقِعِ﴾:

وَلَا يَجُوزُ تَرْكُ الْأَوَامِرِ الشَّرْعِيَّةِ الظَّاهِرَةِ؛ لِأَجْلِ ظَنِّ فِي أَنَّ نَازِلَهُ لَوْ شَخْصًا هُوَ الْمَقْصُودُ فِي حَدِيثِ يَسْبِقُ السَّاعَةَ؛ لِأَنَّ الْأَوَامِرَ قَطْعِيَّةً، وَتَطْلِيْقُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ عَلَى الْحَوَادِثِ وَالْأَشْخَاصِ ظَنِّيٌّ؛ فَلَا يَتْرَكَ قَطْعِيٌّ

(١) «الجامع» (ص ١١٢).

لَقَدْ نَزَّلْنَا وَأَهْلًا مِنْ الْأَمْوَالِ الَّتِي يَغْفُلُ فِيهَا الْعَوَامُ، وَبَعْضُ الْمُتَعَلِّمِينَ؛ بِإِزَالَةِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ عَلَى حَوَادِثٍ وَأَعْيَانٍ، ثُمَّ يَحْتَلُونَ بِمَقْتَضَى تَنْزِيلِهِمْ، وَيَحْتَلُونَ أَنَّهُمْ يَحْتَلُونَ بِالنَّصِّ الثَّابِتِ، وَهُمْ يَحْتَلُونَ بِظَنِّهِمْ، لَا بِالنَّصِّ، وَكَثِيرًا مَا سَفِطَتْ دَعَاةٌ، وَوَقَعَتْ فِتْنٌ فِي النَّاسِ، وَاسْتَبِيحَتْ حُرُمَاتٌ؛ بِسَبَبِ ذَلِكَ.

وتجوزُ السلفُ لتزليلِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بِأَبْ غَيْرِ الْبَابِ الَّذِي يَنْبَغُهُ عَمَلٌ وَلِشَرِيحٍ؛ طَائِفُهُمْ كَانُوا يَنْزِلُونَ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ الْحَوَادِثِ وَالْأَشْخَاصِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْإِحْتِيَاطِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ يَحْتَلُونَ ذَلِكَ اسْتِنَاسًا، لَا أَصْلًا يَسْتَقِلُّ بِهِ الْعَمَلُ وَالْفَرَكُ.

وقد جعلَ اللهُ لِلْسَّاعَةِ أَمَارَاتٍ؛ رَحْمَةً بِالنَّاسِ لِيَعْتَزَّ مَنْ أَرَادَ لَهُ الْإِعْتِبَارَ، وَيَرْجِعَ مَنْ كُتِبَ لَهُ الْعُقُودَةُ؛ حَتَّى لَا تَقُومَ السَّاعَةُ إِلَّا وَقَدْ انْفَلَقَتْ أَعْدَارُ النَّاسِ، وَقَامَتِ الْحُجُجُ الشَّرْعِيَّةُ وَالْكُوفَةُ عَلَيْهِمْ.

وَعَلِمَ السَّاعَةُ عِنْدَ اللهِ لَا بِجَلِيلِهَا لَوْفِهَا إِلَّا هُوَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ الْغُيُوبِ وَمَتَى أَنذَرْتُ الْقَوْمَ الْقِيَمَةَ﴾ [القصص: ٢٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَحِيطُ بِرُوحِنَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ٢١٨٧]، وَمَنْ زَعَمَ عَلَمَهُ أَوْ ادَّعَى لِعِبَرِهِ الْعِلْمَ بِيَوْمٍ مَعَيَّنٍ مَحْدُودٍ تَقُومُ فِيهِ السَّاعَةُ، فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ، وَكُتِبَ خَيْرُهُ.

❦ الْحِسَابُ وَالْعِقَابُ:

﴿قَالَ كَذِبًا إِنَّكَ وَمَنْ يُكَذِّبُكَ﴾ [وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ضَاعَتْ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنَاتِ، وَضَفَّحَ لَهُمْ بِالثَّوَةِ عَنْ كِبَائِرِ السَّيِّئَاتِ، وَغَفَرَ لَهُمُ السَّخَائِرَ، بِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ، وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَنْتَبِ مِنَ الْكِبَائِرِ ضَاقًا إِلَى مَحِيئَتِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا سِوَهُ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]:

يُحْصِي اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ كُلَّ أَعْمَالِهِمْ، دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، لَا يَتْرُكُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ دَقِيقَ حَسَنَةٍ وَلَا سَكَنَةً قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَبْقُصُ اللَّهُ جَمِيعًا بِكَيْفَتِهِمْ يَمَّا عَمِلُوا أَلْحَسَنَةُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٤٦]، وَقَالَ: ﴿وَتَقُولُونَ بِتَرَتُّبِكَ مَالٍ هَذَا الصَّغِيرُ لَا يَكُونُ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا إِلَّا أَلْحَسَنًا وَبِجَدِّكَ مَا عَمِلُوا كَبِيرًا وَلَا يَكُونُ كَبِيرًا لَكَ﴾ [الكهف: ٤٩].

وَلَدَ جَعَلَ اللَّهُ الْحَسَنَةَ الَّتِي يَكْتُبُهَا الْعَبْدُ تَكْتُبُ لَهُ بِعَشْرَةٍ، وَالسَّيِّئَةَ لَا تَكْتُبُ عَلَيْهِ إِلَّا بِوَاحِدَةٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالسُّوءِ فَهُوَ عَشْرُ أَثَرَاتٍ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَحْزَنُ إِلَّا بِوَاحِدَةٍ وَهَمَّ لَا يَكُونُ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وَقَدْ ثَبَتَ الْحَدِيثُ فِي ذَلِكَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(١)، وَأَبِي هُرَيْرَةَ^(٢)، وَأَنَسٍ^(٣)، وَأَبِي قُرَيْشٍ^(٤)، وَغَيْرِهِمْ^(٥).

وَمِنْ لُطْفِهِ: أَنَّ فَتَحَ بَابَ التَّوْبَةِ لِمَنْ تَابَ، فَمَنْ تَابَ وَأَنَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، مِمَّا كَانَ ذَنْبُهُ وَلَوْ كَانَ قُرْفًا، فَإِنَّهُ لَا يَتَعَاطَلُهُ ذَنْبٌ، فَمَغْفِرَتُهُ تَعْمُ جَمِيعَ الذُّنُوبِ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَكُونُ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُتَوَلُّونَ الرَّحِيمُونَ﴾ [الزمر: ٥٣].

بَلْ إِنَّ اللَّهَ يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عِبْدِهِ، قَالَ ﷺ: ﴿لَا أَرَى بِتَوْبَةِ عَبْدٍ مِنْ أَخْوَفِهِمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي الرُّحَى فَلَا...﴾^(٦)، وَقَالَ:

(١) البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

(٢) البخاري (٤٦) و (٧٥٠١)، ومسلم (١٢٨) و (١٢٩) و (١٣٠).

(٣) مسلم (١٦٢). (٤) مسلم (٢٦٨٧).

(٥) كُتِبَتْ مِنْ هَذَا عَنْ عَبْدِ أَحْمَدَ (١/٣٢١ و ٣٤٥ و ٣٤٦) وَهَمَّ (١٨٩٠٠ و ١٩٠٣٥ و ١٩٠٣٩)، وَابْنُ حِبَّانَ (٦١٢١).

(٦) البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذَيَّبُوا، لَلْعَلَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِكُمْ بِذُنُوبٍ قَسِيبَةٍ تَمُوتُونَ) ^(١)، لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُمْ عَلَى الْخَطَا، فِي الْحَدِيثِ: (كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَغَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَابُونَ) ^(٢).

﴿حَكُمَ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَثْبُ مِنْ ذَنْبِهِ﴾

وَمَنْ ارْتَكَبَ الصَّغَائِرَ، وَاجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ، كَفَّرَ اللَّهُ صَغَائِرَهُ عَنْهُ، وَلَمْ يُؤَاجِلْهُ بِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَهْتَدُونَ عَنْهُ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَنُعَذِّبَنَّكُمْ ثُمَّ لَنَكْرِمَنَّكُمْ﴾ [النساء: ١٢٦]، وَجَعَلَ لَذَلِكَ أَسْبَابًا كَثِيرَةً:

مِنْهَا: عَمَلُهُ الصَّالِحُ؛ كَالصَّلَاةِ الْخَمْسِ، وَالْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانَ إِلَى وَمُضَانَ، وَالْحَجِّ الْمَبْرُورِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَقَدْ يَغْفِرُ اللَّهُ لِلْمُذْنِبِ ذَنْبَهُ بِمَشِيئَتِهِ وَلِقْدَرِهِ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلِ الْعَبْدُ سِيئًا وَمَلَأَ مَقْتَضَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَسَعَى فَضْلِهِ، وَسَبَّحَ رَحْمَتَهُ لِقَضَائِهِ.

وَأَمَّا أَصْحَابُ الْكِبَائِرِ، إِنْ لَمْ يَتُوبُوا، فَهُمْ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ: إِنْ شَاءَ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَالَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ نصوصُ الوَحْيِ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ السَّلَفُ: أَنَّ أَصْحَابَ الْكِبَائِرِ خَيْرَ النَّاسِ عَلَى فَرِيقَيْنِ:

فَرِيقٌ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ بِرَحْمَتِهِ، وَمِمَّا يَهَيِّئُهُ اللَّهُ مِنْ أَسْبَابٍ خَارِجَةٍ عَنْ الْعَاصِي، كَدَعَاؤِ وَلِيِّهِ أَوْ غَيْرِهِ، أَوْ عَمَلٍ لَهُ صَالِحٍ آخَرَ، عَظَّمَهُ اللَّهُ فَغَلَبَ عَمَلُهُ السَّيِّئَ، أَوْ أَنْ يَكْتَبَلَ شَفَاعَةُ غَيْرِهِ لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ أَوْ وَلَدٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، أَوْ أَنْ يُجَرِّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَسْبَابٍ فِيهِ، يَكْفُرُ بِهَا مِنْ مَعَاصِيهِ؛ كَالْمَصَائِبِ وَالْهَمَمِ فِي الدُّنْيَا، أَوْ مَا يُلْحَقُهُ مِنْ كَرَمٍ وَشِدَّةٍ فِي الْبَرَزَخِ، وَالْمَوْقِفِ

(١) مسلم (٢٢٤٩) من حديث أبي هريرة.

(٢) الترمذي (٢٢٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥٦) من حديث أنس.

والغرض على الله وهول الصراط، وغير ذلك^(١).

وفريق: لا يَخْفِرُ الله له كِبِيرَتُهُ؛ فيعلَبُهُ بما يَطْهَرُهُ الله به في النار، ثُمَّ مَالَهُ إِلَى الْجَنَّةِ.

والأصل: أَنَّ الْفَرِيقَ الْأَوَّلَ أَكْثَرُ مِنَ الْفَرِيقِ الثَّانِي؛ لِسَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ وَسَبْقِهَا لِنُصْبِهِ.

﴿مَصْبُورٌ مَّنْ دَخَلَ النَّارَ مِنْ عَصَاكَ الْمُسْلِمِينَ﴾

﴿قَالَ أَنَّى لِغُلَامٍ هَٰذَا إِذْ هُوَ غَافٍ﴾ اللهُ بِتَارِهِ، أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ، فَأَدْخَلَهُ بِهِ الْجَنَّةَ: ﴿فَكَيْفَ يَسْمَلُ وَيَفْكَالُ يَدُوًّا حَبِرًا يَسْوَةٌ﴾ (الفرقة: ٧)؛

مَنْ شَاءَ اللهُ عِقَابُهُ مِنْ عَصَاكَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا خِلَافَ فِي أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِيهَا كَالْكَافِرِينَ؛ لِأَنَّ الله وَعَدَ بِالْإِتَابَةِ عَلَى قَرْوَةِ الْإِيمَانِ بِالْجَنَّةِ؛ ففِي «الصَّحِيحَيْنِ»، قَالَ ﷺ: (أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ يَنْقَالُ حَبْرٌ مِنْ حَرْبِكَ مِنْ إِيْمَانٍ)^(٢)، وفيهما قال: (حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللهُ رَحْمَةً مِنْ أَرَادَ مِنْ أَقْبَلِ النَّارِ، أَمَرَ اللهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَغْبُدُ اللهُ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيُغْرِقُونَهُمْ بِأَنْبَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرِ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ؛ فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرِ السُّجُودِ؛ فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ كُلُّوا انْتَحِشُوا)^(٣)، وفيهما قال ﷺ: (يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)^(٤)، وفي «الصَّحِيحَيْنِ» أو أحدهما، مِنْ هَذَا الْمَعْنَى أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ،

(١) انظر: المجموع الفتاوى (١/٧٧ - ١٨٧)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٥١).

(٢) البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤) من حديث أبي سعيد.

(٣) البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٤) البخاري (١٤٤)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس.

وجابر^(١)، وعبد الله^(٢).

❧ وخالف في هذا الخوارج والمعتزلة، والمرجئة:

فلعنَّ الخوارج والمعتزلة: إلى سلب الإيمان منه، وأنه لا يدخل الجنة، ويخلد في النار.

ونعيت طوائف من المرجئة: إلى أنه لا يدخل النار أحد من المسلمين مهما بلغ ذنبه.

ولقد ذلَّ النليل في «الصحيحين»^(٣) على تعنيب أقوام في النار من عصاة بني آدم، وإخراج أقوام من النار قد استجشوا واحترقوا، إلا مواضع السجود فيهم، وأنه يخرج من النار من كان في قلبه ذرة من إيمان.

ومنه الأحاديث تشهد لصحة ما ذهب إليه أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة، وفيها رد على مذاهب هذه الطوائف المخالفة.

❧ الشفاعة وأحكامها:

❦ قال الشيخ: «ويخرج منها بشفاعة النبي ﷺ، من شفع له من أهل الكتاب من أتوه»:

الشفاعة ثابتة، وهي حق لعمري لا يتكرَّر أصلها مسلم، والشفع ضد الوثرة وهو: ضم واحد أو أكثر إلى واحد أو أكثر، ليصل إلى حاجة يعجز عنها بغيره.

(١) البخاري (٦٨٨٨)، ومسلم (١٩١).

(٢) البخاري (٦٨٧٩)، ومسلم (١٨٦).

(٣) سبق لخبرها قبل قليل.

وهذا من رحمة الله، وَسَعَى فضله: أَنْ جَعَلَ الأسبابَ الْمُنجِيَةَ مِنَ النارِ والمُذْخِلَةَ لِلْجَنَّةِ متعدِّدةً.

والشفاعةُ تكونُ للنَّجاةِ والسَّلامةِ مِنَ العذابِ أوِ الْكَرْبِ، وتكونُ لتخفيفِ العذابِ، وتكونُ لزوالِ العذابِ، وتكونُ لدخولِ الْجَنَّةِ، وتكونُ لارتفاعِ فيها قَرَجَةٍ فوقَ ما يستحقُّه العبدُ من غيرِ الشفاعةِ:

■ **أما الشفاعةُ التي تكونُ للنَّجاةِ والسَّلامةِ:** فكالشفاعةِ لأهلِ التَّوَقُّفِ بتخفيفِ الْكَرْبِ عليهم: بأنْ يجعلَ اللهُ في حسابِهِم^(١)، وكالشفاعةِ للنَّجاةِ مِنَ العذابِ لمن كَتَبَ اللهُ عليه النارَ، فيُنْجِيَهُ اللهُ منها بشفاعةِ غيره^(٢).

■ **وأما الشفاعةُ التي تكونُ لتخفيفِ العذابِ:** فكشفاعةُ النَّبِيِّ ﷺ لَعَمْرُو أبي طالب^(٣)، وشفاعةُ وشفاعةِ غيره للعصاةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ التَّخَفُّفَ عَنْهُمْ^(٤).

■ **وأما الشفاعةُ التي تكونُ لزوالِ الْعَذَابِ:** فكالشفاعةِ في أهلِ النارِ مِنَ عَصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ بِخروجِهِمْ مِنَ النارِ؛ فَإِنَّ الْأَعْدَاءَ اسْتَفَاضَتْ أَنْ أَتَوَاتِمَا مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ يُعْتَبُونَ فِي النَّارِ؛ إِنْ لَمْ يَرَحْنَهُمُ اللهُ قَبْلَ ذَلِكَ^(٥).

■ **وأما الشفاعةُ التي تكونُ لدخولِ الْجَنَّةِ:** فكشفاعةُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْأَمَمِ أَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ بعدما يُجَاوِزُونَ الصَّرَاطَ^(٦).

(١) البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة. والبخاري (٧٤١٠)،

ومسلم (١٩٣) من حديث أنس.

(٢) البداية والنهاية (١٨٩/٢٠ - ١٩٢).

(٣) البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩) من حديث العباس.

(٤) البخاري (٦٥٦٠، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢، ١٨٣، ١٨٤).

(٥) سبق قيل قليل من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وأنس وغيرهم.

(٦) كما عند مسلم (١٩٦، ١٩٧) من حديث أنس، و(١٩٥) من حديث أبي هريرة

وطهيفة.

■ ولما الشفاعة التي تكون للارتفاع في الجنة: فهي شفاعة النبي ﷺ وغيره من الملائكة والأنبياء والصالحين لغيرهم: بأن يُلحظوا بهم، أو من قوتهم ممن نُصِرَ عملهم عن بلوغ تلك المرتبة^(١)، وكشفاعة الأزواج والآباء والأبناء والأرحام بعضهم لبعض^(٢).

ولا يَشْفَعُ إلا مؤمن، ولا تُقْبَلُ الشفاعة من غيره؛ لأن الله لا يَرْضَى عن الكافر:

وكلما ضَعُفَ إيمانُ العبد، ضَعُفَ احتمالُ شفاعته؛ حتى يكون أضعف الأئمة إيماناً لا يَشْفَعُ لأحدٍ؛ لأنه لن يَشْفَعَ لمن قَوْلُهُ: «لأنه أقوى إيماناً منه، وليس نحوه أحدٌ يَشْفَعُ له».

وكلما علَتْ مرتبةُ المؤمن، قَلَّ الشافِعُونَ له؛ يُعْلَوْنَ عليهم، ويلوغي مرتبة تمام الرضا أو مقارنتها؛ ولهذا لم يثبت أن النبي ﷺ يَشْفَعُ له أحد؛ لأنه أفضل الأنبياء والناس أجمعين؛ فكان أحقهم شفاعة لغيره، وغيره عنهم الشفاعة له.

ولا يَأْتِي بالشفاعة إلا الله، وليس إلا أحدٌ من الخلق؛ مهما علَتْ منزلته وارتفع شأنه؛ قال تعالى: ﴿كُلُّ الْوَسْطَةِ جُيْعًا﴾ (الزمر: ١١)، وقال: ﴿وَتَقْبَلُونَ مِنْ رَبِّكُمْ أَفْوَاجًا﴾ (الأنعام: ١١٨)، وقال: ﴿وَيَقْبَلُونَ مِنْ رَبِّكُمْ أَفْوَاجًا﴾ (الأنعام: ١١٨).

والشفاعة لا تكونُ من أحدٍ حتى يكونَ فيها أمران:

- إِنْ أَمَرَ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ.

- وَرِضَا مَنْ الْمَشْفُوعُ لَهُ.

(١) كما في حديث أبي موسى عند البخاري (٤٣٨٣ و ٤٣٨٤)، ومسلم (٦٤٩٨). وحديث أم سلمة عند مسلم (٩٢٠).

(٢) كما عند مسلم (٢٦٣٥) من حديث أبي هريرة. وهو في شفاعة الأبناء والآباء.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا يَشْفَعُ لَكَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النجم: ١٢٦] فالكافر لا يشفع، ولا يشفع له، لأن الله لا يرضى عن الكافرين؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَشْفَعُ عَنِّي أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِي﴾ [التوبة: ١٩]، والشفاعة لا بد فيها من رضا سبحانه، والكافر لا يشفع بالشفاعة؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَا شَفَعَهُمْ ظُلُمَاتُهُمُ النَّارُ﴾ [السلط: ٤٨].

وقد أنكر بعض الطوائف الشفاعة بحسب أصولهم، وفرعوا على ذلك نقضها وإبطالها، ومنهم: من ينكرها حاشة، ومنهم: من ينكر بعضها:

فالخوارج والمعتزلة لا يزوجون صاحب الكبيرة مؤمناً، وعلى هذا: فلا شفاعة عندهم للمعصاة من المسلمين؛ لأنهم سلبوهم اسم الإيمان، وبما يلهم المرجئة الذين لا يزوجون الشفاعة للمعصاة أيضاً؛ لأن المعصية لا تؤخر على الإيمان عندهم؛ وعلى هذا: فلا يدخلون النار بها أصلاً، فضلاً عن تخفيف العذاب عليهم؛ فلا يدخل النار عند الخوارج والمعتزلة والمرجئة إلا نفس كافرة.

فالخوارج والمعتزلة والمرجئة أنكروا باعتبار ما قرروا.

وأطلق أن الخوارج والمعتزلة والمرجئة يقولون بإنكار جميع أنواع الشفاعة علك عليهم.

❦ رؤية الله في الآخرة:

❦ ﴿قَالَ لَيْسَ بِذَلِكَ شَيْءٌ يَكُونُ فَذَلِكُنَّ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ فَاغْلِبُوا فَارْتَضَوْا مَا أُوتُوا فِيهَا وَنَسُوا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وأمرهم فيها بالنظر إلى وجوه الكريم:

استفاضت النصوص على رؤية الله في الآخرة، ولم يختلف الصحابة والتابعون ولا معروف بعلم من أتباعهم في ذلك:

قال تعالى: ﴿وَنُفِثَ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (١) ﴿إِنَّ فِيهَا لَكِبْرًا﴾ (٢) (البقرة: ٢٢ - ٢٣) أي: تنظر إلى ربها بعيني رآيها، وهذا ما قرره السلف في تأويلها. وقد سأل أشهب مالك بن أنس عنها؟ فقال: «أنتظرون إلى الله؟ قال: نعم» بأعينهم هاتين، قال أشهب: «لأن قوماً يقولون: ناظرة، بمعنى: منتظرة إلى الثواب، قال: كذبوا» بل تنظر إلى الله؛ أما سمعت قول موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ﴾ (٣) (الأعراف: ١٨٢)؛ أنراه سأل محلاً ١٣... وقال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَ تَوَلَّوْا لَئِيْلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (المطففين: ١٥) (٤).

فإذا كان هناك مجبورون، فهناك ناظرون؛ وهذا لازم القول، وقد استدلل بهذه الآية على الرؤية: مالك (٥)، والشافعي (٦)، وجماعة من أهل العربية؛ كغلب (٧)، وغيره (٨).

وقد جاء اللقاء بالله يوم القيامة في مواضع من الوحي؛ وبين ذلك قوله تعالى: ﴿فَيُشْفَقُ يَوْمَ يَقْوَمُ الْحُكْمُ﴾ (الأحزاب: ٤٤)، ولزم اللقاء: الرؤية عند العرب (٩)، وخبر الإجماع على ذلك؛ كما حكاه غلب (١٠).

وقد كان سحنون يلقن ابن القصار في مرضي موته: «أن الله يرى يوم القيامة» (١١)، وكان أبو القباس بن طالب يستفتح خطبة الجمعة على

(١) شرح أصول الاعتقاد (٨٧١)، وترتيب المبارك (٤٢/٢).

(٢) شرح أصول الاعتقاد (٨٠٨). (٣) شرح أصول الاعتقاد (٨٠٩).

(٤) فائق الصراط (ص ٥٦١).

(٥) فتاويل مختلف الحديث (ص ٣٠٠ - ٣٠١)، وفرد على الجهمية للدارمي ١٦٦ و ١٦٧.

(٦) الشريعة لأجري (٩٨١/٢). (٧) الإقانة لابن بطه (٦٢/٧).

(٨) مباحث الفوس (٣٦٧/١ - ٣٦٨)، وقد سبق.

يَسِيرَ الْقَبِيرَ وَإِنْ يَأْتِيَا رُؤْيَا اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ^(١).

وَمِنَ الْأَدْلَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَرَىٰ ذِكْرًا لِّلْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَفْزَأَ مَكْكَلُهُ فَنُودِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١١٤٣] طائفة مَنَعَ مُوسَى مِنْ رُؤْيَاهُ فِي الدُّنْيَا، وَلَا زُمْ ذَلِكَ تَمَكُّنُهُ مِنْهَا فِي الْآخِرَةِ.

ثُمَّ إِنْ مُوسَى لَا يَسْأَلُ إِلَّا التَّمَكُّنَ، لَا يَسْأَلُ التَّمَكُّنَ.

وَكَمِثْلُكَ: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لِلْجَبَلِ بِنَفْسِهِ، يُبَيِّنُ مُوسَى أَنَّ لَا طَائِفَةَ فِي خَلْقِهِ - الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا - عَلَى رُؤْيَا اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْجَبَلُ - وَهُوَ أَقْوَى مِنْهُ، وَأَشَدُّ خَلْقًا - لَمْ يَتَحَكَّلْ، فَاصْبَحَ دُكًّا.

وَقَدْ جَعَلَ ابْنُ عَبَّادٍ دَلَالَةَ الْآيَةِ وَاضِحَةً عَلَى رُؤْيَا اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ^(٢)، وَبِهَذَا يَقُولُ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَعْنَى التَّجَلَّى: كَالْخَلِيلِ وَغَيْرِهِ، قَالُوا: اسْتَجَلَّى: ظَهَرَ وَبَانَ^(٣).

وَمَنْ يُعَارِضُ هَذِهِ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَدْرِيكَ الْأَشْكَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فَقَدْ أَخْطَأَ؛ لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ هُنَا، بِمَعْنَى: الْإِحَاطَةُ، وَعَدَمُ الْإِدْرَاكَ وَالْإِحَاطَةُ لَا يَنْفِي الرُّؤْيَا؛ فَقَدْ تَرَىٰ مَنْ لَا تُدْرِكُهُ وَلَا تَحِيطُ بِهِ، وَالْإِدْرَاكَ فِي الْآيَةِ الْإِحَاطَةُ، وَهِيَ قَلْبٌ زَائِدٌ عَنْ مَجْرَدِ الرُّؤْيَا، وَهُوَ مَمْتَنِعٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ طَائِفَةٌ فَتَرَىٰ بَيْنَ الرُّؤْيَا وَالْإِدْرَاكَ بِقَوْلِهِ عَنْ أَصْحَابِ مُوسَى وَطَرِغُونَ: ﴿فَلَمَّا تَرَىٰ الْجَبَّتَيْنِ قَالَ أَسْكَبْتُ لَوْ أَنَّ لِي كَلْبُورَيْنِ﴾ [الشعراء: ١٦١]؛ وَأَوَّلُهُمْ أَوَّلًا، ثُمَّ خَالُوا إِدْرَاكَهُنَّ ثَانِيًا.

وَكَانَ مَالِكٌ وَأَصْحَابُهُ يَشْتَدُّونَ عَلَى مُنْكَرِ رُؤْيَا اللَّهِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ،

(١) ترتيب المجلد (٤/ ٢١٤).

(٢) التمهيد (٧/ ١٥٣).

(٣) العين (٦/ ١٨٠)، وصحاحي الفرقان للزجاج (٢/ ٣٧٣)، وتهذيب اللغة (١١/ ١٨٥).

(١٨٦).

قيل لمالك: «إنهم يزعمون أن الله لا يرى»، فقال مالك: «سئفت السيف»^(١).

وقد ضرب أسد بن القُرَاط في مجلسه بالمسجد بتعليق رجل أنكر رؤية الله في الآخرة، وكان يقول: «والله، لو أدخِلت الجنة، فخرجت من رؤية الله، لَفَعَلْتُ، ولأننا أسرُّ برؤية ربِّي مِنِّي بالجنة»^(٢). وللشافعي كلام قريب من هنا^(٣).

وقال ابنُ المَاجِشُون: «مَن زَعَمَ أَنَّ اللهَ لَا يَرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، اسْتَبَّ»^(٤).

وصنف غير واحد من المغاربة في رؤية الله ربًّا على المنكرين لها من المتكلمين، فكتب يحيى بن عَمَرَ كتاب «الرؤية»، وكتب ابنُ وَشَّاح كتابًا أما جاء من الحديث في النظر إلى الله تعالى، وأكثر من رواية الحديث والأثر في الرؤية؛ حتى كان مُعَلِّمًا للمغاربة في هذا الباب؛ حتى قال أبو موسى الأنصاري: «كان المغاربة يزودون أقوال رؤية الله عن محمد بن وَشَّاح الأندلسي».

قال ابنُ أبي زيد في «الجامع»: «وَأَنَّ اللهَ مُبْهَمَةٌ يَرَاهُ أَوْلِيَاؤُهُ فِي الْمَعَادِ بِأَنْصَارٍ وَأُجُوهِهِمْ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَاهُ» كما قال ﷺ في كتابه وَعَلَى إِبْنِ أَبِيهِ، قَالَ الرَّسُولُ ﷺ فِي قَوْلِ اللهِ مُبْهَمَةٌ: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا لِلشَّقِّ وَبِكَائِفٍ﴾ (يونس: ٤٢٦)، قَالَ: (الحقني: الجنة، وَالزَّيْنَةُ: النَّظَرُ إِلَى

(١) شرح أصول الاعتقاد (٨٠٨ و ٨٧٢).

(٢) رياض القوس (١/ ٢٦٤).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٦٠).

(٤) شبه وغيره من كتاب السلف والأئمة محمد بن وَشَّاح في كتاب «الرؤية».

وَجِئُوا اللَّهَ قَعْلًا^(١)، قِيلَ لِمَالِكٍ: أَرَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَنْ يَنْهَرُ غَيْرَهُ^(٢)﴾ [البقرة: ١٢٣-١٢٤]، وَقَالَ ﷻ فِي الْآخَرَى: ﴿لَا يَنْهَرُ عَنْ رَأْيِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [المطففين: ١٥]، قَالَ تَالِيكَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: ذُوَّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَيَقُولُ أَلْفَ جَنَابٍ^(٣).

﴿الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَلِمَنْ أَعْتَمَهَا اللَّهُ:

﴿قَالَ لِيَرْزُقَ: ﴿وَهِيَ الَّتِي أَلْبَسَ مِنْهَا آتَمَ نَبِيَّةً وَخَلِيفَتَهُ إِلَى أَرْضِهِ، بِمَا سَبَقَ فِي سَابِقِ بِلَاقَةٍ، وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعْتَمَهَا قَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ، وَالْحَدَّ فِي آيَاتِهِ وَتَقْوِيهِ وَرُسُلِهِ، وَجَمَلَتْهُمْ فَخَبَّرُوا عَنْ رُؤْيَاهُ﴾:

ذَكَرَ اللَّهُ الْجَنَّةَ الَّتِي ادْخَلَهَا آتَمَ وَزَوْجَتُهُ، وَلَمْ يَقْضِ: ﴿وَلَقَدْ يَكْفَى أَتَمَ وَزَوْجَتَهُ لِقَاءَهُ﴾ [البقرة: ٢٥].

وَالْأَصْلُ: كَوْنُهَا جَنَّةُ الْخُلُودِ الَّتِي يَقُولُ إِلَيْهَا أَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا، وَقَدْ كَانَ آتَمَ وَخَزَاءُ - وَمَعَهُمْ عُلُوُّهُمْ إِبْلِيسُ - فِي جَنَّةِ السَّمَاءِ؛ وَلِهَذَا أَحْبَبَهُمُ اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ؛ فَقَالَ: ﴿لَقَدْ أَفْطَلُوا بَيْنَ آيَاتِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ أَفْطَلُوا بِحُسْنٍ عِلْمًا وَلَكِنْ فِي الْأَرْضِ مَسَرَّةٌ وَتَعَجُّبٌ لِمَنْ جَزَّ﴾ [البقرة: ٣١]، وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ»: أَنَّ آتَمَ تَطَلَّبَ مِنْهُ الشَّفَاعَةَ فِي الْمَوْقِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَحْتَلِّزُ مِنْهَا، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿وَهَلْ أَفْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آتَمَ؟﴾^(٤)، فَقَدْ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا هِيَ الَّتِي سَيَقُولُونَ إِلَيْهَا.

(١) «الجامع» (ص ١٧٣ - ١٧٤).

(٢) «الجامع» (ص ١٠٩).

(٣) مسلم (١٩٥).

وقد جاء ذكر الجنة التي دخلها آدم في القرآن معرفة بلام التعريف، ولم يذكرها متكرراً، قال تعالى: ﴿لَسَوْفَ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةُ﴾ (الأعراف: ١٩)، وقال: ﴿فَلَا يَخْرُجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَحْنَبُ﴾ (طه: ١١٧)، ولا جنة بمعناها المخاطبون ويعرفونها عند ستاجها إلا جنة الخلد.

وقول ابن أبي زئد: «وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعْلَقَهَا دَرَجَ خَلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ»، لا يريده: أن بعض عصاة الموحدين لا يدخلون النار، وإنما هذا ذكره بقيد الخلود، والمؤمن لا يخلد في النار ولو غلب فيها، ولهذا قيد، فقال: «فَدَرَجَ خَلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ».

ولا يرى الكفار ربهم يوم القيامة؛ لأن ربيته نعيم، ولا نعيم لهم؛ وقد قال تعالى: ﴿فَلَا يَرَوْنَ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَكُمُوتٌ﴾ (المطففين: ١٥)، وقال وجل لما لك: يا أبا عبد الله، هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال مالك: «لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة، لم يعبر الله الكفار بالجباب» قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَرَوْنَ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَكُمُوتٌ﴾ (المطففين: ١٥)^(١).
وبهذا استدلل الشافعي وأحمد^(٢).

❦ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ:

قال في «الجامع»: «وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَدْ خُلِقَتَا، أُجِدَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالنَّارُ لِلْكَافِرِينَ، لَا تَقْبَلَانِ وَلَا تَبِيدَانِ»^(٣).
أخبر الله بخلق الجنة والنار، وأنه أعدهما قبل يوم القيامة لأهلها؛ كما قال تعالى عن الجنة: ﴿أُجِدَّتْ يُسُودٌ﴾ (ال عمران: ١٣٣)،

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٠٨). (٢) «نزهة على الجبهة» (ص ١٣٣).

(٣) «الجامع» (ص ١١٠).

وقال عن النار: ﴿لَيْسَتْ بِكَافِرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٤، وآل عمران: ١٣١] فإعدادها سابق لعملي العابدين، وأعدّها الله لسابق علميه وتقديره، ولما خرج بالنبي ﷺ إلى السماء، أَرَى الْجَنَّةَ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٧﴾ جَنَّةً مِّن دُونِ الَّتِي ۚ ﴿١٨﴾ مِنْهَا جَنَّاتُ الْكُفَىٰ﴾ [النجم: ١٣ - ١٥]، وقد أَرَى الْجَنَّةَ والنار في أحاديث كثيرة^(١).

وقد رأى النبي ﷺ الجنة والنار في المنام، ورؤيا الأنبياء حق، ليست كأحلام الناس؛ وبهذا يستدل أحمد على أن الجنة والنار قد خلقتا؛ كما نقله عنه عَظَمَ^(٢)، وأدلة خلق الله للجنة والنار صريحة متواترة، وقد جَزَمَ أحمد بكفر منكر ذلك؛ كما نقله عنه الأندلسي وغيره^(٣).

وكلُّ مَنْ نَقِيَ الْقَتَرِ، أَرَى الْقَوْلَ بِفِي سَبِي خَلْقِ الْجَنَّةِ والنار.

﴿خُلُودُ الْجَنَّةِ والنار﴾

ولقد قالت بعض الطوائف: إن أفعال الله لها آخر، ومنها الجنة والنار، وعلى هذا قَتَبَانٌ؛ وهو قول الجهم بن صفوان^(٤).

وربما استدَلَّ بعضهم ببعض عسومات القرآن؛ كقولوا تعالى: ﴿وَلَمْ يَزِدْكَ إِلًا وَجْهَهُ﴾ [التيسن: ٤٨٨].

وجميع السلف على أن الجنة والنار لا قَتَبَان، وإنما قُدَّةٌ قليل لبعضهم في فناء النار^(٥)، وقد ذكر الله أبدية النار في مواضع من

(١) كما في حديث أسماء عند البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٤). وحديث انس أيضا عند البخاري (٥٤٠)، ومسلم (٤٦٦).

(٢) طبقات الحنابلة (١/٣١١). (٣) طبقات الحنابلة (٢/٣٣٩).

(٤) مقالات الإسلاميين (٢/٣٩٦)، وهرة التعارض (٢/٣٥٨).

(٥) انظر: رسالة دفع الأستار، وفلارد على من قال بفناء الجنة والنار.

كتاب: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿تَحْيِيَّ فِيهَا لَيْلًا﴾﴾ النساء: ١٦٩، والأحزاب: ٦٥، والجن: ١٢٣، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَلِكْ رَحْمَةً تَحْيِيَّهَا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (نح: ٢٧٤)، وقد صحَّ الحديث بالإتيان بالسَّوْتِ في صورة كبشٍ أَمْلَحَ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ^(١)، والقول بِقِتَاءِ الْجَنَّةِ أَعْظَمُ مِنَ الْقَوْلِ بِقِتَاءِ النَّارِ، وقد جَزَمَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ بِكَفْرِ مَنْ قَالَ بِقِتَاءِ الْجَنَّةِ خَاصَّةً؛ كَمَا فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُسَدَّدٍ^(٢).

وقد تكلَّما على ذلك بالتفصيل في «الْحُرَامَاتِ»^(٣).

﴿صفة المعجزة لله﴾

﴿قَالَ لَيْسَ بِزَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُجِيبُ بِزَمَنِ الْبَيَانَةِ، وَاللَّسَّكَ سَكًا﴾﴾ (الشم: ١٢٢)؛ يُعْرَضُ الْأَمْرُ وَجَوَابُهَا، وَتَحْقُوقُهَا وَتَوَابُهَا: تُبَيَّنُ صِفَةُ الْمَعْجِزَةِ لله تعالى حقيقةً كما يليقُ به، لا كما يليقُ بالمخلوق، وإثباتها كتابات سائر أفعالي الاختيارية؛ كالاستواء والنزول وغيرهما، وقد ذكَّرَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ إثباتها حقيقةً بقوله في «الجامع»: «بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ جَائِزًا»^(٤).

والإتيان والمعجزة: مِنَ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ؛ وقد قال تعالى: ﴿قَدْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يُلَاقَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَاسِقِ وَقَدْ يُلَاقُهُمُ الْأَمْرُ﴾ (البقرة: ٢١٠)، وقال: ﴿قَدْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يُلَاقَهُمُ التَّنْفِيذُ أَوْ يَأْتِيَ رَيْدُهُ أَوْ يَكُنَّ يَدَايِهِ رَافِعَتَيْنِ﴾ (الأنعام: ١٥٨)، وقال: ﴿وَيَكُنَّ رُكُوبًا وَاللَّسَّكَ سَكًا﴾ (الشم: ١٢٢).

(١) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد.

(٢) طلاقات الحائض (١/٢٦)، (٣) «الحرامات» (ص ٣٥٠).

(٤) «الجامع» (ص ١٠٧ - ١٠٨).

وقد حكى أبو الحسن الأشعري الإجماع على إثبات المجيء هو يوم القيامة؛ كما في رسالته إلى أهل الكوفة^(١).

وقد روى حنبل عن أحمد: أنه تأول المجيء بمجيء قلزمه، وأن الإتيان إتيان أمره.

ولم يرو ذلك عن أحمد أحد غيره، وقد أنكره عليه بعض الأصحاب؛ لأنه لا يجري على أصوله؛ قال أبو إسحاق بن شاذان: هذا غلط من حنبل، لا شك فيه، وأراد أبو إسحاق بذلك: أن مدعاه حمل الآية على ظاهرها في مجيء الناس؛ هذا ظاهر كلامه^(٢).

وهذا لو صح عن أحمد، فليس هو يجري على أصول أهل التأويل؛ لأن أصول أحمد: الإتيان لأفعال الله الاختيارية على وجه الحقيقة.

وربما استحضر فناء الأفعال الاختيارية في كيفية معينة؛ فحملهم ذلك على التأويل أو التعطيل.

وقد سمع الإمام أحمد قاضياً يروي حديث النزول، ويقول: ابلا زوال، ولا انتقال، ولا تغيير حال، فارتعد أحمد، واصلق لونه، وقال لابن عبد الله: قف بنا على هذا المتخرف، فلما حاذاه، قال: يا هذا؛ رسول الله أغبر على ربو منك؛ قل كما قال رسول الله ﷺ، وانصرفت^(٣).

والإتيان والمجيء هو يثبت حقيقة تليق به، بلا تأويل ولا تكيف

(١) رسالة إلى أهل الكوفة (ص ٢٢٧).

(٢) إبطال التاويلات (١/ ١٣٢)، ومجموع الفتاوى (١٦/ ٤٠٤ - ٤٠٦).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ١١٠).

ولا تمثيل، وقد بين ابن أبي زيد ثبوت ذلك حقيقة؛ كما هو ظاهر كلامه في «الجامع»؛ حيث قال: «وَيْسَا جَاءَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَضَعُ كُرْسِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ»^(١).

والثبات المجيء والإتيان، والنزول هو حقيقة تليق به، لا يلزم منه التشبه.

وربما جرى بعض أهل الشك على الأصول الكلامية؛ فجعلوا لوازم لا دليل عليها إثباتاً ونفيًا، عند إثبات المجيء والإتيان والنزول؛ كالحركة والانتقال وخَلُّ العرش؛ فأرادوا نزوة الله عن تلك اللوازم؛ فرجعوا إلى ما أثبت الشرع، فتأولوه.

والحق: الإمساك عن تلك اللوازم؛ فكونها لازمة للمخلوق، لا يجوز الخوض فيها في حق الخالق؛ فمن لا يشبهه شيء في صفاته لا يشبهه شيء في لوازمها.

واستنكار ابن عبد البر للفظ: «إِنَّهُ يَنْزِلُ بِذَاتِهِ» في «الاستنكار»، من هذا الباب؛ قال: «وقد قالت فرقة متسببة إلى الشك: إنه يَنْزِلُ بِذَاتِهِ؛ وهذا قولٌ مَجْهُورٌ؛ لأنه تعالى ذكره ليس بِمَحْمُولٍ لِلْحَرَكَاتِ، ولا فيه شيء من علامات المخلوقات»^(٢).

ومثله: قوله في «المجيب» في كتابه «التمهيد»: «وليس مجيئه حركَةً، ولا زوالاً، ولا انتقالاً؛ لأن ذلك إما يكونُ إذا كان الجاني جسمًا»^(٣)؛ وهذا من ابن عبد البر هو قول أبي الحسن في «الرسالة» إلى أهل الثغر^(٤).

(١) «الاستنكار» (٨/١٥٣).

(٢) «الجامع» (ص ١٠٨).

(٣) «رسالة إلى أهل الثغر» (ص ٢٢٧).

(٤) «التمهيد» (١٣٧/٧).

وقد كان الإسم أحمد يُذكر من يورث هذه الموازين: «الزوال، والانتقال، وتغير الحال»؛ بِحُجُوقِ نفيها عند إثبات النزول، وقد سَمِعَ أحمد قاضياً يروي حديث النزول، ويقول: «بلا زوال، ولا انتقال، ولا تغير حال، فارتد أحمد، واصفرَّ لونه، وقال لا يبيد عبيد الله: قف بنا على هذا المتخرف، فلما حافاه، قال: يا هذا رسول الله الخير على ربو يترك، قل كما قال رسول الله ﷺ، وانصرفت»^(١).

وابن عبد البر ثبت للاستواء على ظاهره؛ وهو على طريقة السلب في الصفات، وإن جرى في مواضع قليلة من كلامه التقرير على ما يُشابه في الظاهر طريقة أهل الكلام؛ وهذا لا يخرجُه عن أصله الذي هو عليه؛ في عائق تقريره المجمل والمفضل.

الميزان والوزن:

﴿قَالَ رَبِّيَ رَبِّي: ﴿وَتَوْضِيعُ الْمَوَازِينِ لِيَوزَنَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ﴾﴾ (حسن ثلث موازينه فأولهاك ثم المثلثون) (الامراف: ١٨) :

الميزان حق؛ كما قال مالك بن أنس وغيره^(٢)، وقد عده أحمد وابن الكلبي من أصول السنة^(٣)، وقد جاء ذلك في الكتاب، وتواتر في السنة، واجتمعت عليه الأمة؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِكُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَقْلِبُ فَتْسًا شَيْئًا﴾ (الأنبياء: ٤٧).

ويضع الله الميزان؛ لِيُنْزِلَ الْحُجَّةَ على عباده، فيوزن أفعالهم، ويقرروا صحتهم، ويصيروا موازينهم بأنفسهم؛ ليقرروا ما يستحقون، وين

(١) «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص ١١٠).

(٢) «أصول السنة» لابن أبي زمنين (ص ١٦٥).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٣١٧ و ٣١٨).

النعم والعلاب، وعرفوا مقدار ذلك، وإذا جاشتهم رحمة من الله، عرفوا قدرها، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا مَنَّ نَظْمُكَ مَوْلَیْکَ ۝۱ هُوَ الَّذِي يَخْتَارُ ۝۲ وَأَمَّا مَن خَفَىٰ مَوْلَیْکَ ۝۳ فَآتَاهُ كُتُوبًا ۝۴ وَمَا كُتُوبُکَ مَا وَیَّةَ ۝۵ نَارٍ حَیْرًا ۝﴾ [التارمة: ٦ - ١١].

وتورن جميع الأعمال، وتجعل الله لكل عمل وزناً بالعدل، وفي «المصريح» قال ﷺ: (الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأان ما بين السماء والأرض) (١).

وتورن كذلك الأبدان، كما في الحديث: (تؤتى يوم القيامة بالرجل السمين، فلا يوزن عند الله جناح بعوضة)، ثم قرأ: ﴿فَلَا تُؤْمِنُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُؤْمِنُ ۝۱﴾ [التصف: ١٠٥]، وفي فضل ابن مسعود قال ﷺ: (المتعبون من وقفة ساقية؟ أولئك نفسي يديهم، لهما في الميزان أثقل من أحب) (٢).

وكذلك تورن الكسب، كما في حديث صاحب البطاقة، وفيه: (طاشت السجلات، وثقلت البطاقة) (٣).

ولا يثبت في حجم الميزان حديث، وقد روي أن له كفتين، لظاهر حديث عمرو بن العاص، وهو حديث البطاقة، وفيه: (توضع السجلات في كفة، والبطانة في كفة، طاشت السجلات) (٤)، وبهذا يقول الأكثر، وحكى أبو إسحاق الزجاج الإجماع على ذلك (٥).

(١) مسلم (٢٢٢) من حديث أبي مالك الأشعري.

(٢) البخاري (١٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) أحمد (١/١٢٠) رقم (٣٩٩١)، وابن حبان (٧٠٦٩).

(٤) الرملي (٢٦٢٩)، وابن ماجه (١٣٠٠) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٥) الموضع السابق.

(٦) فتح الباري (١٣/٥٢٨).

ومنهم: من أنكر الجنتين؛ كما في حرم^(١).

وَرَوَى عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ: كَسَلْمَانَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ^(٢٦)، وَبَعْضِ
التَّابِعِينَ: كَالْحَسَنِ^(٢٧): أَنَّ لَهُ لِسَانًا، يَعْنِي: مَا بَيْنَ الْكَفَتَيْنِ مِمَّا يَتَوَلَّى
الرَّجْحَانِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِّقِهِ.

﴿صَحَافُ الْأَعْمَالِ، وَكَيْفَةُ اسْتِلاَمِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

﴿قَالَ لِيَزِدَنَّكَ رَبِّي فَخْرًا﴾ : وَيُزِيدُنَا فَخْرًا بِأَعْمَالِنَا ، ق : ﴿فَمَا مَنَ لِمَكَ كَيْدَهُ يَمِينٌ﴾ (٧) تَرَوْنَ كَيْدَهُ جَمًّا بَيِّنًا ﴿٧٠﴾ نَسْفَتَانِ : ٧٠-٧١ ، وَمَنْ أُوْنِيَ خِلَابُهُ زُرَّاءَ كَهَرُوا (بني «الجامع» : بِشِبَالِهِ) (٨) فَأَرْوَاهُ بِسَلْوَةٍ سَجِيرًا :

يَكْتُبُ الْمَلَائِكَةُ مَا يَمْشَلُهُ الْعِبَادُ مِنْ حَسَنَاتٍ وَسَيِّئَاتٍ، وَيُحْصِرُونَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ؛ حَتَّى يَرَى الْعَبْدُ مَا كُتِبَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَبِيلِهِ، وَيَقْرَأُ؛ سِوَا مَا كَانَ قَارِئًا فِي الدُّنْيَا، أَوْ لَمْ يَكُنْ قَارِئًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لَدُنَّ رَبِّهِ ثَنُودٌ ذُو عُنُقٍ وَهُمْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ حَسَنًا يَلْقَاهُ لَنْفَهُمْ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ (الْأَنْكَبُوتُ: ١٦) يَتَرَكُ الْإِنْسَانُ مَا كُنِيَ عَلَيْهِ خَيْرًا (الإِسْرَاءُ: ١٣ - ١٤)، وَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ (١٥).

والمؤمن يؤتى كتابه يمينه إكراماً وإشارة له؛ فهذا ظاهره؛ حيث
إنه يشر بكتابه، ويريد أن يقرأه الناس معه؛ لئلا يشر بما فيه من خيرا
كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَمَّا تَرَ الْأَوَّلَ يُكِنُّهُ بِتَيْمِينِهِ فَجَبَلَهُ عَظِيمًا﴾
(الحاقة: 19).

(1) $\frac{d\theta}{dt}$ هو المعدل الزمني للتغير في θ (2) $\frac{d\theta}{dt}$ هو المعدل الزمني للتغير في θ (3) $\frac{d\theta}{dt}$ هو المعدل الزمني للتغير في θ

(٣) مسائل حرب (١٧٤٧)، وفترم أصول الاعتقاد (٢٢١٠).

1997, 1998, 1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 2676, 2677, 2678, 26

(٥) «فقه عبد الرزاق» (٣٧٤/١)، «فقه ابن جرير» (٥١٩/١٤)، «٥٢٠»، «٥٢٣»، «٥٢٤».

وأما الكافر، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، لا يؤتى به من أمامه؛ لأن الأمان إكرام، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ بَنُو إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ يُخْرِجَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ الْمَكُونِ لَهُمْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفَ نَفْسٍ فَقَالُوا هَذَا عَجَبٌ إِنَّهُ يَخْرُجُنَا مِنْهَا بِأَقْوَمٍ وَقَالَ اللَّهُ لَمُوسَى أَنَا يُخْرِجُكَ وَالْأَنْبِيَاءُ: ١٠﴾.

واختلف في صاحب الكبيرة الذي لم يغفر الله له من المسلمين، وأراد عذابه؛ هل يأخذ كتابه يمينه أو شماله، على قولين:

- فمنهم ^(١) من قال: بشماله؛ لأن الله كتب عليه العذاب في النار إلى أمده؛ وهذا ينافي استبشاره بالنجاة، ومثله لا يقال فيه: إن حسابته يسره؛ كما في أصحاب اليمين؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ بَنُو إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ يُخْرِجَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ الْمَكُونِ لَهُمْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفَ نَفْسٍ فَقَالُوا هَذَا عَجَبٌ إِنَّهُ يَخْرُجُنَا مِنْهَا بِأَقْوَمٍ وَقَالَ اللَّهُ لَمُوسَى أَنَا يُخْرِجُكَ وَالْأَنْبِيَاءُ: ١٠﴾. فمن كتب الله عليه النار من عصاة الموحدين، لا يقلب مسرورا إلى أهله. - ودفع آخرون ^(٢): إلى أنه يأخذ يمينه؛ ولكنه لا يستبشر استبشار الناجين، ولا يشر كسرورهم؛ فالتاس على مراتب في هذا.

- وفي ذلك قول ثالث: أن العصاة يأخذون كتبهم وراء ظهورهم، وأما المؤمنون: فيأخذونها بأيمانهم، وأما الكفار: فيشمالهم؛ وبهذا قال ابن حزم ^(٣)، وفيه نظر.

❦ الصراط وأحوال الناس فيه:

❦ قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الصِّرَاطَ عَلِيٌّ، مَجْرُؤُةَ الْجَنَّةِ بِفَتْحٍ أَهْمَالِهِمْ؛ لَنَاجُونَ مَقْشُورُونَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاةِ عَلَيْهِ مِنْ قَارِ جَهَنَّمَ، وَقَوْمٌ أَوْفَقَتْهُمْ فِيهَا أَهْمَالُهُمْ﴾:

(٢) «طواغ الأتوار» (١٨٣/٢).

(١) «طواغ الأتوار» (١٨٣/٢).

(٣) «المطهر» (١٧/١).

والصراطُ حَتَّى ياتِفَاقَ السلف، وهو جَسَرٌ موروثة على مني جهنم، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْكُرُ إِلَّا أَكْرَهًا﴾ (سهم: ١٧١) بمعنى: جهنم، والورودُ يكونُ على الصراط، لا يصلُ أحدٌ إلى مكانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ إلا مِن قِبَلِهِ إِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُؤْمِنٍ، فَيَسْقُطُ وَيَهْلِكُ مَعَ الْهَالِكِينَ، وفي «الصحيحين» من حديث طويل، فيه: (وَيُضْرَبُ جَسَرُ جَهَنَّمَ)، قال رسول الله ﷺ: (فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدَعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ، سَلِّمْ سَلِّمْ، وَيَوْمَ تَلَابَيْثُ يَفْلُ شَوْكُ السُّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السُّعْدَانِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا وَقْتُ شَوْكِ السُّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَغْلُمُ قَدَرُ عَظَمَتِهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، فَتُخْطَفُ النَّاسُ بِأَعْيَالِهِمْ، يَنْتَهَبُ الْمُؤْتَقُ بِعَمَلِهِ، وَيَنْتَهَبُ الْمُخْزَعَلُ، ثُمَّ يَنْجُو...^(١))، الحديث.

وتَمَرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ بِحَسَبِ إِيْمَانِهِمْ، وَشُرْعَةُ سَقُوبِهِمْ بِمَقْدَارِ كُفْرِهِمْ وَفُجُورِهِمْ، وَأَثَبْتُ النَّاسَ عَلَى صِرَاطِ الدُّنْيَا أَيْتَهُمْ وَأَسْرَعُهُمْ عَلَى صِرَاطِ الْآخِرَةِ؛ كَمَا فِي «الصحيحين» في الحديث: قال: (الْمُؤْمِنُ عَلَيْهِمَا كَالطَّرِيقِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالزُّبْحِ، وَكَالْجَاوِدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَّابِ؛ فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَنَاجٍ مُخْلُوشٌ، وَمُخْلُوشٌ لِي نَارُ جَهَنَّمَ؛ حَتَّى يَمُرَّ أَيْخَرُهُمْ يُسْحَبُ سَحَبًا)^(٢).

وهو «فَبَقِيَ سَرِيلَةُ قَدَمٍ إِلَّا لِمَنْ ثَبَّتَهُ اللَّهُ» كما قال ابن مسعود: (وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ، فَخُضُّ سَرِيلَتِهِ)^(٣)، وقال سلمان: «إِنَّهُ كَحَدِّ الْمُوسَى»^(٤).

(١) البخاري (٦٤٧٢)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي سعيد.

(٣) تعظيم قدر الصلاة (٢٧٨). وقد روي عنه عروفا.

(٤) ابن أبي شيبة (٢٥٣٣)، وابن الأثيري (١٨٢٧). وقد روي عنه عروفا.

ودقة الصراط إنما هي من أقوال الصحابة والسلف، وليس في ذلك شيء مرفوع، وما لم يختلف عليه السلف، فالأصل: أن له أصلاً.
ولا يجوز إنكار الصراط لمجرد الاستكثار العقلي، كما يمثل ذلك طوائف من الماديين والمعتزلة؛ فإن العقل لو كان حَكَمًا على النص، لكان إنكاره غير ذلك من أمور القيامة أولى من إنكار الصراط؛ ولكن ما ثبت به النص من الغيبات لا يجوز لأحد إنكاره بالعقل؛ فإنه ليس في صريح العقل ما يجعل ذلك.

❦ الخوض المورود:

❦ قَالَ لَيْسَ بِي شَيْءٌ: ﴿وَالْإِسْمَانُ بِخَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَرِدُهُ أُمَّتُهُ؛ لَا يَطْمَأَنَّ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ، وَيُنَادِي عَنْهُ مَنْ يَذْكُرُ وَعَمْرُ﴾:

خوض النبي ﷺ حق، وقد استفاض فيه الحديث واشتهر، بل تواتر حتى رواه أكثر من خمسين صحابياً، باسمه ومعناه، وكان يعرفه عوام أهل الصدر الأول، وهو رجاء الجميع ودعائهم؛ قال ﷺ: (خَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَأْوَةُ أُنْبِيَاءِ مِنَ اللَّيْلِ، وَوَيْحَةُ أَطْطَبٍ مِنَ الْوَيْشِكِ، وَكَيْبَرَانَةُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا، فَلَا يَطْمَأَنَّ أَبَدًا)^(١).

ولا يشرب من الخَوْضِ إلا نفس مؤمنة من أمة محمد ﷺ؛ وذلك أن من شرب منه لا يطمأناً أبداً، ومن كتب الله عليه النار، فلا بُدَّ أن يطمأناً، وفي الحديث قال ﷺ: (إِنِّي عَلَى الْخَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرُدُّ عَلَيَّ وَتَكْفُمُ، وَمَنْ يُلْخِذُ لَأْسَ ذَوْبِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنِّي وَمَنْ أَتَيْتُ؛ قِيلَ: خَلَّ شَعْرَتُ مَا عَمِلُوا بِذَلِكَ؟ وَاللَّهُ مَا يَرْجُمُونَ عَلَى أَفْعَابِهِمْ)^(٢).

(١) البخاري (٦٨٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٢) البخاري (٦٨٩٣)، ومسلم (٢٢٩٣) من أسماء بنت أبي بكر.

والْحَوْضُ قَبْلَ الصِّرَاطِ فِي الْمَوْقِفِ عِنْدَ تَكْوِيلِ الْمَقَامِ، بَعْدَ التَّبْعِثِ وَتَوَلُّوُ الشَّمْسِ وَثَبُتَةُ الْعَطَشِ؛ فَذَلِكَ أَعْظَمُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَظْهَرُ فِي النَّعِيمِ.

وَالْأَظْهَرُ: أَنَّ لِلْأَنْبِيَاءِ حَوْضًا لَهُمْ وَلِأَمْوِيهِمْ، وَلَمْ يَثْبُثْ تَخْصِيصُ النَّبِيِّ ﷺ بِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَثْلُهُ، وَالْمَوْقِفُ فِيهِ أَنْبِيَاءٌ وَأَوْلِيَاءٌ مِنْ غَيْرِ الْأَمْوِ، وَحَوْضُ النَّبِيِّ خَاصٌّ بِهِ وَبِأَتَمِّهِ، وَمَقْنَضِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضِيلِهِ: عَمُومُ ذَلِكَ لِأَمْتَالِهِمْ، وَإِنْ اخْتَلَفَتِ الدَّرَجَةُ وَالشَّعَّةُ؛ فَالْحَاجَةُ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ عَامَّةٌ لَهُنَّ الْأَمْوِ وَغَيْرَهَا.

وَقَدْ أَكْثَرَ الْحَوْضَ بَعْضُ الْمَافِيَيْنِ وَالْمَعْتَرِلُونَ^(١)، مَعَ كَثْرَةِ الْأَدْلَى وَتَوَاتُرِهَا، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبِدْعِ وَالضَّلَالِ أَنْ يَزِدَّ الدَّلِيلُ لِلنَّظَرِ.

❦ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي رَيْثٍ: ﴿وَأَنَّ الْإِيمَانَ: قَوْلٌ بِالسَّانِ، وَإِخْلَاصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ﴾:

الْإِيمَانُ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ؛ وَهَلَهُ حَقِيقَتُهُ؛ فَلِلْإِيمَانِ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، وَهُمَا مُتَلَاوِمَانِ، الْبَاطِنُ: الْإِعْتِقَادُ، وَالظَّاهِرُ: قَوْلُ السَّانِ، وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ السَّلَفِ فِي بَيَانِ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَخْتَلِفُونَ عَلَى حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ تِلْكَ، وَقَدْ حَكَّى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ^(٢).

وَقَدْ كَانَ مَالِكٌ يَمَيِّرُ عَنْ ذَلِكَ بِعِبَارَاتٍ:

فَخَرَجَ يَقُولُ: الْإِيمَانُ: الْمَعْرِفَةُ، وَالْإِقْرَارُ، وَالْعَمَلُ^(٣).

(١) التمهيد لابن عبد البر (٢/ ٢٩١)، والاختصار للقرطبي (٣/ ٧٢٠).

(٢) التمهيد (٢/ ٢٩١ و ٢٣٨ و ٢٤٣).

(٣) مسائل حرب (١٦١٠)، وفائده لعبد الله (٦١٢).

ونارة يقول: الإيمان: قول وعمل^(١).

وجميع أصحاب مالِك على هذا، لا يُحفظ عن واحدٍ منهم مخالفةً فيه، وكان أبو مُصعبٍ أحمدُ بنُ أبي بكرٍ - وهو من أصحاب مالِك، وفقية المدينة - يقول: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فمن قال غير هذا فهو كافر»^(٢).

والطوائف المخالفة في هذا الباب على سبيل الإجماع طائفتان:
الطائفة الأولى: المرجئة:

وهم على فرقي ومذاهب: منهم: الثلثة، ومنهم: ثَوْنٌ ذلك:
فالمرجئة منزلة: من جعل العملَ من الإيمان؛ ولكنه لم يجعل له أثراً على أصله، وإنما أثرة على فرجه أي: أنَّ وجوه العمل ونقصه وزواله يزيد الإيمان وينقصه، ولكنْ فقد العمل لا يُزيل الإيمان.

وهذا القول أقرب أقوال طوائف الإرجاء في الإيمان إلى السلف؛ وبهذا القول يقول جماعةٌ من أئمة الحديث وشُرَّاح المتأخرين^(٣)، فهم لم يُخرجوا العملَ من معنى الإيمان تفريقاً، ولكنهم أخرجوه أصلاً؛ فوافقوا السلف في التعبير، وخالفوهم في الأثر.

وبين المرجئة: من نزلَ قريباً عن أولئك^(٤)، فأخرج العملَ كله من معنى الإيمان؛ فجعل الإيمان قولاً واعتقاداً؛ إذ لم يكن للعملِ عندهم أثرٌ على زوالِ الإيمان، فأخرجوه منه بالكلية؛ فوافقت هذه الفرقة السلف

(١) مسائل حربية (١٥٦٨ و ١٥٧٠ و ١٥٧٣)، والمُستدرك لمحمد بن عبد الله (٢١٣ و ٢١٤ و ٢٣٦ و ٢٣٨ و ٧٠٢).

(٢) ترتيب المدارك (٣٤٨/٣)، فتح الباري (٤٦/١).

(٣) الفتاوى الكبرى (ص ٣٠٤).

بأن جعلوا للإيمان ظاهراً وباطناً، ولكنهم قَصَرُوا الظاهرَ على القول فقط، وباتى الكلام على حقيقة الإيمان وتحكم المخالفين فيه.

وبين المرجحة: من نَزَلَ مرتبةً فأخرج القول من الإيمان أيضاً فلم يجعلوا للإيمان ظاهراً بالكلية، وجعلوه في القلب فقط، والقلب قول وعمل، وهؤلاء على طائفتين:

- طائفة^(١): جعلت الإيمان: قول القلب، وهو المعرفة والتصديق، وهؤلاء غلاة المرجحة، وهم الجهمية.

- وطائفة^(٢): جعلت قول القلب وعمله كليهما الإيمان، فقول القلب: معرفته وتصديقه، وأما عمله: فخوفه ورجاؤه، ومحبه وتوكله وإخلاؤه.

وقول هذه الطائفة مع كونه أعنف ضللاً من الطائفة الأولى، إلا أنه يناقض نفسه، وذلك أن عمل القلب محبة وخوفاً ورجاءاً وتوكلًا، لا يمكن وجوده إلا مع قول اللسان وعمل الجوارح.

وكان الأئمة المغاربة يُذكرون إخراج العمل من الإيمان، وجعله في منزلة مختلفة عن الاعتقاد والقول^(٣)، ولما نُسب هذا القول إلى يحيى بن سلام بلا بينة، أنكز عليه الناس حتى بلغ ذلك ابن وهب في المشرق، ووضعه بالشرج، ثم زالت التهمة عن يحيى ببيناؤه، وأنه على ما كان عليه من سلف: كمالك، وشفيان، وغيرهما: أن الإيمان قول وعمل^(٤).

(١) مجموع الفتاوى (١٨٨/٧).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١٠١/١).

(٣) الشهادة لابن عبد البر (٢٢٨/٢).

(٤) طبقات علماء إفريقية (ص ٣٧ - ٣٨)، ورياض القوس (١/ ١٩١ - ١٩٢).

الطائفة الثانية: الخوارج والمعتزلة، وهم الوعيذة:

ولم يكن مذهب الخوارج له أصول وكتب يدرسها الناس في المغرب، وإنما يكنى في أهل الجهل، وأخذ مطلقاً الشريعة وعموماتها ومتشابهاتها، وتغيّب مخصصاتها ومفيداتا ومحكماتها.

وفئة الخوارج: في التكفير بغیر مكفر من الذنوب وسائر الأعمال، وبهذا عطلت فقتلهم في المسلمين، فأضغوا يستولون شراً، ويشربون بالمسلمين فساداً، ولو تمكّنوا من المسلمين، لكان قتلهم فيهم يرب من فعل الرافضة، وقد فعلوا في القيروان قرياً مما فعله الرافضة، إلا أنهم أوغل في التستر باستعمال الشريعة، فسكّوا النماء تكفيراً، وانتهكوا الأعراس سراً، وسكّوا المال غيبة.

وقد أراد قبل ذلك علماء المغرب القتال مع أبي يزيد مخلد بن كنفانة الخارجي ضد الرافضة الشيعيين، وقد أظهر أبو يزيد التنسك، واستعظم المسلمون ما فعله الرافضة، فقاتلوا معه، وكان يربي بمن تبعه من أهل السنة في وجوه خصومه يقتلهم، فيكون الأمر له، فلا يشقى بهم من بعده، فكان يقول لأتباعه: «إنا التقيتم مع القوم - يعني: الرافضة - فانكشعروا عن أهل القيروان» حتى يتمكن أهلنا ثم من قتلهم، فيكونوا هم الذين قتلوهم، لا نحن، ففسخ منهم^(١).

والرافضة والخوارج لا يؤمنون في إمرة على المسلمين، وخاصة في القتال، وكلهم يعمد إلى قتل العلماء قبل غيرهم.

وقد احتلقت في تكفير الخوارج^(٢).

(١) عليان الشمرية لابن علقمي المراكشي (٢١٨/١)، وتاريخ الإسلام (٢٣٦/٧).

(٢) فتح الباري (٢٩٩/١٢ - ٣٠١).

والأكفر: على علم كفرهم، ما لم يقرؤوا في إنكار معلوم من الدين بالضرورة، فإنهم طوائف متنوعة، ومشارب كثيرة، منهم غلاة، ومنهم دون ذلك، وقد تولف مالك وأحمد وغيرهما في تكفيرهم^(١)، وقد قيل لمالك: «فالحديث: (مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَاذِبٌ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا)^(٢)؟ قال: أراء في الحرورية، قيل: فتراهم بذلك ثماراً؟ قال: ما أقوي يا هذا»^(٣).

أسباب الافتتان برأي الخوارج:

وأكثر من يفتن بالخوارج: فسبب شجاعتهم، فإنهم يقاتلون: إما أن يقتلوا أو يقتلوا، وبسبب انتصاؤهم لكل من تسلط عليه السلطان، ولا يفرقون بين مظلوم وغير مظلوم، كما فعل الأزارقة حينما كسروا سجن البصرة، فلجئ بهم من كان فيه ومايتهم.

وهم أشد الناس توغلاً لنصرة الدين والمظلوم، ولا يبرؤون ديناً، ولا ينصرون مظلوماً، وربما أضرروا بالدين والمظلوم؛ قال عاصم بن أبي السجود في خارجي: «والله ما أعز هذا من دين، ولا دفع عن مظلوم»^(٤).

وكذلك: يفتن الناس ببنائهم وتمسكهم برأيهم كما لو كان وحيًا، فلم ينزعزخوا وهم يقاتلون المهاجرين والأنصار، وليس في صفهم صحابي واحد^(٥)، وحينما توجه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه أحرقهم بالنار،

(١) «الملك للخلاف (١/ ١٤٥ - ١٤٦)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٤٨٩)، وشرح الموطأ للزرقاني (١/ ٣٧٠).

(٢) البخاري (١١٠٤)، ومسلم (٦٠) من حديث ابن عمر.

(٣) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٥). (٤) «الملك» لميد الله (١٥٣٦).

(٥) النسائي في «الكبرى» (٢/ ١٨٠).

رَدُّ عَلَيْهِ: «سَمِعْتُمُ ابْنًا أَوَّلَىٰ بِهَا»^(١)، وَكَمَا قَالَ شَيْبَةُ الْخَوَارِجِيُّ: «مِنْ بَيْنِنَا: قَتْلُ مَنْ كَانَ عَلَىٰ غَيْرِ رَأْيِنَا؛ بِنَا كَانَ أَوْ مِنْ غَيْرِنَا»^(٢) حَتَّىٰ إِنَّهُمْ لَا يَحَابُونَ قَرِيبًا وَلَا بَعِيدًا بِفَهْمِهِمْ؛ حَتَّىٰ إِذَا الْأَزْوَاقُ وَالِدٌ نَافِعٌ - وَكَانَ رَجُلًا سَيِّئًا - لَمَّا مَاتَ، لَمْ يَصِلْ عَلَيْهِ نَافِعٌ^(٣).

وَكَبَّاهُمْ عَلَىٰ بَاطِلِهِمْ بِسَبَبِ شَيْئٍ يَفْتَنُهُمْ فِي فَهْمِهِمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَقَدْ كَانُوا يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؛ وَهُمْ لَمْ يَقْصِدُوا مَعَارِضَ الْقُرْآنِ، وَلَكِنَّهُمْ كَهَمُّوا بِالْخَطَأِ، فَتَعَصَّبُوا لِفَهْمِهِمْ، وَفِي الْخَوَارِجِ مِنْ صِلَابَةِ الرَّأْيِ وَضَعْفِ السِّيَاسَةِ مَا يَسْتَخْلِفُهُمْ بِهِ أَهْلُ الْكِتَابِ وَالرَّافِضَةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

وَمِنْ الصَّحَابَةِ: مَنْ يُشْفِقُ عَلَىٰ حَالِهِمْ؛ لَشِقْوَةِ تَمَسُّكِهِمْ بِبَاطِلٍ يَتَوَقَّعُونَ حَقًّا؛ فَلَمْ تَمُتْ عَيْنَا أَبِي أُمَامَةَ لَمَّا رَأَاهُمْ قَتَلُوا؛ فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ»^(٤).

الصفة الجامعة للخوارج:

وَلَا يَجْمَعُ الْخَوَارِجَ مِنَ الصِّفَاتِ إِلَّا حِفْظُكَ:

- التَّكْفِيرُ بِغَيْرِ مَكْلَرٍ.

- وَاسْتِخْلَافُ النَّفْسِ بِذَلِكَ.

وَأَمَّا مَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ مِنْ عِفَائِدِ الْخَوَارِجِ وَضَلَالَاتِهِمْ، وَلَا يَذْكُرُهُ الْآخَرُونَ، فَلَيْسَ كُلُّ فِقْهٍ أَضَافَ وَصْفًا لَهُمْ أَوْ بَلَّغَهُ عَنْهُمْ؛

(١) «تاريخ الطبري» (١/٨٧)، والعلامة والنهاية (١٠/٥٨٨).

(٢) «تاريخ الطبري» (١/٢٨٨).

(٣) «أنساب الأشراف» (٧/١٥٤).

(٤) عبد الرزاق (١٨٦١٣)، وابن أبي شيبة (١٧/٣٩٠).

لأنهم يتجندون في الفقه، ويتنوعون في الآراء، لأن إمامهم: قهشهم؛ ولكنهم يتنوعون في هذين الأصلين في كل المصوري، وهذا استدلال عليهم علي بن أبي طالب؛ إذ لما حدث بحديث الخوارج، قال عن أهل النهرين: «أرجو أن يكونوا هم» فإنهم سفكوا الدماء الحرام، رواه مسلم^(١)، فعقد رأيهم بكفر المسلمين بفعلهم باستحلال ذبهم، ولم ينسب صفة أخرى غير ذلك.

وقد يطلق الخوارج من الكلام المجمل ما يوافق الحق، ولكنهم يفسلون في تفسيره وتطبيقه، ويغتر بهم العادة نظراً لأقوالهم، وإعمالاً لتفسيراتهم، وقد كان أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي - أحد أئمة الخوارج في القرن الثاني - يقول: «الناس منّا ونحن منهم، إلا عابد ومي، أو كفرة أهل الكتاب، أو سلطاناً جائراً، أو شاكاً على عبده»^(٢)، يتاول بذلك حديث: «أمره يكوون بغيري، لا يفتنون بهديي، ولا يستثنون مني؛ فمن صدقهم بكتوبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني، وكنت منهم...»^(٣).

ومن نظر لشدّة عبادة الخوارج، وحسن كلامهم، تحير في أمرهم؛ كما تحير في ذلك بعض السلف فسأل ابن عباس؟ فقال: «ليسوا بأحد من اليهود والنصارى وهم يفسلون»^(٤)، ولما قتل علي أهل النهرين، انفض عنه بعض أنصاره لأجل ذلك^(٥).

(١) مسلم (١٠٦٦).

(٢) تاريخ خليفة بن خياط (ص ٣٨٦)، وتاريخ الطبري (٣٩٦/٧).

(٣) جامع مصر (٢٠٧٩).

(٤) المصنف لابن أبي شيبة (٧٣١/٨).

(٥) تاريخ الطبري (٨٩/٥ - ٩٠).

وَيُسْرِعُ نَصْحَهُمْ قَبْلَ قِتَالِهِمْ:

وكان بعض السلف يرى عدم قتالهم حتى يبدؤوا المسلمين بالقتال كما قُتل علي بن أبي طالب، وبه قال الشافعي^(١)، فتعلمتهم يرفع الجهل عن كثير منهم ويثبوتون، وقد بحث علي ابن عباس^(٢)، وبحث عمر بن عبد العزيز عوف بن عبد الله^(٣)، لما نظرهم ونفسحهم، وقد سئل أحمد عن إسماعيل الخارجي الحديث؟ فقال: «نعم» أقبلوا لعل الله يفتحهم به^(٤).
 ودوي عن بعض السلف الضريق بين قتال الخوارج لإمام بخير وبين قتالهم لإمام عدل، فرأوا اعتزاله عند قتالهم لإمام بخير على الولاية، ودوي هذا عن علي بن أبي طالب أنه قال: «وإن خالفوا إماماً جائراً فلا تقابلوهم» كما رواه الطبري^(٥)، وفيه رجل لا يعرف^(٦)، وبهذا قال مالك وأحمد - في رواية - وابن القاسم^(٧).

الموقف عند اجتماع الضلالات:

وإذا اجتمعت الضلالات في زمن من الأزمنة وتقاتل أهلها، فلا يتصير المسلم لطائفة دون أخرى، وإنما ينتظر ما كان لصالح المسلمين،

(١) «البداية والنهاية» (١٠/٥٧٠).

(٢) «مصنف عبد الرزاق» (١٨٦٧٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٩٠٥٥).

(٣) «الطبقات الكبرى» (٧/٣٥٠)، و«الشئكة لعبد الله» (١٥٠٢ و ١٥٤٠).

(٤) «طبقات الحنابلة» (٢/٢٣٠).

(٥) «عزاء له الحافظ في فتح الباري» (١٢/٣٠٩). وأخرج ابن أبي شيبة (٣٩٠٧١)، وأبو يعلى في «حديث بشار» (٣٤).

(٦) قال الحافظ في «الموضع السابق»: وقد أخرج الطبري بسند صحيح عن عبد الله بن الحارث، عن رجل من بني نصر، عن علي... فذكره. وعند ابن أبي شيبة: رجل من بني نصر بن معاوية وعند أبي يعلى: رجل من بني نصر.

(٧) «الشئكة للخلال» (ص ١١٣)، و«المذكاة» (١/٥٣٠)، و«البيان والتحصيل» (٢/٦٠٢).

والحكام القرآن لابن العربي (٤/٥٣).

وَأَنْ تَقَارِبَتْ أَوْ شَكَ، تَوَقَّفَ وَاعْتَرَلَ؛ فَهُوَ أَسْلَمَ لِيَبْنِيهِ وَقَلْبِهِ.

وَالْخَوَارِجُ يَجْعَلُونَ رَأْيَهُمْ دِينًا، وَالزُّنَادِقَةُ يَجْعَلُونَ الدِّينَ رَأْيًا، وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَفْرُقُونَ بَيْنَ الدِّينِ وَالرَّأْيِ، وَمَوَاضِعُ الْقَطْعِ وَمَوَاضِعُ الْاجْتِهَادِ، وَائْتِمَارُ الْحُجُورِ وَالْمُرْجَعَةُ يُجَبِّونَ الْإِكْتِازَ مِنْ دَمِّ الْخَوَارِجِ، وَالْخَوَارِجُ يُجَبِّونَ الْإِكْتِازَ مِنْ دَمِّ أَهْلِ الْحُجُورِ وَالْمُرْجَعَةِ.

وَكُلُّهُ يَفْتُو نَسَحَبَ دَمِّ الْأُخْرَى عَلَى كُلِّ مَخَالِفِيهَا وَلَوْ كَانَ وَسَطًا بَيْنَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْاِعْتِدَالِ.

وَالْعَالَمُ الْمُتَصِفُ لَا يَتَكَلَّمُ بِمَا تُجِبُّهُ كُلُّ فِتْنَةٍ فِي خُصُوبِهَا، بَلْ بِمَا يُجِبُّهُ اللَّهُ فِيهِمْ؛ لَكُمْ نَاقِذُ الْحَقِّ، بِمَحَابَةِ الْخَلْقِ!

❦ الْمُوازَنَةُ بَيْنَ الْمُرْجَعَةِ وَالْخَوَارِجِ:

وَالْمُرْجَعَةُ أَشَدُّ عَطَرًا وَأَقْرَبًا عَلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الْخَوَارِجِ فِي الْبِلَادِ، وَالْخَوَارِجُ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنَ الْمُرْجَعَةِ فِي مَوَاضِعِ الْجِهَادِ؛ لِأَنَّهُمْ يَقْدُمُونَ قِتَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي زَمَنِ ثِيَابِ الْحَاجَةِ بِصُدِّ عَائِيَةِ الْكَافِرِينَ، وَيُجَبِّونَ - وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا - الْكُفَّارَ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ خَارِجِهِ، وَالْمُرْجَعَةُ عَلَيْهِ مِنْ دَاجِلِهِ، وَيَفْعَلُ الْخَوَارِجُ ذَلِكَ بِتَخَلُّلِ الْكُفْرِ وَالْبُهْدَةِ مِنْ خِلَالِ ثِيَابِهِ فَفَعَلُوا الْمُسْلِمِينَ مِنْ جَمَائِعِهَا، وَرَبَّمَا أَحَانَهُمُ الْكُفَّارُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ غَدِيعةً بِمَا يَتَوَقَّعُونَهُ غَدِيعةً وَنَصْرًا.

❦ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ وَتَقْصَاتُهُ:

❦ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «زَيْدٌ بِزِيَادَةِ الْأَعْمَالِ، وَتَقْصُصٌ بِتَقْصِيفِهَا، لِيَكُونَ فِيهَا الْقُصَصُ، وَفِيهَا الزُّنَادِقَةُ»:

وَالْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَقَدْ عُبِّرَ

ذلك عن معاوية^(١)، وأبي هريرة^(٢)، وابن عباس^(٣)، وجندب^(٤)، وعنتر بن حبيب^(٥)، وسعيد بن جبيرة^(٦)، قال يحيى بن سعيد القطان: «ما أدركت أحداً من أصحابنا إلا على سُنتنا في الإيمان، ويقولون: الإيمان يزيد وينقص»^(٧).

وقد حكي الإجماع على ذلك غير واحد كعبد الرزاق^(٨)، وأحمد^(٩)، والبخاري^(١٠)، وأبي حاتم^(١١)، وأبي ذرعة^(١٢)، وأبي حنيفة^(١٣)، وابن عبد البر^(١٤)، وغيرهم^(١٥)، ولصراحة الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة تجزم بعض أصحاب مالك بكفر منكر زيادة الإيمان ونقصائه، كابي مُصعب أحمد بن أبي بكر فقيه المدينة^(١٦).

والإيمان كما يزيد بالطاعة، فإنه ينقص بتركها، ولو لم يكن الترك حراماً، كما في الخبر في الحائض: وَمَا تَقْضَانِ وَيَتَأَيَّأُ قَالَ: (تَنْكُحُ كَذَا

(١) حقه البخاري (١١/١) عن معاوية قال: «أجلس بنا ثوبان ساجدة.

(٢) «السُّنة للنفال» (١١١٨)، وشرح أصول الاعتقاد (١٧١١).

(٣) ابن ماجه (٧٤)، واللائحة (١٧١٢) عن ابن عباس وأبي هريرة.

(٤) «اللائحة لابن بطة» (١١٣٦/كتاب الإيمان)، وشرح أصول الاعتقاد (١٧١٥).

(٥) ابن أبي شيبة (٣٠٩٦٣)، وعبد الله في «السُّنة» (٦٢٤ و٦٢٥ و٦٨٠).

(٦) «اللائحة» (١١١٧/كتاب الإيمان).

(٧) مسائل أحمد: رواية ابن حاتم (١٨٩٨).

(٨) شرح أصول الاعتقاد (١٧٣٧)، و«الاستبصار» (١٣١/١٦).

(٩) «طبقات الحنابلة» (٣١٩/١ - ٣٥٠)، و«مناقب أحمد» لابن الجوزي (ص ١٧٢).

(١٠) «شرح أصول الاعتقاد» (٣٢٠)، وليس فيه لفظة: يزيد وينقص. وانظر: «فتح الباري» (١٧/١).

(١١) «شرح أصول الاعتقاد» (٣٢٩).

(١٢) «اللائحة» (١١١٧/كتاب الإيمان).

(١٣) «النهضة» (٩/٢٣٨).

(١٤) «أهل النظر»، وأبي الحسن الأشعري. انظر: «مصرح السُّنة» (٢٧)، و«رسالة

إلى أهل النظر» (ص ٢٧٢)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٧٠٣).

(١٥) ترتيب المدارك (١/١٨٨).

وَكَيْدًا يَوْمًا لَا تُصَلِّي هُوَ سَجْدَةً^(١) نصار ترك الطاعة - ولو كان بأمر خارج عن الإرادة - مؤثراً على الإيمان، فكيف بترك التوابع التي يُسَرُّ بفعلها، وقد قال أحمد: «إِذَا عَمِلْتَ الْخَيْرَ زَادَ، وَإِذَا ضَيَّعْتَ نَقَصَ»^(٢)، ونقل صالح عن أبيه أحمد: «نُقْصَانُهُ بِتَرْكِ الْفَعْلِ»^(٣).

❦ زوال الإيمان وكماله:

وَالْإِيمَانُ بِنَقْصٍ حَتَّى يَزُولَ كُلُّهُ، وَيَزِيدُ وَلَكِنْ لَا يَبْلُغُ أَحَدُ مَرْتَبَةِ الْكَمَالِ النَّامِ، وَالْكَمَالُ مُمْكِنٌ لَكِنَّهُ لَا يَحْضُرُ فِي النَّاسِ؛ فَمِمَّا كَانَ الشَّيْءُ شَيْءًا، وَحَصُولُهُ شَيْءٌ آخَرُ، وَاسْتَنَى إِسْحَاقُ الْأَنْبِيَاءَ؛ فَرَأَى أَنَّهُ يُشْهَدُ لَهُمْ بِاسْتِكْمَالِ الْإِيمَانِ، وَيُلَوِّحُ غَايَتَهُ، وَلَكِنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَتَفَاضَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي الْإِيمَانِ الْمُسْتَحَبِّ؛ وَلِهَذَا قَالَ مَالِكٌ: «لَيْسَ لِلْإِيمَانِ مُنْتَهَى؛ هُوَ فِي زِيَادَةٍ أَبَدًا»^(٤).

وقال سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ: «لَوْ تَفَقَّحْتَ أَعْضَاءَ، مَا بَلَغْتَ الْإِيمَانَ»^(٥).

❦ نُقْصَانُ الْإِيمَانِ عِنْدَ مَالِكٍ:

وَلَا يَخْتَلِفُ الْقَوْلُ عِنْدَ مَالِكٍ بَيْنَ أَنْ يَكُنِيَ فِي زِيَادَةِ الْإِيمَانِ، وَلَوْ فِي نَقْصَانِهِ وَابْتِنَانٍ:

الْأَوَّلَى: الْقَوْلُ بِنَقْصَانِهِ؛ وَقَدْ حَكَاهَا عَنْهُ ابْنُ نَافِعٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ

(١) البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٠) من حديث أبي سعيد، ومسلم (٧٩) من حديث ابن عمر، و(٨٠) من حديث أبي هريرة.

(٢) «الْمُنْتَهَى لِلْخُلُقِ» (١٠١٣)، (٣) «مِثْلُ أَحْسَنَ» (٦٨١ و ١٠١٩).

(٤) «الْمُنْتَهَى لِمَدِّ اللَّهِ» (٦٨٧ و ٧٣٧).

(٥) «تَطْيِيرُ قَلْبِ الصَّلَاةِ» (٨٠١)، و«الْمُنْتَهَى لِلْخُلُقِ» (١٠٤٧).

يحيى، وغيرهما^(١).

والثانية: يُعيبك فيها عن الكلام في نقصاني^(٢)؛ لا لعدم تحلقه، وإنما لأن التصوّر لم تُشع عليه بلفظه، فأراد الامتنال.

ومن نقل عنه أنه يقول بعدم نقصان الإيمان والجزم بذلك، فقد أخطأ في النقل أو في فهم قوله.

وكان ابن أبي زيد - كما في «الجامع»^(٣) - يجعل توقف مالك عن النقصان حرقاً من الذميمة أن تُثار أنه ينقص حتى يلغى كله؛ فيؤول ذلك إلى قول الخوارج الذين يحيطون الإيمان باللغوب، ويجعل قول مالك في النقص فيما وقعت فيه الزيادة؛ وهو العتل؛ ولهذا نقل عنه ابن أبي زيد أنه قبل لمالك: «فبعضه - يعني: الإيمان - أفضل من بعض؟» قال: نعم^(٤).

الاستثناء في الإيمان:

ولما كان الإيمان شيئاً واحداً عند طوائف من المرجفة، فلا يرون أن الإيمان يزيد وينقص -: تبع ذلك عندهم القول بعدم الاستثناء في الإيمان، وهو أن المؤمن يقول: «أنا مؤمن»، ولا يستثنى، فيزيد على ذلك: «إن شاء الله»، ومنهم: من يمتنع بين الاستثناء وبحرمة.

والذي عليه جماعة السلف: الاستثناء في الإيمان؛ لأن الإيمان يزيد

(١) مسائل حرب (١٥٦٨)، والسنن لأبي داود (٢١٢ و٢١٣)، والسنن للبخاري (١٠٩٤ و١٠٨٢)، واللفطاء والقدر (٥٧٢).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢١)، والانتقاء (ص ٣٣)، والتمهيد (٢٥٢/٤)، وترتيب المدارك (٤٣/٢)، والمقتضيات المسببات (٥٧/١).

(٣) «الجامع» (ص ١٢٢). (٤) الموضع السابق.

وينقصر، والاستثناء يقع على مقدره، لا على أصل ثبوته، وفيه دفع
لتزكية النفس^(١).

وأما الاستثناء شكاً في الإيمان، فلا يجوز؛ وعلى هذا: يحصل ما
جاء من مالك، لما قيل له: «أقول: مؤمن، والله محمود، أو: إن
شاء الله؟ فقال: قل: مؤمن، ولا تخلط معها غيرها»^(٢).
ويصح هذا قال سحنون^(٣).

فلاستثناء في الإيمان الذي عليه السلف، هو أن يقول: «أنا مؤمن
إن شاء الله».

ومن أدلة ذلك: ظاهر الكتاب والسنة والأثر؛ فالحق تعالى يقول
لنبيه ﷺ وأصحابه: ﴿لَتَمَنَّيَنَّ الْمَسِيحَ الْحَكِيمَ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ كَرِيمًا﴾ [الفتح:
١٢٧]، ويقول النبي ﷺ للمؤمنين: (وَأَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاجِقُونَ)^(٤)، ولا بُدَّ
أنهم داخلون معه، ولا بُدَّ أنهم مبتون؛ فلاستثناء وقع على أشياء،
منها: الإيمان، وأنهم داخلون معه، وأنهم لاجقون بهم على الإيمان.
وأما في الإسلام، فيقول: «أنا مسلم»، ولا يستني؛ كما نص عليه
أحمد وغيره^(٥)، لأن الإسلام أوسع دائرة من الإيمان.

الإيمان قول وعمل:

﴿قَالَ تَزِيدُ﴾: ﴿وَلَا يَحْتَمِلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا قَوْلَ
وَعَمَلٍ إِلَّا بِتَزِيدٍ، وَلَا قَوْلَ وَعَمَلٍ وَتَزِيدٍ إِلَّا بِمَوَاقِفِ السُّؤْلِ﴾:

(١) «الإيمان لأبي حنيفة (ص ٣٤ - ٣٨). (٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٢).

(٣) الموضع السابق.

(٤) مسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة، و(٩٧٤) من حديث عائشة، و(٩٧٥) من حديث بريدة.

(٥) «السنة للخلال (١٠٨٧ - ١٠٨٨)، و«الإبانة» لابن بطه (١٢٠١/الإيمان).

الإيمان: قولٌ وعملٌ واعتقاد؛ وبهذا يقول السلف بإجماعهم^(١)، ولا يصحُّ واحدٌ من هذه الثلاثة إلا بالآخر:

فمن انتفى من العمل كله؛ كمن انتفى من القول كله، أو الاعتقاد كله، ومن انتفى من القول كله؛ كمن انتفى من الاعتقاد كله، أو العمل كله، ومن انتفى من الاعتقاد كله؛ كمن انتفى من القول كله، أو العمل كله؛ وانتفاء واحدٍ من الثلاثة بجميحه كانتفاء الثلاثة.

ولكن ليس المراد من ذلك انتفاء أي جزءٍ من الثلاثة؛ فهذا قولٌ يوافق أصول الخوارج؛ فإن السلف وأهل السنة لا يكفرون أحداً بترك شيءٍ معيّنٍ من الباطني أو الظاهري، إلا بدليلٍ خاصٍّ، ويفرقون بين الترك الكلّي وبين الترك الجزئي؛ كما كان يقول أئمة السلف؛ كسعيد بن جبّير، وإبراهيم بن علقمة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، والحميدي، وأبي ثور^(٢).

وقال الوليد بن مسلم: «صُحِّبْتُ الأوزاعي، ومالك بن أنس، وسعيد بن عبد العزيز، يُتَكْرَمُونَ قولَ مَنْ يقول: إِنَّ الإيمانَ قولٌ بلا عملٍ، ويقولون: لا إيمانَ إلّا بعملٍ، ولا عملَ إلّا بإيمان»^(٣).

حكمُ تارك العمل كله:

ومن آمنَ بقلوبه، وأقرَّ بلسانيه، ولم يعملْ بأركانِهِ شيئاً من العملِ -: لم يصحَّ إيمانهُ عند السلف، وكان الأئمةُ يعتقدونَ على مَنْ يقولُ بخلاف ذلك.

(١) سبق عند الكلام على مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.

(٢) «أصول الاعتقاد» (١/٥٧، ٣٤٨، ٨٤٨/٤، ٨٤٩، ٨٨٦/٥)، و«السنّة للخلاف»

(٣/٥٧٠)، و«أصول السنّة للحميدي» (ص ٣٨)، و«السنّة لعبد الله بن أحمد» (١/٣٤٨)،

و«فتح الباري» لابن رجب (١/٢٦).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (١/٨٦).

وكان أحمد لا يكفّر من يجعل الإيمان قولاً واعتقاداً بلا عمل، ويصوّفه بالبدعة والإرجاء، ويقول: «أدعوا لهم بالصلاح»^(١).

ومن أحمد رواية أخرى رواها حنبل: أن من ترك العمل ثلثه حتى يموت، ولا يرى العمل ثلثه له أثر في ثبوت الإيمان ولا ثبته: «الله كاذب باله»^(٢)، وهو قول الحنفي^(٣).

والأحاديث التي فيها: أن من تعلق بالشهادتين، دخل الجنة، حملها السلف على أنها قبل أن تُعَدَّ الحدود، وتزول الفرائض، قال ذلك الضحاك بن مزاحم^(٤)، والزهري^(٥)، وأحمد^(٦)، وغيرهم.

وقال أبو ثوري: «فإنما الطائفة التي ذهبت إلى أن العمل ليس من الإيمان، فيقال لهم: ماذا أراد الله من العباد؟ إذ قال لهم: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (البقرة: ١١٣) الإقرار بذلك، أو الإقرار والعمل؟»

فإن قالت: إن الله أراد الإقرار، ولم يرد العمل، فقد كفرت عند أهل العلم؛ من قال: إن الله لم يرد من العباد أن يصلّوا، ولا يؤثروا الزكاة!

وإن قالت: أراد منهم الإقرار والعمل، قيل: فإذا كان أراد منهم الأمرين جميعاً، لم زعمتم أنه يكون مؤمناً بأحدهما دون الآخر، وقد أرادهما جميعاً؟

أرايتم لو أن رجلاً قال: عملت جميع ما أمر به الله، ولا أقر به، أكون مؤمناً؟

(١) «السنّة للخلال» (٩٨٩).

(٢) «السنّة للخلال» (١٠٣٧)، وشرح أصول الاعتقادات (١٥٩٥).

(٣) «السنّة للخلال» (١٠٣٧)، وشرح أصول الاعتقادات (١٥٩٤).

(٤) «السنّة للخلال» (١٦٤١)، و«الشريعة» (٣٠٣).

(٥) «صحيح مسلم» (٢٦٤). (٦) «السنّة للخلال» (٥٦٤/٣).

فإن قالوا: لا.

قيل لهم: فإن قال: أقر بجميع ما أمر الله به، ولا أحصل به،
أهكون مؤمنًا؟

فإن قالوا: نعم.

قيل لهم: ما الفرق؟ فقد زعمتم أن الله أراد الأمرين جميعًا، فإن
جاز أن يكون أحدهما مؤمنًا إذا ترك الآخر، جاز أن يكون بالآخر إذا
غلب به ولم يُقر مؤمنًا، لا فرق بين ذلك.

فإن احتج، فقال: لو أن رجلًا أسلم، فأقر بجميع ما جاء به
النبي ﷺ: أهكون مؤمنًا بهذا الإقرار قبل أن يجيء وقت عمله؟ قيل له:
إنما يُطلق له الاسم بتصديقوه أن العمل عليه يقولون أن يعمل في وقته إذا
جاء، وليس عليه في هذا الوقت الإقرار بجميع ما يكون به مؤمنًا، ولو
قال: أقر ولا أحصل، لم يُطلق عليه اسم الإيمان^(١).

✽ أثر إخراج العمل من الإيمان:

والأصل: أن من أخرج شيئًا من الإيمان، سواء القلب أو القول
أو العمل، فإنه لا يجعل للذنوب الواقعة في الشيء الذي أخرج أثرًا
على الإيمان؛ لأنها ليست منه أصلًا، فمن أخرج قول اللسان من
الإيمان، فلا يرى ذنوب اللسان ومثمرة مؤثرًا على الإيمان؛ لأن القول
عنه ليس من الإيمان؛ فثبتًا للذك لا يأتي منه كفر أو ذنب مؤثر عليه.

وكل طوائف الإرجاء التي تُخرج العمل من الإيمان بالكليّة،
لا تجعل لأفعال الذنوب أثرًا عليه؛ فتقول: «لا تُضرّ الذنوب مع

(١) شرح أصول الاعتقاد (١٠٩٠)، ومجموع الفتاوى (٣٨٨/٧ - ٣٨٩).

التوحيد، وقد كان أثمة المغرب يُكرِّمونه؛ كما كان محمد بن مسعود يقول: «لا أقول ما قالت العرجة؛ لا تُضِرُّ الذنوب مع التوحيد»^(١).

وأما تعبیر ابن أبي زَيْدٍ بالكمال في قوله: «وَلَا يَكْمُلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٌ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ، وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٌ وَبَيِّنَةٌ إِلَّا بِمُؤَافَقَةِ السُّؤِّ»، فلا يعني من ذلك: أَنَّ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِالْكَلِمَةِ: أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، وَلَكِنَّهُ غَيْرُ الْكَامِلِ، يُرِيدُ: كَمَالَ الْإِيمَانِ فِي وَاحِدٍ، لَا بِشَخْصٍ إِلَّا بِكَامِلِ الْبَيِّنَةِ، لَا أَصْلَ وَجُودِ الْإِيمَانِ؛ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ كَامِلَ الْإِيمَانِ بِالْأَقْوَالِ، وَهُوَ غَيْرُ كَامِلٍ فِي الْعَمَلِ، وَلَا يَكْمُلُ قَوْلُهُ وَعَمَلُهُ ظَاهِرًا، وَهُوَ بِلَا بَيِّنَةٍ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَنْقُصَ مِنَ الثَّلَاثَةِ مَقْدَارٌ مُتَقَارِبٌ أَوْ مُتَطَائِفٌ، وَكَمَالٌ وَاحِدٌ مِنْهَا يَعْنِي كَمَالَ الْأَثْنَيْنِ.

ويدلُّ على ذلك أَنَّهُ قَالَ: «وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٌ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ»؛ فَيَسْتَحِيلُ أَنَّهُ يَصْحُحُ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ بِلَا وَجُودِ شَيْءٍ مِنَ الْبَيِّنَةِ؛ فَيَكُونُ قَوْلُهُ أَنَّ الشَّرَافِيَّ مَقْبُولُ الْعَمَلِ، وَلَكِنَّهُ عَمَلُهُ نَاقِصٌ؛ وَهَذَا غَلَطٌ.

وكذلك قوله: «وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٌ وَبَيِّنَةٌ إِلَّا بِمُؤَافَقَةِ السُّؤِّ»؛ فَيَسْتَحِيلُ أَيْضًا: أَنَّهُ يَصْحُحُ الْعَمَلُ بِالْبَيِّنَةِ، وَأَنَّ مَنْ جَاءَ بِهَذَا أَنَّ عَمَلَهُ صَحِيحٌ، لَكِنَّهُ نَاقِصٌ.

فسيأتى قوله يقتضي أَنَّهُ أَرَادَ كَمَالَ الثَّلَاثَةِ جَمِيعًا، وَنَقْصَانَهَا جَمِيعًا؛ وَهَذَا يُوَافِقُ مَا سَبَقَ مِنْ قَوْلِ الْأَثْمَةِ: أَنَّهُ لَا إِيمَانَ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلٍ إِلَّا بِإِيمَانٍ.

وَالْبَاطِلُ وَالظَّاهِرُ كُلُّهُ مُؤَثَّرٌ فِي إِيمَانِ الْإِنْسَانِ وَلَوْ كَانَ دَقِيقًا،

(١) تهذيب المدارك (١/ ٢١٤ - ٢١٥).

وأعمال القلوب - كالخوف والرجاء والمحبة، والشوق والاستعانة والاستغاث - يواخذ العبد عليها إذا وضعها في غير موضعها، فللمخلوق قدر يناسب ما أعطاه الله، والزيادة على ذلك أخذ من حق الله، ويجعله في المخلوق؛ كالخوف؛ حينما يوضع في الوهم، خطأ، وقد يائس صاحبه، يقول النبي ﷺ في الحيات: (مَنْ تَرَكَ وَنَهْشَ شَيْئًا خِيفَتَهُنَّ، فَلَيْسَ مِنَّا) ^(١).

التكفير بالذنوب، وأحوال الطوائف:

﴿قَالَ لِيَزِيدَ: «وَأَنَّهُ لَا يَكْفُرُ أَحَدٌ بِشَيْءٍ مِنْ أَهْلِ الْفِتْلَةِ»:

أهل الفِتْلَةِ: مَنْ تَوَلَّجَ مع المسلمين إلى فِتْلَتِهِمْ وهي الكُفَّة؛ سُمُّوا بذلك للمعارضة بينهم وبين أرباب البلي الأخرى الذين لا يتوجهون إليها؛ لأنَّ كُفْرَهُمْ أصلي ثابت؛ فلم يثبت حتى يقال يرفوؤ؛ فإنه لا يرتفع الإيمان من العبد إلا بالكُفْرِ والشُّرْكِ، مهما وقع في الذنوب والمعاصي ولو كانت كبائر أو موبقات.

وقد وقع جماعة من الناصبي في زمن النبي ﷺ في ذنوب؛ كالقتل والسرقة والزنى، والكذب والغيبة والنميمة، ولم يُخرج هو ولا خلفاءه واحداً منهم عن الإسلام، ولا عاملوه معاملة الكافرين؛ بل كان ينهى عن لعن شارِبِ الخمر مُرَاتٍ، ويمتنع له بأنه يُحبُّ الله ورسوله ^(٢).

فلا يُحبُّك الإيمان والعمل إلا الكفر والشرك، لا الذنب وإن كان كبيراً؛ فإنَّ الذنوب قد تؤثر على بعض حسنات العبد إذا شاء الله ذلك،

(١) أحمد (٢٠/٢٢) رقم (١٠٧٤٦) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٧٨٠) من حديث عمر.

ولكن لا تحبها جميعها، قال سبحانه: ﴿لَوْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

ولا يختلف الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام في ذلك:

قال مالك: «أهل الجنوب مؤيدون لمليوث»^(١).

وقال زهير بن عباد: «كل من أدرت من المشايخ - مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعيسى بن يونس، وقضيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك، وزكي بن الجراح، وغيرهم - لا يكفرون أحدا بذهب، ولا يقتلون أحدا أنه في الجنة»^(٢).

وقد خالف في هذا الباب بعض الطوائف:

- كالخوارج والمعتزلة: فسلبوا الإيمان عن مرتكب الكبيرة.

- وكالمرجئة: فلم يجعلوا الذنب مؤثرا على الإيمان.

وكل هذه الطوائف التزمت بالأصل الذي اتفقوا عليه: أن الإيمان شيء واحد لا ينجز: إن زال بعضه، زال كله؛ ففرقت طائفة، وافتقدت أخرى.

والخوارج والمعتزلة: محجوجون بما تواتر في النصوص من إيمان مرتكب الكبيرة، ومن هذا الباب: أنزل الله أحكام الحدود على السارق والزاني، والقاتل وشارب الخمر، ولو كانت كفرا، لكان حثها واحدا، وهو الرداء؛ لأنه لا فرق عند الخوارج في حقيقة سلب الإيمان بين مرتكب الكبيرة عنعم، وقاعلي الكفر الذي يتقنون فيه مع غيرهم من أهل السنة.

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٢).

(٢) «أصول السنة» لابن أبي زمنين (ص ٢٢٢).

والشُّرْجَةُ: محجوجون بما تواتر من أدلّة زيادة الإيمان بالطاعات،
ونقصاؤه بالمعاصي، وما يَتَّبِعُ ذلك من لوازم تفاوت مراتب المؤمنين في
الجنة، وتعليل بعض عصاة المؤمنين في النار، ثُمَّ إخراجهم منها
برحمة الله.

﴿أرواح المؤمنين وأحوالها﴾:

﴿قُلْ لِلَّهِ الْيُزِيدُ﴾: ﴿وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَهْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَأَزْوَاجٌ أَغْلَى
السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاجِيَةٌ إِلَى يَوْمٍ يَتَعَفَّوْنَ، وَأَزْوَاجٌ أَهْلُ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ
الدِّينِ﴾:

الأرواح كائنة قائمة بذاتها، تُنْعَمُ وتُعَذَّبُ، وتُنْقَى وتُسَعَّدُ بنفسيها،
ولا يلزم أن يكون معها البدن في ذلك؛ لأنها مغايرة له، فليست
عضواً منه كاليد والوجه، وهي مخلوقة بلا خلابة؛ فالله خالق كل
شيء، وهي من أمر الله يَعْلَمُ حقيقتها وتكثفها؛ كما قال تعالى:
﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْإِلَهِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾
[الإسراء: ٨٥].

وللأرواح مستقر غير الأبدان بعد موتها، ويؤيدنا الله إلى الأبدان
في حياة البرزخ عند سؤاله العتبان؛ كما يؤيد الله روح النبي ﷺ إليه في
قبيره، قال ﷺ: ﴿مَا مِنْ رَجُلٍ يَسْلَمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي، حَتَّى أَرُدَّ
عَلَيْهِ السَّلَامَ﴾^(١)، وقد كانت قبل ذلك في الرُّبُوبِ الْأَعْلَى؛ كما قال ﷺ
لما حضرته الوفاة: (اللَّهُمَّ، الرَّبُّيْنِ الْأَعْلَى)^(٢).

(١) أبو داود (٢٠٤١) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٤١٧٣) و٦٣٤٨ و٦٥٠٩، ومسلم (٢٤٤٤) من حديث عائشة.

ولقد جاءت الأدلة في مستقر الأرواح، بعد موت الأبدان:

○ أما أرواح الشهداء: فكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ أَلِئِنَّ قُلُوبًا فِي حَبِيلٍ أَلَمْ يَتَوَكَّلْ عَلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ بِهِ ذَرْبُ نَزْلُونَ﴾ (ال عمران: ١٦٩)، وقد روى ابن مسعود عن النبي ﷺ قوله: (أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْوَابِ طَيْرٍ خَضِرٍ، لَهَا قَنَابِيلٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْتِي إِلَىٰ بَيْتِكَ الْفَقَائِلِ)^(١).

○ وأما أرواح المؤمنين حاشة: فإنها تكون طيورًا تعلق في شجر الجنة كما قال النبي ﷺ: (إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُسْلِمِ طَيْرٌ يُعَلَّقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ يَرْجِعَهَا اللَّهُ إِلَىٰ جَسَدِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)^(٢)، وإن كانت أرواح المؤمنين في الجنة، فإن الله يُعيدُها إلى أبدانها متى شاء.

وكون أرواح المؤمنين في الجنة: يشهد به ظاهر الحديث؛ وبه قال الشافعي وأحمد وغيرهما^(٣).

ومنهم من قال: إن أرواحهم بأقبيبة القبور؛ باعتبار أنه يقال له: «هذا مقبرة»، وأنه يُسلم على أهل القبور؛ وبهذا قال ابن عبد البر^(٤).

وفيه نظر؛ فالحديث صريح في أنها في الجنة، والمتفقد إنما هو للبدن، والله يُعيدُ الروح متى شاء؛ فيزلها من الجنة، ثم يرفعها.

وروي عن مالك أنه قال: «بَلَّغَنِي أَنَّ الْأَرْوَاحَ مُرْسَلَةٌ تَدْعُبُ حَيْثُ شَاءَتْ»^(٥).

(١) مسلم (١٨٨٧).

(٢) الترمذي (١٦١١)، والنسائي (٢٠٧٣)، وابن ماجه (٤٢٧١) من حديث كعب بن مالك.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤١٧/٥).

(٤) نقله ابن عبد البر في «المجمل» (٦٥/١١) عن ابن وشاح.

(٥) «الاستبصار» (٣٦١/٨).

وهذا باعتبار ما ورد من نصوصي تُفيد حضورها في أماكن منها:
 عند سؤال الملَكَيْنِ^(١)، وعن يمين آدم في السماء^(٢)، وفي الجنة، ولكن
 مع صحة الحديث يقال: إن أصلها في الجنة، والله يأنزلهن بالخروج
 متى شاء.

○ وأما أرواح الكافرين: ففي الهاوية؛ كما في الحديث: (أَنَّ
 السَّالِكَةَ تَلْفِظُ رُوحَ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَتَرْفَعُ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَقُولُ
 السَّالِكَةُ: مَا أَطْيَبَ حَلِو الرِّيحِ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ! فَيَقُولُونَ بِأَرْوَاحِ
 الْمُؤْمِنِينَ، فَلَهُمْ أَشَدُّ قَرَحًا مِنْ أَحَدِكُمْ يَمْنِيهِو بِقَدَمِهِ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَاذَا
 قَتَلَ لِفُلَانٍ؟ نَدَا قَتَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ: مَقُوه؛ فَإِنَّهُ كَانَ فِي عَمِّ الدُّنْيَا،
 فَيَقُولُ: لَذَّ مَاتَ، أَمَا أَتَاكُمْ؟ قَالُوا: قُبِيبٌ بِهِ إِلَى أُمِّ الْهَاقِيَةِ)^(٣).

وفيه: أنَّ المكاد في باطن الأرض؛ حيث قال: (تَخْرُجُ مِنْهُ كَأَنَّ
 رِيحًا، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الْأَرْضِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَتَقَنَّ حَلِو الرِّيحِ! حَتَّى
 يَأْتُونَ بِأَرْوَاحِ الْخَطَايَا)^(٤).

وقد جاء عن بعض السلف أنَّ أرواح الكافرين في بئر بَرَهوت وهو
 بِحَضْرَمَوْت، كما رَوَى عبد الرزاق بسند جيد عن علي بن أبي طالب أنه
 قال: أشر وأبين في الناس: وادي الأحقاف، ووادي بحضرموت يقال له:
 بَرَهوت^(٥).

(١) كما في حديث البراء بن عازب عند أحمد (٢٨٧/٤) و٢٨٨ و رقم ١٨٥٣٤ و ١٨٥٣٥ و ١٨٥٣٦.

(٢) كما في حديث أبي هريرة عند البخاري (٣٤٩ و ٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).

(٣) النسائي (١٨٣٣) من حديث أبي هريرة.

(٤) الموضع السابق.

(٥) المصنعة (٩١١٨).

وسخره روي عن عبد الله بن عمرو^(١) ومقاتل بن سليمان^(٢)، وليس له شبهة مرفوعة.

وقد جزم ابن أبي زيد في «الجامع»: «أَنَّ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ تَأْتِيَةُ فِي بَيْتَيْنِ»^(٣).

وقد صَحَّ الدليل: أَنَّ الْعَذَابَ وَالنَّعِيمَ فِي حَيَاةِ الْبَرِّ، يَكُونُ لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا، وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَجَلِ كُلِّ عَذَابٍ وَنَعِيمٍ، وَمَقْدَارِهِ وَنَوْعِهِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَرْجُونَكَ عَلَيْهِمْ حُكْمًا وَعَاقِبَةً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أُولَئِكَ مَا يَأْتِيهِمْ أَشَدُّ الْعَذَابِ﴾ انفار: ٢٤٦.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: «رَفَقَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، فَقَالَ: (هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟) ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُمْ الآنَ يَسْتَمْعُونَ مَا أَدْعُونَ»^(٤).

وروي أحمد بن حنبل حديث عائشة مرفوعًا: (إِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحَ، أَجْلَسَ فِي قَبْرِهِ قَبْرَ فَرَجٍ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الشُّرَّ، أَجْلَسَ فِي قَبْرِهِ قَبْرًا)^(٥).

❏ الْقَبْرُ وَبَيْتُهُ:

❏ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُنْتَوْنَ فِي قُبُورِهِمْ وَنَسْأَلُونَ؟» ﴿يَكْتَبُ اللهُ إِلَيْكَ مَا تَرَى بِالْقَوْلِ أَتَقُولُ لِلَّذِينَ لَا تُغْنِي عَنْكَ آثَارُكَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَاذِبُونَ﴾^(٦).

(١) ابن حبان بعد حديث (٣٠١٣). وانظر: «الروح» (١/ ٣٢١ - ٣٢٢).
(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٤١ و ٤٤٦). (٣) «الجامع» (ص ١١١).
(٤) البخاري (٣٩٨٠)، ومسلم (٩٣٢). (٥) أحمد (١٣٩/٦) رقم ٢٥٠٨٩.

يجب الإيمان به «حياة البرزخ»، وهي: ما بين الدنيا وقيام الساعة؛
فالناس يموتون في ثلاث: الحياة الدنيا، وحياة البرزخ، والحياة الآخرة.
وإنما سُميت حياة البرزخ؛ لكونها برزخاً حاجزاً بين الدنيا والآخرة؛
كما قال تعالى: ﴿وَمِن دَرَجَاتِهِمْ يَرْجِعُ إِلَىٰ مَوْلَىٰ يَوْمِئِذٍ﴾ (المومن: ١٠٠).
وبدأ حياة البرزخ من خروج الروح ومفارقة الدنيا بالموت.
وقد تواترت النصوص في حياة البرزخ وقتة القبر وعلاجه، وقد جاء
من حديث حمزة والبراء وأبي هريرة، وأنس بن مالك، وأبي قتادة،
وغیرهم^(١).

لما فتت القبر: فالمراد بها: ما يعرض له الميت من امتحانٍ وابتلاء
وسؤال، وما يلقاه من كربٍ وشدة، وقزعٍ وعَلَج، وقد قال ﷺ: (إنَّ
خلو الأمة يُبْطِل في قُبُورِها)^(٢)، وقال: (وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي
قُبُورِكُمْ، مِثْلَ لَوْ قَرِيبًا مِنْ بَيْتِ النَّسِيجِ النَّجَالِ)^(٣).

ونعاد روح الميت إليه؛ كما جاء في حديث البراء^(٤)، فيحيا حياة
كحياه في الدنيا يَنْقُطُوْا وانتباو، وليست مَنَامًا وعيالًا؛ قال عمر: «أَبْرَدُ
إِلَيْنَا عَمَلُكُمْ؟» قال النبي ﷺ: (نَعَمْ) فَهَبَّحِكُمْ الْيَوْمَ)^(٥).

وروي في «الترمذي»: أَنَّ اسْمَ الْفَتَانَيْنِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، وَأَنْهُمَا
أَسْوَاقَانِ أَرْزَقَانِ^(٦)، والفتنة بالسؤال عن ثلاث؛ كما جاء في حديث

(١) انظر: شرح الصدورة (ص ١١٧ - ١٣٧).

(٢) مسلم (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت.

(٣) البخاري (٨٦)، ومسلم (١٠٤) من حديث أسماء بنت أبي بكر.

(٤) سبق تفريجه قريباً.

(٥) أحمد (١٧١/٢) رقم (١٦٠٣) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٦) الترمذي (١٠٧١) من حديث أبي هريرة.

البراهين: قال ﷺ: (فَيَأْتِيهِمْ سَلَكَانِ سَلَكَيْنِ الْإِسْمَاءُ، فَيَنْتَهَرَانِي وَيُجْلِسَانِي، فَيَقُولَانِ لِي: مَنْ رَيْكَ؟ مَا وَبَّكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ نَفْسٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، لِذَلِكَ جِئْتُ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَحْيَىٰ اللَّهُ الْكَلِيمَ﴾، إِنَّمَا الْكَلِيمُ فِي الْحَقِّ: الَّذِي وَفَّ الْأَمْرَ وَتَبَيَّلَ اللَّهُ الْكَلِيمُ وَيَقْبَلُ اللَّهُ مَا يَكُنَّاهُ﴾ (براهين: ٢٧)، يَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَيُفِي الْإِسْلَامَ، وَيُفِي مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَكُونُ شَاقًا مِنَ السَّاءِ أَنْ صَدَّقَ عَبْدِي^(١).

وَأَمَّا عَذَابُ الْقَبْرِ: فَهُوَ حَقٌّ كَذَلِكَ، ثَبَتَ فِيهِ الْعَلِيلُ مِنْ وَجْهِ كَثِيرٍ، وَقَدْ أَخْبَرَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلُ، وَثَبَتَ بِهِ النَّصُّ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا فَذُكُّوا وَمَعَهَا فَكُنْوا وَتَقُومُوا لَكُمْ أَنْتُمْ بِآلِ الْغُفْرَةِ كُنْتُمْ لَكُذِبًا﴾ (اعتر: ٤٦)، وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَيْضًا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ فِي الصَّلَاةِ: (اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)^(٢).

وعَذَابُ الْقَبْرِ: يَلْحَقُ الْكَافِرِينَ وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُقْصِرِينَ، وَقَدْ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: (إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كُفْرٍ)^(٣)، وَمَعَانِ مُسْلِمَانِ، فَلَوْ كَانَا كَافِرَيْنِ، لَكَانَ عَذَابُهُمَا عَلَى الْكَافِرِ أَوَّلَى مِنْ عَذَابِهِمَا عَلَى الْيَوَّلِ وَالنَّجِيمَةِ، وَلَمْ يُعَذَّبَا النَّبِيُّ ﷺ سَبَبًا لِلتَّخْفِيفِ عَنْهُمَا.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «جَابِيهِ»: «أَنَّ النَّاسَ يُخَفِّقُونَ وَيَتَلَوَّنَ، وَيَبْكُ اللَّهُ تَتَلَوَّنَ مِنْ أَحَبِّ تَتَلَوَّنَ»^(٤).

(١) سَبَلُ تَخْرِيجِهِ قَرِيبٌ.

(٢) الْبُخَارِيُّ (٨٣٢)، وَمُسْلِمٌ (٥٨٩) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

(٣) الْبُخَارِيُّ (٢١٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٩٢) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٤) «الْجَامِعُ» (ص: ١١٢).

وَضُمُّهُ الْقَبْرِ قَدْ جَاءَ فِيهَا عِدَّةُ أَحَادِيثٍ مِنْ وَجْهِ مُتَعَدِّدٍ، وَفِيهَا جَمَلَةٌ مِنَ الْأَثَارِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ؛ فَقَدْ جَاءَ فِي «الْمُسْنَدِ» مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ: (إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَلْطَةً، لَوْ كُنَّا أَحَدًا نَاجِبًا بِشَيْءٍ، لَنَجَا صَعْدُ بَنٍ مُعَاوِيَةَ^(١))، وَهُوَ طَرِيقٌ مُتَعَدِّدٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُثْمَرَ^(٢)، وَابْنِ عَبَّاسٍ^(٣)، وَغَيْرِهِمَا^(٤).

وَقَدْ اُنْتُكِرَ بَعْضُ طَوَائِفِ الضَّلَالِ وَالْمَادُّيُونَ عِلَاقَ الْقَبْرِ؛ بِاعْتِبَارِ ذَلِكَ لَهُمُ اللَّيْثُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ عِلَاقٌ يُرَى، وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَحْجُبَ عَنْهُمْ مَا يَشَاءُ؛ كَمَا حُجِبَ عَنْهُمْ الرُّوحُ الَّتِي بِهَا حَيَاتُهُمْ وَلَا يَرَوْنَهَا، وَكَمَا يَرَى الْجِنُّ الْإِنْسَانَ وَلَا يَرَاهُمْ.

❦ كِتَابَةُ الْأَعْمَالِ عَلَى الْمَكْتُفِينَ

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «وَأَنَّ عَلَى الْوَلَدِ عَقْلَةً يَحْتَبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَنْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رُفُوعٍ»:

يَجِبُ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ؛ فَالْإِيمَانُ بِهِمْ رُفْعٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَأَنَّهُمْ عِبَادٌ مُقَرَّبُونَ، وَفِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ لَمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: (الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقُلُوبِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)^(٥).

وَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ الْإِيمَانَ بِالْمَلَائِكَةِ بِالْإِيمَانِ بِهِ سُبْحَانَهُ؛ فَقَالَ: ﴿وَكُلُّ

(١) «الْمُسْنَدُ» ٥٥/٦٥ وَهُوَ ٢٤٢٨٣ وَ ٢٤٦٦٣.

(٢) عِنْدَ النَّسَائِيِّ (٢٠٥٥).

(٣) عِنْدَ الطِّرَافِيِّ فِي «التَّكْوِينِ» ٤٠٦/١٠ وَهُوَ (١٠٨٢٧).

(٤) تَحَابُّسٍ عِنْدَ أَبِي يَحْيَى؛ كَمَا فِي «إِتِّحَافِ الْخَيْرَةِ» (١/٢) (٤٩٣).

(٥) سَبْقُ تَفْرِيغِهِ.

عَنْ يَاقُو وَتَمْلِكُكُمْ. وَلَكُمْ مَنَاسِكُ الْبِقَرَةِ: [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ مِنَ الْبَقَرِ مَنَاسِكٌ يَاقُو وَتَمْلِكُكُمْ الْبَقَرِ وَالْأَكْبَرُ وَالْأَكْبَرُ وَالْأَكْبَرُ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والملائكة كثير لا يحصى عدداً إلا الله، ولكن قد يأتي في الوحي بيان لعدد بعضهم في صلب معين، أو موضع معين، أو زمان معين:

منهم: الواحد؛ كالموكل بالوحي، وحازن الجنة، وحازن النار، وملك الجن، وقابض الأرواح، ونافخ الصور، ونافخ الروح.

ومنهم: الثمان؛ كالموكلين بالكتابة: رقيب وعقيد.

ومنهم: ثمانية؛ كحاملة القرص.

ومنهم: تسعة عشر؛ وهم خزنة النار، ومقلتهم نالِك.

ومنهم: سبعمائة ألف؛ وهم الذين يطوفون بالبيت المعمور؛ كما في الحديث قال ﷺ: (... فَرَفَعَ لِي الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ؟ فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يُصَلِّي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ)؛ مَعْنَى عَلَيْهِ^(١).

ومن الملائكة: الحفظة الذين يحضرون على العباد أفعالهم، ويكتبونها لإقامة الحجة عليهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَهُ عَلَيْكُمْ حَفَظُونَ﴾ ﴿يَكُونُ مَا تَفَعَّلُونَ﴾ [الانعام: ١٠ - ١٢]، وقال: ﴿إِنَّ بَيْنَ أَصْحَابِ الْبَيْتِ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ بَيْنٌ﴾ [البقرة: ١٧ - ١٨].

والله يعلم أفعال العباد وأقوالهم وأفعالهم، ولا يحتاج الله إلى أحد يحصي ذلك له ليثبته ويحاسب، ولكن الله أراد إقامة الحجة على عباده فقطع أفعالهم بإحصاء محسوس.

(١) البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث مالك بن معصمة.

وَأَمَّا عِلْمُ اللَّهِ وَإِحَاطَتُهُ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى كِتَابٍ وَحَفَظُوا فَكُلُّ ذَلِكَ بِسِرِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ نَزَّاهُ بَيْنَ بَلِيَّةٍ وَبَيْنَ الْكِتَابِ، وَأَنْ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ بِسِرِّ بَكْتَابٍ وَقِيلَ الْكِتَابُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ عَلَّمْتُمْ أَنَا اللَّهُ يَسْمَعُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى لَقْوٍ يَخْتَرُ﴾ (الصَّح: ١٧٠)، وَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ عَلَّمَكَ مِنَ الْكِتَابِ ثُمَّ مِنَ الْخَلْقِ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ آدَمًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِبِلَاقَةٍ وَمَا يَسْمُرُ مِنْ عُثْمَرٍ وَلَا يُنْقَسُ مِنْ عُثْمَرٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى لَقْوٍ يَخْتَرُ﴾ (عاطف: ١١).

وَكُلُّ الْمَلَائِكَةِ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، لَيْسَ لَهُمْ مِنْ خِصَائِنِ الرَّبُّوبِيَّةِ وَالْأَلَهِيَّةِ شَيْءٌ، خَلَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ نُورٍ قَالَ اللَّهُ عَنْ عِبَادَتِهِمْ: ﴿وَرَبِّ وَبَدَّ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي وَلَا يَسْتَحْبِرُونَ ۝ يَسْتَحِبُّونَ الْبَلَّ وَالْكَارَ لَا يَنْفَرُونَ﴾ (الأنبياء: ١٩ - ٢٠)، وَقَالَ: ﴿قُلْ بِكَلَامِكُمْ تَكْرُمُونَ ۝ لَا يَسْتَفْهِمُونَ وَالْقَوْلَ وَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَسْمَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٦ - ٢٧)، وَقَالَ: ﴿لَا يَسْتَفْهِمُونَ اللَّهُ مَا أَمَرَهُمْ بِتَقْوَتِهِ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (الصَّح: ١٦).

❦ الأرواح وقبضها:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ تِلْكَ الْمَوْتَ يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ (فِي الْجَامِعِ): كُلُّهَا﴾^(١) بِإِذْنِ رَبِّهِ:

خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْوَاحَ كَمَا خَلَقَ الْأَجْسَادَ، وَخَلَقَ لِلأَرْوَاحِ سَابِقَ لِخَلْقِهِ لِلأَجْسَادِ، وَقَدْ حَكَى الْإِجْمَاعُ عَلَى ذَلِكَ إِسْحَاقُ وَغَيْرُهُ^(٢).

وَقَدْ وَكَّلَ اللَّهُ بِالْأَرْوَاحِ مَلَكَائِدًا مَعَ الْإِنْسَانِ فِي تَكْوِينِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَيَسْأَلُونَ رَبَّهُ فِي كُلِّ عَمَلٍ بِعَمَلِهِ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَنَسِ بْنِ

(٢) «المصنف» لابن عبد البر (١٨/ ٨٤).

(١) «الجامع» (ص ١١١).

مالك - وروى الحديث - أنه قال: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَكَّلَ بِالرُّجَمِ مَلَكَ، كَيْفَؤُل: أَنِي رَبِّ، نُطْقَةً، أَنِي رَبِّ، خَلْقَةً، أَنِي رَبِّ، مُخَلَّطَةً، لِيُذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُلْقِيَهَا خَلْقًا، قَالَ: قَالَ الْمَلَكُ: أَنِي رَبِّ، ذَكَرْتُ أَوْ أَتَى؟ شَيْءٌ أَوْ سَوِيءٌ؟ كَمَا الرُّؤْيَى؟ كَمَا الْأَجَلُ؟ لِيَكْتَبَ مَخْلُوكٌ فِي بَطْنِ أُمِّي) (١).

ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٢).

وَالْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالرُّوحِ عِنْدَ نَفْسِهَا، غَيْرُ الْمَلَكِ الْمُوَكَّلِ بِالرُّوحِ عِنْدَ قَبْضِهَا.

ثُمَّ إِنَّ الْمَلَكَ الْمُوَكَّلَ مِنَ اللَّهِ بِالتَّخْلِيْقِ وَيَنْفَخُ الرُّوحَ وَاحِدًا، لَيْسَ مَعَهُ آخَرُهُ؛ فِي ظَاهِرِ النُّصُوصِ.

وَأَمَّا مَلَكُ قَبْضِ الرُّوحِ، فَوَاحِدٌ مُقَدَّمٌ، وَمَعَهُ غَيْرُهُ: **أَنَا كَوْنُهُ وَاحِدًا مُقَدَّمًا، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ السَّوْمُ الْكَبِيرُ﴾** [السجدة: ١٧١].

وَأَمَّا كَوْنُهُ مَعَهُ غَيْرُهُ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿لَكَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرٌ﴾** [الأنعام: ١٦٦]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَلِكُلِّ شَيْءٍ ثَوَابٌ﴾** [الأنعام: ١٦٦]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَلِكُلِّ شَيْءٍ عَذَابٌ﴾** [الأنعام: ١٦٦].

وَمَلَكُ الْمَوْتِ الْمُقَدَّمُ يَقْبِضُ، وَالْبَقِيَّةُ يُعَيِّنُونَ فِي قَبْضِ الرُّوحِ، وَتَجْهِيْزِهَا، وَرَفْعِهَا؛ كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ فِي «الْمُسْنَدِ» قَالَ ﷺ: (إِنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا، وَاقْتِبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ،

(١) البخاري (٣١٨)، ومسلم (٢٦٤٦).

(٢) البخاري (٣١٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

نَزَلَ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ بِبُحُورٍ الْمَوْجُورِ ۖ تَحَالَّى وَجُوهُهُمُ الشَّمْسُ،
تَعْتَهُمْ كَقَدْحٍ مِّنْ أَكْفَانٍ الْجُذْءِ، وَخُتُوهُ مِنْ خُتُوطِ الْجُذْءِ، حَتَّى يَجْلِسُوا
بِهِ مِثْلَ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ تِلْكَ الْمَوْتُ ۖ حَتَّى يَجْلِسَ جَنْدَ زَأْبِهِ... (١)
الحديث (٢).

قال إبراهيم النخعي: «يَمْلِكُ الموتُ أَعْوَانًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَتَوَلَّوْنَ
عَنْ أَمْرِهِ» (٣).

وَيَكُونُ قَبْضُ الْأَرْوَاحِ بِعِلْمِ اللَّهِ وَحَقِّهِ، لَا يَسْتَطِيعُونَ سَاعَةً
وَلَا يَسْتَأْجِرُونَ.

❦ فضل خير القرون:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «وَأَنْ خَيْرَ الْقُرُونِ: الْقُرْنُ الَّذِي رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،
وَأَمْسُوا بِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»:

انْتَضَلَ الْأَزْمَنَةُ الَّذِي فِيهِ يَمُتُ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَصْحَابُهُ خَيْرٌ مِنْ أَصْحَابِ
غَيْرِهِ ۖ لِأَنَّ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ، وَقَدْ تَعَلَّى فَضْلُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى مَا انْتَضَلَ بِهِ
مِنَ الزَّمَانِ ۖ فَكَانَ أَفْضَلُ الْقُرُونِ بَعْدَ قُرْنِهِ الَّذِي يَلِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِمْ ۖ
فَالنَّاسِبُونَ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَفْضَلُ مِنَ النَّاسِبِينَ لِأَصْحَابِ غَيْرِهِ مِنْ
الْأَنْبِيَاءِ، وَهَكَذَا فِي أَتْبَاعِ الْآتِبَاعِ ۖ قَالَ ﷺ: (خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ
يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) (٤).

(١) سبق تشريحه.

(٢) تفسير ابن جرير (٢/ ٢٩٠ و ٢٩١)، وصحاحي الترمذي للنحاس (١/ ١٣٨ - ١٣٩)،
والتفسير الصحاحي (١/ ١١٢).

(٣) البخاري (٢/ ٢٦٥)، ومسلم (٢/ ٣٣٣) من حديث ابن مسعود.

معنى القرن:

والمراد بالقرن: الكتبة، ولؤلهم: الصحابة، ثم التابعون، ثم أتباع التابعين، وليس المراد بذلك: القرن الذي هو مئة سنة، والذي يورج عليه المؤرخون.

والقرن المفضل: أوله أفضل من آخره؛ لأن فضله بفضل أهله، وأفضل أهله سبقهم وقربهم من النبي ﷺ.

ودعِبَ فضل ذلك القرن بلعاب جمهور أهله.

وقد انصرفت عامة القرون المفضلة باتباع التابعين؛ وذلك قبل تمام المئة الثانية، وليس في المئة الثالثة منهم كبير أحد، مع فضلي كثير من أهلها في العلم والعمل.

والفضل المتعلق بالقرن إنما هو لجمهورهم، وجمهور الصحابة كان في زمن الخلفاء الراشدين الأربعة، ومن بقي من الصحابة، فلا يُستزج فضله؛ فضله معه ولو تأخر بقاؤه.

وهكذا في التابعين، ودعِبَ جمهورهم قبل تمام المئة.

ويتلهم أتباع التابعين؛ فدعِبَ جمهورهم قبل منتصف المئة الثانية، ومن تأخر عنهم، فضله باقي معه؛ إلا أن فضل زمانه ضُمَّت وُقِل.

والقرن يُطلق على الجيل من الزمن التي يعيش فيها الجيل من ولادته إلى وفاته، ويُطلق كذلك على المئة عام؛ ومن ذلك: ما يروى عند الحاكم مرفوعاً: (يُعيش هذا الغلام قرناً؛ فمئتين سنة)^(١)؛ يعني: عهد هو بر يسر.

❦ فضل الصحابة، ونفاضلهم:

ولا خلاف في فضل الصحابة عامة، وأهم خير الناس بعد الأنبياء، وخير الأئمة بعد نبيها ﷺ، وفضلهم من فضل النبي ﷺ، والنبي ﷺ أفضل الأنبياء، وقد ذكر الله فضلهم في التوراة والإنجيل والقرآن؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَبِيِّنَكَ مِنَ الْخَلَائِفَةِ عَلَى الَّذِينَ مَعَهُ أَتَيْنَا عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةً وَلَهُمْ فِيهِمْ قُرْآنٌ مِثْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ الْأَشْيَاءِ فَهُمْ مِنْ أَوْلَى الْأَعْيُنِ وَأَنْتَ خَيْرُ الْخَلَائِفِ عَلَيْهِمْ عَلَى الْكُفَّارِ وَنَحْنُ أَكْبَرُ الْغُفَّارِ﴾ [التغ: ٢٩].

ومن رأى النبي ﷺ ولو ساعة مؤمناً به، فهو صحابي، وهو أفضل من جاء ولم ير النبي ﷺ؛ كما قال ابن أبي زيد في «جامعوه»؛ قال: «وَكُلُّ مَنْ صَحِبَهُ وَلَوْ سَاعَةً، أَوْ دَاةً وَلَوْ مَرَّةً، فَهُوَ بِكَ أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِ الْغَائِبِينَ»^(١).

وأفضل الصحابة: من جمع مع الإيمان به نصرته، وأكثرهم جمعاً لهذين وأتبعهم ليهما، فهو أفضلهم؛ ولهذا فضل الله المهاجرين على الأنصار، وفضل الله السابقين على اللاحقين، وفضل من أسلم قبل الفتح على من أسلم بعده.

وفي هذا قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مَنْ آمَنَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُوْلَئِكَ أَتَتْهُمْ رَحْمَةُ رَبِّكَ آمَنُوا مِنْ قَبْلُ وَقَتِلُوا وَقَتْلُوا وَمَنْ آمَنَ بَعْدَ الْفَتْحِ﴾ [الحديد: ١٠] فلم يذكر الله سبق الإيمان فقط، وإنما ذكر معه ما يدل

(١) «جامعوه» (ص: ١١٥).

على النصرة؛ فقال: «أَتَقَى وَأَتَأْتَلَى»، وكلما كان إسلام الصحابي في زمن أشد من غيره، كان أفضل منه، ولما كانت حال المهاجرين أشد من الأنصار، فضلوا عليهم، ولم يكن في المهاجرين نقائص كما قاله أحمد فيما نقله عنه الترمذي^(١).

وقال: «وَالْمُتَشِيرُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِذْنِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ وَتَبِعُوا عَنْهُ وَأَمَّا لَمْ يَجِدِي فَتَسْرِعُ لَهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلُونَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْقَرَرُ الْعَظِيمُ» (التوبة: ١٠٠).

ومن هذا: كان فضل من شهد بئرا على من شهد أحدا فقط، ومن تابع تحت الشجرة على من لم يتابع؛ لنحقيق النصرة في هذه المواضع مع الإيمان؛ قال تعالى: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» (الفتح: ١٨).

❦ الوقوع في الصحابة:

حُب الصحابة وتوقيرهم: من أعظم القربات؛ لأنه من تعظيم النبي ﷺ تعظيم أصحابه، ومن إجلال الله إجلال أصحاب نبيه:

فمن عبد الله بن مسعود المُرزِي؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (اللَّهُ فِي أَصْحَابِي؛ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَخَلَّوْهُمْ غَرْصًا بَنِيي؛ لَنْ أَحِبَّهُمْ فَيُحِبُّوا أَهْلَهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَيَبْغِضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُؤْذِيكَ لَنْ يَأْفِكَ)^(٢).

وقال أحمد بن حنبل: «فَحِبُّهُمْ سُنَّةٌ، وَالذُّعَاءُ لَهُمْ قُرْبَةٌ، وَالْإِنْتِدَاءُ

(٢) الترمذي (٣٨٦٢).

(١) مجموع الفتاوى (٢/٢٠١).

بهم وسيلة، والأخذ بأنوارهم فضيلة^(١).

ولا يُلغ فيهم إلا مبتلى في دينه.

ومن طعن في الصحابة أو في واحد منهم، فلا يخلو من الوقوع في البدعتين: إما الكبرى المكفرة، وإما الصغرى المضللة:

إما البدعة الكبرى المكفرة: فكمن تنقصهم، أو سبهم في شيء ثبت بالتواتر خلافاً، وهذا كمن سب جميع الصحابة أو عائلتهم، فهذا أراد ضحيتهم، ولم يُرد أعيانهم، ولو زعم خلافاً ذلك، وفضلهم جميعهم أو عائلتهم متواتر لا خلافاً فيه.

ومثل ذلك: من طعن في رضي عائشة، والله قد برأها في القرآن، ونحو ذلك، أو طعن في المهاجرين أو الأنصار، أو من ياتع تحت الشجرة، أو طعن في عموم أهل بدر وأحد، فأولئك تواتر فضلهم وثبت؛ فالطعن في جميعهم أو عائلتهم كفر.

ومثله: الطعن في واحد تواتر فضله كأبي بكر، وعمر، وعائشة؛ قال مالك: «من سب عائشة، قُتل، قيل له: لِمَ؟ قال: من رَمَاهَا، فقد خالف القرآن»^(٢).

وقد جاء عن أحمد: أنه سُئل عن يسئلم أبا بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم أجمعين؟ فقال: «ما أراء على الإسلام»^(٣).

وقد جعل الله من حَمَل غيظاً في قلبه على الصحابة كافراً، كما في قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُكُمُ الْكُفَّارُ﴾ [الفتح: ٢٩] وبهذا استدلال مالك^(٤).

(١) انظر: «طبقات الحنابلة» (١/ ٦٣ - ٦٤).

(٢) «مسند الموطأ» (٨٧)، و«المجلد» (١١/ ٤١٥ - ٤١٥).

(٣) «السنن» للعلامة (٧٧٩ و ٧٨٢). (٤) «السنن» للعلامة (٧٦٠).

وأبو معمر الكرخي^(١) وغيرهما.

وَأَمَّا الْبُذْعَةُ الصَّغْرَى الْمَضْلُوعَةُ: فَكَتَمَنَ وَقَعَ فِي شَيْءٍ فِيهِمْ لَمْ يَثْبُثْ
بِالتَّوَاتُرِ خِلَافَهُ، وَإِنْ صَحَّ فِيهِ الْخَبَرُ.

فهذا مبتدعٌ؛ لعدوائِهِ عَلَى جَنَابِ الصَّحَابَةِ وَلَوْ كَانَ وَاحِدًا.

وخرَجَ مِنْ بُذْعَةِ الْكُفْرِ؛ لَكُونِهِ لَمْ يُكَيِّزْ مَتَوَاتِرًا مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ
عُصْرَةً؛ كَمَنْ يَسُبُّ مَنْ صَحَّ فَضْلُهُ وَلَمْ يَتَوَاتَرَ، أَوْ ذَمُّ خِصْلَتُهُ فِيهِ لَمْ
يَثْبُثْ بِالتَّوَاتُرِ خِلَافُهَا؛ كَالْبُخْلِ وَالْكَلْبِ وَالْجُبْنِ، وَإِنَّمَا يُذَوِّجُ لِعِدْوَانِهِ
عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمُخَالَفَتِهِ لَوْصِيَّتِهِ فِيهِمْ؛ كَمَا قَالَ ﷺ فِي
«الصَّحْبَةِ»: (لَا تُسَبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ لَأَخَذْتُمْ أَنْفَقَ يَثُلُ أَحَدٌ
فَقَبًا، مَا يَلْغُ مَدُّ أَحَدِهِمْ وَلَا تَصِيْفُهُ)^(٢)، وَرَوَى أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ
عَنْ ﷺ قَالَ: (أَوْصِيْتُكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ
يَلُونَهُمْ)^(٣).

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «إِنَّا رَأَيْتُ رَجُلًا يَذْكُرُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
بُسُوءًا، فَأَتَيْتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ»^(٤).

ﷺ التَّفَاضُلُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ:

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «وَالْفَضْلُ الصَّحَابَةُ: الْخُلَفَاءُ الرَّأِثُونَ الْمُتَهَبُّونَ:
أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ»:

كَانَ الصِّبْرُ الْأَوَّلُ يُجْلِسُونَ الصَّحَابَةَ، وَيَعْظُمُونَ فَتَرَفُمَ عَلَى سَبِيلِ

(١) «شُعَبَةُ» لِلخَلَال (٦٦٦).

(٢) الْبُخَارِيُّ (٣٦٧٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٤٦) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ.

(٣) أَحْمَدُ (١٨/١) ٢٦ وَهَمَّ ١١٤ وَ(١٧٧)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢١٦٥) مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ.

(٤) فَتَرْحُ اسْمُ الْإِسْلَامِ (٢٣٥٩).

الإجمالي والتفصيل، ولم يكونوا يُؤيّلون في التفضيل بينهم؛ لعدم قيام الموجب لذلك، ولأنهم على الفطرة الصحيحة، ولم تظهر البدع في الواقعة في الصحابة والظني فيهم؛ فكانوا يَمَرُقُونَ مقاديرهم وفصلهم ويَحْكُمُون تفاضلهم في صدورهم، وإن استكروا عن التعبير عن ذلك:

كما قال مالك: «إنّ التفاضل بين الصحابة ليس من أمر الناس الذين مضوا، وإنما كان من هديهم الإساءة عن مثل هذا»^(١).

وقول مالك هذا من جنس قول النبي ﷺ: (لَا تَحْزَنُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ)^(٢)، وقوله ﷺ: (لَا تَحْزَنُوا عَلَيَّ مُوسَى)^(٣)، وفي حديث ثانٍ، قال ﷺ: (لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى)^(٤)؛ لأنّ من التفضيل ما يتوقّف به السامع تقصّ المفضول وعيّا فيه.

وقد كان مالك نفسه يفضّل أبا بكرٍ وعمرَ على غيرهما^(٥).

وتفاضل الصحابة في بعض الفضائل، لا يعني الفضل المطلق؛ فقد يفضّل واحد الصحابة في خصلة - كالشجاعة والكرم والجسم - وغيره أفضل منه؛ وبين هذا قول ابن عمر: «ما رأيت أسودَ من معاوية»، فقيل لابن عمر: هو كان أسودَ من أبي بكرٍ؟ قال ابن عمر: «أبو بكرٍ والله أخيرُ منه»، وهو والله أسودُ من أبي بكرٍ^(٦)، وقال ابن عمر - أيضا -:

(١) الاستطاعة (٢٤١/١٤) و(٢٤٣) بنحوه.

(٢) البخاري (٢٤١٢) و(٦٩١٦)، ومسلم (٢٣٧٤) من حديث أبي سعيد.

(٣) البخاري (٢٤١١) و(٢٤٠٨) و(٦٥١٧) و(٧٤٧٢)، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة.

(٤) البخاري (٢٣٩٥)، ومسلم (٢٣٧٧) من حديث ابن عباس.

(٥) الاستطاعة (٢٤١/١٤)، والاستطاعة (ص ٣٥).

(٦) الأحاديث والمطاني (٥١٦)، والفتاوى للخلال (٦٧٨).

«إِنَّهُ اسْوَدَّ مِنْ عَمَرٍ وَغُثْمَانَ»^(١)، و«اسْوَدَّ» بمعنى: أَسْكَنَ^(٢)، وفي هذا يقول أحمد: «أَغْلَى معاويةَ أهلَ المدينة عَطَاً ما أَغْطَاهَا خُلَيْفَةُ كَانَ قُبْلَهُ»^(٣).

التوسُّع في التفضيل بين الصحابة:

وقد بدأ التوسُّع في أبواب التفضيل بين الصحابة، والتزاع فيه: في الفَجَم، وكان مَدْخَلًا لِنَقْصِ المفضول؛ فبدلوا بالتفضيل، ثم تدرَّجوا والتسَّوا أسباب الكمال في المفاضل، ثم تدرَّجوا والتسَّوا أسباب النقص في المفضول، ثم استلَّزَّجهم الشيطانُ للدخول في أبواب النقص وتلَبَّ الصحابة وقتيَّهم.

وقد قال عبد الله بن أبي حَسَّانٍ - تلميذُ مالكٍ - لَمَّا سُئِلَ عن التفاضل بين خيار الصحابة؟ فرفَّع يده، وضربَ السائلَ، وقال: «ليس هذا بين مُرْتَشِي، ولا بين العرب»؛ هذا بين أهلِ قُمٍّ^(٤)، وهو يُدْرِكُ تفاضلَ الصحابة على الحقيقة، ولكنه يعلم ما يُراد من فتح هذا الباب، ولمَّا فُتِحَ في المشرق، وانتهى بأصحابه إلى ما انتهى إليه، كان المغاربة أولَ الأمرِ يُغْلِقُونَ فَتْحَ هذا الباب؛ حتى لا يَنْتَهِيَ في المغرب إلى ما انتهى إليه في المشرق؛ وهذا من كمالِ العلم والحكمة.

ومن هذا الباب: إسحاقُ مالكٍ وغيره في إحدى الروايتين عن التفضيل بين عُثْمَانَ وعليٍّ، وقولُه: «مَا أَفْرَحْتُ أَحَدًا أَفْنَيْ بِه بِفَضْلِ أَحَدِهِمَا عَلَى صَاحِبِهِ»^(٥).

ولا يَخْتَلِفُ المسلمون في فضلِ الصحابة، وإنَّ كُفْلَهُم نَزَعَ عن

(١) التوسُّع السابق.

(٢) انظر: «التهذيب» لابن الأثير (٤١٨/٢). (٣) كما في رواية الخليل السابقة.

(٤) «رياض القوس» (٢٨٧/١).

(٥) «المدينة» (٢٧٠/١)، و«الاستبصار» (٢٤٠/١).

فَضْلُ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَمَا يَتَفَاضَلُ الْأَنْبِيَاءُ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ يَتَفَاضَلُونَ فِيهَا
بَيْنَهُمْ مِنْ بَابِ أَوَّلَى.

وَقَدْ كَانَ سُخُونٌ يَلْقَى ابْنَ الْقَضَائِ فِي مَرْحَبِ مَوْبٍ: «أَنْ أَفْضَلَ هَذِهِ
الْأُمُ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ وَخُفْرَةُ»^(١).

وَلَا يَخْتَلِفُ السَّلَفُ فِي هَذَا، وَوَقَعَ فِي قُلُوبِهِمْ نَزَاعٌ فِي التَّفَاضُلِ
بَيْنَ عُمَانَ وَعَلِيٍّ^(٢):

فَمِنْهُمْ: مَنْ فَضَّلَ عُمَانَ عَلَى عَلِيٍّ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ فَضَّلَ عَلِيًّا عَلَى عُمَانَ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ تَوَقَّفَ.

ثُمَّ اسْتَغَرَّ الْأَمْرُ عَلَى أَنَّ تَرْتِيبَهُمْ فِي الْفَضْلِ؛ كَتَرْتِيبِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ:
عُمَانٌ ثُمَّ عَلِيٌّ، وَقَدْ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: وَاللَّهِ مَا بَايَعْتُ لِعُمَانَ
حَتَّى سَأَلْتُ جَبِيئَانَ الْحَدِيثِ؛ فَقَالُوا: عُمَانٌ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ^(٣).

وَقَدْ وَصَفَتْ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ هَذَا الْقَوْلَ فِي «جَامِعِهِ»، بِأَنَّهُ قَوْلُ أَهْلِ
الْحَدِيثِ؛ قَالَ: «وَمَعَهُ قَوْلُ أَهْلِ الْحَدِيثِ، ثُمَّ بَقِيَّةُ الْعَشْرَةِ، ثُمَّ أَهْلُ بَنِي
بَنِي الْمُتَهَاجِرِينَ، ثُمَّ مِنْ الْأَنْصَارِ، وَمِنْ تَجِيبِ أَصْحَابِهِ؛ عَلَى قَدْرِ الْهَجْرَةِ
وَالسَّابِقَةِ وَالْفَيْلَةِ»^(٤).

ظَهَرَ الطَّنْ فِي الصَّحَابَةِ فِي الْمَغْرِبِ:

وَقَدْ انْتَشَرَ الطَّنْ فِي الصَّحَابَةِ فِي زَمَنِ بَنِي عُيَيْنَةَ فِي الْمَغْرِبِ،
خَاصَّةً الْقَبِيلُونَ؛ وَامْتَحَنَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ؛ حَتَّى أَكْرَهُوا عَلَى سَبِّ

(١) «تراجم النفوس» (١/٣٦٧ - ٣٦٨)، وقد سبق.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/٤٢٦).

(٣) «المسائل التي حلف عليها أحمد» (٩٧)، (٤) «الجامع» (ص ٩١).

الصحابة على المناابر، وقُتل جماعة من العلماء لأجل ذلك، وقد قام جماعة من أهل العلم في وجوه تلك الفتنة، وعلى رأسهم ابن الحنّاء.

وقد شبه بعضهم مفاضة في فتنة الرافض في المغرب، بمقام أحمد في المشرق في فتنة القرآن^(١).

وقد كان له حجة وبيان وقوة في الحق، وقد سألته أبو عبد الله الرافضي: «أنتم تفضلون على الخمسة أصحاب النساء غيرهم؟ - يعني بأصحاب النساء: محمدًا ﷺ، وعليًا وفاطمة، والحسن والحسين ﷺ، ويعني بغيرهم: أبا بكر ﷺ - فقال ابن الحنّاء: أيها أفضل؟ خمسة سادسهم جبريل ﷺ، أو اثنان الله تاليهما؟ فهت الرافضي^(٢).

ما شجر بين الصحابة:

«قَالَ لِيْكَوْنِيْ: ﴿وَالَا يُذَكِّرْ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرُّسُولِ ﷺ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، وَالْإِنْسَانُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَتَهُمْ أَحَدُ الثَّانِي (في «الجامع»: أَنْ تُنْشَرَ مَخَابِرُهُمْ)^(٣)، أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظَنَّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَنَاجِبِ»:

لا يتحدث بما وقع بين الصحابة من خلاف وزعاج، ما لم يكن في ذلك فقه للخاصة، فيحترق الخلاف والنزاع بينهم يؤخر الصدور، ويسقط غيبتهم وجلالتهم في بعض النصوص، وكان أحمد يقول: هذه الأحاديث تورث الولي في القلب^(٤).

ولم يكن الصحابة يتحدثون بخلافهم عند غيرهم، ولا كذلك فقهاء

(١) معالم الإيمان (٢/ ٢٩٨ - ٢٩٩).

(٢) معالم الإيمان (٢/ ٢٩٨).

(٣) «الجامع» (ص ١١٦).

(٤) «الجامع» (ص ١١٦).

الناظرين: كانوا لا يذكرون خلاف الصحابة، وإنما تفرغ لأكثر أهل بيت وأخباريون، فنقلوا وزادوا ونقصوا، ومن فلو سعيد بن المسيب قوله: «لقد رأيت عليك وعثمانَ يَسْتَبَايَنَ سِبَايَا ما أُعْبِرْتُ به أحداً بعده»^(١).

وقد كان أحمدٌ يعتزل مجلسَ عبد الرزاقٍ إذا حدث بأحاديث الخلاف بين الصحابة، فإذا انتفى، رجع، وإنما وضع إصبعه في أذنيه طويلاً، حتى مرَّت بعض الأحاديث، ثم يُخرجهما، ثم يَرُدُّهما... حتى نَقَضَ الأحاديث كلها^(٢)، لا يريد أن يعلّق بقلوبه شيء منها.

وأكثر تلك الأحاديث ليس فيها أحكامٌ وعملٌ، وإنما هي حكايات وأقوال وأفعالٌ لقرنٍ فاضلٍ انصرف، وسُتِنَ من ذلك: ما يتضمَّنُ فيها وحلاً وحراماً، وكان أحمدٌ يقول: «لا أحبُّ لأحدٍ أن يكتب هذه الأحاديث التي فيها ذُكِرَ أصحابُ النبي ﷺ لا خللاً ولا حراماً ولا سُتْراً»^(٣).

ونعرضُ الصحابةَ بعضهم لبعض، ليس كتعرضي غيرهم لهم، فهم مجتهدون، وفي منزلٍ وفضلٍ عالٍ، ولقبهم من العملِ الصالحِ العظيم من صُحبةِ النبي ﷺ: ما يُوجبُ تكفيرَ ذنوبهم، وليس لدى من يَفْهَمُ من الحسناتِ ما يَفْزَى على تكفيرِ الوقيعِ في أعراحي الصحابة، إلا أن يَنشَأَ الله.

ولما كاد الوليدُ أن يَقَعَ في عاتق، ذكره الزُّهريُّ بقول أبي مسلم الكولاني لأهل الشام: لَمَّا أَرَادُوا الْوَقِيعَةَ فِي عَاتِقَ: «أَلَا أُعِيرُكُمْ بِمَكَلِّكُمْ وَتَمَلُّوا هَذِهِ ١٩ كَمَلًّا عَيْتِي فِي رَأْسِي يُؤَدِّبَانِ صَاحِبَيْهَا، وَلَا يَسْتَطِيعُ

(١) «الشيء» لعبد الله (١٢٩٧ و ١٢٩٨).

(٢) «الشيء» للخلال (٨٠٣).

(٣) «الشيء» للخلال (٨١١).

أن يعاقبهما، إلا بالذي هو خير لهما^(١).

والوفية في الصحابة ذنب عظيم، لا يبتلي الله به أحدا إلا لسوء كربة، وتنجي يته، وما رأينا أحدا طعن في أصحاب النبي ﷺ إلا وله خبيثة سوء نخرج ولو بعد حين، لا نعلم الغيب، ولكن رأيناهم يكذبون بالظن في الصحابة، ثم لا يصبرون، فيظهر الله عيانا وتجاوزا أخرى، كانوا يخفونها، وفي هذا يقول أحمد بن حنبل: «ما انتقص أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا له فاجلة سوء»^(٢).

وعلى ذلك: فيجب الإمسك عما وقع بين الصحابة، لأنه وقع في ظنهم فاضلة؛ فليس للمفضول الفصل بين الفاضلين عليه فيما لا يغنيهم؛ فإن لهم حسنات لا يقالها من يتقدم يتقدم الله لهم بها بإذنه، والوفية فيهم بالسب واللعن سيئة عظيمة؛ حتى تصل في بعض الأحيان بصاحبها إلى الكفر، وجننها فلن تقاومها حسنة من حسنات المتأخرين؛ فتفقدوها.

وكان مالك يرى أن لا نصيب في القبر في القبر لمن سب الصحابة والتابعين؛ لأن الله ذكر القبر وأهله بقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكَ اللَّهُ خَيْرَ شَيْءٍ﴾ [الحشر: ٥٧]، إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ [الحشر: ١٠].

استحسان أهل المغرب بالصحابة:

ولا نعرف بلاد المغرب الوفية في الصحابة والظن فيهم، وتكثر مقالهم وسبهم، وكانوا يعلمون أن بدعة الوفية في الصحابة جاءت من المشرق الأقصى من بلاد خراسان العجم.

ولما سئل عبد الله بن أبي حسان الخصمي - وهو من تلاميذ مالك -

(١) فضائل الصحابة لأحمد (١٧٣٠). (٢) الشريعة للخلال (١٩٠).

عنا بقوله الناس في التفضيل بين أبي بكر وعمر، والتفاضل بينهما وغيرهما؟ فقال: «ليس هذا بين قرشي، ولا بين العرب، هذا بين أهل قُوم»^(١)، وكان يقول: «والله، لا يخفى علينا نحن من يستحق الزُلاية بعدَ والينا، ولا من يستحق القضاء بعد قاضينا، فكيف يخفى على أصحاب النبي ﷺ الأمر بعدَ نبيهم؟»^(٢).

ويتر أمة في المغرب لم يكونوا يفتخرون في علي بن أبي طالب، مع ما يجلونه لأثره الملك عليهم، تعظيماً للصحابة، ولتراثه خاصة. على خلاف ما يفعلهُ بعض بني أمة في المشرق، من النيل منه بغياً ﴿٣﴾.

حتى جاء بنو عُبيد، فامتحنوا الناس في ذلك، وقتلوا من خالفهم، ومنعوا الفتوى بحضرة مالك، حتى كان الواحد منهم يستور بمدح الصحابة، كاستنار النعمي بعبادته، كما ذكرهُ القاضي عياض وغيره^(٤)، وقد قتلوا خلقاً من العلماء، وفرّ كثير منهم.

حتى قال أبو الحسن القاسمي: «إن من قتلهم عُبيد الله ومنه: أربعة آلاف بين عالم وعابد، ممن يترشّدون عن الصحابة، حتى خصّص داراً للقتل سماًها: «دار النُفرة»، حتى لُعن الصحابة على المنابر، وانقطع الناس عن الجُتمع بالقيروان مثلاً»^(٥).

﴿٦﴾ فتنَةُ الرافضة إذا تمكّنوا:

وفتنَةُ الرافضة إن تمكّنوا على لعل السنّة، أشدّ من فتنَةِ اليهود

(١) رياض النفوس (١/٢٨٧)، وقد سبق قريباً.

(٢) رياض النفوس (١/٢٨٧ - ٢٨٨). (٣) ترتيب المدارك (٥/٣٠٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٥/٦٤٥).

والنصارى فيهم؛ إنما يجدونه من شديد الجلف والغلل عليهم، يكتُمونه ويُرثون حيلهم عليه، وتُشيدون الأشعار فيه؛ حتى تمثلت النفوس، فيترقبون تمكينًا، فإن تمكّنوا، بقوا بغيًا لا يتغيّر غيرهم؛ وهذا معروف في كل زمن؛ ولهذا لا يمتكّنون في الدول والولايات، ومن مكّتهم فلا بد أن يأمروا عليه إن كانوا بقلّة، أو يظفروا عليه إن كانوا كثرة.

وقد قال جليلٌ من عسود الصّفاة: وقد هزّت من الرفض في الرّباط، ونزل القيروان، فكلم في ذلك؟ فقال: «كنا نمرس عدوّا بيننا وبينه البخر، والآن حلّ هذا العدوّ بساعتنا؛ وهو أشدّ علينا من ذلك»^(١).

وكان يُكرّ على من خرج من القيروان إلى سوسة، أو نحوها من الثغور، ويقول: «جهاد هؤلاء أفضل من جهاد أهل الشرك»^(٢).

الطاعة لأئمّة المسلمين بالمعروف:

﴿قَالَ كُنَّا فِي يَزِيدَ: «وَالطَّاعَةُ لِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ» مِنْ وَلَاؤِ أُمُورِهِمْ، وَعَلَمَاتِهِمْ:﴾

توافرت النصوص في وجوب السمع والطاعة لأئمّة المسلمين بالمعروف، وتحريم الخروج عليهم؛ وقد قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَرْوَاقَ الْأَمْرِ وَتَرَكُوا﴾ (النساء: ٥٩)، وقال ﷺ: (عَلَى الْمَرْءِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ بَيْنَا أَحَبُّ وَتَمَرٌ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَنْصِبَةٍ؛ فَإِنْ أُمِرَ بِمَنْصِبَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ)^(٣).

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٣٧٥)، ومعالم الإيمان (٢/ ٢٧٢).

(٢) ترتيب المدارك (١/ ٣٧٦)، ومعالم الإيمان (٢/ ٢٧٢ - ٢٧٣).

(٣) البخاري (٢٩٥٥)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر.

ولا يجوز أن يتلى مسلم بلا تبعة لإمام، إلا إن كان في أرض ليس فيها حاكم مسلم، أو كان فيها نزاع على الولاية ولم يتمكن فيها أحد.

ولا يجوز أن يُخْرَجَ على الحاكم المسلم ما لم يأت بكفر بواجب، وقد قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «بَيْنَتُنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَقَتَا وَمَكْرَهَاتَا، وَخُسْرَانَا وَنُسْرَانَا، وَأَثَرِ عَلَيْنَا، وَالْأَثَرِ أَفْلَحْنَا، قَالَ: (إِلَّا أَنْ تَرَوْا مُكْفِرًا بِوَاجِبٍ، يَهْدِكُمْ مِنَ اللَّهِ يَوْمَ يُزْفَلُ)»^(١).

ولا يجوز الخروج بشبهة كفر أو توهم مكفر، ولما قال في الحديث: (بِوَاجِبٍ يَهْدِكُمْ مِنَ اللَّهِ يَوْمَ يُزْفَلُ).

والتبعة إنما هي للحاكم المسلم بالمعروف، وأما الكاظم: فلا تصح له تبعة أصلاً، والطاعة له تكون بما يُقِيمُ الدنيا، وَيَحْفَظُ حُرُمَاتِ النَّاسِ وَحُرُوفَهُمْ، وما يَحْفَظُ الْمَالِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ.

وكان السلف يعظمون أبواب السمع والطاعة للأئمة، ويجعلونها في أبواب العقائد؛ لأنها من المسائل التي خالفت فيها الفرق البدعية؛ فأصبحت علماً وفارقاً بين أهل السنة وغيرهم من الطوائف؛ كالخوارج والمعتزلة.

❦ الخروج على الأئمة وأحواله:

والفتنة بالخروج على أئمة الجور المسلمين شر أعظم مما يرجى دفعه، والخروج عليهم يُسَاغَلُ في أوله، والشر كامن في آخيره.

(١) البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

وقد كان سُبْحُونُ يُلقِيْنَ ابْنَ النَّضَارِ فِي مَرَضٍ مَوِيٍّ: «أَلَا تُخْرِجْ عَلَى الْأَمَّةِ بِالسَّيْفِ، وَإِنْ جَاؤُوا»^(١).

وَكَثُرَ مَنْ يَنْجِرُ فِي هَذَا الْبَابِ: مَنْ يَتَوَقَّعُ نَصْرَةَ الْعَامَّةِ، وَالْعَامَّةُ يُطْلِقُونَ الْأَسْرَ، وَيَجْثُونَ عِنْدَ إِطْلَاقِ الرِّمَاحِ، وَالْعَالِمُ لَا تَخْذَعُهُ كَثْرَةُ الْعَامَّةِ عِنْدَ تَقْرِيرِ الْحَقِّ.

وقد كان ابنُ فَرْوَجٍ الْقَاضِي الْفَيَّزَوَانِي مِنْ تَلَامِيذِ مَالِكٍ، رَأَى الْخُرُوجَ عَلَى الْعُكْبَرِ؛ حَيْثُ كَانَ رَجُلٌ سُوءٍ، وَتَوَاعَدَ ابْنُ فَرْوَجٍ مَعَ قَوْمٍ عَلَى أَنْ يَكُونَ اجْتِمَاعُهُمْ بِبَابِ ثَوَسٍ، فَلَمَّعَ ابْنُ فَرْوَجٍ لِمَكَانِ التَّوَجُّدِ، وَتَخَلَّفُوا عَنْهُ؛ فَلَمْ يَأْتِ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ مَتَوَاتٍ مِنَ الْعَمَلِيِّينَ، وَابْنُ مُحَرَّرٍ الْقَاضِي مِنَ الْعِرَاقِيِّينَ، فَرَجَعَ ابْنُ فَرْوَجٍ.

وَحِينَمَا أَرَادَ الْفُتَّاحُ إِلَى مِصْرَ، وَشِيعَةُ النَّاسِ، التَفَّتْ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «أَشْهَدُوا أَنِّي وَجَعْتُ عَمَّا كُنْتُ أَقُولُ بِهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَى أُمَّةِ الْيَهُودِ، وَنَائِبٌ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ».

وَكَانَ ابْنُ فَرْوَجٍ يَرَى الْخُرُوجَ قَبْلَ ذَلِكَ؛ إِنَّا اجْتَمَعَ مَعَهُ بِأَمْرِ بِالْمَعْرُوبِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ عِنْدَ أَهْلِ بَنِي، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ صَحَّ الْخُرُوجُ عَلَيْهِ تَأْصِيلًا، جَازَ عَمَلًا وَتَطْبِيقًا، حَتَّى تَكُونَ الْقُدْرَةُ وَتَغْلِبَ الظُّرُفُ لَا تَوْفِيقًا وَاجْتِرَافًا^(٢).

وقد رَجَعَ ابْنُ حُمَرَ عَنْ قِتَالِ تَجْدَةَ الْحُرُورِيِّ لَمَّا رَأَى الْعَامَّةَ مَعَهُ؛ حَتَّى قِيلَ لَهُ: «إِنَّ النَّاسَ لَنْ تُخْرِجَ مَعَكَ إِلَيْهِ، وَسَتَرْكُوكُ وَخَذَكَ»^(٣)؛ مَعَ أَنْ قِتَالَ تَجْدَةَ مَشْرُوعٌ، وَمَنْدُوبٌ إِلَيْهِ.

(١) فرياض النفوس (١/ ٣٦٧ - ٣٦٨). وقد سبق.

(٢) ترتيب المفاركة (٢/ ١١١ - ١١٢). (٣) التَّجْدَةُ لِعَبْدِ اللَّهِ (١٥٢٨).

ومن أجازت الشريعة الخروج عليه من الحُكَّام، يُعْتَرِطُ فِي ذَلِكَ: الْقُدْرَةُ، وَالْأُتُوْمُ بِالتَّوْحْمِ، وَأَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظُهُمِ أَنَّ الْحَاكِمَ الْمَوْضُوعُ، أَفْضَلُ مِنَ الْحَاكِمِ الْمَدْفُوعِ، وَالْحَالُ اللَّاحِقَةُ، أَفْضَلُ مِنَ السَّابِقَةِ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَنْحَرُونَ فِي الْخِلَاصِ مِنَ الْحَالِ، وَيَتَيَّبُ عَنْهُمْ الْمَالُ، وَالتَّفَكُّيرُ فِي أَدَى السُّلْطَانِ الْمَوْجُودِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَيِّمَ الْحَالِ بَعْدَهُ، فَإِنْ كَانَ غَيْرًا يَغْلِبُ عَلَى مَعَ الْقُدْرَةِ، جَازَ، وَهَذَا نَائِبٌ، فَإِنْ مَنَ أَخَذَ السُّلْكَ كَرَاهًا، لَمْ يَتَرَكَّهُ طَوْعًا إِلَّا بِمَوْتِهِ، وَبِلَا الْوُسْعِ فِي قَتْلِ النَّاسِ وَإِسَادِ حَيَاتِهِمْ بَعْدَهُ؛ وَلِهَذَا سَمَّى اللَّهُ زَوَالَ السُّلْكَ: تَرَاهَا، مُشَابِهَةً لَهُ بِتَرْجِيهِ الرُّوحِ: ﴿وَتَنْتَبِهُ السُّلْكَ بِمَنْ تَقَالَهُ﴾ (إلى ص ١٢٦).

وَبِحَسَبِ النَّظَرِ إِلَى صِلَاحِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا، وَتَغْلِيْبِ صِلَاحِ الدِّينِ عَلَى صِلَاحِ الدُّنْيَا عِنْدَ التَّرَاحُمِ، فَإِنَّ الْمَرْجِعَةَ مِيزَانَهُمْ صِلَاحُ الدُّنْيَا وَحَدُّهَا وَلَوْ فَسَدَ الدِّينُ كُلُّهُ، وَإِنَّ الْخَوَارِجَ مِيزَانَهُمْ صِلَاحُ الدِّينِ وَحَدُّهُ وَلَوْ فَسَدَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا، فَلَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ حَفِظِ أَصْلِ الدِّينِ وَبَيْنَ حَفِظِ فَرْجِهِ، وَلَا بَيْنَ إِضَاعَةِ أَصْلِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ إِضَاعَةِ فَرْجِهَا، فَإِنَّ لِلدُّنْيَا أَصْلًا لَا يَقُومُ الدِّينُ إِلَّا بِهِ، وَإِنَّ لَهَا فَرْحًا لَا يَضِيْعُ الدِّينُ لِأَجْلِهِ.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «الْجَامِعِ»: «وَكُلُّ مَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ رِضَا أَوْ عَنْ غِلْيَةٍ؛ فَاسْتَلْذَتْ وَعَقَائِدُهُ مِنْ بَرٍّ أَوْ لَاحِظٍ -: فَلَا يُخْرِجُ عَلَيْهِمْ، جَازَ أَوْ عَدَلَ، وَيُعْزَى مَعَهُ الْعَدُوُّ، وَيُخْبِجُ الْبَيْتَ، وَدَفْعُ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِمْ مُجْبِرَةٌ إِنْكَاطُهَا، وَتُضَلَّى خَلْفَهُمُ الْجُمُعَةُ وَالْبَيْدَانِ»^(١).

(١) «الجامع» (ص ١١٦).

❦ نَصَحُ الْأَيْثَةِ:

ويجب مع السمع والطاعة: النصح لأئمة المسلمين بعلم وجحمة، ولا تُلزَم من منع الخروج عليهم في النصوص: ترك التكبير عليهم بالقيط.

والفرق بين أهل السنة والعرجة في هذا الباب: أنَّ أهل السنة يَرْوُونَ الإنكارَ على مَنْ جَارَ مِنَ الْأَيْثَةِ عَلَى حَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَخْلُدُونَ الإصلاحَ بَابًا للخروج، وَأَمَّا العرجة: فَيَخْلُدُونَ خوفَ القتلِ بَابًا لإخلاقِ الإنكارِ عَلَى الْأَيْثَةِ.

والإصلاحُ يَكُونُ بِعِلْمٍ وَجَحْمَةٍ وَعَدْلٍ، وَلَا يَكُونُ بِذِكْرِ مَا يُخْفِيهِ الْأَيْثَةُ مِنْ حِيَرٍ وَفُتُورٍ تُخْصِمُهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُ زُلَّاتِهِمْ، وَلَا تُذَكِّرُ عِنْدَ مَنْ لَا تَغْنِيهِ تِلْكَ الزُّلَّاتُ؛ فَتِلْكَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْهَوَى وَالْفُلْ، وَيَتَوَقَّعُونَ إِصْلَاحًا.

وَيَجُوزُ اتِّقَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَتَقْلِيدُهُمْ وَأَخْطَاؤُهُمْ عَلَى نَوْعَيْنِ:

النوع الأول: مَا يَخْصِمُهُمْ مِنْ تَفْصِيلٍ فِي حَقِّ اللَّهِ بِفَعْلٍ مُحَرَّمٍ، وَتَرْكِ الْوَاجِبِ، وَلَا يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ الْعَائِثَةَ، وَلَا يَشْرَعُونَهُ لِيَهُمْ:

لهذا يُشْرَعُ إِنْكَارُهُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ الْعِلْمِ بِهِ، وَيَكُونُ بَيْنَ الْمُصْلِحِ وَبَيْنَهُمْ؛ لِأَنَّهُ خَاصٌّ لَا عَامٌّ، وَكُلُّ حَاكِمٍ مُسْلِمٍ، فَلْيُزَيِّدْهُ حُرْمَةً كَالْمُسْلِمِينَ بَلْ أَشَدَّ، وَلَا تَجُوزُ إِلَّا بِشَرْطِهَا الْمَعْرُوفَةِ.

وَمَنْ خَشِيَ أَدَى السُّلْطَانِ وَضَرَرَهُ فِي هَذَا الْبَابِ، جَازَ لَهُ تَرْكُ نُصِيحِهِ؛ لِأَنَّ ضَرَرَهُ خَاصٌّ بِفَاعِلِهِ، لَا عَامٌّ لِلنَّاسِ، وَالْأَيْثَةُ فِيهِ مُضِرَّةٌ بِالْعَالِمِ، وَمَنْصَلِحَةٌ النَّاسِ بِالْعَالِمِ عَامَّةً؛ وَمِنْ هَذَا قَوْلُ مَالِكٍ: «أَذْرَعْتُ

سَبْعَةَ عَشَرَ نَابِعًا، فَمَا سَمِعْتُ أَنَّهُمْ قَامُوا إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ يَعْطُونَ^(١).
 وَكَانَ خَمْدِيْسُ مِنْ أَصْحَابِ شُخُونٍ يُسْأَلُ عَنِ الْإِمَامِ الَّذِي يَمْتَلِكُ
 بِالْمَعْصِيَةِ: أَكُنْتُ تَامِرَةً وَتَنْهَاهُ؟ قَالَ: «لَا» وَاحْتَجَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:
 «لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُدْلِكَ نَفْسَهُ»، قِيلَ: كَيْفَ يُدْلِكَ نَفْسَهُ؟ قَالَ ﷺ:
 «يَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَا يُطِيقُ»^(٢)، ثُمَّ ذَكَرَ عَنْ مَالِكٍ قَوْلَهُ السَّابِقَ^(٣).
 وَهَذَا لَيْسَ فِي تَرْكِ نَصِيحِ الْأَمَّةِ بِكُلِّ حَالٍ، وَإِنَّمَا مَرَادُهُ مَا خُطِّبَ مِنْ
 مِنْ ذَنْبٍ، وَقَدْ قِيلَ لِخَمْدِيْسٍ: «فَلَوْ أَنَّ إِمَامًا دَعَا إِلَى يَذْمُو، وَأَمَرَ بِهَا؟
 قَالَ: تُجَاهِدُهُ»^(٤)، يَعْنِي: لَا تَذَعُهُ، بَلْ يُجَاهِدُ حَسَبَ مَقْدَارِ الْيَذْمُو
 الْوَاقِعَةِ مِنْهُ عَلَى الْمَرَايِبِ الْمَشْرُوعَةِ؛ مَا لَمْ تُخْرِجْهُ الْيَذْمُو مِنَ الْإِسْلَامِ؛
 فَيُجَاهِدُ بِاللِّسَانِ مَعَ الْعَمَلِ، وَمَا أَخْرَجَتْهُ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَيُجَاهِدُ بِالْيَدِ مَعَ
 الْقَلَمِ.

النوع الثاني: جَوْرُهُ وَظُلْمُهُ الْمُصْطَفِي مِنْ نَفْسِهِ إِلَى غَيْرِهِ:
 فَيُخَصِّرُ لِلظَّالِمِ عِنْدَهُ بِصُورِهِ، وَعِنْدَ الْمَظْلُومِ بَيَانٌ حَقُّهُ لَهُ بِعَمَلٍ.
 وَإِنْ كَانَ ظُلْمُهُ فِي حَقِّ اللَّهِ وَإِظْهَارِ الشَّرِّ وَالْمُنْكَرِ، وَدَعْوَةِ النَّاسِ
 إِلَيْهِ، فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ عَلَى الْقَادِرِ بَيَانَ الْمُنْكَرِ وَحَقَّهُ فِي الشَّرِيعَةِ عِنْدَ مَنْ
 أَخَذَ بِقَوْلِ السُّلْطَانِ؛ فَلِلْعَامَّةِ تَأَثُّرٌ بِتَقْلِيدِ السُّلْطَانِ وَمَحَاكَاةٍ، وَيَكُونُ ذَلِكَ
 بَيَانًا لِلْمُنْكَرِ وَمَنْزِلَةً فِي الشَّرِيعَةِ.

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ تَسْمِيَةِ السُّلْطَانِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِإِزَالَةِ الْمُنْكَرِ، لَا بِتَعْيِينِ
 فَاعِلِيهِ، وَقَدْ يَكُونُ فِي تَعْيِينِ فَاعِلِيهِ مِنَ الْوَقْتِ لَهُمْ مَا يَذَمُّهُمْ لِلْإِسْتِمْسَاكِ

(١) «رِيَاضُ النَّفْسِ» (١/٤٨٩).

(٢) «الْتِمُذِي» (٢٢٥٤)، وَابْنُ مَاجَةَ (١٠١٦) مِنْ حَقِيقَةِ حَقِيقَةٍ.

(٣) «رِيَاضُ النَّفْسِ» (١/٤٨٩). (٤) الْمَوْضِعُ السَّابِقُ.

بالشرِّ ونشريعه، فيكون المصلحة في مثل هذه الحالة عظم فساد الحاكم ووسعه، ولم يُضيقه وضيقة.

وهذا كله يُنظر فيه: الزمان، وتغيُّر الحال، ومآلات الأمور وتدابيرها، وجُرم الشرِّ والخير من الجهتين زيادةً ونقصاً، وأحوال السلاطين، ونزوع مُتخبرهم وقنرة، وسعة أخذ الناس به وضيقة.

وهذا الباب من أخرج الأبواب للسياسة الشرعية، وكثيراً ما نؤثر فيه طبائع النفوس وهواها على العقل والإنصاف بين أربعة حقوق: حق الحاكم، وحق الناصح، وحق المحكوم، وحق الله.

❦ الخطأ في نصوص السمع والطاعة:

وعندمَ العَدَل في نصوص السمع والطاعة قد يتدخل على طائفتين من المتدينين:

طائفة: تأخذُ نصوصَ التحليل من الدخول على السلطان وإمام الجور المسلم وما جاء في ذلك، فتقع في المحذور من جهة استحلال ما حرم الله من عِرضه، وغتلك سبوره، والنُّفرة من نصوص السمع والطاعة ولمزوم الجماعة، والرُّفد فيها، والاقتصار على نصوص المناهضة والمجاهدة.

وطائفة: تأخذُ نصوصَ السمع والطاعة والصبر على إمام الجور المسلم ومنع الخروج عليه، فتقع في المحذور من جهة تعظيم وإطرائه ومُذْجوه بما لا يستحقُّه - أو يستحقُّه، لكنه يُعزُّه ويُعبدُه ويُطْفِئُه - والزهد في نصوص السمع له، والاقتصار على نصوص السمع والطاعة.

والمرجعة: هؤلاء من كان شدة الولاء للسلطان، ولو كان شدة العداوة لله ورسوله.

وأهل السنة: جعلوا الولاء للإمام تحت الولاء لله؛ كما قال الله عن نبيّه الصّحابة لنبيّه ﷺ - وهو معصوم -: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ **بِكَمُورِكَ** (الفتح: ١٠)، وجعل النبي ﷺ الطاعة بالمعروف لا في معصية الله في أحاديث متواترة.

وربما يُلح بعض هؤلاء المُرَجِّفِ: يَفْضُلُ مَنْ يُفَضُّهُ السُّلْطَانُ، وَحُبُّ مَنْ يُحِبُّهُ، وقد يُلح بعضهم عَقْدُ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ عَلَى السُّلْطَانِ مَبْلَغًا أَعْظَمَ مِنْ عَقْدِهِ، ولو لم يَظْهَرْ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ، فَرُبَّمَا ظَهَرَ مِنْ فِعْلِهِمْ؛ فَيُؤَلِّقُونَ مَنْ وَالَى الْحَاكِمَ وَلَوْ عَادَى اللَّهَ بِالرُّذُلَةِ وَالسُّجُونِ، مَوَالَاةً أَكْثَرَ مِنَ الْوَلَاءِ لِمَنْ عَادَى السُّلْطَانَ وَنَابَلَهُ - سواءً كَانَ مُصِيًّا أَوْ مُحْسِنًا - ولو كَانَ مِنْ أَهْلِ الْوَلَايَةِ هُوَ بِالْعِلْمِ وَالْقِيَانَةِ، وَقَدْ كَانَ ابْنُ أَبِي دُرَّادٍ يُوَالِي الْجَاحِظَ؛ لَكُونِهِ يُوَالِي السُّلْطَانَ، وَيُعَادِي أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ؛ لِأَنَّهُ يَخَالِفُهُ.

مع كون الجاحظ - مع أتباعه وتلاذذيه - مُتَّهِمًا بِالرُّذُلَةِ، وَقَدْ ذَمَّهُ تَلْمِيزُهُ ابْنَ قُتَيْبَةَ وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ مِنْ أَكْثَرِ الْأُمَّةِ، وَأَوْضَعَهُمْ لِحَدِيثِ، وَأَنْصَرَجَهُمْ لِجَاطِلٍ^(١)، وَأَنَّهُ لَا يَصَلِّي وَلَا يَصُومُ، وَقَالَ يَغْلِبُ عَوَامُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ^(٢)، وَكَثُرَ بَعْضُ أَفْوَالِهِ جَمَاعَةً؛ كَالْبَاقِلَانِي، وَابْنِ قُدَامَةَ^(٣).

ومع هذا يعادون أحمد بن حنبل، ويعززون الجاحظ، ويكثرون معه؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْمَلُونَ لِسِ اللَّهِ؛ وَإِنَّمَا عَلَيْهِ السُّلْطَانُ، وَإِذَا كَانَ الْعَالِمُ لَيْثًا مَعَ زَيْبِيٍّ، وَشَدِيدًا عَلَى عَالِمٍ مَجْتَهِدٍ، فَتَلْكَ مِنْ أَظْهَرِ عِلَامَاتِ الْهَوَى، وَلَوْ سَوَّدَ الشُّحُفَ بِنُصْرَةِ السُّنَّةِ وَالْأَثَرِ

(١) تأويل مختلف الحديثه (ص ٥٩ - ٦٠).

(٢) «الفصل» (١/ ١١٨).

(٣) فروضة النخلة (٢/ ٣٥٠ - ٣٥١).

وربما فسر بعضهم الفئدة بمقدار ما يُسَخِّطُ الحاكم، لا بمقدار ما يُسَخِّطُ الله؛ فيتناقضون في تقدير أشياء متساويات، بل يعكسون المتباينات، وربما كان في أنفسهم ما أسخط الله، وعظم فيها ما أسخط السلطان.

ومصلحة المحكوم بالحاكم تؤثر فيها الجلالة النفسية والأطماع بطرقها:
الإلزام والتفريط:

فمنها: نفوس تحب التفلل والعلو بتعظيم رؤوس الناس، وربما يَكُونُونَ جُلَّتْهُمْ النَّفْسُ وأطاعهم بالنسب والاستدلال بأدلتهم، وهذا يوجد في كل بلد قديماً وحديثاً؛ لأن الله عظم الاجتماع لمصالح الناس، فرأوا أن هناك رعاية إلهية للملوك، وليسوا محللاً للقوم ولا اعتراض بين أحد؛ لأن لديهم تقديراً إلهياً؛ كما عند الرومان واليونان وفي اليابان: يزورون الجيكاكو (الملك) هو الله وفي الهند: يزورون أن للملوك سلطة بين الإلهو الأكبر (براهما) ونحوهم الضيئون، وفي مصر: اعتقد الفراعنة الملكية الإلهية^(١)

وسئل النصوص السماوية في السمع والطاعة سلاطين وأتباع لهم يزور طاعتهم فيما بلا استثناء كالخجاج بن يوسف في الإسلام، وكان حسان أبو المنذر حجاجياً؛ يقول: «من خالفت الخجاج، فقد خالفت الإسلام»^(٢).

(١) انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٧٣٢، ٩٨٥)، والنظام الدستوري في اليابان (ص ٥٥)، وفكرية الدولة (ص ٤٧).

(٢) «الغاة» لابن حبان (٥/ ٤٢١).

وهذا في النصاري كذلك؛ فقد ذكر لُويس الرابع عشر في «مذكراته»: «أُسلطة الملوك مستمدة من الله، وهم مسؤولون أمامه وحده، لا من الشعب، وكان يقول: «الملك لله»^(١)» وقاله: «الله»^(٢)» ويقول لُويس الخامس عشر^(٣)، وكذلك هُيوم الثاني قيصر ألمانيا^(٤).

وبفعل تلك النفوس: نفوس تُحب المخالفة وإظهار الشجاعة والقوة والتمرد تُجاء كل راسي في الناس، وربما تكسبون على أنفسهم بالنسبة بالدين والاستدلال بأدلتهم؛ وهذا - كذلك - يُوجد في كل ملّة، تحب شجاعة الإنسان وحُب الظهور والدُّخُر وخفي الناس: على الجراؤ على الحكم في كل صغير وكبير، وإسماع الناس ما يريدون؛ كما يُذكر أن فايهة مجالس العامة الكلام في السلاطين، وتحويل شجاعة لاستدعاء مصالح الخروج وأدلتهم وغياب مفاسد أدلتهم، وتحضر في نفسه البدايات، وتُغيب عنها النهايات؛ فقد يُتلى الإنسان بالشجاعة في غير موضوعها؛ كما يُتلى بالحيث في غير موضوعه، ويجب على العاقل أن يجاهد نفسه قبل أن يجاهد بها غيره، وإذا اجتمع في الإنسان العلم والتجرد، أصاب الحق.

والناس في حاجة إلى عالم متجرد، لا إلى متجرد جاهل، ولا إلى عالم يخاف ويطمع؛ فالعالم بلا تجرد يعطل الأمة بإحجابه، والمتجرد بلا علم يهلك الأمة بإفئادها، وأعظم الشرور تأتي إذا قاد الناس جاهل غير متجرد.

(١) Barthelmy and dase, de la filiation of Constitutional Law, Paris, 1933, p. 63.

(٢) في خطاب الفاء عام ١٩١٠م.

❦ ابتلاء المصلح:

وقد يُنقى العالم المصلح بالمحرّضين بينه وبين السلطان، ويستعملون خلافة مع السلطان في باب، فيجعلونه في محل الأبواب، كما ابتلي أحمد بن حنبل لما كانت فتنة خلقي القرآن، فقد رُشى به قوم - منهم ابن النجاشي - عند الخليفة: أنه لا يرى البيعة، ويؤوي في بيته علويين لا يرزق بيعة للمعاليين، فبعث السلطان إليه، فاستحلقه باله والطلاقي، فحلفت، ولم يلق الخليفة، وجاء برجلين وامرأتين يقتلون بيته وبيت ابنه صالح - حتى النساء والعورات - يَحْمِلُون صَنْ يَحْمِلُهُ مِنْ عِلْيَةِ الْخَلِيفَةِ^(١).

وكثيراً ما يدخل أمثال هؤلاء على السلطان من باب خوفه على ملكه، فيكون أسرع تصديقاً للظنون والأوهام.

❦ تجرّد المصلح:

ويجب أن يكون العالم عدلاً في مصالح الناس، فلا يحمل ثرة الحاكم ولا حبة على إضاعة مصالح المسلمين التي بين يديه، وأن يكون رآه في الشدائد جفلاً للإسلام والمسلمين، لا لشفا منه، ولا غمّاً فيه.

فقد وجد أحمد بن المأمون والمعتصم شراً عظيماً في أبيه وقبيلة: يخبرون وشره وخسلي الناس على القول بخلقي القرآن، ولما ظهرت الحربية بقيادة الرّشيد بآبك الخرمي، كتب أحمد إلى العلماء والولاة - ككتاب لابن السديني، ووالي البصرة - يستجئهم على قتالي بآبك، وأن يَحْمِلُوا مَنْ حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ^(٢).

(١) «شفاة للخلاف» (١١٤).

(٢) «السيرة» (١١/٢٦٦).

وقد كان من قادة الجيشي حينذاك: إسحاق بن إبراهيم والي شُرطَة بغداد، وجَلَادُ أَحْمَدَ^(١)؛ لأنَّ شرَّ بآبِكَ على المسلمين أَعْلَمُ من شرِّ المأمُونِ والمعتصِمِ؛ وهذا من قَدَرِ أَحْمَدَ ونَجْرُوهِ وحِدْقِهِ.

❦ فضل السلف وأتباعهم:

كَانَ لِرَبِّكَ: ﴿وَاتَّبَعَ السُّلُوكَ الصَّالِحَ، وَالْحُفَاءَ أَتَابَهُمْ، وَالْإِسْتِغْفَارُ لَهُمْ﴾:

السلف الصالح هم الصُّفَرُ الْأَوَّلُ وما اتَّصَلَ بِهِمْ: الصحابة والتابعون وأتباعهم، وسُمُّوا سَلَفًا؛ لأنَّهم بالنسبة لمن جاء بعدهم: سَالِفُونَ، ومن بعدهم: خَالِفُونَ، وسُمُّوا بالصالحين؛ لَعَلَّيْهِ الصَّالِحُ عَلَيْهِمْ، وعلى ذَمَائِهِمْ.

وقد يكونُ السلف اسمًا تسميًا بحسبِ الزمان؛ فالصحابة سَلَفٌ بالنسبة للتابعين، والتابعون خَلَفٌ بالنسبة للصحابة، وهكذا بالنسبة للتابعين مع أتباعهم، وأتباعِ الأتباعِ مع أتباعِ التابعين.

وتَغْلِبُ إطلاقُ السلفِ الصالحِ على أصحابِ القرونِ المُقْبِلَةِ، وخاصَّةً الطَّبَقَتَيْنِ: الصحابة والتابعين، وكلُّ طَبَقَةٍ مِنْهُمْ بِعَقْمِ الْلاحِقِ مِنْهُمْ السَّابِقِ؛ فالصحابة يتَّبِعُونَ في الفضلِ، ويَتَلَهُمُ التَّابِعُونَ وأتباعهم، وقد جاء في الحديث: قَالَ ﷺ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)^(٢).

(١) (المُعْتَمِدُ لِلخَلَالِ (١/ ١٢٠ - ١٢٤)).

(٢) سبق شرحه.

سبب تفضيل السلف:

وجعل التفضيل ليست لمحجرو احتواء الزمان، وإنما لقرئهم من العهد الأول، ونزول الوحي، وأقرئهم إليهم الفضلهم غالباً، وألا ففي زمانهم من الكفار والمنافقين والعصاة ما هو معلوم، ولكن من قام بالدين منهم والحق، فهو أصح قولاً، وأصوب عملاً، وأصدق نيّة، لظهور قلوبهم، وصحة لسانهم، وأقرئهم من النبي ﷺ وعهده، فلم يتباعد بهم العهد حتى يقع الخلاف والفتنة، كما وقع فيمن جاء بعدهم.

فالاختلاف كان زمن الصحابة أصح منه في زمن التابعين، وهو في زمن التابعين أصح منه في زمن الصحابة، وهكذا، ومن نظر في كتب فقه السلف، وجد ذلك ظاهراً، ولا يعني ذلك سوء القصد، ولكنه يُعَدُّ العهد.

وقد قرأ النبي ﷺ فقامت الصحابة وأثروا على من بعدهم، بفخاير وأثروا على الصحابة، فقال ﷺ: (أَنَا أَمْنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا فُتِنْتُ، أَنِّي أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمْنَةٌ لَأَنِّي، فَإِذَا فُتِنَ أَصْحَابِي، أَنِّي أَنِّي مَا يُوعَدُونَ)^(١).

وذلك الافتراء لبيان أنّ العلة في الأمان هي القرب من الوحي والاعتصام به، فلا أعظم وأشدّ قرناً من ربه كالنبي ﷺ، ثم يليه أصحابه، فكان الأمان للصحابة والأئمة بالنبي ﷺ أعظم من غيره، والأمان بالصحابة للتابعين والأئمة أعظم من غيرهم ممن جاء بعدهم.

(١) مسلم (٢٥٢١) من حديث أبي موسى.

تَعْظِيمُ فَهْهُ الصَّحَابَةِ:

وَكُلُّ سُنَّةٍ لَا تَنْتَهِي إِلَى الصَّحَابَةِ يُتَوَقَّفُ فِيهَا؛ فَهْمُ أَعْلَمُ النَّاسِ
بِالنَّبِيِّ ﷺ وَسُنَّتِهِ، وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ مِنْ شَرِيعَتِهِ، فَإِذَا قُلَّ الْحَدِيثُ عَلَى
تَشْرِيعٍ، وَدَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى تَرْكِ الصَّحَابَةِ لَهُ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَعَبَّدَ بِهِ، لَيْسَ
لَاَنْ مَنَزَلَتُهُمْ أَرْفَعَ مِنَ الْوَحْيِ، وَلَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنْ لَاَنْ مَنَزَلَتُهُمْ
وَقَهْمُهُمْ أَعْظَمُ مِنْ مَنَزَلِهِ مَنْ يَعْلَمُهُمْ وَقَهْمُهُ.

وَقَدْ كَانَ الْأَثَمَةُ يَشُدُّونَ فِي مَخَالَفَةِ قَوْلِ الصَّحَابَةِ وَقَهْمِهِمْ لِلْسُّنَّةِ،
وَلَوْ كَانَ الْمَخَالَفَةُ لَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ؛ كَمَا كَانَ يُنْصَحُ عَلَى ذَلِكَ مَالِكٌ،
وَأَحْمَدُ، وَغَيْرُهُمَا، وَقَدْ قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ جَبْرِ: «قُلْتُ لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ:
يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنَّ عَيْنَنَا قَوْمًا وَضَعُوا كُتُبًا يَقُولُ أَحَدُهُمْ: حَدَّثَنَا فَلَانٌ،
عَنْ فَلَانٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، بِكَذَا، وَحَدَّثَنَا فَلَانٌ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ،
بِكَذَا، وَنَأْخُذُ بِقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ مَالِكٌ: صَحَّ عَنْهُمْ قَوْلُ عُمَرَ؟ قُلْتُ:
إِنَّمَا هِيَ رَوَايَةٌ؛ كَمَا صَحَّ عَنْهُمْ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ؟ فَقَالَ مَالِكٌ: هَؤُلَاءِ
يُسْتَأْذِنُونَ»^(١).

وَإِذَا صَحَّ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ، فَلَا تَجُوزُ الْمَنَازَعَةُ فِي ذَلِكَ؛ فَالْإِجْمَاعُ
إِجْمَاعُهُمْ، وَمَنْ يَعْلَمُهُمْ تَبَعَ لَهُمْ؛ كَمَا قَالَ أَحْمَدُ^(٢).

وَإِنْ قَالَ وَاحِدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ قَوْلًا، وَاشْتَهَرَ وَلَمْ يُخَالَفْ، فَلَا يُخْرَجُ
عَنْهُ، خَاصَّةً فِي الْعِبَادَاتِ^(٣).

(١) «الإحكام» لابن حزم (٦/١٢٠ - ١٢١).

(٢) «عقائد الإمام أحمد بن حنبل» (ص ٧٥).

(٣) «المعتمد» (٢/٢٦٦)، و«الإحكام» لابن حزم (٤/٦١٥)، و«الإحكام المصنوع»
(ص ١٠٧).

وأما ثبت إجماع التابعين، فلا يجوز الخروج عنه كذلك^(١).

وإن قال واحد منهم بقول، فالأمر فيه سنة، فامرهم ليس كامر الصحابة، إلا أن قول الواحد منهم الذي لا يخالف فيه، فالأصل: أنه أخذ من صحابي، ولو لم يذكره، وقد نص على هذا أحمد.

الاستدلال بحديث يخالف الصحابة:

ولا يجوز لأحد من المتأخرين أن يستنبط من نص سنة يخالف قول أهل الصدر الأول، وقد كان التابعون وأتباعهم - مع قرب غلبهم - يعظمون أقوال الصحابة، وقهقههم للوحي، ويقدمونه على قهقههم؛ لتزكية الله لهم، وقرب غلبهم، وحيثهم، وسلامة قلوبهم؛ فلا يمكن أن يقولوا بقول يخالف النص، فضلاً عن أن يجيبوا عليه؛ قال الشعبي: قالوا رأيت الصحابة يتوسلون إلى الكوعين، لقولك كذلك، وأنا أقولها: ﴿إلى التراقي﴾ (المعجم: ١١٩) ^(٢).

وذلك لأنهم لا يهتمون في ترك السنن الثابتة عن النبي ﷺ لعلمهم وحرصهم وورعهم؛ فلا يقر ذلك بهم أحد إلا وهو متهم في دينه.

وكان عمر بن عبد العزيز يجعل ما فعله الخلفاء الراشدون بعد النبي ﷺ من التصديق بكتاب الله، وكان الإمام مالك يعبئه عزم عمر في قوله: «سأرسول الله ﷺ وولاء الأمر من بعده سنة»، الأخذ بها تصديق بكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر فيما خالفها؛ من افتدى بها مهتدي، ومن استنصر

(١) «الإحكام في أصول الأحكام» (١/٢٣١)، ومجموع الفتاوى (١٣/١٩٨).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٨).

بها منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين، ولأه الله ما تؤلى، وأضلأ جهنم، وسامت مصيراً^(١).

قال مالك: «أعجني عزم حمز في ذلك»^(٢).

وكان الأئمة من التابعين ومن بعدهم يعظمون عمل الصحابة، وخاصة الخلفاء، ويعتبرونه على ظاهري الحديث؛ ليس لأنه أجل منه، ولكن لأنهم أعلم الناس بفسره.

قال مالك: «والعمل أثبت من الأحاديث» قال من أقنوني به: إنه لضعيف أن يقال في مثل ذلك: «حدثني فلان عن فلان»، وكان رجال من التابعين يثبتهم عن غيرهم الأحاديث، فيقولون: ما نجهل هذا، ولكن مفس العمل على خلافه»^(٣).

وكان محمد بن أبي بكر بن حزم ربما قال له أخوه: لِمَ لَمْ تفس بحديث كذا؟ فيقول: «لم أجد الناس عليه»^(٤).

❦ حقيقة العمل الذي يقدّم على الحديث:

وليس كل عمل متقدم يقدّم على الحديث، بل ما قُرب من الوحي زماناً ومكاناً؛ فليس قرب الزمان وحده كافياً في تقديم العمل؛ فلا يقدّم قول كل بلدي - مهما تباعد - على الحديث، ولا قُرب المكان وحده كافياً في تقديمه على الحديث؛ فليس كل عمل أهل المدينة مهما تباعد زماناً وتاخراً كافياً في تقديمه على الحديث، بل قد يكون تقديمه ضلالة وشرأ.

(١) مسائل حربه (١٩٥٨)، والسنّة لعبد الله (٧٦٦)، والسنّة للخلال (١٣٢٩)، وشرح أصول الأحكام (١٣٤).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٢).

(٣) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٧ - ١١٨). (٤) الموضع السابق.

وإنما الذي يفتن من العمل ما جمَعَ القُرْبَيْنِ: قرب الزمان، وقرب المكان؛ قال عبدُ الرحمن بنُ مهديٍّ: «السُّنَّةُ المتقدِّمةُ من سُنَّةِ أهلِ المدينة خيرٌ من الحديث»^(١).

وليس هذا تأخيرًا للحديث، وإنما هو تقديمٌ لِقَبُولِهِمْ على قَبُولِ غيرِهِمْ؛ فإنَّ عملَ أهلِ المدينة المتقدِّمَ لم يُفضَّلْ إلا لأجلِ الحديث؛ ففضلهُ فرعٌ عن فضله، وإلا فمَنَّةُ أفضلٍ من المدينة، وليس فضلُها بمقدِّم لها في فضلِ العملِ على غيرها؛ فالمدينةُ منزلةٌ أكثرَ الحديثِ والعملِ به.

ومن كان جاهلاً بعملِ الصديقِ الأوَّلِ وفضليهِمْ، كثُرَ خطؤه، وجاء بشذوذِ الأقوال، ولو كان معه ظاهرُ الحديث؛ قال ابنُ عُثَيْمَةَ: «الحديثُ مُضَلَّةٌ إلا للفقهاء»^(٢).

وفد قال ابنُ أبي رُقَيْدٍ في بيان ذلك: يريدُ: أنَّ غيرَهُمْ قد يحيلُ شيئًا على ظاهرِهِ، وله تأويلٌ من حديثٍ غيره، أو دليلٍ يخفى عليه، أو متروكٍ وبحَبِّ تركِهِ؛ غيرَ شيءٍ مما لا يقومُ به إلا مَنْ استبحَرَ ونفَقَه.

ومن هذا قولُ ابنِ وهبٍ: «كلُّ صاحبِ حديثٍ ليس له إمامٌ في الفقه، فهو ضالٌّ، ولولا أنَّ الله أنقَلَبَ بمالكٍ والليث، لَضَلَّنا»^(٣).

وربَّما أجمَعَ الصحابةُ والتابعونَ على تركِ العملِ بحديثٍ، وهو صحيحٌ؛ لأنَّهُمْ يَعْلَمُونَ سَبَبًا مشروعيًا لتركِ العملِ وإنَّ لم يَبَيِّنُوهُ؛ فصار مجردُ تركِهِمْ دليلًا مستقلًّا في ذمِّهِ على التركِ، لا أنَّ تركَهُمْ لذاته أفضلُ من الحديثِ لذاته.

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٨)، وصند الموطأ (٥٦).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٨).

(٣) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٨).

فَلَا يُحِكُّ أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى تَرْكِ سُتُو، وَلَا أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى
فَعْلٍ خَطَرٍ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «جَامِعِهِ»: «وَالنَّسْلِيْمُ لِلسُّنَنِ
لَا تُعَارَضُ بِرَأْيٍ، وَلَا تُدَافَعُ بِفِيْسٍ، وَمَا تَأْوَلُّهُ مِنْهَا السُّلَفُ الصَّالِحُ
تَأْوَلَّتَاهُ، وَمَا عَمِلُوا بِهِ عَمِلَتَاهُ، وَمَا تَرَكُوهُ تَرَكْتَاهُ، وَصَغَفْنَا أَنْ تُصِيبَكَ
عَمَّا أَمْسَكُوا، وَتَكْبَهُمْ فِيمَا يَنْتَوَى، وَتَلْقِيَهُمْ فِيهِمْ فِيمَا اسْتَبَقُوهُ وَرَأَوْهُ فِي
الْحَوَاضِثِ، وَلَا نَخْرُجُ عَنْ جَمَاعَتِهِمْ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ أَوْ فِي
تَأْوِيلِهِ»^(١).

وَكَانَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ مَعْظَمًا لِلسُّتُو، بِصِرِّهَا، عَالِمًا بِأَقْوَالِ السُّلَفِ،
عَارِفًا بِتَارِيخِ الْبِدْعِ وَنَشَأَتِهَا، وَقَدْ كَانَ يَقُولُ فِي بَدْعِ أَصُولِ الدِّينِ: «بَنُو
أُمِّيَّةٍ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ خَلِيفَةُ ابْتَدَعَ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةً»^(٢).

وَلَا تَنْتَشِرُ الْبِدْعُ إِلَّا عِنْدَ مَنْ عَقَلَ الْأَمْرَ وَجَهِلَ مَنَازِلَ الصَّحَابَةِ
وَالتَّابِعِينَ فِي حِفْظِ الدِّينِ، فَمَنْ جَهِلَ الْأَمْرَ اسْتَحْسَنَ الْعَمَلَ بِالرَّأْيِ فَتَبَدَّ اللَّهُ
بِقَوْلِهِ وَمَا يُعْجِبُهُ، حَتَّى يَهْجَى مِنَ التَّكَلُّفِ وَالتَّشَايُطِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ بِالْبِدْعِ أَكْثَرَ
مِنَ السُّنَنِ، حَتَّى يَنْهَمُ مَنْ لَا يَزْغِي وَلَا يَتَصَلَّقُ فِي الْوَاجِبَاتِ وَيُتَوَقَّعُ
الْأُمُورَ الطَّائِلَةَ عَلَى الْإِحْتِفَالِ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ، وَيَسْأَلُ لَهُ أَنْ مَنْ يَنْهَاهُ
عَنْ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُ النَّبِيَّ ﷺ، وَمَا نَعْيِيَّتُهُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ عَمَلِهِ بِنِ صَلَاحٍ
وَصِدْقٍ وَجِلَالَةٍ وَإِحْسَانٍ، وَتَرَكَ مَا يَكْرَهُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ
كَثُرَ شُجْرَتُ اللَّهِ فَاقْبُرُوا فِيهِمْ كَمَا كُنْتُمْ﴾ [آل عمران: ٤٢١]، فَلِذَا كَانَتْ مُحِبَّةُ اللَّهِ
- وَهِيَ أَعْظَمُ مُحِبَّةٍ - لَا تَحَقُّقُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ فَعْلِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلِذَا مُحِبَّةُ نَبِيِّ
بِنِ بَابِ أَوَّلَى.

(١) «الجامع» (ص ١١٧).

(٢) «المحبة على تارك المحبة» (ص ١٩٧).

﴿ تَرَكَ الْجَزَاءَ وَالْجِدَالَ ﴾ :

﴿ قَالَتِ ابْنَةُ كَيْسَانَ ﴾ : « وَتَرَكَ الْجَزَاءَ وَالْجِدَالَ فِي الدِّينِ ، وَتَرَكَ مَا أَخَذَتْهُ الْمُخَوَّفُونَ » :

وقد أنزل الله وحياً كتاباً وشئاً ؛ ليكون دليلاً للعالمين إلى معرفة دينهم ، ولو كانت العقول المجردة كافية في ذلك ، لأمر بالأخذ بها من غير وحى ولا رسول ، وكل من أراد أن يتوصل إلى الله بطريق غير وحى ، فهو في ضلالٍ وبؤس ؛ قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ يَرْجُلُ مَن تَتَّبِعُكَ فَتُفْهِمَهُ وَلَا تَتْلِيهِنَّ الشُّجُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَافْتَحُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، وحبل الله : وحية ودينه ^(١) .

وكل نزاع وخلاف في الدين يجب رده إلى الوحي ، لا إلى الرجال والأذواق والأهواء ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا إِلَهُ الْإِنسَانِ إِلَهٌ وَاحِدٌ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِكِينَ وَالْمُفِرِّينَ ﴾ [النساء : ١٥٩] .

وقد قال عمر بن الخطاب : « قد شئت لكم السُّننَ ، وفُرِضت لكم الفرائضُ ، وفُرِغْتُمْ على الواضحةِ ، إلا أن توبلوا بالناسِ بحسبنا وشمالنا » ^(٢) .

﴿ طَرُقَ مَعْرِفَةَ حَقِّ اللَّهِ ﴾ :

وكل سبيل يُراد به أن يَدُلَّ صاحبه إلى دينه من غير الوحيين ، فهو مما حذر الله منه من تلك الأهواء : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا الشُّجُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

(١) انظر في هذا المعنى : « تفسير ابن جرير » (٦/١١٣) .
(٢) « الموطأ » (٢/٨٢٤) .

سَيُؤْتِيهِ» (الأنعام: ١٥٣)، ولن يُوصَلَ صاحِبُهُ إلى شيءٍ؛ لأنه حتى وإن أصاب الحقُّ ضلعةً، فقد ضلَّ بأن اتخذ وسيلةً للدلالة على الله غير ما شرَّعه الله؛ وهذا بلاغيٌّ محادٍ هو والرسول؛ لأنَّ الله جعل الدينَ كاملاً من جهتيه: جهة الطريق، وجهة الغاية:

أما جهة الطريق: فقد جعل الله في وحيه كفايةً؛ لهذا أمرَ بالأخذ منه، وحلَّ من الأخذ من غيره، ومن لم يجد ما يُرشِّدُه من وحيه، أو قَصَرَ نظره عن الفهم، فهو معذور، ولا يجوزُ له التماسُ حقِّ الله من غير طريق الله؛ قال ﷺ: (قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيِّنَاتِ لَيْلَهَا كَنَهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا خَالِكٌ، وَمَنْ يَمِشْ وَمَنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَمَلِكُكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَنِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّائِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَعَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ، وَإِنْ عُبِدَ حَبِيبًا؛ فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْمَجْمَلِ الْأَبْيَضِ، حِينَمَا قُبِدَ اثْقَاتًا^(١)).

وأما جهة الغاية: فهي العبادة التي لأجلها خلق الله الخلق؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)؛ فليس لأحد أن يزيغ في العبادة ما شاء، ولا أن يقتصر منها ما شاء؛ طاعةُ الله أَكْمَلُ دينه وأتمُّه، وكلُّ من زاد فيه، فقد اتهمه بالنقصان، وكلُّ من نقص منه، فقد اتهمه بالزيادة؛ والله تعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي فَرَضْتُ لَكُمْ الْأِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

المجتهدُ يذَّعة:

والمجتهدُ في طريق غير مشروع يؤدِّيه اجتهاده إلى بذعة، ليس بمعذورة؛ لأنَّ ضلَّاته: في سلوك الطريق، قبل وصوله إلى الفهم، فهو

(١) أبو داود (٤٤١٧)، والترمذي (٢٦٧٧)، وابن ماجه (٤٢ - ٤٤). والنقل لابن ماجه.

ضَلَّ في طريقه قبل فهمه، بخلاف مَنْ أخطأ في فهم نص الوحي؛
فصلالة في اجتهاوي في الفهم، لا في الطريق؛ لأنَّ طريقة الوحي.
ولو كان كلُّ مُجتهد معذوراً بغض النظر عن صحة الوسائل
والطرق، فلا قيمة لأنزال الوحيين، وحصر التشرّيع فيهما، وقد قال
ابن أبي زيد: «وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّهُ لَا يُغْلَرُ مَنْ أَذَاهُ اجْتِهَادُهُ إِلَى
بُذْعَةٍ؛ لِأَنَّ الْخَوَارِجَ اجْتَهَدُوا فِي الثَّأْوِيلِ، فَلَمْ يُغْلَرُوا، إِذْ خَرَجُوا
يَتَأْوِيلُهُمْ عَنِ الْمَشَاهِدِ، فَسَمِعْنَاكُمْ ۖ قَارِئِينَ مِنَ الدِّينِ، وَجَعَلَ الْمُجْتَهِدَ
فِي الْأَحْكَامِ مُأْجُورًا وَإِنْ أخطأ»^(١).

﴿ التحذير من الجدال والمراءو في الدين: ﴾

والجدال والمراءو ليس طريقاً موصلاً إلى الحق بلادة؛ فمضى بانق
الشبهة، وانفتح الدليل، وجب اتباعه والعمل به، وترك الجدال والمراءو
فيه؛ فإنما هلك أصحاب العقول باستحسانهم رأيهم، واستنباطهم المجرد
عن النص؛ فاستلججوا إلى الأهواء خطوة خطوة، حتى انتهوا إلى غير ما
قصصوا البتة به.

ولهذا حذر العلماء من المراءو والجدال في الدين؛ فائدة تعالى لم
يُنزل كتابه إلا واضحا وبيناً لقاصديه من أهل لفته، وليس مغلفاً مغللاً
يحتاج إلى جدال ومراءو ليُعرف ما فيه؛ فائدة وصفت كتابه بالبين والشفاء،
والنور والهداية، والحجة والمحكم، والمفضل والبيان، وإن كان هناك
استغلاق في الفهم، فهو في العقول والقلوب، لا فيه؛ كما قال تعالى:
﴿لَقَدْ يَنْبَغِي لِلرَّعَايَةِ أَنْ عَلَى الْغُيُوبِ أَنْفَعَالَهَا﴾ (محمد: ٢٤)؛ فجعل القلب
على القلب، لا على القرآن.

﴿حَسَنُ الْقَصْدِ وَنُورُهُ، وَآثَرُهُ عَلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ:

وَمَنْ لَمْ يَفْهَمْ الْقُرْآنَ مِنْ أَهْلِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، فَلْيُحْسِنِ قَصْدَهُ يُحْسِنِ اللَّهُ لَهُ الْوَصُولَ إِلَى مَرَادِهِ، وَإِنْ لَمْ يَحْسِنِ يَسْأَلْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَسْتَرِزُّ أَفْعَلُ الْآثَرِ إِنَّ كَثُرَ لَا تَقْتَرُونَ﴾ (النمل: ٤٤٣).

وَمَنْ نَظَرَ فِي الْقُرْآنِ بِلَا قَصْدٍ حَسَنٍ، وَفِي قَلْبِهِ مَرَضٌ يَتَصَدَّدُ مَا يَرِيدُ بِالْهَوَى -: زَادَ النَّظَرُ فِيهِ غَيْرُهُ وَهَرَى؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ مَا أُنزِلَتْ سُرُورًا فَيَنْقُصُهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتُكْذِبُ وَكَذَلِكَ يَكِيدُ يَمِينُكَ فَلَمَّا أَلْقَاكَ مَا سَأَلُوا فَكَذَّبْتَهُمْ إِيَّانَا وَمَنْ يَسْتَنْشِئْهُ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا أَلْقَاكَ فِي قُلُوبِهِمْ تَرَفُّفًا فَكَذَّبْتَهُمْ وَجَعَلْنَا إِلَهُ

وَجْهَهُمْ وَنَازِلًا وَقَدْ كَذَّبْتَهُمْ﴾ (النجم: ١٧٤ - ١٧٥).

وَاللَّهُ لَا يُضِلُّهُمْ وَهُمْ يُرِيدُونَ الْهَدَايَةَ، وَلَوْ أَرَادُوا الْهَدَايَةَ، لَوَقَّعْتَهُمْ إِلَيْهَا: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْتَمْتَهُمْ﴾ (الأنعام: ١١٣)، وَلَكِنَّهُ لَمَّا عَلِمَ قُصْدَهُمْ، أَعْطَاهُمْ إِثْمًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (الصف: ٢٥)؛ لِأَنَّ قُصْدَهُمْ مِنْ النَّظَرِ فِي الْقُرْآنِ وَالْعَلِيَّةِ: اتِّبَاعُ الْمُنْشَأِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿فَلَمَّا أَلْقَىٰ فِي قُلُوبِهِمْ تَرَفُّفًا فَكَتَبَتْهُ وَتَبِعَ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الأنعام: ١١٣)؛ فَكَتَبَتْهُ وَتَبِعَ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ.

﴿إِنْ عَرَفْتُمْ﴾ (آل عمران: ٢٧).

قَالَ مَالِكٌ: «وَلَقَدْ قَالَ رَجُلٌ: لَقَدْ دَخَلْتُ هَذِهِ الْأَدْيَانَ كُلَّهَا، فَلَمْ أَرِ شَيْئًا مُسْتَقِيمًا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ: أَنَا أَخْبِرُكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّكَ لَا تَكْفِي اللَّهُ تَعَالَى، وَلَوْ اتَّقَيْتُهُ، لَجَعَلَ لَكَ مَخْرَجًا»^(١).

وَلَوْ كَانَ الْجَدَاثُ وَالْمَرَاءُ الزَائِدُ عَنِ الْبَيَانِ طَرِيقًا لِمَعْرِفَةِ دِينِ اللَّهِ، لَأَرْشَدَ اللَّهُ إِلَيْهِ؛ وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ: «وَلَيْسَ هَذَا الْجَفَلُ مِنَ الدِّينِ بِشَيْءٍ»^(٢).

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٠).

(٢) «المرجع السابق».

وما سَلَكَ أَحَدٌ طَرِيقًا غَيْرَ الْوَحْيِ لِتَصِلَ بِهِ إِلَى اللَّهِ، إِلَّا كَثُرَ نَحْوُهُ
وَنَقُلُهُ مِنْ قَوْلِي إِلَى قَوْلِهِ، وَمِنْ مَذْهَبٍ إِلَى مَذْهَبٍ، وَمِنْ رَأْيٍ إِلَى رَأْيٍ؛
لأنَّهُ يَبْدَأُ شَيْئًا فَيَسْتَأْنِسُ فِي الْبَدَايَةِ، ثُمَّ يَسْتَوْجِشُ بِالنِّهَايَةِ، فَيَنْحَوِلُ؛
كَمَا لَكَ طَرِيقُ الْبَرِّيَّةِ بِلَا دَلِيلٍ: يَسْتَوْجِشُ كُلَّمَا طَالَ سَيْرُهُ، حَتَّى يَنْخَبِطَ
بَهْنَةً وَيَسْرُدَ مِنَ الْخَبَرَةِ، عَكْسَ مَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رُيْهِ فِي أَوَّلِ طَرِيقِهِ
وَأَوْسَطِهِ وَمُنْتَهَاهُ؛ قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْمَعْرِزِيِّ: «مَنْ جَعَلَ دِينَهُ طَرِيقًا
لِلْخُصُومَاتِ، أَكْثَرَ التَّقَلُّبِ» (١).

﴿حَجَرُ الْجِدَالِ وَالْمِرَاوِ وَأَهْلُوهُ﴾

وهذا النوع من الجدال والمراو في كلام الله وشأنه نبيه: مِنْ
الْخَوْصِ الْمَحْرُومِ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَلَا تَكُنِ مِنَ الْيَائِسِينَ وَالْمُحْزَنِينَ وَ
الْمُتَوَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (٢) وَمِنْ كِتَابِهِ: ﴿وَلَا تَكُنِ مِنَ الْخَائِبِينَ﴾ (٣) وَالْأَنْصَارُ مِنَ
الْأَعْرَابِ بَعْدَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٤) الْأَنْصَارُ: ١٦٨.

وإنما نهي عن المخالطة للباطل؛ لأنَّ القلوب تشرب ما تسمع،
فَتَسْتَبْكِرُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، ثُمَّ يَنْقُصُ اسْتِنكَارُهَا حَتَّى تَأْلَقَهُ، فَأَمَرَ اللَّهُ بِالْهَجْرِ حَتَّى
لَا تَأْلَقَهُ الْقُلُوبُ، فَرُبَّمَا تَأْتُرُ الْقُلُوبُ حَتَّى يَعْجِزَ صَاحِبُهَا عَنْ تَرْكِهَا؛ لِضَعْفِ
قَلْبِهِ، وَلِقُوَّةِ الشَّهْوَةِ عَلَيْهِ؛ فَمِنْ الشَّيْءِ مَا يَتَعَلَّقُ بِقَلْبِ صَاحِبِهِ، كَمَا
يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمَرْغُوبُ الْمُعْجِزُ بِكَرْمِهِ وَلَا يَجِدُ خَلَاصًا مِنْهُ.

كَمَا قَالَ مَالِكٌ: وَكَانَ يَقَالُ: «لَا تَمْكُنْ زَانِعَ الْقَلْبِ مِنْ أَذْنِكَ»
فإنَّكَ لَا تُدْرِي مَا يَتَعَلَّقُكَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَقَدْ سَمِعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ شَيْئًا مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْفَقْرِ، فَعَلِقَ بِقَلْبِهِ؛ فَكَانَ يَأْتِي إِخْوَانَهُ الَّذِينَ

يَسْتَعِيضُهُمْ، فَإِنَّا نَهَوُّهُ، قَالَ: فَكَيْفَ بِمَا عَلَيَّ بِقُلُوبِي، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ رَضِيَ أَنْ أَلْقِيَ بِنَفْسِي مِنْ فَوْقِ هَذِهِ الْمَنَارَةِ، لَفَعَلْتُ^(١).

وقد كان السلف يَهْوُونَ عن مخالطة أهل الأهواء ومجالستهم، وقُلُوبًا يَفِيدُونَ؛ لأنَّ كثيرًا من العقول تَغْتَرُّ بِنَفْسِهَا، وتَسْخُوغُ بِهَوْلِهَا المقاصير؛ فَاكْتَرَّ النُّفُوسُ ثَقُلُ كِمَالِ عَقْلِهَا، وَقُوَّتُهَا عَلَى مَعْرِفَةِ مَا يَنْفَعُهَا وَيَضُرُّهَا، وَيَتَرَفُّ الشَّيْطَانُ حَيْثُ نَفْسِهَا، وَيُظْهِرُ لَهَا مِنَ الْمَعَانِي الْفَلِيلَةَ مَا تُدْرِكُهُ، وَرُبَّمَا أَوْحَى إِلَيْهَا مِنَ الْأَسْتِثْبَاتِ الدَّقِيقِ مَا تَسْخُوغُ بِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّ الشَّيَاطِينَ لَكُنَّ عَيْنَ آلِ إِبْرَاهِيمَ لَكُنَّ يُكَذِّبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وربَّما كان القصد من هذا النوع من الوحي الشيطاني: أَنْ تَسِيرَ النَّفْسُ إِلَى مَضَامِينِ الْجَنَدِلِ وَالْمَرَاوِ؛ حَتَّى تَقَعَ فِي شِرَاكِ الْجَهَالَاتِ، وَحِبَالِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهَا بِالْبَاطِلِ؛ فَتَغْتَرُّ بِهِ وَتَفْقَدَ لَهُ.

وكثيرًا ما يأتي بعضهم أهل الأهواء الذين هم أَكْثَرُ مِنْهُمْ عِلْمًا بِالْجَنَدِلِ وَالْمَرَاوِ؛ لِيَسْمَعَ مِنْهُمْ، أَوْ يَرُدَّ بِإِطْلَافِهِمْ؛ فَيَقَعَ فِي بَاطِلِهِمْ حَتَّى يَقْتَنُونَ لَضَعْفَهُ لَا لِقُوَّتِهِمْ؛ فَإِنَّ الْأَضْعَفَ يَرَى الضَّعِيفَ قُوَّةً.

وقد رأيت شاعرًا جاهلًا في أوَّلِ طَلَبِهِ يَقْصِدُ صَاحِبَ هَوًى يَرِيدُ الْأَنْتِفَاعَ مِنْهُ، فَحَلَّزَّهُ مِنْهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ إِنَاءٌ مُلِئٌ جَلْمًا»، فَقُلْتُ لَهُ: صَدَقْتَ؛ هُوَ فِتْجَانٌ، وَأَنْتَ تَمْلَأُهُ فِتْرَةً كَجَبَلٍ أُخِيدَ، وَلَوْ تَغَيَّرْتَ عِلْمًا، رَأَيْتَهُ كَمَا هُوَ، وَلَكِنَّكَ لِيَصْفَرُّكَ وَضَعْفُكَ تَرَى كِبَرَهُ وَقُوَّتَهُ عَلَيْكَ، لَا فِي الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ.

وقد قيل لِمَالِكٍ: «مَنْ قَوِيَ عَلَى كَلَامِ الزَّانَادِقِ وَالْإِبَاحِيَّةِ وَالْقَلْبَرِيَّةِ

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٠).

وأهل الأهواء: أهلكهم؟ قال: لا؛ وإنَّ الذين خرجوا إنمَّا عابوا
المنعاصي، وهؤلاء تكلموا في أمر الله، وقال ذلك الرجل - يعني:
ابن عمر -: أمَّا أنا، فعلى بينة من ربِّي، وأمَّا أنت، فاذقْ إلى شاكٍ
بذلك خاصيتك^(١).



﴿قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَآزْوَاجِهِ
وَدُرَّتِيِّهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا».

وقد ختمَ مَقْدَمَتَهُ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَأَزْوَاجِهِ وَدُرَّتِيِّهِ - تَيْمُّنًا بِذَلِكَ، وَإِجْلَالًا لِمَبْلَغِ الدِّينِ عَنْ رَبِّهِ، وَالتَّمَنَّا
لِشِقَاقِيهِ، وَتَحَمُّدًا لِلَّهِ عَلَى تِمَامِهِ وَفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَنِسْأَةً السَّادَّةِ
وَالْهَدَايَةِ، وَبِهَذَا انْتَهَى الشَّرْحُ لِمَقْدَمَةِ الرِّسَالَةِ، مَعَ بَعْدٍ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ
الْكُتُبِ، جَزَّ اللهُ الْخَلَّلُ، وَأَحْسَنَ الْقَضْدِ، وَمِنَ الْقَبُولِ!

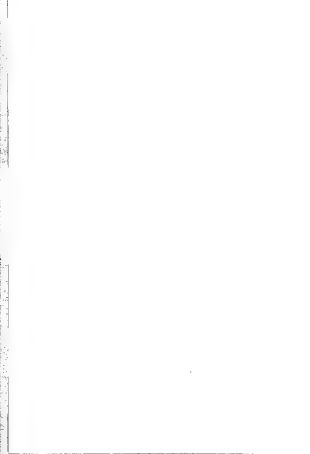


(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٥).

الفهارسُ العامَّةُ

وتتضمن:

- ١ - فهرس الآيات.
- ٢ - فهرس الأحاديث.
- ٣ - فهرس الآثار وأقوال الأئمة والعلماء.
- ٤ - فهرس الأشعار والأرجاز وأنصاف الآيات.
- ٥ - فهرس المصطلحات.
- ٦ - فهرس القواعد والكليات.
- ٧ - معجم الموضوعات ورؤوس المسائل.
- ٨ - فهرس المناهب والأقوال.
- ٩ - فهرس حكمة التشريع ومقاصد الشريعة.
- ١٠ - فهرس الحكم والأمثال ومأثور الأقوال.
- ١١ - فهرس الفوائد.
- ١٢ - فهرس الموضوعات.



١ - فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	الصفحة
		٢ - سورة البقرة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	١٠	٧٦
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ يَدْعُونَ﴾	٢٤	٧٠٥
﴿لَمْ يَسْأَلُوا اللَّهَ التَّحَدُّثَ﴾	٢٩	١٢٤
﴿وَلَا يَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَدُوًّا﴾	٣٥	٢٠٤ ، ٢٠٣
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	٣٦	٢٠٣
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	٣٨	٢٠٣
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	٤٥	٨٠
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	٤٦	٨٠
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	٤٨	١٨٩
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	١٢٣	١٨٩
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	١٣٦	١٨٥
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	١٤٥	١٥١
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	١٦٩	٥٣
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	١٧٢	٧٤
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	١٧٣	٧٤
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	١٧٧	٢٤٢
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	١٨٩	٧٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنَ الدِّمَارِ إِلَى الدِّمَارِ﴾	٢٠٨	٧٤
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢١٠	٧٤ ، ٧٦ ، ٢٠٦
﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢١١	١٥٨
﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢١٢	١٠٦
﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢١٣	١١٨
﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢١٤	٩
﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢١٥	١٠٥
﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢١٦	١٨٣ ، ١٨٦
﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢١٧	١٨٩
﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢١٨	٢٤١ ، ١٧٧

٢ - سورة آل عمران

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنَ الدِّمَارِ إِلَى الدِّمَارِ﴾	٥	١٦٦ ، ١٦١
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٧	١٨٨
﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٧	٢٧٩
﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	١٩	١٨١
﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢٦	٢٦١
﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٣١	٢٧٥ ، ١٨٨
﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٤٠	١٢٩
﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٥٩	١٤١
﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٦١	١٥١
﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٨١	١٧٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَا يَخَافُ الَّذِينَ يُسْأَلُونَ سَعْيًا وَمَا يُغْنِي عَنْهُ كَنْزُهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	١٣٦	١٨٥
﴿وَلَا يَخَافُ الَّذِينَ يُسْأَلُونَ سَعْيًا وَمَا يُغْنِي عَنْهُ كَنْزُهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	١٥٠	١٧٧
﴿وَلَا يَخَافُ الَّذِينَ يُسْأَلُونَ سَعْيًا وَمَا يُغْنِي عَنْهُ كَنْزُهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	١٦٤	١٣٧ ، ١٦٦
﴿وَلَا يَخَافُ الَّذِينَ يُسْأَلُونَ سَعْيًا وَمَا يُغْنِي عَنْهُ كَنْزُهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	١٦٥	١٧٧
﴿وَلَا يَخَافُ الَّذِينَ يُسْأَلُونَ سَعْيًا وَمَا يُغْنِي عَنْهُ كَنْزُهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	١٦٩	٢٠٦
﴿وَلَا يَخَافُ الَّذِينَ يُسْأَلُونَ سَعْيًا وَمَا يُغْنِي عَنْهُ كَنْزُهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	١٧٦	٧٤

٥ - سورة المائدة

﴿إِذَا جَاءَ أَحَدُكُم مِّنَ الْمَسْجِدِ أَوْ مِّنَ الْغَارِ أَوْ مِمَّنْ سَاءَ بِهِ فَرَحَّبْ وَأَنفِثْ فِيكَ مِن مَّاءٍ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْكَ﴾	٢	٢٧٧ ، ١٨٧
﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾	١٥	٩٥
﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾	٤٨	١٨٦ ، ١٨٥
﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾	٦٤	١٢٣ ، ١٠٢

٦ - سورة النعام

﴿وَلَا تَقْرَأُ الْفُتُورَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾	١٨	١١٤ ، ١٠٦
﴿وَلَا تَقْرَأُ الْفُتُورَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾	١٩	١٤٩
﴿وَلَا تَقْرَأُ الْفُتُورَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾	٢٨	١٦٦
﴿وَلَا تَقْرَأُ الْفُتُورَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾	٥٩	١٦٦
﴿وَلَا تَقْرَأُ الْفُتُورَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾	٥٩	٩
﴿وَلَا تَقْرَأُ الْفُتُورَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾	٦١	٢٤٤
﴿وَلَا تَقْرَأُ الْفُتُورَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾	٦١	١١٤ ، ١٠٦
﴿وَلَا تَقْرَأُ الْفُتُورَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾	٦٨	٢٨٠

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْفِتَنِ إِذْ جَاءَ بِهَا نَارٌ﴾	٩٣	١٤٩
﴿وَتَكُن مِّنَ الْفِتَنِ إِذْ جَاءَ بِهَا نَارٌ﴾	١٠١	١٥٨
﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْفِتَنِ إِذْ جَاءَ بِهَا نَارٌ﴾	١٠٣	٢٠١
﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْفِتَنِ إِذْ جَاءَ بِهَا نَارٌ﴾	١٢١	٢٨١ ، ١٨١
﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْفِتَنِ إِذْ جَاءَ بِهَا نَارٌ﴾	١٢٩	١٦٤
﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْفِتَنِ إِذْ جَاءَ بِهَا نَارٌ﴾	١٥٣	٢٧٦
﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْفِتَنِ إِذْ جَاءَ بِهَا نَارٌ﴾	١٥٨	٢٠٦
﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْفِتَنِ إِذْ جَاءَ بِهَا نَارٌ﴾	١٦٠	١٩٣
٢ - سورة الأعراف		
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ إِذْ جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ مِّنَ رَبِّهِمْ قُلْ إِنَّمَا أَدِيتُكُمْ حَقِّي﴾	A	٢٠٩ ، ١١
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ إِذْ جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ مِّنَ رَبِّهِمْ قُلْ إِنَّمَا أَدِيتُكُمْ حَقِّي﴾	٢٩	١٩٠
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ إِذْ جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ مِّنَ رَبِّهِمْ قُلْ إِنَّمَا أَدِيتُكُمْ حَقِّي﴾	٣٣	٥٣
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ إِذْ جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ مِّنَ رَبِّهِمْ قُلْ إِنَّمَا أَدِيتُكُمْ حَقِّي﴾	١٢٧	١١٤
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ إِذْ جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ مِّنَ رَبِّهِمْ قُلْ إِنَّمَا أَدِيتُكُمْ حَقِّي﴾	١٤٣	٢٠٠
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ إِذْ جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ مِّنَ رَبِّهِمْ قُلْ إِنَّمَا أَدِيتُكُمْ حَقِّي﴾	١٤٣	١٥٣ ، ١٥٢ ، ٦٦
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ إِذْ جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ مِّنَ رَبِّهِمْ قُلْ إِنَّمَا أَدِيتُكُمْ حَقِّي﴾	١٤٣	٢٠١
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ إِذْ جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ مِّنَ رَبِّهِمْ قُلْ إِنَّمَا أَدِيتُكُمْ حَقِّي﴾	١٤٣	١٣٧
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ إِذْ جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ مِّنَ رَبِّهِمْ قُلْ إِنَّمَا أَدِيتُكُمْ حَقِّي﴾	١٥٨	١٧٧
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ إِذْ جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ مِّنَ رَبِّهِمْ قُلْ إِنَّمَا أَدِيتُكُمْ حَقِّي﴾	١٨٠	١٣٢
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ إِذْ جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ مِّنَ رَبِّهِمْ قُلْ إِنَّمَا أَدِيتُكُمْ حَقِّي﴾	١٨٥	٧٣
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ إِذْ جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ مِّنَ رَبِّهِمْ قُلْ إِنَّمَا أَدِيتُكُمْ حَقِّي﴾	١٨٧	١٩٢

الآية	رقم الآية	الملاحظة
﴿إِلَيْهِ أُنِشِئُ الْبَنَىٰ ذُنُوبُهُ﴾	٢٦	٢٠٢
﴿تَكْفُلُ لَنُوحٍ وَلِإِسْحَاقَ﴾	٢٧	١٧٧
﴿يَسْتَكْفِفُكُمْ عَنْ عَذَابِهِ يُعْطِيكُمُ الْمَالَ فِي الدُّنْيَا وَيُنَازِلُكُمْ فِيهَا بَنِي إِسْرَافِيلَ﴾	٥٣	١٨٩
﴿فَلَمَّا أَتَوْا بَنِي إِسْرَافِيلَ سَأَلُوهُم مَّا نَبِيًّا لَهُمْ فَوَضَعُوا لَهُمْ نَصَصَ الْأَمْرِ﴾	١٠١	٩٠
٢١ - سورة هود		
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾	٢٦	١٦٨
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾	١٠٧	١٦٩
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾	١١٠	١٥٠
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾	١١٢	١٨٦
١٢ - سورة يوسف		
﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الْأَعْيُنَ﴾	٢	٩٤
﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الْأَعْيُنَ﴾	١٠٠	١٢٢
١٣ - سورة الرعد		
﴿الْمَلَأُ الْأَعْيُنَ﴾	٩	١٠٦
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾	١٦	١٧٠ ، ١٦٢ ، ١٤٩
١٤ - سورة إبراهيم		
﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الْأَعْيُنَ﴾	٢٧	٢٤٠ ، ٢٣٨ ، ١٢
١٥ - سورة النحل		
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾	٢٦	٦٤
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾	٢٦	١٨٥ ، ١٧٧
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾	٤٣	٢٧٩

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِ الْإِسْمَاعِيلَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ مَنَا تَنْزِيلًا﴾ ﴿وَلَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ إِذْ رَأَى الْقُرْآنَ مَنَاجِلًا﴾	٤٤	١٨٦
﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا سُورَةَ الْأَنْعَامِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَتِلْكَ﴾	٥٠	١١٤ ، ١٠٦
﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَتِلْكَ﴾	٥٥	١٨٤
٢٧ - سورة الإسراء		
﴿وَسُئِلَ إِدْرِيَسَ أَتَنْتَ عَالِيَهُ فِي ثَمُودَ وَتَخْرُجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَوْفًا لِقَدْ كُنْتَ كَذِبًا﴾	١٣	٢١١
﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَتِلْكَ﴾	١٤	٢١١
﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَتِلْكَ﴾	١٨	٢٠
﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَتِلْكَ﴾	٣٦	١٦١
﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَتِلْكَ﴾	٥٠	١٩٠
﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَتِلْكَ﴾	٥١	١٩٠
﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَتِلْكَ﴾	٧٩	١٢٤
﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَتِلْكَ﴾	٨٥	٢٣٥
٢٨ - سورة الكهف		
﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَتِلْكَ﴾	٢٩	١٨٣ ، ١٨٢
﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَتِلْكَ﴾	٤٩	١٩٣
﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَتِلْكَ﴾	٧٩	١٦٠
﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَتِلْكَ﴾	٨٢	١٦٠
﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَتِلْكَ﴾	١٠٥	٢١٠
٢٩ - سورة مريم		
﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَتِلْكَ﴾	٦٥	١٣٢
﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَتِلْكَ﴾	٧١	٢١٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
٢٠ - سورة مائدة		
﴿الْحَزَنُ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾	٥	١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢١
﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ فَرِّقُوا﴾	١٣	١٢٣
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾	١٤	١٢٧
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	٧٤	٢٠٦
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	١١٧	٢٠٤
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	١٣١	٢٠
٢١ - سورة الحديد		
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	٢	١٥١ ، ١٥٠
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	٧	٢٧٩
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	١٩	٢٤٣
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	٢٠	٢٤٣
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	٢٣	١٦٤
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	٢٥	١٨٥ ، ١٥
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	٢٦	٢٤٣
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	٢٧	٢٤٣
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	٤٧	٢٠٩
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	٧٩	١٤٦
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	٨٧	١٠٧
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	١٠٧	١٧٨
٢٢ - سورة الحج		
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	١٨	١٢٩
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	٧٠	٢٤٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ أَوَّلَ الْآيَةِ تَنْفِرُكَ مِنْ تَحْتِ الْوُجْهِ لَنْ يَنْقَلِبُوا عَلَيْكَ﴾ ﴿وَلَمْ يَنْصَرِفُوا فِي ذِكْرِكَ يَنْتَهَبُوا عَلَيْكَ لَا يَنْصَرِفُوا مِنْهُ عَلَيْكَ الْفُتُورُ وَالْمُتَلَوُّنُ﴾ ﴿فَاكْتُبْنَا لَكَ عَلَى كَتِفَيْهِ يَا إِلَهَ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾	٧٣	٩١
٢٢ - سورة المؤمنون		
﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّاكَ مِنْكُمُ النَّارُ﴾	٤٤	١٧٧
﴿لَقَدْ كَذَبُوا الْكَذِبَ﴾	٦٨	٩٥
﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ إِذَا دُخِرَ عَلَيْهِمْ﴾	١٠٠	٢٣٩
٢٥ - سورة الفرقان		
﴿وَتَقَالُ حَقٌّ ثُمَّ يَنْقُضُهُمْ الْقَوْلُ﴾	٢	١٥٦
﴿وَالَّذِينَ يُلْقُوا أَسْمَانَهُمْ كَسَافٍ فَسَخِرَ لَهُمْ سَبْعُ مِائَةِ آيَةٍ﴾	١٨	٢١
﴿فَلَقَّ السَّيِّئِينَ وَكَافِرِينَ فَمِنْ بَيْنِهِمْ﴾	٥٩	١٤٩
﴿وَمِنْهُمْ الْوُحُوشُ﴾	٦٣	٤٧
٢٦ - سورة الشعراء		
﴿وَمَا يُلْقِيهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا الْوُحُوشُ﴾	٥	١٥١
﴿فَلَمَّا رَأَى الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تُخْبِتُ لَهُمْ أَيْ لَا تُخْبِتُهُمْ﴾	٦١	٢٠١
﴿وَمَا يُلْقِيهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا الْوُحُوشُ﴾	٨٠	١٦٠
﴿فَلَقَّ السَّيِّئِينَ وَكَافِرِينَ فَمِنْ بَيْنِهِمْ﴾	٢٢١	١٨١
﴿فَلَقَّ السَّيِّئِينَ وَكَافِرِينَ فَمِنْ بَيْنِهِمْ﴾	٢٢٢	١٨١
٢٧ - سورة النمل		
﴿وَلَقَدْ رَآهُ مِنْ فَخْرٍ﴾	٢٣	١٤٩
﴿فَلَمَّا رَأَى الْمَلَائِكَةَ رَكَعَ وَسُجِدَ لَهُنَّ فَجَاءَهُنَّ مِنَ الْجِبِ﴾	٣٠	٧١
﴿وَمَا مِنْ نَجْمٍ إِلَّا فِي سَبِيلِهِ﴾	٧٥	١٢١ ، ١٦٦
﴿وَمِنْ بَيْنِهِمْ فِي السَّمَاءِ مَقَرٌّ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾	٨٧	١٨٩
﴿فَلَمَّا رَأَى الْمَلَائِكَةَ رَكَعَ وَسُجِدَ لَهُنَّ فَجَاءَهُنَّ مِنَ الْجِبِ﴾	٨٨	١٦٩

الآية	رقم الآية	الفصل
		٢٨ - سورة القصص
﴿قُلْ إِنَّمَا مَنَعْتُكَ لَا تَهْتِكُ﴾	٨٨	٢٠٥
		٢٩ - سورة الممتحنات
﴿أَلَمْ يَكُنْ مِنَّا مَنَعْتُكَ يَوْمَ أَنَّمَا الْخَلْقُ نَحْمُودُ وَإِنَّمَا	١٩	١٩٠
كُنَّا عَلَىٰ آلِهِ يَوْمَئِذٍ﴾		
		٣٠ - سورة لقمان
﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ لَكُمْ يَوْمَ تَكُونُ فِي	١٦	١٦٦ ، ١٦٧
سُحُوفٍ مُّطَوَّاتٍ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ يُنْفَخُ فِيهَا الشَّجَرُ الْبَاطِلُ		
فَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَانُوا بُدُخَالًا﴾		
﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَانُوا بُدُخَالًا﴾	٣٣	١٨٩
﴿إِنَّمَا يَوْمَئِذٍ يَوْمَ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ وَالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ﴾	٣٤	١٩٢
		٣١ - سورة المجادلة
﴿يَوْمَ تَكُونُ الْأَشْجَارُ أَغْصَانًا مُّتَسَلِّمِينَ﴾	٤	١٤٩
﴿قُلْ يَوْمَئِذٍ يَوْمَ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ وَالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ﴾	١١	٢٤٤
		٣٢ - سورة الأحزاب
﴿يَوْمَ تَكُونُ الْأَشْجَارُ أَغْصَانًا مُّتَسَلِّمِينَ﴾	٣٨	١٥٦
﴿يَوْمَ تَكُونُ الْأَشْجَارُ أَغْصَانًا مُّتَسَلِّمِينَ﴾	٤٠	١٨٠
﴿يَوْمَ تَكُونُ الْأَشْجَارُ أَغْصَانًا مُّتَسَلِّمِينَ﴾	٤٣	٨٤
﴿يَوْمَ تَكُونُ الْأَشْجَارُ أَغْصَانًا مُّتَسَلِّمِينَ﴾	٤٤	٢٠٠
﴿يَوْمَ تَكُونُ الْأَشْجَارُ أَغْصَانًا مُّتَسَلِّمِينَ﴾	٦٥	٢٠٦
		٣٣ - سورة سبا
﴿يَوْمَ تَكُونُ الْأَشْجَارُ أَغْصَانًا مُّتَسَلِّمِينَ﴾	٢	١٦٦ ، ١٦٧
﴿يَوْمَ تَكُونُ الْأَشْجَارُ أَغْصَانًا مُّتَسَلِّمِينَ﴾	٣	١٨٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ وَالْأَرْضِ جَمِيعًا نَقْبَسُهُ﴾ ﴿يَوْمَ الْيُسُفَىٰ وَالتَّنَكُّفِ تَكْلُفُهُمْ يَسِيرُونَ﴾	٧٧	١١٢ ، ١٠٢ ، ٩١
﴿وَالْجَنِّ فِي الظُّلُمِ قَسِيقٌ مِّنَ فِي التَّنَكُّفِ وَكَانَ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿إِلَّا مَن كَانَ اللَّهُ لَمْ يُلَاحِظْ يَوْمَ الْقُرَىٰ وَكَانَ مَن قَدَّمَ يَنْقُصُهُ﴾	٧٨	١٩٠
٤٠ - سورة طه		
﴿وَقَالَ يَتِيمًا يَهْدِيهِ لِي فِي مَرْجَلِي لَمْ يُلَاحِظْ الْأَنْبِيَاءُ﴾	٣٦	١٠٦
﴿أَنْبِيَاءُ التَّنَكُّفِ تَكْلُفُهُمْ إِلَهُ مُوحِدٌ وَبِئْسَ الْأَلْفَنُ﴾ ﴿سَكِينٌ﴾	٣٧	١٠٦
﴿أَنْبِيَاءُ يَهْدِيهِمْ عَلَىٰ عِلْمٍ وَتَوَكَّلْ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ ﴿أَجْمَلًا عَلَىٰ يَوْمِكَ لَقَدْ التَّنَكُّفِ﴾	٤٦	٢٢٨ ، ٢٤٠
٤١ - سورة فصلت		
﴿قَدْ مَرَّ لَقَوْمٍ يَنْقُصُهُ﴾	٣	٩٤
﴿وَقَدْ مَرَّ لَقَوْمٍ يَنْقُصُهُ لَقَوْمٍ يَنْقُصُهُ﴾	٣	٩٥
﴿إِنَّمَا عَلِيمٌ﴾	١١	١٤٦
﴿إِنَّمَا اللَّهُ الْوَاحِدُ لَقَدْ كَلَّمَ﴾	٢١	١٤٦
﴿وَأَن يَكُونَ فِي الْقُرَىٰ لَمْ يَكُنْ يَكُنْ عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿أَجْمَلًا مَا يَنْقُصُهُ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾	٤٠	١٨٤
﴿وَلَقَدْ كَلَّمَ نَبِيًّا﴾	٤١	١٤٦
﴿وَلَا يَكُونُ الْبَيْتُ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ وَلَا مَن يَكُونُ الْبَيْتُ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾	٤٢	١٨٦ ، ١٤٦
﴿وَلَقَدْ كَلَّمَ يَكْلُفُهُمْ الْقِيَامَةِ﴾	٤٦	١٦٤
٤٢ - سورة الشورى		
﴿لَقَدْ كَلَّمَ نَبِيًّا وَتَوَكَّلْ الْقِيَامَةِ﴾	١١	١٤٠ ، ١٨٨ ، ٩٧
		١١٧ ، ١١٢ ، ١٠٢
		١١٣ ، ١٢١ ، ١١٩
		١٣٠ ، ١٢٨ ، ١٢٧
		١٤٦ ، ١٣٦ ، ١٣٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
٥١ - سورة الشورى		
﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾	٢٠	٧٣
﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾	٢١	٩٠
﴿وَمَا عَلَّمَهُ الْقُرْآنُ وَالْحِكْمَ إِلَّا يَتَذَكَّرُ﴾	٥٦	١٥ ، ١٧٦ ، ٢٧٧
٥٢ - سورة النجم		
﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾	١٣	٢٠٥
﴿بَيْنَ يَدَيْهِ الْعَرْشُ﴾	١٤	٢٠٥
﴿وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ الْعَرْشُ﴾	١٥	٢٠٥
﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾	٢٦	١٩٩
٥٣ - سورة القمر		
﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾	١٧	٧٥
﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾	٤٩	١٥٦ ، ١٦٤
٥٤ - سورة الحديد		
﴿قُلْ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾	٣	٨٥
﴿وَلَا يَسْأَلُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ شَيْءٍ﴾	١٠	٢١٧
﴿فَلَا تَعْلَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	١٦	٧٧
٥٥ - سورة المجادلة		
﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾	٦	١٩٣
﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾	٧	١١١
﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾	٧	١٠٩
﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾	٧	١٠٨
﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾	٧	١١١
٥٦ - سورة العنكبوت		
﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾	٧	٢٥٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَالَّذِينَ يَذْكُرُونَ مَا بِهِم مِّنْ حِسَابٍ﴾	١٠	٢٥٦
٦١ - سورة الصف		
﴿لَا تَأْمُرُوا قَوْمَكَ بِالْإِسْخَارِ﴾	٥	٢٧٩ ، ٧٥
٦٤ - سورة التغابن		
﴿وَمَنْ يَرْجُ الْكَافِرَ لَا يَتَّخِذْ عَلَىٰ قَوْلِهِ كِتَابًا ثُمَّ لَا يَحْكُمُ بِهِ إِذْ يُخْلَقُ لَئِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا كَافِرٌ﴾	٧	١٨٩
٦٥ - سورة العلق		
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَىٰ سِدْرٍ مَّجِيدٍ وَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ يَرْجُونَ الْآخِرَ﴾	١٢	١٥٨ ، ١٥٠
٦٦ - سورة التَّحْرِيم		
﴿لَا يَحْسِبَنَّ اللَّهُ أَنَّمَا أَتَىٰ بِالْقُرْآنِ تَمْلِيقًا﴾	٦	٢١٣ ، ١٧٥
٦٧ - سورة الملِك		
﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَ عَلَىٰ ظَنٍّ يَخَلِّفُ الْأَرْضَ﴾	١٤	١٠٠ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ، ١٦٧
٦٨ - سورة الحاقة		
﴿لَا تَنْفَعُ أَرْوَاحُهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾	١٩	٢١١
﴿وَلَا تَنْفَعُ أَرْوَاحُهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾	٢٥	٢١٢
٦٩ - سورة نوح		
﴿لَا يَنْفَعُكَ إِذَا أَكْبَرْتَ مَسْأَلُكَ﴾	٢٧	١٦٩
٧٠ - سورة الجن		
﴿مُتَّبِعِينَ بِنَايَ﴾	٢٢	٢٠٦
٧١ - سورة المعثر		
﴿وَسَقَاتُ الْغُرَىٰ نَحِ الْغُلِيِّ﴾	٤٥	٨٧
﴿لَا تَقْتُلُوا نَفْسًا أَنفُسِكُمْ﴾	٤٨	١٩٩
٧٢ - سورة القيامة		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ﴾	١٨	١٨٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ﴾	١٩	١٨٦
﴿وَمَن لَّمْ يَزَكِّهْهُ لَنَبْلُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِن لَّبِثًا أَجَلًا﴾	٢٠	٢٠
﴿يُضِلُّهُمُ اللَّهُ وَلَهُمُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	٢٢	٢٠٣ ، ٢٠٠
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمَن يَعْقِلُ﴾	٢٣	٢٠٣ ، ٢٠٠
٦٦ - سورة الإنسان		
﴿وَمَا كُنَّا بِمُعْجِزِينَ لَّكَ وَتَكُونُ مَعَكُم مِّنَّا قَلِيلًا﴾	٢٧	٢٠
﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْأَمْرَ أَكْرَهًا قَلِيلًا﴾	٢٩	١٧١
﴿وَمَا تَكُونُ إِلَّا لَن يَتَذَكَّرَ أَقْوَمًا﴾	٣٠	١٧١ ، ١٧٠
٦٨ - سورة النبا		
﴿إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَلِّمُوا شَعْرًا﴾	٢٧	١٨٩
٦٩ - سورة النازعات		
﴿وَلَقَدْ أَنشَأْنَا سَكَنًا ثَمَرًا﴾	١٥	١٤٣
﴿إِنَّ كَذِبًا لَّكَ ثَمَرًا﴾	١٦	١٤٣
٨٠ - سورة عبس		
﴿وَلَا يَدْرِي يَرَوْهُ إِلَّا نَاوِلًا عَيْنًا﴾	١١	١٧١
﴿فَوَيْلٌ لِلنَّاصِيَةِ﴾	١٢	١٧١
﴿الَّتِي كَانَتْ إِفْرًا يُفْرَأُ فِي الْكَافِرِ﴾	٢٤	٩٠
﴿وَالَّذِي كَفَرَ أَفْعَىٰ﴾	٢٥	٩٠
٨١ - سورة التکویر		
﴿يَسِّرْ لَهُ يَسِّرَ اللَّهُ ذِكْرَهُ﴾	٢٨	١٧١
﴿وَمَا تَكُونُ إِلَّا لَن يَتَذَكَّرَ أَلَمًا﴾	٢٩	١٧١ ، ١٧٠
٨٢ - سورة الانفطار		
﴿إِنَّا نَحْنُ غَنِيٌّ عَنَّا﴾	١٠	٢٤٢
﴿وَنَحْنُ الْكَافِرُونَ﴾	١١	٢٤٢
﴿يَعْلَمُونَ مَا وَعَدُوكُمْ غُلَبًا﴾	١٢	٢٤٢

الآية	رقم الآية	الملاحظة
		٨٢ - سورة المطففين
﴿لَا يَنْفَعُ عَنْهُمْ إِصْرُهُمْ وَلَهُمْ أَعْتَابُ﴾	١٥	٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٠
		٨٣ - سورة الانشقاق
﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ يَمَسُّهُ إِلَّا أَرْبَابٌ مُسْتَوْفُونَ﴾	٧	٢١٢ ، ٢١١ ، ١١
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهِمْ شَافِعُونَ﴾	٨	٢١٢ ، ٢١١ ، ١١
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهِمْ شَافِعُونَ﴾	٩	٢١٢
﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ يَمَسُّهُ إِلَّا أَرْبَابٌ مُسْتَوْفُونَ﴾	١٠	٢١٢ ، ٢١١
		٨٤ - سورة الطارق
﴿تَنَزَّلُ الْمَوَازِينُ﴾	٥	٩٠
		٨٥ - سورة الأعلى
﴿الْأَعْلَى﴾	١	١٠٦
		٨٨ - سورة الفاتحة
﴿لَا تَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾	١٧	٩٠ ، ٧٣
﴿وَلَا تَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾	١٨	٩٠ ، ٧٣
﴿وَلَا تَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾	١٩	٩٠ ، ٧٣
﴿وَلَا تَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾	٢٠	٩٠ ، ٧٣
		٨٩ - سورة الفجر
﴿وَلَا تَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾	٢٢	١٥٢ ، ١٥٠ ، ١١
		٩٠ ، ٧٣
		٩١ - سورة الشمس
﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ يَمَسُّهُ إِلَّا أَرْبَابٌ مُسْتَوْفُونَ﴾	١٣	٦٤ ، ٤٧
		٩٥ - سورة النجم
﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ يَمَسُّهُ إِلَّا أَرْبَابٌ مُسْتَوْفُونَ﴾	٤	١٧٠
		٩٩ - سورة الزلزلة
﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ يَمَسُّهُ إِلَّا أَرْبَابٌ مُسْتَوْفُونَ﴾	٧	١١

الآية	رقم الآية	الصفحة
١٠١ - سورة الفارغة		
﴿وَاللَّهُ مَعِ الْفَائِزِينَ﴾	٦	٢١٠
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	٧	٢١٠
﴿وَاللَّهُ مَعَ الْفَائِزِينَ﴾	٨	٢١٠
﴿وَاللَّهُ مَعَ الْفَائِزِينَ﴾	٩	٢١٠
﴿وَاللَّهُ مَعَ الْفَائِزِينَ﴾	١٠	٢١٠
﴿وَاللَّهُ مَعَ الْفَائِزِينَ﴾	١١	٢١٠
١٠٢ - سورة الماعون		
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾	١	١٨٩
١٠٣ - سورة الإخلاص		
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾	٢	٨٥
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	٣	٨٥
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سُلُوكًا لِّمَنْ يَكْتُمُونَ﴾	٤	٨٥

٢ - فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث
١٦٢	- أَبْعَدَ أَبْرَهَمَ ١٩ أَمْ بَعْدَ أَرْسَلَتْ إِيَّكُمْ ١٩ إِنَّمَا خَلَقَ ...
٨٣	- أَكَاثِي جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالسَّلَامُ، هَذَا: يَا مُعْتَمِدُ ...
	- أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ مَنَاقِبِ ١٩ لَوَالِي قَلْبِي يَتَلَوُّ لَهْمَا فِي الْوَبْرَانِ أَثْقَلُ مِنْ
٢١٠	أَعْيُ
١٩٥	- أَخْرَجُوا مِنْ الشَّوْرِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَقَالَ خَيِّ مِنْ خَرَقَلِي مِنْ إِيْمَانِي
٢٢٤	- أَخْرَجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَقَالَ خَيِّ مِنْ خَرَقَلِي مِنْ إِيْمَانِي
٨١	- اذْخُ لُجْبَ، وَسَلْ لُظْ
	- اَزْدَاخَهُمْ فِي أَجْزَائِهِمْ خَيْرٌ لِحَضْرِهِ، لَهَا قَنَابِلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرَمِي، فَسَرَّخَ مِنْ
٢٣٦	الْحَيِّ ...
٢٣٩	- اِسْمُ الثَّانِي: تَكْفَرُ وَتَكِيْرُ، وَالْهَآ اِسْمُكَانِ اَزْدَاخَانِ
١٧٦	- اَقْبَلُوا الصَّابِيحَ، لَمَّا الْفَوْزِيَّةُ رَمَتْ جَرَبَ الْفَيْلَةِ، فَخَرَّتْ أَقْلُ الْبَيْتِ
٩٢	- اَعْدَمْتُ لِيْمَانِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ
١٦٢	- اَهْمَلُوا، فَكُلُّ مَيْسَرٍ لَنَا خَلْقٌ لَهْ
٢٥٩	- إِلَّا أَنْ تَرَوْا ظُفْرًا بَرَّاحًا، جَنْدُكُمْ مِنَ الْوَقْوِ بَرَّحَانِ
	- الْإِيْمَانُ أَنْ تَلْمِزَ بِالْوَ تَمْلَاحِيْهِ وَتُكْبِرَ وَتُسَلِّمَ وَتَالِيْزِمَ الْآخِرَ، وَبِالْفَقْدِ خَيْرُهُ
٢٤١، ١٨٨، ١٥٦	وَتُسَرِّ
٢٢٤	- الْإِيْمَانُ يَضَعُ وَتَبْتَدُونَ شَيْئًا ...
٨٣	- الْجَبِيلُ مَنْ دَخَلَ بِلْتَهْ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَى
٦٤	- الْحَبَرُ الْأَسْوَدُ يَبْرُكُ الْوُ فِي الْأَرْضِ
	- الْقُدُّورُ شَقَرُ الْإِيْمَانِ، وَالْحَسَدُ هُوَ ثَمَلُ الْوَبْرَانِ، وَشَيْخَانِ الْوُ وَالْحَسَدُ هُوَ
٢١٠	تَمْلَاحَانِ مَا يَبْرُكُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضِ
١٠٣	- الْقُلُوبُ بَيْنَ إِصْبَاحِي مِنَ أَصَابِي الرُّخْمِي

الحدث	الصفحة
- الكُزَيْبِيُّ هُوَ عَلِيٌّ هُوَ	١١٩
- اللَّهُ إِلَهِي أَشْهَادِي! اللَّهُ إِلَهِي أَشْهَادِي! لَا تَقْبَلُوا مِنِّي عَرْضًا بَنِيي ...	٢٤٨
- اللَّهُ قُوَّتِي الْقُرْبَى	١٢١
- اَللّٰهُمَّ، الرَّيِّقُ الْأَعْلَى	٢٣٥
- اَللّٰهُمَّ، أَنْتَ الْأَوَّلُ، فَكَيْفَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ، فَكَيْفَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ...	٨٥
- اَللّٰهُمَّ، إِنِّيْ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ	٢٤٠
- الْمَقَامُ الْمَحْشُورُ هُوَ الشَّفَاعَةُ الْمَطْلُوبَةُ	١٢٥
- الْمَوْتُورُ عَلَيْهَا قَالِ الْكُرْبُ، وَقَالِ الْبَرْقُ، وَقَالِ الرِّيحُ، وَقَالِ جَاوِدُ الْكَلْبِ وَالرَّكَابُ ...	٢١٣
- الْمَوَازِدُ أَوْسَدُ أَبْزَابِ الْجَنَّةِ، لَمَّا دَخِلْتَ عَلَى رَأْسِهَا أَوْ مَرَرْتَ	١٨٤
- أَمْرًا يَكُونُونَ بِبَنِيي، لَا يَكُونُونَ بِبَنِيي، وَلَا يَسْتَشُونَ بِسُنِّي ...	٢٢١
- أَمِنْتُكَ مِنَ الْمَرَارَةِ شَيْءًا؟	١٤٩
- إِنْ الشَّيْطَانُ يَأْتِيْ أَعْدَاكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ يَقُولُونَ ...	٨٧
- إِنْ أَلْبَسْتُ الْمَوْتُورَ إِذَا كَانَ فِي الْفَيْصَالِ مِنَ الْعُلَّةِ، وَاقْبَلَا مِنْ الْآخِرَةِ، تَوَلَّى إِلَيَّ مَلَايِكَةً ...	٢٤٤
- إِنْ الْقُرْبَى اعْتَرَى لِمَوْتٍ سَفِي	١٠٣
- إِنْ اللَّهُ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورِي	١٠٣
- إِنْ اللَّهُ خَلَقَ صَانِعَ الْخَزَمِ وَصَلَفَتِ	١٦٣
- إِنْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ صَانِعٍ وَصَلَفَتِ	١٦٣
- إِنْ اللَّهُ هُوَ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّجِيمِ نَفْسًا، فَيَقُولُونَ ...	٢٤٤
- إِنْ اللَّهُ يُدْخِلُ بَنِيَّ فِي جَنَّتِهِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا مَنْ أَرَادَ	١٠٤
- إِنْ اللَّهُ يَخْلِفُ عَنْ سَابِقِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ	١٠٣
- إِنْ الْمَلَائِكَةُ تَصَلِّي عَلَى أَعْيُنِكُمْ، مَا تَأْتِي فِي مُصَلَّاتِ الْيَوْمِ حَتَّى يَوْمَ ...	٨٤
- إِنْ يَلْقَى شَيْطَانًا، لَوْ كَانَ أَحَدُ نَاجِيَةٍ مِنْهَا، لَمَّا سَخَطَ مِنْ مُنَادٍ	٢٤١
- إِنْ هُوَ يَسْمَعُ وَتَسْمِعُ أَسْمَاءُ مِنْ أَعْصَانِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ	١٦٢، ١٨٨، ١٣٣
- إِنْ هَذَا الْمَرْءُ أَتَى عَلَى سَبْتِيْ أَخْرَجَ	١٤٣
- إِنْ خَلِيَ الْأَمَةُ نَيْتِي فِي قُبُورِي	٢٣٩
- أَا أَفْعَى لِأَخِي، لَوْكَ لَمَعْتُ، أَمِّي أَشْهَادِي مَا يُرْعَفُونَ ...	٢٧٠

- ١٨٠ - أَلَا خَلَقْتُ الْجِبْنَ
- إِنَّمَا نَسْنَأُ السَّلِيمَ عَلَيَّ يُخَلَّقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَرْجِعَهَا إِلَهُ إِلَى جَسَدِهِ
- ٢٣٦ - إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
- ٧٠ - إِنَّهُ لَمْ يَخْلُقْ عَلَيَّ شَيْئًا
- ٢٣٨ - إِنَّهُمْ أَلَا يَسْتَمِعُونَ مَا أَدَّبُوا
- ٢٤٠ - إِنَّهُمَا كَقُدْرَتِهِ، وَإِنَّا يُخَلِّقَانِ فِي غَيْبٍ
- ٦٤ - إِنِّي أَجِدُ نَفْسَ الرَّحْمَنِ مِنْ قِبَلِ الْجَنَنِ
- ٢١٤ - إِنِّي عَلَى الْبَشَرِ خَلْقَ الْفَلَكِ مَنْ يَوْزُ عَلَيَّ وَيُكْفَمُ، وَسَيُخَلِّدُ نَفْسَ نَفْسِي ...
- ٢٥٠ - أَوْصِيكُمْ بِأَهْلِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُكُونُكُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُكُونُكُمْ
- ١٥١ - أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ
- ٢٥٩ - بَابُكَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى الشَّجَرِ وَالْمَاءِ فِي تَشْيِيقِ وَتَفْرِيقِ ...
- ٢٣٧ - نَخْرُجُ بِهِ خَالِقِي وَبِحِ، خَلْقَ الْكَوْنِ وَبِهَا الْأَرْضِ ...
- ٢٠٣ - نَطَلْتُ مِنْ أَمِّ السَّحَابَةِ فِي الْمَوْقِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَحْطَرُّ مِنْهَا
- ١٥٩ - تَعَرَّفُوا بِأَهْلِ مِنْ جَنَّةِ الْبَلَاءِ، وَفَرَّقِ الشُّعَاءِ، وَسَوِّ الْقَضَاءِ، وَتَسَاتَرِ الْأَعْيَادِ
- ٢٣٧ - تَقْبِضُ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَتَرْفِي بِوَ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَقْرَأُ ...
- ٢٢٥ - تَنَحَّضْتُ فَمَا وَفَّقْنَا يَوْمًا لَا نُصَلِّيَ لَهُ سَجْدَةً
- ١٩٥ - خَلْقَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ الْكَافِرِ ...
- ١٣٠ - خَلَقُوا عَنْ يَمِينِ إِسْرَائِيلَ، وَلَا خَرَجَ
- ٢٠٦ - حَبِثَ الْإِبْرَاهِيمَ بِالْمَرْوَةِ فِي صَوْدَةِ كَيْسٍ أَمْلَحَ، فَيَنْبَغُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
- ٢١٤ - خَوَّضِي سَبْرًا شَهْرًا، مَاوَةَ أَيْمَنِي مِنَ الْكَلْبِ، وَرَبْعَةَ أَكْبَابٍ مِنَ الْجَنَّةِ ...
- ٢٦٩، ٢٤٥، ٢١ - خَيْرُ النَّاسِ لِرَبِّي، ثُمَّ الْمُؤْمِنُ يُكُونُكُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُكُونُكُمْ
- ١٢٣ - رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَأُوا الْكُتُبَ...﴾
- ١٠١ - رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يُخَضُّ إِهْنَانَةً عَلَى أَكْبِي، وَآلِي تَلِيهَا عَلَى غَبِي
- ١٠١ - رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقْرَأُهَا، وَيَخُضُّ إِهْنَانَهُ
- ٨٣ - رَأَيْتُ أَهْلَ الْبَيْتِ يُكْرِمُونَ عَقْدًا، فَلَمْ يَصِلْ عَلَيَّ
- ٦٤، ٤٧ - سَبَّحْتُ مِنْ شُيُوبِ اللَّهِ، سَلَّمَ اللَّهُ

الصفحة	الحديث
٨٤	- عَلَى اللَّهِ عَلَيْكَ، وَعَلَى جَسَدِ كُنْتَ تَقْتَرِبُهُ
٨١	- عَجَلَتْ إِلَيْهَا النَّصْلَى
٢٥٨	- عَلَى الْمَرْءِ الشُّعْ وَالْقَاعَةُ يَمِينَا أَحَبُّ وَكثيراً، إِلَّا أَنْ يَلْمَزَ بِمَنْصِبِيَّةٍ...
	- قَوْلَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَخْلَسَ فِي قَبْرِهِ خَيْرَ نَجْعٍ، قَوْلَا كَانَ الرَّجُلُ
٢٣٨	السَّوءِ...
٢١٣	- فَأَمَّا مَنْ أَوَّلَ مَنْ يُجِزُّ، وَلَقَدْ أُرْسِلَ يُؤْمِنُ: اللَّهُمَّ، سَلِّمْ سَلِّمْ...
٢١٠	- فَتَرَفَعَ السَّجِلَاتُ فِي كَيْفِهِ، وَالْبَقَاةُ فِي كَيْفِهِ؛ فَتَلَاثَبَ السَّجِلَاتُ
٦٩	- فَحَمِدَ اللَّهُ، وَأَتَى عَلَيْهِ
	- فَزَفَعَ فِي السَّيِّئِ الْمَقْتُورِ، فَتَأَلَّتْ جَنِينُ؟ فَقَالَ: هَذَا السَّيِّئُ الْمَقْتُورُ يُضَلِّي
٢٤٢	فِي كُلِّ يَوْمٍ...
١٠٤	- فَضَجَّتْ حَتَّى بَدَتْ...
٢١٠	- فَتَلَاثَبَ السَّجِلَاتُ، وَتَلَاثَبَ الْبَقَاةُ
	- فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَبْدَأُ الْإِنْجِيَاءَ، فَيَقْرَأُ وَيُجْلِسَانِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رُبُّكَ؟
٢٧٧	- فَذَرَفَتْهُنَّ عَلَى التَّيْضَامِ قَلْبُهُمَا فَتَهَلَّلَا، لَا تَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا خَابَكَ...
٨٦	- كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَخُنْ شَيْءٌ خَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ...
١٧٨	- كَانَ الشَّيْءُ يَتَعَكَّ إِلَى قُرْبِهِ غَامِضَةً، وَيَبْشُرُ إِلَى النَّاسِ كَأَنَّ
١٨٧	كَانَ لِحُلَّةِ الْقُرْآنِ
١٧٨	- كَانَ يَكَايِبُ النَّاسِ بِرَسَائِلِهِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِإِحَادِيهِ عَلَيْهِا
١٧٦	- كَانَ يَتْلُو عَلَى إِزْرَائِيلَ (الْوَزْع)
١٩٥	- كُلُّ مَنْ أَدَمَ تَأَكَّلَهُ النَّارُ إِلَّا أَكْرَ السَّجُودِ...
١٩٤	- كُلُّ مَنْ أَدَمَ عَمَلَهُ، وَغَيْرَ الْمَكَلَامِينَ الْقَرَّائِينَ
٧٠	- كُلُّ مَنْ خَطَرَتْ لَيْسَ فِيهَا تَقْشَرُهُ، لَيْسَ كَأَيِّدِ الْجَلْتَاءِ
١٥٦	- كُلُّ شَيْءٍ يَفْقَدُ عَلَى الْخَيْرِ وَالْكَفْرِ
٢٥١	- لَا تَحْكُمُوا بَيْنَ الْأَلْيَاءِ
٢٥١	- لَا تَحْكُمُونِي عَلَى مُوسَى

الصفحة

الحديث

- ٢٥٠ - لا تشبوا أصحابي، فلو أن أخذكم اتقى مثل أخو كعب، ما بلغ مد أعرجهم ولا نصيفة
- ١٥٧ - لا ينجي حذر من قذو
- ٢٥١ - لا يجزي إتيان أن يكون: أما غير من يؤمن من عني
- ٢٦٣ - لا يجزي المؤمنين أن يكونوا مسلمة...
- ١٥٩ - لا يكون عبد على بلدين والمقدور غيره وشرو
- ١٨١ - لعن الله الملعن على أهل بدر، فقال: اعتلوا ما نزلتم، فقد خفرت لكم
- ١٩٣ - في الفرج ينزلة عبود من أعينكم، سقط على يديهم، وقد أضل في أرضي فلا...
- ١٨٠ - لو كان موسى حيا بين أظهركم، ما حل له إلا أن يجزي
- ١٧٦ - ليخلص الله لئلاء الجناء من اللئاء القراء
- ١١٢ - ما السموات الشيع في الكرمي، إلا تخلفوا خلفا بأرضي فلا...
- ١١٩ - ما السموات الشيع مع الكرمي إلا تخلفوا خلفا بأرضي فلا...
- ١٨٠ - ما نزل من أن تكون وفي بشرقة غارون من موسى، إلا أنه لا شيء ينجي
- ٢٣٥ - ما من رجل مسلم على إلا ربه الله على روي، حتى أرده عليه السلام
- ٧٦ - ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فإمراهة يهودا أو نسطانية...
- ٧٩ - ٧٧ - مروا أولادكم بالسلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر...
- ١٨٢ - من بدل دينه، فاقطعوا
- ٢٣٣ - من ترك دينه عينا عينا، فليس به
- ٨٢ - من ضل على واجدة، ضل الله عليه بها عشر
- ٨٢ - من ضل على واجدة، ضل الله عليه عشر سنوات...
- ٢١٩ - من قال لا يهود: يا كافر، فقد باء بها أحسننا
- ١٤٣ - من قرأ حرفا من كتاب الله
- ٢٣٩ - نعم، فدينتكم اليوم
- ٢٣٨ - حل وجدكم ما وعد ربكم حقا
- ١٦٠ - والعجز لله في دينك، والقدر ليس إليك

الصفحة

الحديث

- وَالَّذِي لَيْسَ مُشْعَدٌ بِهِمْ، لَا يَسْمَعُ فِي أَعْدَ مِنْ خَلْقِ الْأَمْوِ يَهُودِيٍّ وَلَا
نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يَلِدْ... ١٧٩
- وَالَّذِي لَيْسَ بِهِمْ، لَوْ لَمْ تَلِدُوا، لَلْعَبِ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ... ١٩٤
- وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَا يَمُوتُونَ ٢٢٨
- وَكُلَّيْنِ بِالْقَدَمِ الْخَبِيرِ وَشَرِّهِ ١٥٩
- وَمَعَ إِيَّاهُ عَلَى أُنْثَى، وَسَبَّيْتَهُ عَلَى عَجِي ١٢٣
- وَلِلَّهِ أَرْجَى إِنْ أَنْتُمْ تُلْقُونَ فِي الْيَهُودِ، يَمُوتُ أَوْ غَرِبَ مِنْ يَدَيْهِ الْمَسِيحِ
الْمُجَالِي ٢٣٩
- وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ فَاجِرٌ ١٧٤
- وَمَا عَجِبُ بِكَ فِي قَلْبِي إِنْ لَمْ تَلِدْ... ١١٢
- وَتَبْتَكَ! أَتَدْرِي مَا أَشَاءُ؟ إِنَّ عَرْشِي عَلَى سَنَابِلِ تَهْتَكُ... ٩٢
- وَتَبْتَكَ! أَتَدْرِي مَا يَقُولُ؟ ٩١
- وَتَبْتَكَ! إِنَّهُ لَا يَسْمَعُ بِأَمْرِ عَلَى أَعْدَ مِنْ خَلْقِهِ، شَاءَ اللَّهُ أَكْثَرُ مِنْ
ذَلِكَ... ٩١
- وَتَطْرُبُ جَسَدَ عَجْمَتِ ٢١٣
- يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ يَلْعَنُ ذَلِكَ قَدْ وَفَدَا مِنْ قَبْلِ بَرِيَّةٍ، فَسَبِّحْهُ اللَّهُ ٧٠
- يَتَرَضَّعُ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا يُطِيقُ ٢٦٣
- يَخْرُجُ مِنَ الْكَافِرِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ١٩٥
- يَدْخُلُ الْغُلَّ الْيَهُودِيَّةَ، وَأَخْلَى الْكَافِرَ الْكَافِرَ، ثُمَّ يَمُوتُ... ٢٢٤
- يَوْمَئِذٍ هَذَا الْعَلَامُ قَرْنًا، فَهَافِي يَوْمَ سَكُو ٢٤٦
- يَوْمَئِذٍ يَخْرُجُ: إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِهِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُونِكَ بَنَاتُ إِلَى الْكَافِرِ ١٤٣
- يَمُوتُ زَيْدًا إِلَى السَّمَاءِ الْمُنَا ١٥٦
- يَمُوتُ يَمُوتُ فِي أَيْمَنِ الزَّمَانِ، وَيَقُولُ الْمَلَكُ وَالْجَنَّةُ، وَيَكْمُرُ الصَّلِيبُ... ١٨٠

٢ - فهرس الآثار وأقوال الأئمة والعلماء

الصفحة

الآثار/القول

- إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم، أبو إسحاق الحريري
٦٧ - كان أهل البصرة أهل الحريرة، منهم أصحاب الأهوا، إلا أربعة...
إبراهيم بن يزيد بن عمرو أبو عمران النخعي الكوفي الأعور
٢٤٥ - إن تلك الموت أحرأ من الملائكة، يتركون عن أسرو
٢٧٢ - لو رأيت الصحابة يمشون إلى الكوفة، لكرهات تلك...
أبو إسحاق الفزاري
١٣٩ - كافر (القاتل يخلق القرآن)
أبو الهيثمي
٧١ - كل حاجة ليس فيها تشبه، فهي براءة
أبو العباس بن طالب
٢٠٠ - كان يستفتح حكمة الجماعة بأيات روية الله في الآخرة
أبو بكر بن أبي أوفى
١٣٩ - أكثر بالله بعد نيك وتسعين سنة، ومجالسة مالك ١٩
أبو بكر المروزي
١٠٢ - رأيت أبا عبد الله يثير يوضح إشبع
أبو بكر بن عباس بن سالم الأسدي الكوفي الملقب الحنابل
١٣٩ - كافر، ومن لم يكن: إنه كافر، فهو كافر (القاتل يخلق القرآن)
أبو عمرو بن العلاء بن عثمان بن عبد الله البصري
١٦٥ - أنه قد أن الله يعل من يشاء، ويهدي من يشاء، وهو علينا الشجة...

الآثار / القول

الصفحة

- أبو مالك الأشعري
- الكُزَيْبِيُّ تَوْضِيحُ الْفَتَنِينِ ١١٨
- أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني المروزي
- أَدْعُو لَهُم بِالصَّلَاحِ ٢٣٠
- إِنْ أَصْبَحْتَ الْكَافِرُ صَاحِبَ مَلَكٍ، فَهُوَ يَقُودُ النَّاسَ ٧٨
- إِنْ رَأَيْتَ رَجُلًا يَذْكُرُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ بِشَرٍّ، فَاتَّهِنُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ٢٥٠
- إِنْ عَمِلْتَ الْخَيْرَ زَادَ، وَإِنْ ضَيَّعْتَ قَلَصَ ٢٢٦
- أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، عَقْلُهُ عَلِيُّ، وَقَوْلُهُ بَاقٍ بِنِ
عَلِيٍّ ١٤١
- أَفْعَلَى مَعَاوِيَةَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَقَلًا مَا أَفْعَلَهَا خَلِيفَةُ كَانَ قَبْلَهُ ٢٥٢
- أَمْرُوهَا فَمَا جَاءَتْ ٩٥
- إِنْ اللَّهُ تَكَلَّمَ بِالصَّوْتِ وَالْعَرَبِ ١٤٤
- بَلْ تَكَلَّمَ بِصَوْتٍ؛ هَلَهُ الْأَحَادِيثُ تَرَوَى كَمَا جَاءَتْ ١٤٤
- فَخَبَّرَهُمْ سُبْحًا، وَالْأَعْيَاءَ لَهُمْ قُرْبَى، وَالْأَقْدَاءَ بِهِمْ وَسِيلَةٌ (الصَّحَابَةُ) ٢٤٨
- قَالَتْهُ اللَّهُ الْخَبِيثُ عِنْدَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، فَخَبَّرَهُ ٤٥
- قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَكَلَّمْ وَلَا يَتَكَلَّمْ، إِنَّمَا كَوْنُ شَيْءٍ، فَعَبَّرَ عَنْ اللَّهِ (الْجَهْمِيَّة) ١٤٦
- قَالُوا: هُوَ شَيْءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ ٩٣
- تَكَلَّمَهَا اللَّهُ فَتَكَلَّمَهَا اللَّهُ ١٠٣
- قَدْ بَنَى عَلَى هَذَا الْمُتَخَرِّصِ ٢٠٩ ، ٢٠٧ ، ١٥٣ ، ١٠٥
- كَانَ يُسَمِّي الْفَتَرَ: لُزْمَةُ اللَّهِ ١٥٨
- كَانَ يُشَدُّ فِي مَخَالِفَةِ قَوْلِ الصَّحَابَةِ وَفَهْمِهِمْ لِلشَّيْءِ ٢٧١
- لَا تَجْزِئُ أَنْ يَقُولَ: ذَلِكَ كَلَامُ اللَّهِ بَيْنَ اللَّهِ، وَبَيْنَ خَلْقِ اللَّهِ ١٥١
- لَا كَيْفَ، وَلَا مَتَى ٩٩
- لَا تُزِيلُ عَنْ صِفَةٍ بَيْنَ صِفَتَيْهِ إِشْتَاقُهُ شَيْئًا ٩٩
- لَا يَكُونُ بَيْنَ أَهْلِ السُّلْبِ، وَلَا كَرَامَةِ (الْوَالِدَةِ) ١٤٨
- مَا أَرَادَ عَلَى الْإِسْلَامِ ٢٤٩
- مَا أَعْلَمُ أَنِّي حَدَّثْتُ بِهِ إِلَّا لِمُحَمَّدٍ بِنِ دَاوُدَ الْمُصَنِّبِيِّ ١٠٤

- ٢٥٦ - ما انتقص أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا أنه كاتبة شوه
- ٢٢٢ - نكمت، أظلم، لعن الله بطنه بها
- ١٤٤ - تقي الصوت والحرف هو قول الجهمي
- ٢٢٦ - كفضائله بتركه الفتل
- ٢٥٤ - هذه الأحاديث ثورث القول في القلب
- ٢٠٩ ، ٢٠٧ ، ١٥٣ ، ١٠٥ - يا هذا، رسول الله الخبز على رزقك... .
- أحمد بن محمد بن زياد، أبو سعيد، ابن الأعرابي
- ١٤٨ - ما رأيت قوما أكذب على اللغة من قوم يزعمون أن القرآن مخلوق
- أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني، أبو العباس ثعلب
- ١٣٨ - خرج الشك الذي كان يدخل في الكلام
- أوسطو طليس بن ليقوماغوس بن ماعلان
- ٦٠ - لماذا كلما تجاوزنا المستوى المتوسط في الفلسفة، نملكنا الأحزان، ولازمتنا الأمراض
- إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، أبو يعقوب الحنظلي البياضوري، ابن راهويه
- ١٥٤ - إن الله يهدي على أن يترك ويصعد ولا يترك
- ١٣٤ - إنما يكون التشبه إذا قال: يد كيد أو مثل يد... .
- ١٥٠ - شحنتك من الغرض
- أسد بن القرات
- ٢٠٢ - والله، لو أدعيت النبوة، فليجبت عن ربي الله، لنكثت... .
- ١٤٧ - ربح أهلي البذل، هلكت قواكهم، يزعمون أن الله خلق ثلاثا... .
- الحسن بن سائر، أبو سعيد البصري
- ٦٢ - أمكنهم المشقة، يؤولون القرآن على غير تأويله
- ٩٢ - نكمت، بغير مثال
- الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، أبو عبد الرحمن القرامدي
- ١٦٥ - فجيء شيئا من متلارج الكلام؟ قال: نكمت... .
- ٢٠١ - نكمتي: ظهر ويان

الآثر / القول

الصفحة

- صُلَيْبُ بن عجلان بن وهب، أبو إمامة البجلي
٢٢٠ - رُشِمَةُ لَهُمْ! لَأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ
- القاسم بن سلام الأزدي البغدادي، أبو عبيد القاسمي
٩٩ - إِذَا قِيلَ: كُفْتُ وَضَعْتُ لَدُنَهُ؟ وَكُفْتُ ضَجَّكَ؟ قُلْتُ: لَا يُقَسَّرُ هَذَا...
٩٥ - لِأَهْلِ الْعَرَبِ لُكَّةٌ، وَلِأَهْلِ الْحَدِيثِ لُكَّةٌ، وَإِنَّهُ أَهْلُ الْعَرَبِ أَمِينٌ...
١١٧ - لَوْ حَلَّتِ الرَّجُلُ إِلَّا يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ، قَرَأَ الْقُرْآنَ، لَمْ يَحْتِثْ
٩٩ - لَحْنُ نَرْوِي هَذِهِ الْأَحَادِيثَ، وَلَا تُرْبِغُ لَهَا الْمَعَانِي
- الميث بن سعد بن عبد الرحمن القهسي، أبو الحارث المصري
٩٥ - أَمِيرُوْنَا كُنَّا جَاءَتْ
١٣٩ - كَايِفَ (الْقَالَ بَخَلَى الْقُرْآنَ)
- المختار بن عوف الأزدي البصري
٢٢١ - النَّاسُ بَيْنَا وَنَحْنُ مِنْهُمْ، إِلَّا عَابِدٌ وَثَقِي، أَوْ تَحْفَرُ أَهْلُ الْكِتَابِ...
٥٨ - النعمان بن ثابت الكوفي، أبو حنيفة الأعمش
... لَمَنْ اللَّهُ حَفَرُوا مِنْ غُدَّةٍ، فُلَّهْ فَخَّحَ النَّاسِي الطَّرِيقَ إِلَى الْكَلَامِ...
٥٩ - الوليد بن أبيان الكرايسي
٥٩ - إِنِّي أُوجِبُكُمْ بِمَا عَلَيْهِ أَمْسَحَتِ الْحَدِيثُ، فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحَقَّ مَعَهُمْ
٥٩ - هَلْ تَعْلَمُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالْكَلَامِ مِنِّي؟
الوليد بن مسلم
٩٥ - أَمِيرُوْنَا وَلَا تَكُتِبْ
١٣٩ - كَايِفَ (الْقَالَ بَخَلَى الْقُرْآنَ)
- جبل بن حمود الصديقي
٢٥٨ - جَهَادٌ هُوَ لَا يَنْصُلُ مِنْ جِهَادِ أَهْلِ الشُّرْكِ
٢٥٨ - كُنَّا نَحْرُمُ عَدُوًّا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَحْرِ، وَالْآنَ خَلَّ هَذَا الْعَقْلُ بِسَاحَتِنَا...
حسان أبو المطر
٢٦٦ - مَنْ خَالَفَ الْخُتَابَ، فَقَدْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ

حمد لله

٢٦٣ - يُجَافِدُ حَسْبَ مَقْلَابِ الْبُذْعَةِ الْوَاقِعَةِ مَعَ عَلَى الْحَرَابِ الْمَشْرُوعَةِ

سبحون بن سعيد بن حبيب، أبو سعيد التنوخي القبراني

٢٥٣ - أَفْضَلُ هَذِهِ الْأَمْثَلِ بَعْدَ نَيْهَا أَبُو بَكْرٍ وَخَيْرُ

٢٦٠ - أَلَا تُخْرِجُ عَلَى الْأَمْثَلِ بِالسَّيِّئِ، وَإِنْ جَازُوا

٢٢٨ - قُلْ: مُؤْمِنٌ، وَلَا تُحِلِّطْ مَعَهَا غَيْرَهَا

٢٠٠ - كَانَ يُلْقِي ابْنُ الْقَضَائِ فِي مَرَضٍ مَرِيضٍ أَنَّ اللَّهَ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ

٤٥ - مَا هَذَا الْقَوْلُ؟

سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب، أبو محمد المعزومي

٢٥٥ - لَدَدَ رَأَيْتُكَ غَيْثًا وَغُثَّاءً يَتَنَبَّهَانِ بَيْنًا مَا أَعْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا يَتَدُّ

سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي

٩٥ - أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ

سفيان بن عيينة بن ميمون أبو محمد الهلالي الكوفي

٢٧٤ - الْحَدِيثُ تَقَلُّدٌ إِلَّا لِلْقُلُوبِ

١٣٩ - كَافِرٌ (الْمَاتِلُ يَخْلُقُ الْفَرَاغَ)

٩٥ - وَهِيَ كَمَا جَاءَتْ؛ فَخَرُّ بِهَا، وَتَحَلُّفٌ بِهَا وَلَا تَكْتَبُ

سلطان الفارسي، أبو عبد الله

٢١٣ - الْقَضَائُ إِذَا كَتَبَ الْقَوْلُ

٢٢٦ - لَوْ تَقَلُّدَتْ أَعْضَاءُ، مَا تَقَلُّدَتْ الْإِيمَانُ

شبيب الخارجي

٢٢٠ - مِنْ وَبَيْنَا قَوْلٌ مَنْ كَانَ عَلَى غَيْرِ رَأْيٍ، بَلَا كَانَ أَوْ مِنْ غَيْرِهَا

هاشم بن أبي النجود

٢١٩ - وَاهُوا مَا أَعَزَّ هَذَا مِنْ وَبَيْنِ، وَلَا يَخْلُجُ مِنْ مَطْلُومٍ

عبد الرحمن بن عمرو، أبو عمرو الأوزاعي النخعي

٩٥ - أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ

المبشحة

الآثار القرون

- عبد الرحمن بن مهدي بن حسان اللؤلؤي، أبو سعيد البصري
٢٧٤ - السُّنَّةُ الْمُتَقَدِّمَةُ مِنْ سُنَّةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ خَيْرٌ مِنَ الْحَدِيثِ
٥٩ - مَنْ طَلَبَ الْكَلَامَ، فَاجْتَرَأَ اسْمَهُ زُلْفَةً
عبد العزيز بن أبي سلمة، الماجشون
٢٠٢ - مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، اسْتُثْبِتَ
٩٦ - هَذَا الْكَلَامُ غَدَمٌ وَلَا بِنَاءٌ، وَصَفَةٌ وَلَا مَعْنَى
عبد الغني بن عبد الواحد بن علي، أبو محمد المقتضي
١٠٠ - لَا تَنْزِيذَ يَغْنَى حَقِيقَةُ النَّزُولِ
عبد الله بن أبي حسان
٢٥٧، ٢٥٢، ٤٢ - لَيْسَ هَذَا دِينٌ قُرَيْشِي، وَلَا دِينُ الْعَرَبِ؛ هَذَا دِينُ أَهْلِ قَوْمٍ
٢٥٧ - وَاللَّهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْنَا نَحْنُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْوَلَايَةَ بَعْدَ وَآلِيهَا...
عبد الله بن إدريس
١٣٩ - كَأَيُّ (الْقَائِلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ)
عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي النخعي، أبو عبد الرحمن المروزي
١٣٩ - كَأَيُّ (الْقَائِلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ)
١٥٤ - يَنْزِلُ كَيْتٌ شَاءَ
عبد الله بن غالب، أبو العباس
٢٠٠، ١٢٢، ١٠٨، ٤٦ - الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُشْكِرُ عَلَيَّ مَا بِهِ أَنْتُمْ...
عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد الهاشمي
١٥٧ - إِذَا جَاءَ الْقَدَرُ، حَالَ قُوَّةُ الْبَصَرِ
١١٨ - الْكُرْبِيُّ مَوْجِعُ الْقَلْبَيْنِ
١٥٧ - كَانَ يَسْمِي الْقَدْرَ: نِظَامَ التَّوْحِيدِ
٨٤ - لَا أَعْلَمُ الصَّلَاةَ تُبْقِي مِنْ أَخِي عَلَى أَخِي إِلَّا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
٢٢١ - لَيْسُوا بِأَخَدٌ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَهُمْ يَقُولُونَ (الْخَوَارِجُ)
١٧٨ - مَا بَنَى اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعِثَاقَ: قَبْلَ بُرْثِ مُحَمَّدٍ...
٩٤ - مَا لَرَفِي خُلَاوَا؟ يَجِدُونَ جِلْدَ مُتَكَبِّبٍ، وَيَهْلِكُونَ جِلْدَ مُتَشَابِهٍ

- ٧٠ عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي، أبو بكر الصديق
- تَقَبَّهَ فِي خَطْبِهِ غَيْرَ التَّجَنُّعِ
- ٢٥١ عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن العلوي
- أَبُو بَكْرٍ وَالْأَخِيرُ مَعَهُ، وَهُوَ وَالْأَخِيرُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ
٢٨٢ - إِنَّمَا أَنَا، فَعَلَى بَيْتِهِ مِنْ رُبِّي، وَإِنَّمَا أَنْتَ، فَادْفَعْ إِلَى شَاكٍ وَفِيكَ خَاصِمَةٌ
٧٠ - جَنَعَ بَيْنَهُ وَأَعْلَفَهُ فِي إِبْرَاقِ بَيْتِهِ لَمَّا حَلَقَهُ النَّاسُ
٢٥١ - مَا وَابَتْ أَسْوَدُ مِنْ مَعَاوِيَةَ
٢٥٢ - مُعَاوِيَةُ أَسْوَدُ مِنْ عُقْمَرٍ وَغُلَامَانَا
- عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل، أبو محمد السهمي
٢٣٨ - شَرُّ وَادَيْنِ فِي النَّاسِ: وَادِي الْأَحْطَافِ، وَوَادِي بَحْضَرَمُوتِ يَقَالُ لَهُ: يَرْفُوتُ
- عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار، أبو موسى الأشعري
١١٨ - الْكُزْبِيُّ تَوْضِيحُ التَّقَاتِي
- عبد الله بن أبيه بن عتبة الحضرمي، أبو عبد الرحمن المصري القاضي
١٣٩ - كَابِرُ (الْقَتْلُ بِخَلْقِ الْقَرَانِ)
- عبد الله بن محمد الطميف
١٤٨ - قَعْدُ الْخَوَارِجِ أَحَبُّ الْخَوَارِجِ، وَقَعْدُ الْجَهَنَّمَ هُمُ الْوَاقِعَةُ
- عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهللي، أبو عبد الرحمن
١٤٣ - إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالزُّهْدِ، سَجَّ حُزْنُهُ أَقْلُ الشَّوَابِ
١٦٢ - إِذَا دُبِّرَ الْمَدْرُ، فَأَنْسِكُوا
٧١ - التَّشَهُّدُ فِي كُلِّ حَاجَةٍ يَخْطُبُ لَهَا
- بَيْنَ الشَّوَابِ وَالْكِبَرِ وَالَّتِي فِيهَا خُفْسٌ وَتَوَعُّدٌ، وَبَيْنَ كُلِّ شَبَابٍ وَخُفْسٍ وَتَوَعُّدٌ
١٢٠ غَامٌ ...
١٢٤ - حَبْرٌ عَنِ الْإِسْتِوَاءِ بِالْجُلُوسِ
٢١٣ - وَالضَّرَاطُ تَحْتَهُ الشَّيْبَةُ، فَخُفْسٌ مَرَلٌ
- عبد الله بن وهب بن مسلم، أبو محمد القهري القرشي
٢٧٤ - كُلُّ صَاحِبٍ حَدِيثٍ لَيْسَ لَهُ إِمَامٌ فِي الْفَقْهِ، فَهُوَ ضَالٌّ ...

الآثار / الأقوال	الصفحة
- أَمَّا اللَّهُ أَلَمْ يَلِدْنَا بِمَالِكٍ وَاللَّيْلِ، لَمَلَكَا	٢٧٤
عبد الله بن يزيد المقرئ	
- يَقْنِي أَنَّ اللَّهَ مَسِيحٌ بِصِيرٍ	١٠١
عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، أبو المعالي الجويني إمام الحرمين	
- أَمُوتَ عَلَى مَا يَمُوتُ عَلَيْهِ عَجَائِزُ كَيْتَابُور	٥٩
عبد الملك بن قريش بن عبد الملك بن علي، أبو سعيد الأصبهاني البصري	
- إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: الْأَسْمُ غَيْرُ الْمَسْمُ، فَاسْتَمِعْ عَلَيْهِ بِالزُّنْدَقَةِ	١٣٣
- جَلَسْتُ إِلَى أَبِي غَنْزَرٍ بَيْنَ التَّلَاوِ عَشَرَ رَجَحَجٍ...	١٦٥
- هِيَ كَالْفِرَّةِ بِهَذِهِ التَّلَاةِ	١٢٨
عبد بن سليمان الكلابي	
- كَافِرٌ (الْقَائِلُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ)	١٣٩
عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الثاني	
- أَتَمُّ الْقُرْآنِ لَا تَمْلُكُ فِي شَيْءٍ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي اللُّغَةِ، وَالْأَقْبَسُ فِي التَّرْبِيَةِ	٦٥
عثمان بن عفان بن أبي العاصم الأموي	
- لَشَهِدْتُ فِي كَلَابِو لَنَا أَقَامَ الْخَدَّ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ خُطْبَةَ	٧٠
عقبة بن نافع	
- اللَّهُمَّ، أَشْهَدُ أَنِّي قَدْ بَلَغْتُ النُّجُودَ، وَلَوْلَا عَلَا النَّجْرُ، لَتَضَيَّعَتْ فِي الْبِلَادِ أَقَائِلُ مَنْ تَخَّرَ بِكَ...	٢٢
علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أبو الحسن الهاشمي	
- أَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هُمْ، فَإِنَّهُمْ سَفَكُوا الدِّمَّ الْحَرَامَ	٢٢١
- تَشْهَدُ فِي حُطْبَةٍ غَيْرِ التَّجْنِيعِ	٧٠
- خَيْرُ قَوْلِهِ الْأَمْرُ بَعْدَ نَهْيِهَا أَبُو بَكْرٍ، وَالثَّانِي غَيْرُ رَجِيئِ اللَّهِ عَلَيْهِ	٨١
- شَرُّ وَادِيَيْنِ فِي النَّاسِ: وَادِي الْأَحْقَافِ، وَوَادِي بَعْضُ مَوْتٍ يَقَالُ لَهُ: يَرْكُوتُ	٢٣٧
- سَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ	٨٤

- ٢٢٢ - وَإِنْ خَالَفُوا إِمَامًا جَانِزًا فَلَا تَقَاتِلُوهُمْ (الخوارج)
- ٨١ - يَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْخَيْرَ حَيْثُ أَحَبَّ
- علي بن هاشم
- ١٣٩ - كَالْيَوْمِ (الْمَدَائِلُ يَخْلُقُ الْفَرَكَانَ)
- علي بن عقیل، أبو الوفاء البغدادي
- ٦٠ - حَدَّثَ الْقَهْقَرِيُّ إِلَى مَلْعَبِ الْمُتَخَبِّ
- عمر بن الخطاب بن قنبل، أبو حنيفة العدوي
- ١٢٦ - إِنَّمَا يَخْلُسُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْكَزْبِيِّ
- ٧٠ - نَشَهُدُ فِي خَطْبِهِ لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ
- سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ وَوَلَدُ الْأُمَرَاءِ مِنْ بَنِيهِ سُنَّةً، الْأَخْلَفُ بِهَا تَصْدِيقٌ بِكِتَابِ اللَّهِ،
- ٢٧٢ - وَاسْتِكْمَالٌ لِعِلَاقَةِ اللَّهِ...
- ٢٧٦ - قَدْ سُنَّتْ لَكُمْ السُّنَّةُ، وَقُرِئَتْ لَكُمْ الْفَرَائِضُ، وَأُتْرِكْتُمْ عَلَى الْوَاضِحِ...
- ٢٧٦ - كُلُّ سَبِيلٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ الْوَحْيِ، فَهُوَ بَاطِلٌ
- عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاصم الأموي
- ٢٨٠ - مَنْ جَعَلَ بَيْتَهُ غُرُصًا لِلْمُحْشُونَةِ، أَكْثَرَ النَّفْلِ
- عمران بن الحصين
- ١٦٤ - أَرَأَيْتَ مَا يَمْنَعُ النَّاسَ الْبَرَّ، وَيَكْفَحُونَ فِيهِ أَشْيَاءَ تُطَيِّرُ عَلَيْهِمْ...
- عون بن يوسف الخزاعي
- ١٧٢ - إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ تَكْفُرَ الْفَقْدَرِي، ظَنَنْتُ لَهُ: مَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ؟
- قيصة بن ذؤيب بن حنيفة، أبو إسحاق
- مَنْ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَهُوَ يَقُولُ
- ١٥١ - إِنَّهُ مَخْلُوقٌ...
- مالك بن أنس بن مالك، أبو عبد الله الأصمعي المدني
- ٢٦٢ - أَدْرَأَيْتُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ نَابِغًا، فَمَا سَوَّيْتُ أَلَهُمْ قَامُوا إِلَى إِمَامٍ جَانِبٍ يَمْلِكُونَ
- ٢١٩ - أَرَأَيْتَ فِي الْخُرُوبِ

الصفحة

الآثار / القول

- الاستواء معلوم، والكيف مجهول ١٢٧ ، ٩٧
- التثنية الثبوت ٢٠٢
- العقل أثبت بين الأحاديث ٢٧٣
- القدرية أضّر الناس، ورايتهم أهل عيش وسخافة حقولهم وبيع... ١٦٨
- القرآن كلام الله، وكلام الله منه، وليس من الله شيء مخلوق ١٣٨
- القرآن كلام الله، وكلامه لا يبدل ولا يفتد، وليس بمخلوق ١٥٥ ، ١٣٨
- الله في السماء، وجنته في كل مكان... ١٠٧
- الميزان عن ٢٠٩
- أبوهما كنا نجاعت ٩٦ ، ٩٥
- أمنتك من التغلب بين حنمان وعلي ٢٥٢
- إن الضاحل بين الصحابة ليس من أمر الناس الذين مضوا... ٢٥١
- إن كنتك ذلك بتحكك، عفت أن تزل فذلك... ٥٧
- أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته... ٥٨ ، ٥٤
- أهل القنوب مؤمنون مليئون ٢٣٤
- إياكم والبدع ٥٤
- بعض الإيمان أفضل من بعض ٢٢٧
- يلقي أن الأرواح مرسلة لتعجب حيث شاعت ٢٢٦
- لو كنت عاصاً لم كنت لإرثها ٢٣
- رايت أهل بليان يلقون عن الكلام في الدين ٥٤
- قل: مؤمن، ولا تعلق معها غيرها ٢٢٨
- كاهل زليين، اقلوا (القاتل بخلق القرآن) ١٣٩
- كان ابن مزمع رجلاً كنت أجب أن أفتني به... ٥٧
- كان يحدّر من تفسير القرآن من غير معرفة بلسان العرب ٦٢
- كان يشك على منكر وروى الله ٢٠١
- كان يشك على منكري القدر، ويرى أنهم يستأثرون ١٥٨
- كان يشك في مخالفة قول الصحابة وقهوبهم للشك ٢٧١

الأثر القول

الصلوة

- ١٣٨ - كان يصنف من قال بطلني كلام الله بالزنتوة، وبأثر بقلته
- كان يقال: لا تمسكن زانج القلب من ألتك، غوثك لا تقدي ما تغلقك من
ذلك
٢٨٠
٢٠٠ - كنكوا، بل تنكروا إلى الله أنا صيغت قول موسى...
٦٢ - لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغات العرب، إلا جعلته ككالا
١٠٣ - لا يتحدث به، وما يدعو الإنسان إلى الحديث بملك...
١٦ - لا، ولكن يخبر بالسنة، لأن قيل منه، وألا سكنت
٢٢٦ - ليس للإيمان مستقر، هو في زيادة أبنا
٢٧٩ - ليس هذا الجدل من الدين بشيء
٢٥٢ - ما أدركت أحدا أفتدي به ينشئ أحدهما على صاحبه
٥٤ - ما قلب الأثر في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء...
٢٤٩ - من رأى عاتقة، ففكر، فقد خالفت القرآن
٢٤٩ - من سب عاتقة، قيل
٥٤ - من طلب الدين بالكلام، تركت
١٢٣، ١٠٢ - من وصف شيئا من ذات الله مثل قوله...
٢٧١ - هؤلاء يستأثرون
١٠٠ - ولا يستأثرون عما سكنت عنه الصحابة
٢٧٩ - ولقد قال رجل: لقد دخلت هذه الأديان كلها، فلم أرك شيئا مستقيما...
٩٦ - برزوة بأعينهم
٢٠٠ - ينكروا إلى الله بأعينهم عاتية
٢٠١ - يقدمو المالكة كانوا يستأثرون على منكر روية الله
مجاهد بن جبر المكي، أبو الحجاج المخزومي المقرئ
١٢٤ - يهودته نفة على القرش
محمد بن إسماعيل بن النحاس، أبو عبد الله الشافعي
١٠٤ - شيطان الله ضربة من مخلوق
محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الإمام البخاري
١٤٤ - إن الله تكلم بالنبوة والسرور

الصفحة

الآثار الأقوال

- ١٤٤ - صوت الله لا يُسْمَعُ صوت الكَلْبِ
- ١٤٤ - صوت الله يُسْمَعُ مِن بُنْدٍ، كما يُسْمَعُ مِن قُرْبٍ
- محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني
- ٥٨ - كان أبو خزيمة يَحْكُمُ على القَوْدِ، وينهاة عن الكلام
- محمد بن سهل بن سعيد بن حبيب، أبو عبد الله التنوخي القيرواني
- أَرَأَيْتَ كُلُّ مَخْلُوقٍ:
- ١٤٦ - هل يَلِكُ لِمَخْلُوقٍ؟
- ١٦٣ - الإقْرَارُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وما سوى ذلك من الأعمالِ مخلوقة
- ٢٣٢ - لا أقولُ ما قاله المَرْجُوعُ: لا تُطْرَقُ القُتُوبُ مَعَ التَّوْحِيدِ
- محمد بن عبد الكريم، طراز الشريعة الشهرستاني
- ٦٠ - عليكم بدين التَّجَارِيزِ
- محمد بن عبد الله الأنباري، أبو عبد الله، ابن أبي زعيم
- ١٦٨ - الكُتُوبُ تَوْضِيعُ الْقُلُوبِ
- محمد بن عبد الله بن محمد، القاضي أبو بكر بن العربي
- ١٢٥ - عُبِّرَ عن الاستواء بالقعود
- محمد بن علي بن عمر التميمي الحازري
- ١٦٧ - ويؤدِّي لو سُكُوتٌ هذا مِن هذا الكتاب بما يَضُرِّي
- محمد بن هجر بن الحسين، فخر الدين الرزفي
- لقد اخْتَلَبَتْ الطُّرُقُ الكلامِيَّةُ، فما رأيتُ فيها فائدةً تساوي فائدةَ القرآنِ
- ٦٠ - العظيم
- محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبد الله، ابن شهاب الزهري
- ٢٥٥ - أَلَا أُعَبِّرُكُمْ بِكَلِمَتِكُمْ وَمَنْزِلِ هَذِهِ؟ كَمَثَلِ عَيْنٍ فِي رَأْسِ بُؤْبُؤَانٍ صَاحِبِهِمَا . . .
- ٩٥ - أَمَرُوا الْأَخَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ
- مصعب بن عبد الله بن مصعب، أبو عبد الله الزبيري
- ٥٤ - رأيتُ أهلَ بَلَدِنَا يَتَهَوَّنُونَ مِنَ الْكَلَامِ فِي الشَّيْءِ

- مقاتل بن سليمان الأزدي البجلي الخراساني
 - شرُّ وائين في الناس: وادي الأحقاف، ورواه بحضر موت يقال له: بَرْهَوْت ٢٣٨
- مكحول بن عبد الله، أبو عبد الله الشامي
 - أوبروا الأخاديت فَمَا جَاءَتْ ٩٥
- هاني بن مسعود الشيباني
 - إِنْ السَّخَرُ، لَا يَجِيءُ مِنَ السَّخَرِ ١٥٧
- هشيم بن بشير
 - كَابِرُ (الْقَاتِلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ) ١٣٩
- وكيع بن الجراح بن ملح، أبو سفيان الرواسي الكوفي
 - كَابِرُ (الْقَاتِلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ) ١٣٩
- هشيم بن عبد الله، أبو عبد الله الأبهلي
 - نُسَلُّمُ غِلْمِ الْأَخَادِيثِ فَمَا جَاءَتْ، وَلَا تَقُولُ: كَيْفَ؟ وَلَمْ يَجْءَ هَذَا؟ ٩٥
- وهب بن منه بن كامل البجلي، أبو عبد الله الأبهلي
 - الْكُرْبِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَتَيْنِ ١١٨
- يحيى بن زكريا
 - كَابِرُ (الْقَاتِلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ) ١٣٩
- يحيى بن سعيد القطان
 - مَا أَدْرَاكَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِنَا إِلَّا عَلَى سُنَّتِنَا فِي الْإِيمَانِ ٢٢٥
- يزيد بن هارون
 - مَنْ وَغِمَ أَنْ الرَّحْمَنَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى عَلَى خِلَافِهِ مَا يُقَرُّ فِي قُلُوبِ الْعَامَّةِ... ٩٦
- يوسف بن عبد الله بن محمد، جمال الدين بن عبد البر
 - وَتِلْكَ مَنْ يَكْدِي كَيْفَ هَذَا؟ ١٠٠
- يونس بن حبيب
 - لا يَنْكُرُ لِي فِيهِ ١٦٢
- يونس بن حبيب
 - لا يَنْكُرُ لِي فِيهِ ١٦٥

٤ - فهرس الأشعار والأرجاز وأنصاف الأبيات

١٥٧	إِنَّ عَذَابَ رَبِّي فِي السَّمَاءِ لَضَاعَا	يَا عِبِلَ أَهْلَ مِنَ السَّبِيَّةِ مَهْرِي
١٦٦	رَبَّنَا فِي السَّمَاءِ أُنْشَى عَجِيرَا	تَجِدُوا إِلَهَ زَمَرٍ يَلْتَمِجُ أَفْلُ
١٦٦	سَ وَشَوَى قَبُوقِ السَّمَاءِ سَرِيرَا	بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي تَبَقَّ الشَّا
١٤٧	بِإِلَهٍ قَلَامَةُ الْمُتَنَزِّلِ	وَالْقَوْلِ فِي بَيْتِهِ الْمُفْضِلِ
١١٩	وَلَا يُكْرِيسُ جِلْمَ اللّٰهِ مَخْلُوقِ	مَا لِي بِمَشْرِقِ مُرَيْسِ أَقَانِيَةِ
١١٧	لَيْسَ بِمَخْلُوقِ وَلَا بِكَالِي	عَلَى وَشَوَى اللَّيْلِ الشَّاقِ
١١٧	وَمَقْلَ لَكَ اللَّفْظُ عِنْدَ الْجَلَّةِ	وَالْوَفْقِ يَوْمَ بَذْعَةِ مُضِيلَةِ
١٥٧	إِنَّ الصَّخَا لَا تَوَظِيحُ مِهَامَهَا
١٤٧	أَوْ مَحْنَتَ قَسْقُزَةٍ مُرَوِّقِ	مَنْ لَانَ بِمَوْئِدَةِ مَخْلُوقِ
١٥٧	مُقْتَرَّةَ لَنَا وَمُقْتَرِينَا	وَأَنَا سَوَدْتُ لِدَوْنِهَا الْعَلَا

٥ - فهرس المصطلحات

المصطلح	الصفحة	المصطلح	الصفحة
١٤٨	- الواقعة	١ - فهرس المصطلحات العقيدية	
٢٣٩	- حياء البرزخ	والفكرية	
١٩٧	- شفاعة النجاة والسلامة	١٣٥	- إضافة التشريف
١٩٧	- شفاعة تخفيف العذاب	١٣٥	- إضافة الشفاعة
١٩٨	- شفاعة دخول الجنة	١٣٣	- الأسماء الحسنى
١٩٨	- شفاعة رفع الدرجات	٢٤٩	- الهدية المحقرة
١٩٧	- شفاعة زوال العذاب	٢٦٩	- السلف الصالح
٨٩	- مائة الشيء	٢١٣	- الصراط
١١٣	- مقالة التأويل	٨٦	- الكثرة
	٢ - فهرس المصطلحات الأصواتية	١٢٠	- المرفوع حكما
٢١٧	- الصحابي	٢٤٢	- الحلائكة المختلفة

٦ - فهرس القواعد والحكليات

الصفحة

القاعدة/الحكمة

١ - فهرس قواعد المعرفة ومدارك النظر

- ١٥ - الجدال والمراء الزائد يُورث العناد والمكاثرة
- ٢٧٨ - الجدال والبراء ليس طريقاً موصلاً إلى الحق بلإيه
- ٢٢٢ - العالمُ المنصف لا يتكلم بما تحييه كلُّ فئ في غضبها
- ١٦١ - العقول إنما تُبحث في شُكوك الإعراف العقلية، لا في مُحالها
- ٥٠ - الموافقة في مسائل لا تعني الموافقة في الأصول
- ٨٧ - التفهيم عن الخوض فيما لا يُدركه العقل
- ٢٢٦ - إمكان الشيء شيء، وحصوله شيء آخر
- ٢٧٨ - أفلك أصحاب العقول استحسناتهم وأقبحهم، وعجزهم القصر
- ١٦ - إضاح الحق بلا جدال أقرب إلى القبول
- ١٥ - بيان الحق يكون من أصوله بلا جدال ولا مراء
- ١٩ - فضل العلوم بفضل المعلوم
- ١٢٧ - كلُّ ما لا يحتاج للعقل فيه، فلا يجوز الخوض فيه
- ٢٢٢ - كم تألئ الحق، بمحاباة الخلق
- ٢٧٥ - لا تتشبه البدع إلا عند من عقل الآخر
- ٩٩ - لا يُقر من باطل إلى باطل
- ٥٠ - ليس البناء ولا التلمذة مُدْجِل أحداً في ملحق أحد
- ١٣٥ - ليس في القرآن ما لا يُفهم معناه البتة
- ١٨٧ - ما كونه الفلن الأول من القرآن هو مراد الله فيه
- ١٠٢ - ما كلُّ صحيح يُعبر التحليل به
- ٢٧٨ - من بات الحكمة، وانفتح العليل، وحب اتباعه والعقل به

- بن أعظم الذبح والصلوات أن يؤخذ الدليل بالنظر ٢١٥
 - من جهل الآخر استحسن العمل بالرأي ٢٧٥
 - من عقل العقل، فسدت دنياه، ومن عقل الفل، فسدت دينه ٢٠
 - نهى الله عن الخوضي فيما لا ميل لأفراكه ١٦١
 - يجب بيان الحق بخصي بما يهتد السامع والقارئ ولا تكلف ١٦
 - يؤخذ الآخر العقل إلى الوقوف على ما لا يحرك به ٥٣
 ٢ - فهرس قواعد العقائد

- ١ - فهرس قواعد الإلهيات
 - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٤٥، ٨٦، ٨٨، ٩٧، ١٠٢، ١١٢، ١١٧، ١١٩، ١٢١، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٦
 - إثبات تعالى الله الاختيارية على وجوب الحقيقة ٢٠٧
 - إثبات الحقائق والمعاني الصحيحة ليس منفياً ٩٧
 - إثبات الصفات لله إثبات للوجود والحقائق والكيفية ٨٦
 - إثبات الصفوة لا يعني تشبيهاً وتقليد الكيف لا يعني تعطيلاً ٦١
 - إثبات الصفوة للمخالف لا يعني مشابهتها لصفة المخلوق ١٣٦
 - إذا اختلفت لوازم الذات، اختلفت لوازم الصفات ١٢٨
 - الأصل ألا تثبت الأسماء والصفات لله إلا بما ثبت في الوحيين ١٣٠
 - الإسماء من الزيادة على النص أصح ١٥٤
 - التشبيه الموقوف أصل ضلال الخوري في الله ١٦٤
 - التطاهر في الأسماء يؤدي لمعرفة معناها وأكوارها، والمتمثل بمقتضاها ٨٨، ٦٢
 - العمل أن تؤخذ مسائل الصفات والذات على ظاهرها ٥٩
 - الشك تكفي على اللذة، واللذة لا تكفي على الشك ٦٥
 - السائق مُحْكَم في إثبات الصفات ٤٧
 - التوق في الكلام الجهل به ٤٤
 - الفلذ من أسرار الله التي لا يجوز الخوض فيها بغير شرح ١٦١
 - الله إله زاجد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له ٩
 - الله تعالى لا يشبهه شيء في كونه صفاته ١٠٥

الصفحة	القاعدة/الكلمة
٨٦	- الله ليس له مثلٌ يَكُونُ عليه، ولا شيةٌ يَكُونُ عليه
٩٨	- ترك حقائق التصوري وتناقضها الصحيحة علائق
٩	- تعالى الله أنْ تَكُونُ صفاته مخلوقة، وأشتاقه مُشَدَّدَة
١٢٧	- ذات الله وصفاته يَكُونُ فيها بالقدر الوارد في السمع
١٣٢	- كلُّ اسم له معنى يَكُونُ له الاسم والمعنى جميعاً
١١٢	- كلُّ ما أُخبر الله به عن نفسه يجب إثباته على الحقيقة
١٢٤	- لا نسفه، ولا نعبثه، ولا نُطْلِقُ عليه، إلا ما سئى به نفسه
٨٦ ، ٩	- لا يَتَلَمَّحُ تحت صفوه تعالى الزايعون، ولا يُجيبُ بأنهم الْمُتَضَكَّرُونَ
١١٩	- لا يجوز تكليف بقول الله
٦١	- لا يَجْعَلُك خوف التشديد على النفي، ولا خوف التواطي على التشديد
١٢٩	- لا يزال الله تعالى على كماله، لا بغيره الزمان
١٢٧	- لا يَكُونُ الكيف إلا إما له حقيقة
١٢٦ ، ١٢٢ ، ٩٣ ، ٩٢	- لا يَلْزَمُ من إثبات حقيقة الصفات الشية
٢٠٨ ، ١٣٦ ، ١٣٤ ، ١٣٠	
٩	- هو تعالى الأشتاق الحسنى، والصفات القلا
٩	- لم يزل الله تعالى يَجْمَعُ صفاته وأشتاقه
١١٢	- لو خَلَقْتُ أبعاداً المعقولة من القياسي، لَخَلَقْتُ من التعليل
١٣٢	- ليس له تعالى من يُشابهه في أسماؤه
٩٨	- ليس من السلامة ترك مراد الله في كلامه
١٣٠	- ليسب العقائد من موارد التزاع
٦٥	- ما خالفت ما أُجْمَعُ عليه السلف من المعاني، فهو غايض
١٢٧	- ما دلَّ السياق على حقيقته ثبتت حقيقة
١٣٥ ، ٤٧	- مجرد الإضافة لا تُجَيِّدُ إثبات الصفة
١٣٠	- مسائل الشبب ترتبها إلى علم الله لا مجال فيها للاجهاد والنكر
٨٨ ، ٦١ ، ٤٤	- من العلم بالله: المجهول بما لم يُكَلِّم الله به عن نفسه
١٣٠ ، ١٢٨	- من كانت ذاته لا شية لها، صفاته لا شية لها
١٥٧	- من كمال الخلق كمال جلوه

- ١٣٠ - مَنْ لَيْسَ كَوْنُهُ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ، لَيْسَ كَوْنُهُ شَيْءٌ فِي صِفَاتِهِ
- ٦١ - تَنْجِ الْأَسْرَافِيَّ فِي التَّفَكُّرِ فِي كَيْفِيَّةِ ذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ
- ٨٦ - وَاجِبُ الْعُقُولِ الْوَقُوفُ فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ عَلَى الْشَّخْصِي
- ٨٧ - يَجِبُ الْإِسْقَاطُ مِنَ التَّفَكُّرِ فِي كَيْفِيَّةِ ذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ
- ٢٧٥ - نَسْنَعُ أَنْ نُشِيرَ عَمَّا أَتَمَّكَ عَنْهُ السَّلَافُ
- ٩ - يَتَفَكَّرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِأَهْلِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي شَأْنِهِ غَائِبَةٍ
- ٢ - فِهْرَسُ قَوَاعِدِ النُّبُوَاتِ
- ٢٠١ - الْأَنْبِيَاءُ لَا يَسْأَلُونَ الْمَحَالَّ بَلِ الْمُحْتَمَلِ
- ٣ - فِهْرَسُ قَوَاعِدِ السَّمْعِيَّاتِ
- ٢١٤ - لَيْسَ فِي صَرِيحِ الْعَقْلِ مَا يُجِبُّ الْغَيْبَاتِ
- ٢١٤ - مَا تَبَيَّنَ بِالْعَقْلِ مِنَ الْغَيْبَاتِ لَا يَجُوزُ إِتْكَارُهُ بِالْعَقْلِ
- ٢ - فِهْرَسُ الْقَوَاعِدِ الْأَصُولِيَّةِ
- ١ - فِهْرَسُ الْقَوَاعِدِ الْأَصُولِيَّةِ الْكُبْرَى
- ٧٩ - الْأَعْتِمَادُ فِي الشَّرِيعَةِ يَكُونُ لِلْعَاقِلِ وَالْأَعْمَى
- ٢٦٥ - الطَّاعَةُ بِالْمَعْرُوفِ لَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ
- ١٣١ - الْقُرْآنُ تَمَثُّلُ رَأْيٍ وَاجْتِهَادٍ
- ٢١ - أُنْزِلَ اللَّهُ الْوَحْيَ بِلسَانِ خَزْمَةٍ مُبِينٍ
- ٢٧١ - كُلُّ شَيْءٍ لَا تَنْبَغِي إِلَيْهِ الصَّحَابَةُ يَتَوَلَّفُ فِيهَا
- ٢٦١ - يَجِبُ تَغْلِيظُ صَلَاحِ الدِّينِ عَلَى صَلَاحِ الدُّنْيَا عِنْدَ التَّرَاضُعِ
- ٧٣ - يَنْفَى اللَّهُ عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ يُعَيَّنُ سَعَةُ الْخَلَالِ
- ٢ - فِهْرَسُ قَوَاعِدِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ
- ٧٩ - الْعَصِيُّ غَيْرُ مُكَلَّفٍ
- ٣ - فِهْرَسُ قَوَاعِدِ الْأَهْلَةِ
- ٢٧٢ - إِذَا تَبَيَّنَ إِجْمَاعُ النَّاسِ، فَلَا يَجُوزُ الْخُرُوجُ عَنْهُ
- ٢٧١ - إِذَا صَحَّ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ، فَلَا يَجُوزُ الْمُنَازَعَةُ فِي ذَلِكَ
- ١٣٢ - الْأَصْلُ فِي مَرَاثِلِ النَّاسِ الْتَوَلَّفُ

الصفحة	القاعدة/الكلمة
١٣٢	- قول التامع ليس حجة مقطوعة في الفروع والأصول
٢٧٢	- لا يجوز استنباط حكم يخالف قول أهل الصلح الأول
	٤ - فهرس قواعد دلالات الألفاظ
١٣٧	- إذا أخذ العمل بالمصنوع، لم يحتل إلا على الحقيقة
١٤٥	- إذا نكح على المستقبل
٦٥	- الاصطلاح والوضع الشرعي مقدم على الوضع اللغوي
٤٧	- السياقي مُحْكَم في تفسير النصوص
١٠٤	- سياقات الكلام لا بُدَّ من معرفتها لتحديد الألفاظ
١٢٦	- على نكح على العلق والفوقية
١٣٢	- كل اسم له معنى يثبت له الاسم والمعنى جميعاً
٦٥	- لا يجوز تقديم الوضع اللغوي على الوضع الشرعي
٢٧٥	- ما تأوله الشفأ تأولناه، وما غولوا به غولناه به
١٠٠	- معرفة سياقات كلام الأئمة مفسرة لألفاظهم المتناوذة في الاستعمال
٦٤	- يجب اعتبار السياقي والقراني وأحوال المتكلم والمخاطب
١٤٩	- يُطلق العموم في القرآن وله ما يخصه من الجنس وغيره
	٥ - فهرس قواعد التلخيص والترحيل
٢٧٦	- كل نزاع وخلاف في الدين يجب رجوعه إلى الوحي
٢٧٥	- لا تُعارض المسئلة برأي، ولا تُناقض بقباس
	٦ - فهرس قواعد الاجتهاد والتقليد
٢٧٨	- المشقة في الأخكام تأجور فإن أخطأ
	٤ - فهرس القواعد المعيشية
١٣٢	- الأصل في مراسيل التبيين التوثيق
١٣٢	- قول التامع ليس حجة مقطوعة في الفروع والأصول
	٥ - فهرس العقل والحكم على الحديث والأثر
٨٣	- أئني جنونك على الصلاة والسلام، فقال: يا مُحمَّد...
٧١	- الأحاديث الواردة في الأمر بالهدوء بالشملة والخمالة مطروقة

الصفحة

المادة الكلية

- ١١٩ - الكرسي جلّم الله
 ١٢٠ - الكرسي قدراً الله
 ٢٤٩ - إِنْ يَلْقَئِمْ مَلَفَةً، فَرِحَ مَنْ أَحَدُ كَافٍ بِهَا، لَنَجَا سَقَدُ بِنُ شَقَاوُ
 ٨٣ - حديث الصلاة على النبي عند دخوله المسجد، وعند الخروج منه
 ٢١٤ - وثقة الصراط ليس فيها شيء مرفوع
 ١٢٤ - عثر عن الاستواء بالجلوس
 ٢١٠ - لا يثبت في حجم الوزان حديث
 ١١٢ - ما السّمواتُ الشّيع في الكرسي، إلّا تَخَلَّفُوا شَقَاوُ بِأَرْضِي فَلَاوُ...
 ٢٢٢ - وَإِنْ خَالَفُوا إِمَامًا جَائِرًا فَلَا تَقَاتِلُوهُمْ (الخوارج)
 ٦ - فهرس القواعد والضوابط الفقهية
 ٢٥٩ - تكون طاعة الإمام بما يُكَيِّمُ الدنيا
 ٢ - فهرس الفروق
 ٤٢ - الفرق بين أهل الحديث وأهل الكلام

٧ - معجم الموضوعات ورؤوس المسائل

المسألة	الموضوع / رأس المسألة
	ابن أبي زيد القيرواني
٣٩	- تقرير القول بانتساب إلى المذهب الأشعري
٣٨	- تناول على أبي ثعلاب
٣٧	- تناول على أبي الحسن الأشعري
١٦	- دفاعه عن منهج السلف ومذهبه
٣٢	- ردّه على أبي قسرة الجبلي الفلسفة المشائية
٣٢	- ردّه على أبي القاسم اليكزي الفكر الإضرافي الصوفي
٣٢	- ردّه على أبي طالب شيخ المعتزلة
٣٠	- ردّه على الظاهريّة
٣٦	- ردّه على علي بن أحمد البغدادي داعية الاعتزالي
٣٢	- مكاتباته إلى أبي بكر الباقلاني في الكرامات عند المعتزلة
٣٩	- موافقة من فضّل الأسماء والصفات
	ابن تومرت
٥٢	- مذهب المذبي بين الأشاعرة والمعتزلة
	أبو المعالي الجويني
١٣	- استعمل إطلاق القول بأن المذهب حائلي أصالة
١٣	- القدرة الحادثة تؤثر في مقدورها عند
١٣	- فعل العبد واقع بقدره ثقلاً
١٣	- قدرة العبد منفردة بالناسخ في فعله
١٢	- مخالفة بعض أصول المذهب الأشعري

الصفحة	الموضوع / رأس المسألة
	أحاديث الصفات
١٠٠	- رواية الأئمة [إمام] واحترازهم من سوء فهمها
	أدب التأليف
٧٤	- بيان سبب تأليف الكتاب
	أضراط المسألة
١٩١	- الأحاديث الواردة فيها
١٩١	- أنواعها
	أفعال العباد
١٩٢	- خلقها
	الإرادة
١٠	- تعالى الله أن يتكون في ملكه عا لا يربط
	الاستواء على العرش
١٢١	- إثباته
١١٣	- الاستواء على العرش
١٢٦	- التعبير عنه ببعض لوازمه
١٢١	- حقيقته
١١٣	- حكاية الإجماع على إثباتها
١٢٨	- سبب تأويله
١٢٥	- معناه في اللغة
١٠٩	- من شبهات بعض من شككها
١٢١	- مواضع ذكره في الكتاب الكريم
١٢٧	- بحسب إنبات الاستواء حقيقة، وتقرى كنهه
	الإسلام
١٨١	- الإسلام وحرية الدين
	الإسلام والإيمان
٢٢٨	- الإسلام أوسع دائرة من الإيمان

الصفحة	الموضوع / رأس المسألة
٢١٨	- العلاقة بينهما
	الاسم والمسمى
١٣٣	- العلاقة بينهما
	الأسماء الحسنی
١٣٢	- إثباتها
١٣٢	- معنى إحصائها
	الأسماء والأحكام
١٢	- الفضل الشخصی الخلقاء الزائغون المتهبون
١٢	- الإنسان عتاً شجرة بين الصحابة
٢٣٣	- التكفير بالذنوب، وأحوال الطوائف
٢٠٣	- الجنة والنار، ولئن أعتقما الله
١٧٩	- حكم البيع بين غير الإسلام
١٩٤	- حكم أصحاب الكبار
١٩٤	- حكم من مات ولم يشبه بين قلبه
	- غير القرآن الذين رأوا رسول الله، ثم الذين يلوونهم، ثم الذين يلوونهم
٢٤٥، ١٢	- لما عتق الله لبيابو المؤمنين الحسنات، وصنع لهم بالثوب عن كتابي
١١	المسائل
٢٣٣	- لا يحيط الإيمان والعقل إلا الكفر والشرك
١٢	- لا يكثر أحد بين الصحابة إلا بأحسن ذم
١٢	- لا يكثر أحد يلقب من أهل النبوة
١٩٥	- مصر من دخل النار من عصاة السليبي
٢٤٩	- من سئل عينا في قلبه على الصحابة كافر
٢٤٩	- من طعن في جرعي عائشة كفر
٢٤٩	- من طعن فيمن نوازه فضلة كفر

الموضوع / أو اسم الصفة

الصفحة

الأسماء والصفات

- ١١ - إثبات رتبة المؤمنين رتبتهم في جنات النعيم
- ١٢٩ - إثباتها
- ٦١ - اعتقاد السلب فيها
- ١٠٢ - الإشارة بالتي عند الحديث عن صفات الرب
- ٨٧ - الإساءة عن الضمير في كيفية الصفات السالبة
- التحذير من التفسير، وحكم التعبير عن الصفات بما لم يرد في الشرع بين الإشارة والكلام
- ١٢٢
- ٨٥ - الله هو الأول، فليس قبله شيء، وهو الأخير؛ فليس بعده شيء
- ٩٦ - إيراد نصوح الصفات لا ينافي الإقرار بحقيقتها
- ٨٨ - أنواع ظاهر الصفات
- ١٢٩ - قديمها
- ١٢٩ - كونها غير مخلوقة
- ٨٩، ٩٠ - لا تبلغ ثمة صفات تسمى الواصفون، ولا يجيب بأنهم المتفكرون
- ١٣٠ - ما ورد منها عن الصحابة والتابعين
- ٣٥ - ملحق منقضي المغايرة فيها
- ١١١ - نفي بعض الصفات لأجل تولد إحاطة المخلوقات بالخالق

الأسماء

- ١٧٢ - تأثرهم في القول بالكسب بالضراريك والتجاريك

الإمام مالك

- ١٣٨ - ثبت على القائلين بكلقي الفرقان
- ٥٣ - موافقة من علم الكلام
- ٢٢٦ - نقصان الإيمان منه
- ٥٥ - نفي عن علم الكلام، ومراه منه

الإمامة

- ١٣ - الكفاية لأئمة المسلمين، من ولاه أمورهم وعلمائهم

الصفحة

الموضوع / رأس المسألة

- الإمامة العظمى
- ٢٥٩ - الخروج على الحاكم المسلم
- ٢٥٩ - الخروج على الحاكم المسلم بشبهة كفر أو توهم مكفر
- ٢٦٢ - التصحُّح للأئمة
- ٢٥٩ - بقاء المسلم بلا تبعٍ لإمام
- ٢٥٩ - تكون طاعة الإمام بما يقيم الدنيا
- ٢٦١ - شروط الخروج على الحاكم
- الأهواء والبدع
- ٢٠ - بيحاطة العقل وبهما
- الإيمان
- ٢٣١ - أثر إخراج العمل منه
- ٢٢٨ - الاستثناء في الإيمان شيئاً لا يجوز
- ٢٢٧ - الاستثناء فيه
- ١٢ - الإيمان قولٌ باللسان، وإخلاصٌ بالقلب، وعملٌ بالحواس
- ٢٢٨ - الإيمان قولٌ وعمل
- ٢٢٣ - الإيمان يزيدُ برباطة الأختار، وتقصُّر بقلبيها
- ١٢ - الإيمان يزيدُ برباطة الأختار، وتقصُّر بقلبيها
- ٢٢٨ - حقيقة الاستثناء منه
- ٢١٥ - حقيقة
- ٢٢٩ - حكمُ ناره في العمل كله
- ٢٢٦ - زوال الإيمان وكماله
- ٢١٦ - طوائف الثلاثة فيه
- ٢٣٣ - لا يحيطُ الإيمانُ والعملُ إلا بالكفر والشرك
- ٢٣٢ ، ٢٢٨ ، ١٢ - لا يَحْتَمِلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْفِعْلِ، وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٍ إِلَّا بِقَوْلٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَفِيهِ إِلَّا بِمُؤَافَقَةِ الشَّيْءِ
- ٢٢٨ - ما يدخل فيه
- ٢٢٩ - من انفى عن العمل كله، كمن انفى عن القول كله

- الإيمان بالكتب
 ۱۸۵ - الإيمان بالكتب السماوية، والجمعة بين إرسال الرسل
- الإيمان بالملائكة
 ۲۴۱ - أدلة وجوب
 ۲۴۱ - الإيمان بهم وكن من أركان الإيمان
 ۲۴۲ - عدد الملائكة ووظائفهم
 ۲۴۳ - كل الملائكة بيّات مكرّمون
- البدعة
 ۲۷۷ - المجهول بدعة
- التأويل
 ۴۶ - التأويل في كلام بعض أهل السنة
 ۱۰۵ - تولي التوازم الباطلة يفضي إليه
- التشبيه
 - التحليلية، وحكم التعبير عن الصفات بما لم يورد في الشريعة من الإشارة
 ۱۲۲ والكلام
 ۹۳ - لا يلزم من إثبات حقيقة الصفات التشبيه
 ۱۰۰ - لا يلزم من تزييد الله عن التشبيه نفي الحقيقة عن صفاته
- التعطيل
 ۹۳ - أسبابه
 ۱۰۵ - تولي التوازم الباطلة يفضي إليه
 ۹۳ - لازم نفي الصفات التعطيل
- التعليم
 ۷۸ - تعليم الصغير اثبات في قلبه من تعليم الكبير
 ۷۷ - فصل تعليم الصغار والأمر به
- التفويض
 ۹۸ - ادعاء أن التفويض ياحته التعطيل
 ۹۵ - ادعاء نسبة التفويض إلى السلف

الموضوع/رأس المسألة	الصفحة
- أسبابه	٩٢
- الشهادة في مقالات التكاليف	٩٤
- الإقرار بالثبات الصلة يُجَلُّ التفويض	١٣٥
- التفويض في كلام بعض أهل السنة	٤٦
- تاريخ مذنب التفويض	٩٣ ، ٩٥
- تولمُّ التوازم الباطلة ينهي إليه	١٠٥
- حضوره في مقالات أبي الحسن الأشعري ومصور الماتريدي	٩٤
- شيوخ مقالة التفويض في بلاد المغرب	٩٩
- حفيد التفويض	٩٢
- لم يؤثر التفويض من أحد بين الصحابة والتابعين	٩٣ ، ٩٥
- نشأة مقالة التفويض وشيوخها	٩٧
الوحيد	
- أعظم الواجبات معرفة المخلوق، والناية من الخلق	١٥
- الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له	٩
- بدء مباحث الأصول بقرينه	٨٥
- سبب الوقوع في الشرك	٩٠
- ليس لأوليئهِ الجناء، ولا لأبهرِكِهِ الخيضاء	٩
- معرفة الله بأياته الكونية	٩٠
الجدل والمناظرة	
- التحليل بين الجدلي والبرزالي في الدين	٢٧٨
- الجدال والنزاع الزائد يُروِّج الصفاء والمكاشفة	١٥
- بيان الحق بكونه من أصول، بلا جدالي ولا مراو	١٥
- ترك البرزالي والجدلي	٢٧٦
- قسّر الجدلي والبرزالي وأهله	٢٨٠
الحديث الشريف	
- الإجماع على ترك العمل بالحديث	٢٧٤

الصفحة

الموضوع / راسم المسألة

	الحرف والصوت
١٤٤	- لم يُعرّف الخلاف في إثباتهما قبل ابن خُلّاب
١٤٣	- نشأة الكلام في المسألة
	الحلال والحرام
٧٣	- منعة الحلال، وبيان الحرام
	الحوض
٢١٤	- أحاديث إيجاب بلق بلق الثواب
٢١٥	- التوضؤ قبل الصراط في التوقف
٢١٥	- إنكار المأثورين إياه
٢١٤	- قوة أهل البدع والتبديل عنه
٢١٤	- لا يُعزّب منه إلا نفس مؤمنة من أمّة محتبة
٢١٥	- للأنبياء حوض لهم ولأمّتهم
٢١٤	- من شرب منه لا يظنأ أبداً
	الخلاف العقدي
٤٢	- الحديث والكلام، وأثرهما في الخلاف
	الخراج
٢١٩	- أسباب الانتفاء برأيهم
٢٢٠	- الشفاعة الجامعة لهم
٢٢٣	- الموازنة بينهم وبين المرجعة
٢٢١	- شدّة عبادتهم
٢١٨	- فتنتهم في التكفير بغير مكفر من الذنوب وسائر الأعمال
١٩٦	- مقالتهم في صاحب الكبيرة
٢٢٢	- نُضجهم قبل قتالهم
	الذات الإلهية
٨٧	- الإسماء عن التشكّر في كيفية ذات الله
٨٦	- حكم التشكّر في ذات الله

الصفحة	الموضوع/رأس المسألة
٩	- يَغْتَرُّ الْمُتَكَبِّرُونَ بِهَايَةِ، وَلَا يَفْتَكِرُونَ فِي عَاجِزِهِ نَاقِيَةٌ
	الرخصة
٢٥٧	- فَتَنُهُمْ إِذَا تَمَكَّنُوا
	الردة
١٨١	- حُرْمَةُ الدِّينِ
١٨٢	- شُبُهَاتٌ فِي حُرْمَةِ تَرْكِ الْإِسْلَامِ
١٨١	- مَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ، فَلَا يَنْتَقِ الْخُرُوجَ مِنْهُ بِحَالٍ
	السببية
١٧٣	- الْحَتْمَةُ الشَّيْئَةُ
	السلف
٦١	- احْتِثَاتُهُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ
٢٦٩	- حَقِيقَتُهُمْ
١٠٠	- رَوَايَةُ الْأَمَةِ لِأَحَادِيثِ الشُّفَاتِ، وَاحْتِرَازُهُمْ مِنْ سُوءِ فَهْمِهَا
٢٧٠	- سَبَبُ تَفْضِيلِهِمْ
٢٦٩	- فَضْلُ الشُّلُبِ وَأَتْيَاؤُهُمْ
٢٦٩	- نِسْبَةُ هَذَا الرَّصَبِ بِالشَّقِيقَةِ
	السمع والطاعة
٢٦٤	- الْخَطَأُ فِي تَصْوِيفِهَا
	السميات
٢٣٧	- أَرْوَاحُ الْكَافِرِينَ فِي الْقَابِئَةِ
٢٣٥	- أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِ وَأَسْرَافِهَا
	- أَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّعَاةِ بَاقِيَةٌ قَائِمَةٌ إِلَى يَوْمِ يُنْعَثُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشُّكَاةِ مُعَلَّقَةٌ
١٢	إِلَى يَوْمِ الدِّينِ
١٩١	- أَشْرَاطُ السَّاعَةِ
٢٤١	- الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي إثْبَاتِ شَعَةِ الْقَبْرِ
٢٤٣	- الْأَرْوَاحُ وَقَبْضُهَا

المصاحف	الموضوع / رأس المسألة
٢٤١	- الإيمان بالملائكة وعن من أركان الإيمان
١٢	- الإيمان بخوضي رسول الله
٢٠٤	- الجنة والنار عظماء، أجاب الجنة والمنجى، والنار والمنجى
٢٠٤	- الجنة والنار لا يظلمون ولا يظلمون
٢٠٣	- الجنة والنار، ومن أعتقها الله
١٩٢	- الحساب والعقاب
٢١٤	- الخوض الموردة
١٢	- الخوض لا يظلم من ضرب به، ويؤاد عنه من يظلم وعقير
١٢	- الشهادة أحماء جنة ربهم يزدلون
١١	- الصراط عظماء، يكرهوا الجناد يظلم أعتقهم
٢١٢	- الصراط وأحوال الناس فيه
٢٣٨	- العذاب والنعم في البرزخ يكون للروح والبدن جميعاً
٢٣٨	- القبر وفتنة
٢٤٤	- الملك الموكل بالروح عند قبورها، غير الملك الموكل بالروح عند قبورها
٢٠٩	- الميزان عن
٢٠٩	- الميزان والوزن
٢٠٩	- الميزان ووزن الأعمال
١٨٩	- الفتح في الصور
١٩٠	- بحث الأجساد وجزاؤها
٢٣٩	- تبدأ حياة البرزخ بين خروج الروح ومفارقة الدنيا بالتموت
٢١١	- تكلم الملائكة ما يمتلئ الجناد بين حسرات ومساكنات
٢٣٩	- تواترت النصوص في حياة البرزخ وفتنة القبر وحلها
١١	- توضع التوازن يوم القيامة لوزن أعمال الجناد
١١	- تجل الله الكافرين به مشهورين عن ذلك
٢٠٣، ١١	- جنة الآخرة من التي أعتق الله بها آدم نية وخلقته في أرضه
٢٣٩	- حكمة فتنة القبر وحلها
٢٠٤	- خلق الجنة والنار

المصاحفة

الموضوع / رأس المسألة

- ١١ - خلق الله الجنة فأدخلها قار خلقه لأزواجه
 ٢٠٤ - خلق الله النار فأدخلها قار خلقه لمن كفر به
 ١١ - خلق الله النار فأدخلها قار خلقه لمن كفر به
 ٢٠٥ - خلقه الجنة والنار
 ٢١١ - صحائف الأعمال، وكيفيته استلواها يوم القيامة
 ٢٤٠ - عذاب القبر حق، ثبت فيه الدليل من وجوه كثيرة
 ١٢ - على الأبياء حفظه يثبثون أعمالهم، ولا يهلك شيء من ذلك عن علم ربهم
 ٢٤١ - كتابة الأعمال على المكلفين
 ٢١٢ - كيف يؤتى كتابة؟
 ٢١٤ - لا يجوز إنكار الضوابط بمجرد النقل
 ٢٣٥ - للأرواح سفر غير الأبدان بعد موتها
 ٢٣٦ - تستغر أرواح الشهداء
 ١٢ - تلك المذرت ببعض الأرواح يفتن ربو
 ١١ - من عاقبة الله بكرة، أخرجه منها يومئذ، فأدخله يومئذ
 ٢٤٤ - خلق الروح
 ١٩٠ - وأعطيت في القضاة
 ٢٣٩ - حبس الإيمان بحياة البرزخ
 ١١ - نجيء الله يوم القيامة لغرضي الأسم وجناتها
 ١١ - يخرج من النار بشفاعة النبي، من خلق له من أهل الكتاب من أمة
 ١٢ - يفتن الشيطان في قلوبهم ويضلون
 ٢٤٥ - يكون لبعض الأرواح بعلم الله وحده، لا يستطيعون ساعة ولا يستأجرون
 ١١ - يلقى الجناد صخايفهم بأعمالهم
 ٢١٢ - يؤتى الكافر كتابة يشالو من وراء ظهره
 ٢١١ - يؤتى المؤمن كتابة يسير إمرأته وشاره له

الشفاعة

- ١٩٦ - إثباتها أحكامها
 ١٩٦ - الشفاعة حق لا ينكر أصلها مسلم

الصفحة	الموضوع أو رأس المسألة
١٩٧	- العناية منها
١٩٧	- أنواعها
١٩٨	- شروطها
	- الصحابة
٢٧٢	- الاستدلال بحديث يخالف الصحابة
٢٥٦	- الإساءة عنها وقع بينهم
٢٥١	- التفاضل بين الصحابة
٢٥٢	- التوسع في التفضيل بين الصحابة
٢٥١	- المفاضلة بينهم
٢٤٨	- الوقوع فيهم
٢٥٦	- امتحان أهل المغرب بهم
٢٧١	- تعظيم فقه الصحابة
٢٥٤	- حكم ما سخر بينهم
٢٥٣	- ظهور الظن في الصحابة في المغرب
٢٥٤	- لا يحدث بما وقع بين الصحابة من خلافه ونزاع
١٣١	- مرقئتهم من قضيّة الأسماء والصفات
	الصحابة الكرام
٢٤٧	- فضلهم، وتفاضلهم
	الصراف
٢١٣	- حقيقته
٢١٤	- لا يجوز إنكاره بمجرد العقل
	الصفات
٩٢	- الحق نفي تشبيه الصفات، لا نفي حقيقتها
	الصفات الإلهية
١٣٥	- الإقرار بالبات الصفة يُطلّق القويض
١٣٣	- حقيقتها

الصفحة	الموضوع / رأس المسألة
٩٣	- لازم نفي الصفات التعطيل
	الصفات الخيرية
٢٠٦	- الإتيان والمجيء بين الصفات التعليلية والخيرية
	الصفات القلبية
١٢٩	- أدلة إثباتها
	الصلوات
٧٩	- سبب تخصيصها بأمر الصغير بها
	الصلوة على النبي
٨٤	- حكم الصلاة على غير النبي
٢٨٢	- ختم الكلام بها
٨١	- فعلها
٨٣	- ما يُجزئ منها
٨١	- مشروعيتها في المصائب
٨٢	- موانعها
٨٢	- هي من أعظم أسباب مكفرات الذنوب
	العلم بالجهل
٧٦	- مجزئ الجهل مع إمكان رفقه لا يقوم علماً
	العرش
٩	- الله على العرش استوى، وعلى الملك استوى
١٢٢	- ما تُطيلُه العرب عليه
	العقل والنقل
٥٣	- العلاقة بينهما
	العلم
٧٣	- الغاية من العلم: العمل بالمأمور وترك المحذور
٧٦	- تعليم الأولاد الحق والخير واجب

الصفحة	الموضوع / رأس المسألة
١٩	- فضل العلم وأفعاله
	العلم الإلهي
١٢٠	- إعطاء علم الله بكل شيء
١٦٦	- علم الله بكل شيء
١٠	- علم كل شيء قلة، فجزى على قلة
١٠	- لا يكون بين جليلي قول ولا عقل إلا سبق جليلة به
	العلم
٩	- الله فؤاد عزيمو المجيد وثابتة، وفؤاد في كل مكان بولوية
	الفن وأثره الساحة
٢٢٢	- الموقف عند اجتماع الضلالت
	الفضائل
٢٥٢	- التوسع في الفضل بين الصحابة
٢٥٣	- المفاضلة بين حسان وعلي
٢٥٣	- ترتيب الحلقاء الراشدين في الفضل كترتيبهم في الخلافة
٢٤٧	- فضل الصحابة، وثقتهم
٢٤٥	- فضل خير القرون
	الفكر الأعزلي
٥٢	- جذوة الفكر قبل نشأته
٣٥	- رواجه في بلاد المغرب العربي
	الفكر الاعزالي
٦٧	- انتشاره في كثير من أهل العربية
	الفلسفة
٦٠	- كلما تعمقوا في الفلسفة، ازدادوا حزناً وخيرة
	الفلسفة
٦٠	- بدأ الداعين فيها بشوة، ثم يحيى بخيرة

المسألة

الموضوع / رأس المسألة

القرآن الكريم

- ٦٥ - العمل في القرآن على الأتية في الآخر، والاصح في الرواية
- ١٥٥ - القرآن كلام الله غير مخلوق
- ١٠ - القرآن كلام الله، ليس بمخلوق قبيح، ولا يملأ لمخلوق فيلذ
- ٦٥ - أمية القرآن لا تشمل في القرآن على الأتية في الآخر، والاصح في الرواية
- ٢٧٩ - حسن التصديق وشوقه، وأثره على فهم القرآن
- ١٨٦ - مصدر تفسيره
- القضاء والقدر
- ٢٦٨ - ابتلاء المصلح
- ١٥٦ - أدلة إثباته من الكتاب والسنة
- ١٦٢ - أعمال الجنان وحققها
- ١٦٨ - الأمر بالإسلام عما سكت عنه الشرع في القبر
- ١٥٦ - الإيمان بالقدر
- ١٠ - الإيمان بالقدر خيره وشره، مخلوق وقدره، وكل ذلك قد خلقه الله ربنا
- ١٦١ - الجنان فيه
- ١٦٥ - العلم بالأسباب لا يخرج صاحبه من فقه الله
- ١٥٧ - الفطرة فاضلة بالإيمان به
- ١٥٩ - الله لا يفتن لعباده شرًا محضًا
- ١٦٨ - المشايق في القدر
- ١٦٣ - أمر الله ونهيه وقدره، وتوهم بعض النفوس الظلم
- ٢٦٨ - تبرئة المصلح
- ١٥٨ - تقدير الخير والشر
- ٢٤١ - كتابه الأعمال على المكلفين
- ١٠ - كل منتهى بتوجيه، إلى ما سبق من جلوه وقدره، من خلق أو سجد
- ١٥٩ - لا يخلق الله شرًا محضًا، ولا راجعًا ولا مساويًا
- ١٠ - لا يكون من جناب قول ولا عمل إلا وقد قصد
- ١٦٠ - لا ينسب الشر إلى الله

الصفحة	الموضوع / رأس المسألة
١٠	- تفويض الأمور بغيره، وتخصيصها عن لسانه
١٧٤	- نفى القدر بلام منه المعجز
١٠	- يُعَيَّلُ مَنْ يَشَاءُ فَيُخَلِّقُهُ بِمِثْلِهِ
١٠	- يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُرِثُهُ بِمِثْلِهِ
	الكتب السماوية
١٨٥	- الإيمان بها من أركان الإيمان
١٨٥	- الكتب ثلثها تدعو إلى أصل التوحيد
١٨٥	- المكتوب براحم منها مكتوب بها جميعها
	الكرسي
١١٨	- إثباته، ووروده الأول به
١١٩	- الكرسي موضع الملائكة على ما يليق بالله
	الكتب
١٧٢	- القائلون به
	الكفر بالله
١٧٩	- أسبابه
	الكلام النفسي
١٤١	- أصله في القول به
١٤١	- الضرر بين وبين الكلام اللطيف لا يُعَرَّفُ قِيلَ ابْنِ ثُلَوب
	المالكية
١٣٨	- ثباتهم في فتنة علي التراقي في المدينة ومصر
	المتكلمون
٤٢	- الحديث والكلام، والزهدي في الخلاف
٦٦	- تدرجهم بقواعد الحق لتأييد بدعهم الكلامية
٦٤	- خطأ المتكلمين في استعمال اللغة
٥٣	- ضعف إمامهم بالحديث والآثار

الموضوع / رأس المسألة	الصفحة
المحيي	
- إثباته هو تعالى	٢٠٦
- إثبات المحيي هو يوم القيامة	٢٠٧
- تقرير ما روي عن الإمام أحمد من تأويله	٢٠٧
- حكاية الإجماع على إثباته	٢٠٧
الملعب المالكي	
- أصحاب مائل بين المغاربة في حياته	٤٠
- أسرته وقروعة	٤٠
- شيوخه وانتشاره في بلاد المغرب	٤٠
المرجئة	
- الموازنة بينهم وبين الخوارج	٢٢٣
- ملوكهم في باب الإيمان	٢١٦
- مراتبهم في باب الإيمان	٢١٦
المشقة الإلهية	
- مشقة الله وقسوته على خلق أعماله الجبار	١٦٧
المعتزلة	
- مقالاتهم في صاحب الكبرية	١٩٦
المعطلة	
- من شبهاتهم	١٣٧
المنهج القديم	
- اتباع السلف الصالح، وإحياء آثارهم، والاستيفاد لهم	١٣
- ترك البراء والجدال في الدين، وترك ما أحققت التحقيقات	١٣
- حفظ العقول والنقل	٢٠
- فصل كُتب الزمان والمكان الأولي	٢١
النبرات	
- الأنبياء يتفاضلون فيما بينهم في الإيمان المستحب	٢٢٦

الصفحة	الموضوع / الراس المسألة
١٧٧	- الإيمان بجميع الرسل واجب
١٧٦	- الغاية من إرسال الرسل
١٧٧	- الكافر بواحد من الرسل كافر بجميع الرسل
١٧٨	- أوجب الله على جميع الأنبياء اتباع محمّد
١٧٧	- نتائج الرسل
١٧٧	- يخاتم رسالة النبي، وختموها
١٠	- ختم الله الرسالة والنبوة بالخير
١٨٠	- ختم النبوة بيعة شعب
١٧٦	- رسالة النبي، وكتابه
١٧٩	- شريعة الإسلام تأسس على الشرائع قبلها
١٧٧	- عموم رسالة النبي لجميع الأمم
١٨٧	- يجب الإيمان بكل ما جاء الرسول
	القول
١٥٣	- إثباته تعالى
	الواقعة
١٤٨	- حقيقة قولهم
١٤٨	- سبب تشديد الأمانة على الواقعة
	اليوم الآخر
٢٣٥	- أرواح النور وأرواحها
١٩١	- أرواح الساعة
٢٤٣	- الأرواح ولحمها
١٨٨	- الإيمان بالبعث بعد الموت بين أركان الإيمان
١٨٨	- الإيمان بالقيامة وما فيها
١٩٢	- الحساب والعقاب
١٠	- الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من يشاء، فنحن بتألفهم يقرءون
١٩١	- تنزيل أرواح الساعة على الواقعة

الموضوع / رأس المسألة	الصفحة
- وَكُرُّهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ	١٨٨
أما بعد	
- استعمالها في الكلام	٧٤
أهل الحديث	
- الحديثُ والكلام، وأثرهما في الخلاف	٤٢
أهل السنة والجماعة	
- إجماعُهم على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسُّنَّة	٤٦
- الفرق بينهم وبين المرجئة	٢٦٢
- شجرتُ احتيادهم في الله تعالى	٨٥
- من كانَ على طريقتهم من علماء اللغز	٦٧
أهل المغرب	
- إثباتُ عقائدهم على شواهد قويمهم	٤٤، ٤٥
- أثر الاعتزال في قبول المغاربة علمَ الكلام الأشعريِّ	٣٧
- أصولُ مالكٍ وفروعه، وأحوالُ أصحابه في المغرب	٤٠
- اعتقاد أهل المغرب	٢٦
- التزامُهم مذَهَبَ مالكٍ	٤٠
- امتحانُهم بفتنِ عليّ القرآن	٤٣
- إنكارُهم إخراجَ العملي من الإيمان	٢١٧
- إنكارُهم مقالةَ الإرجاء	٢٣٢
- أهلُ المغرب أهلُ سُنَّةٍ وأثر	٢٦
- بدايةُ تصنيفهم في المُرَدِّ على أهلِ البدع	٤٥
- بدايةُ رَدِّ المغاربة على المشاركة في الفروع لا في الأصول	٢٩
- نياتُ أهلِ المغرب، وامتناعُهم بعلمِ الكلام	٤٣
- كانوا يسمون القائلين بخلق القرآن: أهل العراق	١٤٠
- لم يأخذ أحدٌ من أعيانِ التفافية المحتبرين عن أبي الحسن الأشعريِّ	٣٣
- ما قرؤوا به من فتن	٤٦

الصفحة	الموضوع / الركن الصلة
٣٥	- مذهب متقدمي العقيدة في الأسماء والصفات
١٣٥	- مصنفاتهم في إثبات حقيق الصفات
٢٠٢	- مصنفاتهم في الرد على منكري رؤية الله
٢١٨	- تَدْنُهُمْ مقالة الكواجر
٣٩	- نشأة التصنيف الكلامي فيها
	أولياء الأمور
٢٥٨	- طاعتهم في المعروف
	آيات الله في الآفاق
٧٢	- الأمر بعبادة الله والتفكير وتبليغ آيات الله
٩١	- التفكير في الملكوت موجب لسؤال النجاة من العذاب
٩٠	- معرفة الله بآياته الكونية
	أئمة المسلمين
٢٥٩	- الخروج على الأئمة وأحواله
٢٦٤	- الخطأ في تصور الشيع والاطاعة
٢٥٨	- الطاعة لأئمة المسلمين في المعروف
٢٦٢	- يجوزهم وظلمهم والخطأ لهم
	بلاد المغرب
٢٤	- هي موضع الفلاسفة في الإسلام
	بلاد المغرب
٢٥	- أثر الفسوف على المغرب
٣٣	- أسباب انتشار علم الكلام فيها
٣١	- أسباب تأخر ظهور علم الكلام في المغرب
٣٤	- أكثر المتكلمين أثرًا في المغرب
٢٢	- المغرب في زمن الصحابة والتابعين
٥٠	- انتشار الفكر الأشعري فيها على يد ابن تومرت
٣٦	- انتقال بعض أهل الفلسفة والكلام من المشرق إلى المغرب

الموضوع / رأس المسألة	الصفحة
- انتقال كتب المشايخ إلى المغرب مع الرُّسل والشُّيوخ	٣٦
- انحصار الفلسفة وعلوم الأوائل فيها	٢٤
- أول ظهور الفكر الاعتزالي فيها، وطبقات المتبعين إليه	٢٧
- أول ظهور الفلسفة المشائية فيها	٣٢
- أثرُ المغرب الذين كانوا على طريقة الشُّكف	١٦
- بداية الخوض في الكلام والفلسفة عند المغاربة وأسباب انتشارها فيها	٣٢
- دخول الإسلام فيها	٢٢
- دواج الفكر الأشعري فيها	٣٥
- شُروع مقالِّ التَّعريض فيها	٩٩
- ظهور الطعن في الصحابة في المغرب	٢٥٣
- ظهور القول بكَفِّ القرآن فيها	١٤٠
- لم يكن فيها حتى المذِّب الخامسُ أشعريٌّ على طريقة المتأخرين	٥٠
- من حَذَلَ الفكرَ الاعتزالي إليها	٢٨
- من دخلها من الصحابة والتابعين	٢٢
- وجوب الاعتزال فيها، وموقف العلماء منه	٢٧
تأويل الصفات	
- ما يُستثنى من محظور	١٢٤
إبطال الصفات	
- سببه	١٣٤
جلال الدين الدواني	
- الحوادث عندَه لا أوَّل لها	٤٣
- الصفاتُ عندَه غيرُ الدائم	٤٣
- مخالفتُه بعضَ أصولِ الملعبِ الأشعريِّ	٤٣، ٤٢
- يقولُ بتَنَيُّنِ الصفاتِ	٤٣
- حقُّ الله	
- كثرُتي معرفتيهِ	٢٧٦

خلق القرآن

- ١٤٠ - أصل القول به مأخوذة من قول اليهود في التوراة
- ١٤١ - أصل فتق القول به
- ١٣٨ - القول به بذهء، لم يثقل بها إمام متبحر
- ١٤٨ - الواقعة في خلق القرآن، وسبب التشديد عليهم
- ١٤٠ - ذكر الله القرآن أربعة وعشرين مرة دون إشارته واحداً إلى خلقه
- ١٣٨ - شدته مالك وأصحابه على الفاطميين به
- ١٤٠ - ظهور القول به في المغرب
- ١٤٩ - من أدلة الفاطميين بخلق القرآن

ذكر الله

- ٦٩ - القرآن المستعمل بالشهادة في الخطب
- ٦٩ - الجذامة به قبل الشروع في المقامات المهمة
- ٧١ - التفرقة بين الخطب والمكاتبات فيما تستفتح به
- ٧١ - تواضع البداهة بالتسليم
- رسالة ابن أبي زيد القيرواني
- ٧٤ - سبب تأليفها
- ٦٩ - شرح مقدماتها

صاحب الكبيرة

- ٢١٢ - كيف يؤتى كتابه؟

صفة التجلي

- ١٥٢ - إثباتها أو نفيها
- ١٥٢ - التجلي صفة لعلية خيرية

صفة الرواية

- ١١ - إثبات رواية المؤمنين رؤهم في جنات النعيم
- ٢٠٠ - أدلة إثباتها
- ٢٠٠ - استغاثات النصوص على إثباتها

الموضوع / رأس المسألة	الصفحة
- التفرقة بين الرقبة والإندراك	٢٠١
- جعل الله الكافرين به شخصيتين عن رسله	١١
- راية الله في الآخرة	١٩٩
- مواضع ذكر لقاء الله يوم القيامة في القرآن	٢٠٠
صفة العلو	
- العلو والنبوة	١٠٧
- حكاية الإجماع على إثباتها	١٠٧
علو الله	١٠٥
- كثرة الأدلة على إثباتها	١٠٥
- من شبهات بعض من عطلها	١٠٩
صفة القدم	
- أدلة إثباتها	١٣١
صفة الكلام	
- إثباتها	١٣٧
- الله متكلم متى شاء بما شاء	١٣٧
- سبب تشديد الأئمة على الواقعة	١٤٨
- كلامه تعالى بائن بين خلقه	١٣٧
- من حكيح لقاء الصوت والحرف	١٤٤
- نشأة الكلام على مسائل الحرف والصوت	١٤٣
عذاب القبر	
- يورثه وأدلة	٢٤٠
علم الكلام	
- أثر الاسترسال فيه	٥٩
- أسباب انتشاره في بلاد المغرب	٣٣
- التعرف على الله به يورث الوحشة	٦٠
- الرأي وجلم الكلام	٥٤

- ٦٢ - المبدأ وعلم الكلام، وأسباب انتشار البدعة
- ٤٩ - انتشار الكلام في متأخري المالكية أكثر
- ٢٥ - سيأتي نشأته ونهايته
- ٢٦ - طريق المتكلمين كلهم طريق واحد بالشرح، وإن اختلفت أمثاله
- ٢٥ - فلسفة اليونان وأثرها على المتكلمين
- ٢٥ - مقالات المتكلمين مبنيّة على مقدمات مأخوذة من اليونان والشرائح
- ٢٤ - مناطق انتشاره وانحصاره
- ٥٣ - موقف الإمام مالك بن أنس منه
- ٥٥ - نهى الإمام مالك عنه، ومرافقة منه
- ٦٠ - يذم الداعل فيه بشبهة، ثم يتمي بخبره
- عمل أهل المدينة
- ٢٧٣ - حقيقة العمل الذي يفتّم على الحديث
- فخر الدين الرزلي
- ٤٣ - الصفات حادثة بسبب وإضافات بين الذات، وبين المعلوم والمفرد والمراو
- ٤٢ - مخالفة بعض أصول الملعب الأشعري
- توابع الحجاج
- ٣٧ - مراتب المخالفين تقتضي مدح الأقرب والأقرب معه
- كلام الله
- ٦٠ - القرآن كلام الله، ليس بمخلوق قبيح، ولا صفة لمخلوق فيلقد
- ملعب الأشعر
- ٤٢ - تشبيههم في الخلاف في العقائد
- ٤٢ - مخالفة بعض أصول الملعب
- ٤٢ - مخالفتهم بتركيز بين التكفير والابتعاد والإثم
- نفي الصفات
- ١١١ - نفي بعض الصفات لأجل توهم إحاطة المخلوقات بالمخال

٨ - فهرس المذاهب والأقوال

الصفحة

المذهب / القول

- ٢٢٩ إبراهيم بن خالد بن أبي اليعنان الكلبي، أبو ثور الإمام الشافعي
- يفرقون بين الشرك الكُلِّي للمعالي وبين الشرك الجزئي
- ٢٤٥ إبراهيم بن يزيد بن عمرو أبو عمران النخعي الكوفي الأحمري
- يمتلك الموت أحوالاً من الملائكة، يَكُونُونَ عن أمرو
- ابن أبي زيد القيرواني
- ٢٦٩ - ألباغ الشلب الضالحي، والنجاء القاري، والإنشقاق لهم
- ٢٣٨ - أزواج الكفار باقية في سبعين
- ٢٣٥ - أزواج أهل الشقاق باقية ناعمة إلى يوم يحشرون
- ٢٣٥ - أزواج أهل الشقاق شقاقة إلى يوم الدين
- ١٤٢ - استمع الله موسى ثلاثة الفلوات بكيفية، لا خلافاً قام بينهما
- ١٥٦ - الإيمان بالغلو خير من وضوء، خلوة ومرة، وكل ذلك قد قلته الله ربنا
- ٢١٤ - الإيمان بموضي رسول الله، تركة أمته، لا يخلص من حريق بيت
- ٢١٥ - الإيمان قول باللسان، وإخلاص بالقلب، وعمل بالحواس
- ٢٧٥ - التسليم للشيئ لا تكاد من رأيي، ولا تفادى بفتاى
- ٢٣٥ - الشهداء أحياء عند ربهم يُرزقون
- ٢١٢ - الضرائع حق، يجرؤة البيداء يلدو أعتابهم
- ٢٥٨ - الطاعة لأئمة المسلمين، من ولاية أمويهم، وعثمانهم
- ١٥٥ - القرآن كلام الله، ليس يسخروني فيه، ولا يهلكوا يسخروني فيفقد
- ١٧٤ - تعالى أن يكون لحائل يشق إلا حوز، وبه الجهاد ووب أعتابهم
- ١٧٤ - تعالى أن يكون في ملكه ما لا يُهد، أو يكون لأعداءه عنة ينش
- ٢٠٩ - توضيح التوازنين لوزن أعتاب البيات

- ١٦٨ - خَدَّنَ اللَّهُ عَنْ عَصَاءٍ وَخَفَرٍ بِهِ، فَاسْلَمْنَا وَنَشَرْنَا بِذَلِكَ فَصَبَّحَتْ رَاضَةً
١٦٦ - عَلِمَ كُلُّ شَيْءٍ قَبْلَ تَوْبَةٍ، فَخَرَجَ عَلَى قَدَرِهِ
٢٤٧ - كُلُّ مَنْ صَبَّحَتْ وَلَوْ سَاعَةً، أَوْ وَكَلَتْ وَلَوْ مَرَّةً، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الثَّابِتِينَ
٢٦٦ - كُلُّ مَنْ زَلَّ أَمَرَ الْمُتَشَلِّينَ عَنْ رِشَا أَوْ عَنْ خَلْقٍ، فَلَا يُخْرِجُ عَلَيْهِ
١٦٧ - كُلُّ مَنْ شَرَّ بِتَسْبِيحِهِ، إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ جُلُوبٍ وَتَقَرُّهُ، مِنْ شَيْءٍ أَوْ سَبِيحٍ
١٦٨ - كُلُّ مَنْ يَنْتَهِي إِلَى سَابِقٍ جَلِيلَةٍ، لَا تَجِيئُ لِأَخِيهِ عَنْهُ
١٣٧ - كُلُّ مَنْ مَوَسَّى بِكَلَابِدٍ أَلْبِي هُوَ صَبِيحٌ كَارِهٌ، لَا لَخْلُفٍ مِنْ خَلْقِهِ
٢٣٣ - لَا يَخْفَرُ أَحَدٌ يَطْلُبُ مِنَ أَهْلِ الْفِتَنِ
١٦٦ - لَا يَكُونُ مِنْ بَيَادِهِ نَوَالٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ كَفَّاهُ، وَصَبَّحَ جِلْنَهُ بِهِ
١٥٦ - تَلَاوِيهِ الْأُمُورِ يَكِيدُ، وَتَضَلُّوهُا عَنْ قَضَائِهِ
٢٥٠ - وَالْأَفْضَلُ الْمُصَاحِبَةُ: الْخُلُقَاءُ الرَّاسِخُونَ الْمُتَهَيِّئُونَ
٢٥٤ - وَالْأَلَا يُلَاحِظُ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا بِأَعْيُنٍ دَهْرٍ
٢٤٠ - يُلَاحِظُ النَّاسَ وَيَكُونُ، وَكَثَبَ اللَّهُ مَنَاجِلَ مَنْ أَحَبَّ تَلِيَّةً
١٦٧ - يُجِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيُخَلِّقُهُ بِخَلْقِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُرِثُهُ بِفَضْلِهِ
٢٣٨ - يَقْتَرِنُ الْمُتَلَوِّينَ فِي سُورِهِمْ وَيَسْأَلُونَ

ابن أبي القبرواتي

- ٢٤١ - عَلَى الْوَبَادِ عَقْلَةٌ يَكْتَتِبُونَ أَغْصَانَهُمْ، وَلَا يَنْتَلِظُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ جِلْمٍ وَنَهْمٍ

ابن حزم المالكى النوسى

- ١٠٨ - اللَّهُ مَسْبُوعٌ عَلَى عَرِيهِ، بَاتٍ مِنْ خَلْقِهِ، قَرِيبٌ لَهُمْ بِجَلْبِهِ

ابن قزوح القاضي القيرواني

- ٢٦٠ - اسْتَهْلَكُوا أَنَّى رَجَعْتُ عَمَّا كُنْتُ أَقُولُ بِهِ مِنْ الْخُرُوجِ عَلَى أَتَى الْخُرُوجِ

- ٢٦٠ - رَأَى الْخُرُوجَ عَلَى التَّحْقِيقِ

أبو الحسن السبكي

- ١٥٣ - فِي التَّوَلَّى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى

أبو العباس الفلاسى

- ١٤٤ - تَأَلَّغَ فِي إِبَابِ الْحَرْفِ وَالصَّوَرِ

المذاهب / الأقوال	الصفحة
أبو العباس بن طالب	
- إثبات رؤية الله في الآخرة	٢٠٠
أبو القاسم الحفري	
- الله مستقر على عرشه، بائن بين خلقه، قريب لهم بجلوه	١٠٨
أبو المطرف المناذمي القرطبي	
- الله مستقر على عرشه، بائن بين خلقه، قريب لهم بجلوه	١٠٨
أبو عبد الله الصالح	
- نازح في إثبات الحرف والصوت	١٤٤
أحمد بن أبي بكر، أبو مصعب	
- الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فمن قال غير هذا فهو كافر	٢٦٦
أحمد بن شعيب بن علي، أبو عبد الرحمن النسائي	
- حيز عن الاستواء بالجلوس	١٢٤
أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني المروزي	
- إثبات أعمال الله الاختيارية على وجوب الحقيقة	٢٠٧
- الإيمان بالميزان من أصول الشريعة	٢٠٩
- التفرقة بين قتال الخوارج لإمام تجزئ وبين قتالهم لإمام غلظ	٢٢٢
- القرآن عرّج من الله	١٥٥
- الله بذاته فوق العرش، ومجلته في كل مكان	١١٣
- الله يتكلم بصوت	١٤٣
- الله يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش	١١٣
- الله يخطب ويرأس ويتكلم بما شاء	١١٣
- الله ينزل إلى سماء الدنيا	١١٣
- النبي من علم الكلام عمومًا بلا استثناء	٥٨
- إن الله تكلم بالصوت والغزل	١٤٤
- بل تكلم بصوت؛ هذه الأحاديث تروى كما جاءت	١٤٤
- توقف في تكفير الخوارج	٢١٩

- ٢٠٥ - جزم بكفر منكر علي الجبوتي والشكر
- ١٢٤ - غير عن الاستواء بالجلوس
- ١٣٦ - قول التابعي لهن شجة مقطوعة في الفروع والأصول
- ٢٥٥ - كان يعزل مجلس عبد الرزاق إذا حدث بأحاديث الخلاف بين الصحابة،،
- ٢٠٦ - كفر من قال بفناء الجبوتي خاصة
- ١٥٦ - كلام الله منه، وليس بماقي منه، وليس منه شيء مخلوق
- ٢٥٥ - لا أجب لأحد أن يكتب هذه الأحاديث التي فيها ذكر أصحاب النبي
- ٢٣٠ - لا يكفر من يجفل الإيمان قولاً واعتقاداً بلا عمل
- ١٤٨ - لا يكون بين أهل السنة، ولا كرامة (الواقعة)
- ٢٣٦ - مسطر أرواح المؤمنين بعد الموت في الجبوتي
- ٢٣٠ - من ترك العقل ثمة حتى يموت كافراً في رواية
- ١٤٤ - في الصور والحرف هو قول الجهمي
- ٢٢٩ - يفرقون بين الترك الكلي للعسل وبين الترك الجزئي
- أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو عمر الطلمنكي
- ٤٧ - إثبات الجنب هو
- أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني، أبو العباس نعلب
- ٦٥ - السنة تكفي على التلوة، والمكة لا تكفي على السنة
- إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، أبو يعقوب الحنظلي النيسابوري، ابن راعويه
- ١١٣ - الله يداي فوق العرش، وجلته في كل مكان
- ١١٣ - الله يري يوم القيامة بالأبصار فوق العرش
- ١١٣ - الله يفضي ويغشي ويكلم بما شاء
- ١١٣ - الله يترى إلى سماء الدنيا
- ١٤٨ - الواقعة شر عني من يقول: القرآن مخلوق؛ لأنه يقتضي به غيره
- ٢٢٩ - يفرقون بين الترك الكلي للعسل وبين الترك الجزئي
- أفلاطون
- ١٥٩ - الشر من الجبل

المصاحف / الأقوال	الصفحة
الأشاعر	
- أفعال العباد الاختيارية بإرادة الله ولقائه وحشة، لا باختيار العبد ولا لقائه	١٧٢
الجهنم بن صفوان بن محرز السمرقندي، رأس الجهمية	
- أفعال الله لها أثر، ومنها الجنة والنار	٢٠٥
- الجنة والنار للكيان	٢٠٥
الجهمية	
- ألقوا أسماء الله مخلوقة	١٣٣
- نفي الأسماء الحسن	١٣٣
الحسن بن يسار، أبو سعيد البصري	
- الكرسي هو القوس	١٢٠
- عز عن الاستواء بالجلوس	١٢٤
- ميزان الأعمال له لسان	٢١١
الخليل بن أحمد بن عمرو بن نعيم، أبو عبد الرحمن الفراءدي	
- تفسير الاستواء بالاستيلاء لا لمعرفة العرب في كلامها	١٢٧
الخوارج	
- الإيمان شيء واحد لا يتجزأ	٢٣٤
- حكم تكفيرهم	٢١٨
- سلب الإيمان من صاحب الكبيرة	٢٣٤ ، ١٩٩
- لا شفاعاة لعصاة المسلمين	١٩٩
- لا يدخل النار إلا نفس كافرة	١٩٩
- لا يزول صاحب الكبيرة مؤبدا	١٩٩
- لا يؤمنون في إثرة على المسلمين	٢١٨
الرافضة	
- لا يؤمنون في إثرة على المسلمين	٢١٨
السلف	
- إتياء الضمة لا يعني تنسيقا، وتقرن الكيف لا يعني تعطيل	٦١

- ١٠٠ - إثبات حقائق الصفات وتعاليلها الصحيحة
- ٩٢ - إثبات حقيقة الصفات، والفرق بين كبريائها
- ١٣٠ - إثبات ما أتته الله لنفسه، وما أتته له نبيه
- ١٢٦ - استواء الله على العرش يليق بجلاله، وتكرره عما يليق بالمخلوق
- ٢٠٥ - الجنة والنار لا تلتقيان
- ٢١٣ - الصراط على
- ١٣٨ - القرآن كلام الله، ليس بمخلوق
- ١١٣ - الله سبحانه بليته فوق العرش، وأن جلته في كل مكان
- ٦١ - الثمن من الجلال في الله وصفاته وأسمائه
- ٢٢٧ - صفة الاستواء في الإيمان
- ١٢٢ - نزهة كبرية الاستواء
- ٦٣ - كانوا يرفعون فهم مسائل الثمن إلى ما تواضع عليه أهل الصدر الأول
- ١٥٥ - كلام الله هو هذا الخارج من السموات والمفرد، والمكتوب والمحفوظ
- ١٣٤ - لا يلزم من إثبات حقيقة الصفات الثنية
- ١٢٢ - لم يكن أحد منهم أن الله استوى على عرشه حقيقة
- ٢٨١ - نهضهم عن مخالطة أهل الأهواء وشجاعتهم
- ٧١ - يندلون كتبتهم بالسلمة قبل الشروع في المقصود
- ٦١ - يثبتون الحقيقة للمنفعة اللاحقة بالله
- ١٣٠ - يثبتون في الأسماء والصفات كما أتته الله لنفسه
- ١٥٢ - يزلون ركباً ويكملون وجهه بلا كبر
- الصحابة
- ١٥٥ - القرآن كلام الله، منه خرج، وإليه يعود
- ١٥٥ - الله الخالق، وما سواه مخلوق
- ١٣٠ - ليست العقائد من موارد النزاع
- الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم الخراساني
- ١٢٠ - الكرمي هو التزم
- التفصيل بن عياض بن مسعود، أبو علي الزاهد الخراساني

المصنف/القول	الصفحة
- الله بلذاته فوق العرش، وجلسه في كل مكان	١١٣
- الله يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش	١١٣
- الله يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء	١١٣
- الله ينزل إلى سماء الدنيا	١١٣
- لا يكفر أحدًا بذهب، ولا يشهد لأحد أنه في الجنة	٢٣٤
المفلاسفة	
- نقوا القلوب	١٠٧
المفسم بن سلام الأزدي البغدادي، أبو عبد القاسم	
- لا نجد بدا من اتباع أهل الحديث من أجل السماع	٦٥
المعانيون	
- إنكار الخوض	٢١٥
- إنكار ضيق القبر	٢٤١
- المالكية	
- القرآن كلام الله، ليس بمخلوق	١٣٨
- أهل الأهواء هم أهل الكلام	٥٥
المتكلمون	
- نقوا القلوب	١٠٧
- يتأولون القول والمجبة وغيرهما	١٥٤
- يقدمون بين الطوائف ما يوافق أصولهم الكلامية	٦٤
المرجئة	
- الإيمان شيء واحد لا يتجزأ	٢٣٤
- لا تفسر التوبة مع التوحيد	٢٣١
- لا يدخل النار أحد من المسلمين مهما بلغ ذنبه	١٩٦
- لا يدخل النار إلا نفس كاذبة	١٩٩
- لا يدخلون النار بالمعاصي أصلاً	١٩٩

الصفحة	المصنف / القول
١٩٩	- لا يَرْوُونَ الشفاعة للمعصاة
٢٣٤	- لا يُؤَكِّدُ الذَّنْبَ عَلَى الْإِيمَانِ
٢٦٤	- يَوْمَئِذٍ مَنْ كَانَ شَدِيدَ الزَّلَاةِ لِلسُّلْطَانِ
	المعصاة
١٣٣	- إثبات الأسماء الحسنَى مجرّدة عن سماتها
١٣٣	- أَطْهَرُوا أَسْمَاءَ اللَّهِ مَخْلُوقَةً
٢٣٤	- الْإِيمَانُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يَجْزَأُ
٢١٥	- إِنْكَارُ الْخَوْضِ
٢٣٤ ، ١٩٦	- سَلَبُ الْإِيمَانِ مِنْ صَاحِبِ الْكِبَرَةِ
١٩٩	- لَا شَفَاعَةَ لِعَصَاةِ الْمُسْلِمِينَ
١٩٩	- لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا نَفْسٌ كَاذِبَةٌ
١٩٩	- لَا يَرْوُونَ صَاحِبَ الْكِبَرَةِ مَوْثِقًا
١٢٧	- نَفَرًا الْأَسْرَاعِ، وَفُسْرَةً بِالْإِسْطِلَاوِ
	النَّجَاةُ
١٣٧	- إِذَا أَتَى الْقَوْمَ بِالْمَصْغَرِ، لَمْ يُحْمَلْ إِلَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ
	اليهود
١٤٠	- التَّوْرَةُ مَخْلُوقَةٌ
	أهل الحديث
٢٥٣	- تَرْتِيبُ الْخُطَايَا الرَّاغِبِينَ فِي الْفَضْلِ كَتَرْتِيبِهِمْ فِي الْخُلَاقَةِ
	أهل السنة والجماعة
٤٦	- الْإِتْرَافُ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ كُلِّهَا فِي الْمَرْكُوبِ وَالشُّكُّ
٢٦٥	- الزَّلَاةُ لِلْإِمَامِ تَحْتَ الْوَلَاةِ لَهُ
٢٧٨	- لَا يُقَلِّدُ مَنْ أَكْثَرُ أَجْزَائِهِ أَعْيَانٌ إِلَى بَدْعٍ
٢٢٩	- لَا يَكْفُرُونَ أَحَدًا بِرُكٍّ شَيْءٍ مَعَيْنٍ مِنَ الْبَاطِنِ أَوْ الظَّاهِرِ
١٣٢	- مِنْ أَسْوَءِ الشُّكِّ التَّمَسُّكُ بِمَا عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ

المذهب/ القول	الصفحة
- يفرقون بين الترك الخلقي للعمل وبين الترك الجزئي	٢٢٩
- يفرقون بين النبي والرأي، ومواهب القطع ومواهب الاجتهاد	٢٢٢
أهل المدينة	
- كانوا ينفردون عن المغربي في علم الكلام	٥٤
أهل المغرب	
- إثبات العلل على الحقيقة	١٠٨
بشر بن الحارث النحلي	
- تشهد أن الله بقول ويخلق، وقوله قول، وخلق خلق، ..	١٥٦
بعض الفلاسفة	
- نفى علم الله بالجزئيات	١٦٧ ، ١٦١
بعض المتكلمين	
- نفى علم الله بالجزئيات	١٦٧ ، ١٦١
حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي الكرمانى	
- إثبات النزول بلا تأويل ولا تشبيه، ولا تكليف ولا تعطيل	١٥٣
حماد بن زيد بن مريم، أبو إسماعيل الأزرق الجيهضمي البصري الضرير	
- الله بلائذ فرق العرش، وعلته في كل مكان	١١٣
- الله يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش	١١٣
- الله يغضب ويغضب ويحكم بما شاء	١١٣
- الله ينزل إلى سماء الدنيا	١١٣
حماد بن سلمة بن دينار، أبو سلمة البصري	
- الله بلائذ فرق العرش، وعلته في كل مكان	١١٣
- الله يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش	١١٣
- الله يغضب ويغضب ويحكم بما شاء	١١٣
- الله ينزل إلى سماء الدنيا	١١٣

- خارجة بن مصعب
١٢٤ - حُرِّجَ عن الاستواء بالجلوس
- سحنون بن سعيد بن حبيب، أبو سعيد القنوي القنوي
٢٥٣ - اُقْبِلْ هذه الآية بعد نبيها أبو بكر وعمر
٢٦٠ - أَلَا تَخْرُجُ عَلَى الْآيَةِ بِالشَّيْبِ، وَإِنْ جَارُوا
٢٠٠ - اللَّهُ يُزَيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
١٢٦ - إِنَّ اللَّهَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
٨٨ ، ٦١ ، ٤٤ - مِنَ الْجِلْمِ بِالْهَوَى: الْجَهْلُ بِمَا لَمْ يُخَيَّرِ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ
- سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالي، أبو محمد الكوفي
٢٢٩ - يَفْرَقُونَ بَيْنَ التُّرُكِ الْمُكَلَّفِ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التُّرُكِ الْمُجْتَزِي
- سعيد بن عبد العزيز
٢٢٩ - لَا إِيمَانَ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلٌ إِلَّا بِإِيمَانٍ
٢٢٩ - يُكْفَرُونَ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بَلَا عَمَلٍ
- سعيد بن محمد بن صبيح الفسافي، أبو عثمان بن الحدة
١٤٢ - كُلُّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُوسَى سَمِعَ الْكَلَامَ مِنَ الشَّجَرَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، قَدْ كَفَرَ
- صفوان بن سعيد بن مسروق القنوي، أبو عبد الله الكوفي
١١٣ - اللَّهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَجَلَسَتْ فِي كُلِّ مَكَانٍ
١١٣ - اللَّهُ يُزَيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ فَوْقَ التَّرَاضِي
١١٣ - اللَّهُ يَنْفُسُ وَيَرُضِي وَيَكَلِّمُ بِمَا شَاءَ
١١٣ - اللَّهُ يُنَزِّلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا
- سفيان بن عيينة بن ميمون أبو محمد الهلالي الكوفي
٢١٧ - الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ
١٥٥ - التَّوَرَاتُ خُرُجٌ مِنَ اللَّهِ
١١٣ - اللَّهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَجَلَسَتْ فِي كُلِّ مَكَانٍ
١١٣ - اللَّهُ يُزَيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ فَوْقَ التَّرَاضِي
١١٣ - اللَّهُ يَنْفُسُ وَيَرُضِي وَيَكَلِّمُ بِمَا شَاءَ

الصفحة	المصنف / القول
١١٣	- الله يَهْدِي إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا
٢٣٤	- لَا يَكْفُرُ أَحَدًا بَلَاءٌ، وَلَا يَنْهَضُ لِأَحَدٍ أَنَّهُ فِي الْبَيْتِ
٢٢٩	- يَهْرُفُونَ بَيْنَ التُّرْكِ الْكَلْبِيِّ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التُّرْكِ الشَّيْخِيِّ
	سقراط
١٥٩	- يَنْهَى الْقَدْرَ كُلَّهُ
	سليمان الفارسي، أبو عبد الله
٢١١	- وَيَزَانُ الْأَعْمَالُ لَهُ لِسَانٌ
	سليمان الفراء
١٤٠	- الْقَوْلُ بِخَلْقِي الْفَرَقَانِ فِي الْمَغْرِبِ
	سليمان بن خلف بن سعد، أبو الوليد الباجي
٤٨	- اعْتَصَدْتُ تَقَرِيرَ الْعَقَائِدِ عَلَى طَرِيقَةِ أَعْلَى الْكَلَامِ
	عبد الجبار بن أحمد، أبو الحسن الهمداني قاضي المعتزلة
٦٦	- تَأْوِيلُ الْيَدِ بِالْتَّعَمُّدِ
٦٦	- تَأْوِيلُ صِفَةِ الْكَلَامِ
٦٦	- طَرِيقَتُنَا فِي الْمُنَاسِبَةِ: أَنْ يَكُونَ لَهُ تَأْوِيلٌ صَحِيحٌ، يُخْرِجُ عَلَى مَلَقِ الْعَرَبِ
	عبد الرحمن بن عبد الله، أبو القاسم السهيلي الأندلسي
١٣٦	- صِفَةُ الْيَدِ تَأْبَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا تَوَرُّدٌ
١٣٦	- إِنَّهُ لَوْ يَتَّبَعْنِ وَجْهَهَا وَخَبَرَتْنِ
	عبد الرحمن بن عمرو، أبو عمرو الأوزاعي القلقه
٢٢٩	- لَا إِيمَانَ إِلَّا بِعَقْلِ، وَلَا عَقْلَ إِلَّا بِإِيمَانٍ
٢٢٩	- يُنْكِرُونَ قَوْلَ مَنْ يَهْوَى: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَقْلِ
	عبد الرحمن بن مهدي بن حسان اللؤلؤي، أبو سعيد البصري
٩٩	- قَدْ هَلَكَ قَوْمٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ
	عبد العزيز بن أبي سلمة، العماشون
٢٠٢	- مَنْ دَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُزِي بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ اسْتَشْبِهَ

- عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميري، أبو بكر المكي
٢٣٠ - من ترك العقل فله حتى يموت كافر في رواية
- ٢٣٩ - يفرقون بين الترك الكلي للمسلم وبين الترك الجزئي
- عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، أبو عبد الرحمن العمري
١١٣ - الله يطأ فوق العرش، وجلت في كل مكان
- ١١٣ - الله يرى يوم القيامة بالابصار فوق العرش
- ١١٣ - الله يرضى ويرضى ويكلم بما شاء
- ١١٣ - الله ينزل إلى سما الدنيا
- ٢٣٤ - لا يكفر أحدا بقلب، ولا يهتد لأحد أنه في الجنة
- عبد الله بن سعيد، أبو محمد القطان البصري، ابن كلاب
١٤١ - أثبت الكلام النفس
- خلق ما عدا الكلام النفس من المسموع والمفروغ والمحفوظ، والمكتوب
١٤١ والمتنبر
- ١٤٤ - تازع في إثبات الحرف والصوت
- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد الهاشمي
١٣١ - إثبات القلتين هـ
- ١١٩ - الكرسي ولم الله
- ١٢٠ - الكرسي قدوة الله
- ٩٤ - كيات الصفات بين المتكلمات
- ٢١١ - يبرأ الأعمال له لسان
- عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن المدني
٢٦٠ - رجع عن قتال تبلة الحروري
- عبد الله بن ليس بن سليم بن حنار، أبو موسى الأشعري
١٣١ - إثبات القلتين هـ
- عبد الله بن محمد الضعيف
١٤٨ - فند الخوارج أعنت الخوارج، ولقد جهمة هم الواقة

الصفحة

المطبع / القول

- عبد الله بن مسعود بن خاتل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن
١٣١ - إثبات القدمين له
- ١٢٠ - الكرسي غير العرش
- ١٢٠ - بين السماء الدنيا والتي تليها غشس وبق خام، وبين كل سماء غشس وبق خام
- عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، أبو المعالي الجويني إمام الحرمين
٤٣ - استحل إطلاق القول بأن العبد خالق أعماله
- ٤٣ - القدرة الحادثة تؤثر في مقدورها عتقاً
- ٤٣ - فعل العبد واقع بقدره قطعاً
- ٤٣ - قدرة العبد منفردة بالتأثير في فعله
- ٥٢ - نفي صفة الوجه
- ٥٢ - نفي صفة اليد
- ٥٢ - نفي صفتي العلو والاستواء
- عبد الملك بن قريش بن عبد الملك بن علي، أبو سعيد الأصمعي البصري
١٣٣ - إذا سيقط الرجل يقول: الاسم غير المسمى، فاحكم عليه بالزندقة
- عبد الوهاب الوراق
١٦٤ - غير من الاستواء بالعمود
- عبد الوهاب بن علي بن نصر، القاضي عبد الوهاب
١١٤ - نص على ذكر استواء الله على العرش بإدائه
- عثمان بن جني، أبو الفتح
٦٧ - أكثر اللغو مجازاً، لا حقيقة
- عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني، الحافظ أبو سعيد الدارمي
١٥٣ - إثبات النزول بلا تأويل ولا تشبيه، ولا تكيف ولا تعطيل
- عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الغساني
٤٧ - له ميل إلى بعض كلام البلاغين
- عكرمة مولى ابن عباس
١٦٤ - غير من الاستواء بالعمود

- علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أبو الحسن الهاشمي
٢٢٢ - التفرقة بين قتال الخوارج لإمام جَوْر وبين قتالهم لإمام عَدْل
٢٢٢ - عَدَم قتال الخوارج حتَّى يَهْلِكُوا السَّيِّئِينَ بِالْقِتَالِ
٢٢٢ - وَإِنْ خَالَفُوا إِمَامًا جَائِرًا فَلَا تَحَالُوهُمْ (الخوارج)
- علي بن أحمد بن سعيد، ابن حزم الظاهري
٢١١ - أَبْكَرُ الْكَلْبَيْنِ لِي بِيَزَانِ الْأَعْمَالِ
٢١٢ - بِأَخَذِ الْمَعَادِ كُتُبَهُمْ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ، وَالْمُؤْمِنُونَ بِالْإِيمَانِهِمْ، وَالْكَفَّارُ بِشِقَاتِهِمْ
- علي بن إسماعيل، أبو الحسن الأشعري البصري
١٣٧ - إثبات اليد والوجه حَقِيقَتَيْنِ حَقِيقَتَيْنِ زَائِلَتَيْنِ عَلَى الثَّابِتِ
٩٤ - حُضُورُ مَقَالَةِ التَّفْوِيزِ فِي مُتَعَلِّقِيهِ
٢٠٨ - لَيْسَ سَجْدَةُ خَرَكَةً، وَلَا زَوَالًا، وَلَا انْقِلَابًا
١٤٤ - نَازِعٌ فِي إثبات الحرف والصور
١١٤ - نَصٌّ عَلَى ذِكْرِ اسْتَوَاءِ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ بِلَايَةٍ
- علي بن محمد بن خلف، أبو الحسن بن القابسي القيرواني
٤٨ - الْأَعْتِمَادُ عَلَى السَّمْعِ
٤٨ - الْإِيمَانُ هُوَ التَّصَدُّقُ فَقَطْ
٤٨ - الْجَدَلُ وَعِلْمُ الْكَلَامِ
٤٨ - هُوَ يَهْلِكُوا كَمَا يَقُولُ أَعْلَى الْحَدِيثِ وَالْآخِرُ
٤٨ - نَصٌّ عَلَى إِخْرَاجِ الْعَمَلِ مِنَ الْإِيمَانِ
- علي بن مهدي، أبو الحسن الطبري
٥٢ - إثبات العِلَّةِ وَالْإِسْتَوَاءِ
٥٢ - إثبات الوجود
٥٢ - إثبات اليد
- عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاصم الأموي
٢٧٢ - يُقَالُ الْخُلَفَاءُ التَّرَائِدِيُّونَ مِنَ التَّصَلِّيَةِ بِكِتَابِ اللَّهِ

المصنف القول	الصفحة
عياض بن موسى بن عياض، القاضي أبو الفضل البجلي	
- اعتنق تقرير العقائد على طريقة أعلى الكلام	٤٨
عيسى بن يونس	
- لا يكفر أحدًا بذنب، ولا يهتد لأحد أنه في الجنة	٢٣٤
عليوم الثاني	
- الملوك هم مسؤولون أمام الله وحده	٢٦٧
عبدان الدمشقي	
- تصرف المخلوق مفرًا كتصرف الخالق	١٦٨
لؤيس الخامس عشر	
- الملوك هم مسؤولون أمام الله وحده	٢٦٧
لؤيس الرابع عشر	
- الملكية وكالة إلهية	٢٦٧
- الملوك هم مسؤولون أمام الله وحده	٢٦٧
- سلطة الملوك مستقلة من الله	٢٦٧
مالك بن انس بن مالك، أبو عبد الله الأصمعي المدني	
- الإيمان قول وعمل	٢١٧
- التعريف بين قتال الموارج لإمام مجزئ وبين قتالهم لإمام عدل	٢٢٢
- القرآن كان يصف من قال بخلفي كلام الله بالزندقة، وأمر بقتله	١٣٨
- القرآن كلام الله، وكلام الله مت، وليس من الله شيء مخلوق	١٣٨
- القرآن كلام الله، وكلامه لا يبدل ولا يتعد، وليس بمخلوق	١٣٨، ١٤٥
- الله يداوي فوق العرش، وجلته في كل مكان	١١٣
- الله سبحانه يداوي فوق العرش، وأن جلته في كل مكان	١١٣
- الله يرى يوم القيامة بالأنصار فوق العرش	١١٣
- الله يمتص ويترضى ويكلم بما شاء	١١٣
- الله يترى إلى سماء الدنيا	١١٣
- الميزان حق	٢٠٩

- ٥٨ - انتهى من علم الكلام صوماً بلا استثناء
- ٢٥٢ - أمسك عن التفصيل بين عثمان وعلي
- ٥٨ - أهل الأهواء هم أهل الكلام
- ٢٣٤ - أهل الذنوب مؤيدون لمليون
- ٢١٩ - تولف في تكفير الخوارج
- ١٣٢ - قول التابعي ليس حجة مقطوعة في الفروع والأصول
- ٥٤ - كان يحدّث أصحابه من علم الكلام
- ٢٠١ - كان يشدّ على منكر رؤية الله
- ٢٥١ - كان يفتلّ أبا بكر ويحتمز على غيره من الصحابة
- ٢٢٩ - لا إيمان إلا بعقل، ولا عقل إلا بإيمان
- ٥٥ - لا نجوى شهادة أهل البدع وأهل الأهواء
- ٢٥٩ - لا نصيب في القيرو لمن سب الصحابة والتابعين
- ٢٣٤ - لا يكفر أحداً بالنسب، ولا يشهد لأحد أنه في الجنة
- ١٣٦ - إن هو يذنب ووجهها وعين
- ٢٦٦ - ليس للإيمان شقها هو في زيادة أبنا
- ٥٤ - ما قلت الأكل في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء
- ٥٤ - من طلب الدين بالكلام، كزندق
- ١٢٧ - نبي مالك معرفة كيفية الصفات وفوضها، ولم يفوض الحقيقة
- ٢٢٩ - يفرقون بين الترك الكلي للعقل وبين الترك الجزئي
- ٢٢٩ - يذكرون قول من يقول: إن الإيمان قول بلا عقل
- منظومة الأشاعرة
- ١٣٦ - إثبات الوجود واليد هو تعالى على الحقيقة
- ٥٢ - إثباتهم الصفات الخيرية، ولا يتأولونها
- منظومة المالكية
- ٢٠١ - كانوا يُشَقِّقون على منكر رؤية الله
- ١٤٦ - كلام متقدمي المالكية يجري مجرى كلام السلف

المصنف

المذهب / القول

- محمد بن أحمد بن عبد الله، أبو بكر بن حنبل ومثله
 ٥٥ - أهل الأهواء هم أهل الكلام
 ٥٥ - كان ينتهي من قول شهادي أهل الكلام كاذباً
- محمد بن أحمد بن مجاهد، أبو عبد الله الطائي البصري
 ٥٢ - إثبات العلو والاسواء
 ٥٢ - إثبات الوجود
 ٥٢ - إثبات اليد
- محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله الشافعي
 ٤٤ - القيلة في الكلام الجليل به
 ٥٨ - انتهى عن علم الكلام عمومًا بلا استثناء
 ٢٢٢ - عذم قتال الخوارج حتى يقتلوا المصلين بالقتال
 ٢٣٦ - منظر أرواح المؤمنين بعد الموت في الجنة
 ٢٢٩ - يفرقون بين الترك الكثر للعسل وبين الترك النجس
- محمد بن أسعد الصديق، جلال الدين النولقي
 ٤٣ - الحواشي لا أول لها
 ٤٣ - الصفات عند غير الذات
 ٤٣ - يقول بتبعية الصفات
- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الإمام البخاري
 ١٤٣ - الله يتكلم بصوت
- محمد بن الطيب، أبو بكر الباقلاقي
 ٥٢ - إثبات العلو والاسواء
 ٥٢ - إثبات الوجود
 ١٣٦ - إثبات الوجود واليد هو تعالى على الحقيقة
 ٥٢ - إثبات اليد
 ١٧٣ - لا يقول بالكسب
 ١١٤ - نفس على ذكر استواء الله على العرش بلا

الصفحة

المصنف / القرون

- ١٣٦ - نفي الوجود والعدم هو تعالى بن تكملي المحتل
- محمد بن الكلاعي
- ١٤٠ - القول بخلق القرآن في المغرب
- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، ابن جرير الطبري
- ١١٤ - نفي على ذكر استواء الله على العرش بلاني
- محمد بن رشد، أبو الوليد بن رشد الجدي
- ١٢٨ - أسماء الله وصفاته إنما تكتفهم من جهة السمع
- ١٢٥ - الجبروت والحق والعدالة مستحيلة في صفات الله
- ١٣٦ - إن الله يخلق ووجهها ويمكن
- ١٢٥ - لم يمتنع أن يكون الاستواء من صفات الله القملي
- ١٢٨ - ما وصف الله به نفسه لا يتجلى للعقل فيه
- محمد بن سحنون بن سعيد بن حبيب، أبو عبد الله القرواني
- ١٣٧ - الله شئ نفسه، ولم يزل له الأسماء الحسن
- محمد بن عبد الله الأندلسي، أبو عبد الله، ابن أبي زعيم
- ١٠٨ - الله مستر على خلقه، يأن من خلقه، قرب لهم بوليه
- ٦١ - من العلم بالحق: الجهل بما لم يحكي الله به عن نفسه
- محمد بن عبد الله بن محمد، القاضي أبو بكر بن العربي
- ٤٨ - اعتقد تقرير المفاهيم على طريقة أهل الكلام
- ٤٩ - أنكر على ابن شريك وثقافة، وابن أبي زيد طريقتهما في إثبات المقام
- محمد بن علي بن محمد، أبو أحمد الكرجي النصاب
- ٩٣ - لا يلزم من إثبات حقيقة الصفات التثنية
- ٩٣ - لازم نفي الصفات التثنية
- محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي
- ١٣٧ - إثبات الأشعري الذي والوجه إثبات لا توقف فيه
- ٤٣ - الصفات ينسب وإضافات بين الذات وبين المعلوم والمقدوم والمراد

المصنفات

المصنفات/ الأقوال

- محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، أبو حامد الغزالي
٥٢ - نفى صفوة الوجوه
٥٢ - نفى صفوة اليد
٥٢ - نفى صفتي العلو والاسواء
محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي
٩٤ - حضور مفالة الطير في شطرنج
عبد الجبتي
١٦٨ - تصرف المخلوق تصرفاً كتصرف الخالق
مكي بن أبي طالب، أبو محمد القيسي القيرواني
٤٩ - أكثر كلامه التصريح بإثبات الاسواء
٤٩ - تأويل الاسواء بالفقارة
٤٩ - تأويل صفة اليد بالفقارة
١٥٣ - نفي النزول عن الله تعالى
وكيع بن الجراح بن طريح، أبو سليمان الرواسي الكوفي
١٢٤ - حذر عن الاسواء بالجلوس
٣٣٤ - لا يحكم أحداً بطلب، ولا يشهد لأحد أنه في الجنة
محبوب بن إبراهيم بن حبيب، القاضي أبو يوسف
٥٥ - من طلب الدين بالكلام، ترك الحق
يوسف بن عبد الله بن محمد، جمال الدين بن عبد البر
٤٧ - أبطل قول المتكلمين بتفسير الاسواء بالاستيلاء
٤٧ - إثبات علو الذات، واستواء الله على عرشه
٤٧ - إثبات نزول الله على الحقيقة على ما يليق به
٤٧ - الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة
٢٠٨ - الله ليس يتخلل للمركبات، ولا فيه شيء من علامات المخلوقات
٥٦ - لا تجوز المناظرة في مباحث النيات ومسائل الصفات
٥٦ - لا تقرر مباحث النيات ومسائل الصفات بالنظر

الصفحة

المطبع / القول

- ١٦٤ - لا نسفه، ولا نعيته، ولا نُظلم عليه، إلا ما سَمِيَ به نُسفه
- ٥٦ - ليس في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء في الكتاب أو السنة
- ٢٠٨ - ليس موجبة حركة، ولا زوالاً، ولا انقضاء
- ٢٣٦ - نُستقرُّ أرواح المومنين بعد الموت في أئمة القديسين
- ١٥٣ - نعم التزوي عن الله تعالى
- ١٦٤ - نقول: استوى بين لا تنكح إلى تنكح، ولا نقول: انكح
- ١٦٤ - نقول: خليل إبراهيم، ولا نقول: خليل إبراهيم
- ٨٧ ، ٦١ - نُهيّا عن التفكر في الله، وأمرنا بالتفكر في خلقه الدال عليه
- ٢٠٩ - هو على طريقه السلف في الصفات
- ٢٠٩ - يجيب الاستواء على ظاهره

٩ - فهرس حكمة التشريع ومقاصد الشريعة

الصفحة

٢٨٠

الحكمة/ المقصد

- التَّهَنُّيُّ عَنْ مَخَالَطَةِ الْيَاثِلِ

١٠ - فهرس الحكم والأمثال وماثور الأقوال

الصفحة	الحكمة/الأمثال وماثور الأقوال
٧٧	- أَوْعَى الْقُلُوبِ لِلْخَيْرِ مَا أَمَّ بِشَيْءٍ الشَّرُّ إِلَّا
٢١	- التَّوَشُّعُ بِالْمَعْنَى الْمَاجِلُ يُبْسِي النَّعِيمَ الْأَجَلَ
٥٩	- الَّذِينَ لَمْ يَزَلْهُ اللَّهُ لِلْإِذْكَ، بَلْ أَرْزَلَهُ اللَّهُ لِلْأَسْرَى
٦٠	- الْعِلْمُ الصَّحِيحُ يُورِثُ غَشِيَةَ اللَّهِ
٧٣	- الْغَايَةُ مِنَ الْعِلْمِ: الْعَمَلُ بِالْمَعْمُورِ، وَتَرْكُ الْمَحْظُورِ
١٦٢	- الْقَدَرُ لَا يُدْرِكُ بِجَهْدٍ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ تَقَالٍ
١٠	- الْقُرْآنُ قَلَامُ اللَّهِ، كَيْسَ يَسْتَلْقَى كَيْفَهُ، وَلَا يَمْلِكُ لِمَنْشُورِي قِيَمَتَهُ
١٢١	- اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْفَرْشِ الْمَنْشُورِ، وَعَلَى الْمَلِكِ الْمَنْشُورِ
٢٦٧	- النَّاسُ فِي حَاجَةٍ إِلَى عَالِمٍ مَنُجَرِّدٍ
١٥٧	- إِنَّ الْخَلْقَ لَا يَنْجِي مِنَ الْقَدَرِ
٧٧	- تَعْلِيمُ الشُّعَارِ لِكِتَابِ اللَّهِ، يُظْهِرُ خُصْبَ اللَّهِ
٧٧	- تَعْلِيمُ شَرْعٍ فِي الْعَشْرِ، عَالِقُشِي فِي الْحَبْرِ
١٦٨	- خَذَلْنَا اللَّهَ مِنْ قَضَاءٍ وَخَفَرْنَا بِهِ، فَأَسْلَمْنَا وَنَسَرْنَا إِلَيْكَ قَسَمِيهِ وَأَخْلَعْنَا
٧٧، ١٦	- نَحِيرُ الْقُلُوبِ أَوْخَاعًا لِلْخَيْرِ
٩٠	- كُلُّ عَظِيمٍ لَهُ آيَاتٌ
١٠	- كُلُّ شَيْءٍ يَتَّبِعُهُ، إِلَى مَا سَقَى مِنْ جُلُودٍ وَلَقْدَمَةٍ، مِنْ شَيْءٍ أَوْ سَجِيءٍ
١٦٨	- كُلُّ يَتَّقِي إِلَى سَابِقِ جُلُودٍ، لَا تَجِيضُ لِأَعْيُ عَنْهُ
١٩	- كَمَالُ التَّوَلَّى إِسَابَةُ الْحَقِّ مِنْ عِلْمٍ بِهِ
٢٧٥	- لَا تَقَارِعَنَّ الشُّرَّ بِرَأْيٍ، وَلَا تَقَارِعَنَّ بِقِيَّاسٍ
٢٧٥	- لَا تَسْتَبِرْ الْبَيْعَ إِلَّا عِنْدَ مَنْ هَكَالَ الْإِنْتِزَاقِ
٧٦	- لَا تَصْرَفْ أَحَدًا عَنِ الْحَقِّ وَهُوَ بِرَيْئَةٍ

الصفحة

الحكمة / المثل / والأمور / الأقوال

- لَا يَكُنْ قَوْلَ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِالسَّمْعِ، وَلَا قَوْلَ وَغَمَلٍ إِلَّا بِشَيْءٍ، وَلَا قَوْلَ وَغَمَلٍ
وَيْتَةٍ إِلَّا بِمَوَاقِفِ الشَّيْءِ
٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ١٢
- مَا قُلْتُ الْآثَرُ فِي قَوْمٍ إِلَّا ظَهَرَكَ فِيهِمُ الْأَعْرَاءُ، وَلَا قُلْتُ الْعِلْمَاءُ إِلَّا ظَهَرَ
فِي النَّاسِ الْبُهَاءُ
٥٤
- تَقَابُرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ تَعَالَى، وَتَضَرُّعُهَا عَنْ قَضَائِهِ
١٠
- مَنْ جَهَلَ الْأَثَرَ اسْتَحْسَنَ الْعَمَلَ بِالرَّأْيِ
٢٧٥
- مَنْ عَمِلَ الْعَمَلَ، فَشَدَّ دَبَاهُ، وَمَنْ عَمِلَ الْعَمَلَ، فَشَدَّ وَبَتَهُ
٢٠
- وَاجِبُ الْعِلْمَاءِ تَجَرُّدُ الْحَيِّ حَسَبِ الطَّاقَةِ، وَاعْتِمَادُ كَثِيرٍ عَلَى طَهَارَةِ
٤٥
- نَجِيءُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَنْزِلَةِ الْأَمْرِ وَجَسَابَتِهِ، وَتَعَفُّوئِهِ وَتَوَاضُعِهِ
١١
- يُبْهِلُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ لِيُخَلِّقَ بَعْدَهُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيَرْفَعَهُ بِمُضِلَّةِ
١٦٧
- يُبْهِلُ مَنْ يَشَاءُ فَيُخَلِّقَ بَعْدَهُ
١٠
- يَغْتَبِرُ الْمُتَعَبِّرُونَ بِكَأَيَّةٍ، وَلَا يَتَعَبَّرُونَ فِي تَأْيِيدِ نَآيَةٍ
٨٩ ، ٩
- يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيَرْفَعَهُ بِمُضِلَّةِ

١١ - فهرس الفوائد

الصفحة	المادة
١٤١	- ابنُ ثُلَّابٍ أول من تَرَفَّقَ بَيْنَ الكلامِ الفُصِيِّ وَبَيْنَ الكلامِ اللَّفْظِيِّ
٢٤	- إذا أُطْلِقَ بِرُفْقَةٍ، فالمراد بها: القِيَرَانُ
٢٩	- أَكْثَرُ دُروسِ الاعتزالِ حَقِيقَةٌ فِي القُرُوعِ
٣١	- إِنَّمَا قَبِلَتْ شِرْكَةُ أَهْلِ الظَّاهِرِ فِي السَّخَرِ الْأَقْصَى بَعْدَ ابْنِ حَزَمٍ
٤٢	- أَهْلُ الْحَدِيثِ يَزَامِعُهُم فِي القُرُوعِ، وَأَهْلُ الْكَلَامِ يَزَامِعُهُم فِي الْأَصُولِ وَالْقُرُوعِ
٣٠	- أَوَّلُ مَنْ ادَّخَلَ اللَّفْظَ الظَّاهِرِيَّ بِلَاذِ الْأَعْيُنِ تَلَامِيذُ دَاوُدَ الْأَصْفَهَانِيَّ
١٦١	- أَوَّلُ مَنْ شَهَرَ نَقْلَ الْقُلُوبِ
٤٥	- تحريفُ المعتزلةِ القرآنَ عَلَى وَشَوِّ الْكُفَّةِ
١٣٧	- لِسْمِ الْعَرَبِ مَا يَصِلُ مِنَ الْقَوْلِ إِلَى الْإِنْسَانِ كَلَامًا
	- كَانَ ابْنُ الْحَالِثِ نَاقِلَ حَقِيقَةِ ابْنِ حَنْبَلٍ إِلَى الْمَغْرِبِ مِنْ شُيُوخِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ
٢٦	الْقِيَرَانِيَّ
٢٣	- كَانَ السَّلَفُ يَسْتَوْدِعُ الْقِيَرَانِيَّ: بِرُفْقَةٍ
٣٠	- كَانَ الْمُخَافِيَّةُ يَسْتَوْدِعُ دَاوُدَ الظَّاهِرِيَّ: الْفَيَّاسِيَّ
٢٨	- كَثِيرٌ مِنْ أُمَرَاءِ الْأَحْزَالِيَّةِ كَانُوا عَلَى الْفِكْرِ الْاِعْتَزَالِيَّ
٢٧	- لَا يُوجَدُ مَالِكِيٌّ مُعْتَزَلِيٌّ إِلَّا أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ الْغَافِقِيَّ
٢٦	- لَا يَمِنُ مُتَحَدِّثُونَ كِتَابَ فِي أَكْثَرِ الْمُتَنَاطِلِينَ
٢٣٩	- لَمَّا دَا مَتَّيْتُ حَيَاةَ الْبَرْدُخِ بِهَذَا الْأَسْمِ
١٤٠	- هُمُ الْمَغَارِيَةُ يَقْتُلُ سُلَيْمَانَ الْفَرَّاءَ حِينَمَا قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ

١٢ - فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
التَّقْدِيمَةُ التَّحْقِيقِيَّةُ، لِلرَّسَالَةِ الْفَلَسَفِيَّةِ	٥
فصلُ العلمِ وأفضله	١٩
حفظُ العقلِ والعقل	٢٠
فصلُ قُرْبِ الزَّمانِ والمكانِ الأوَّلِ	٢١
التَّغْرِبُ في ذَمِّ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ	٢٢
السُّنَّةُ والأَكْثَرُ وعِلْمُ الْكَلَامِ في التَّغْرِبِ	٢٤
أَثَرُ التَّشْرِيقِ عَلَى التَّغْرِبِ	٢٥
فلسفةُ الْيُونَانِ وأَثَرُهَا عَلَى الْمُتَكَلِّمِينَ	٢٥
اعتقادُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ	٢٦
وجوهُ الاعتزالِ في الْمَغْرِبِ، وموقفُ الْعُلَمَاءِ مِنْهُ	٢٧
بدايةُ رَدِّ الْمَذَابِ عَلَى الْمَشَارِقَةِ في الْفُرُوعِ لَا في الْأَصُولِ	٢٩
أَسْبَابُ تَأْخُرِ ذِيْعِ عِلْمِ الْكَلَامِ في التَّغْرِبِ	٣١
أَسْبَابُ انْتِشَارِ عِلْمِ الْكَلَامِ في التَّغْرِبِ	٣٣
أَثَرُ الاعتزالِ في قَبُولِ عِلْمِ الْكَلَامِ عَلَى طَرِيقَةِ الْأَشْجَاعِ	٣٧
مَرَاتِبُ الْمُخَالَفَةِ لِقَضَائِي مَذْهَبِ الْأَقْرَبِ وَالْقُرْبِ مَعَهُ	٣٧
كُتَابَةُ أَهْلِ التَّغْرِبِ في الْعَقَائِدِ	٣٩
أَصُولُ مَالِكٍ وَفُرُوعُهُ، وَأَحْوَالُ أَصْحَابِهِ في التَّغْرِبِ	٤٠
الْحَدِيثُ وَالْكَلَامُ، وَأَثَرُهُمَا في الْخِلَافِ	٤٢
تَبَاثُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ، وَاسْتِحْلَافُهُمْ بِعِلْمِ الْكَلَامِ	٤٣
التَّأْوِيلُ وَالتَّفْوِيقُ في كَلَامِ بَعْضِ أَهْلِ السُّنَّةِ	٤٦
عِلْمُ الْكَلَامِ وَالْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ	٥٣
الرَّأْيُ وَعِلْمُ الْكَلَامِ	٥٤
نَهْيُ مَالِكٍ عَنْ عِلْمِ الْكَلَامِ، وَمَرَاتِبُهُ	٥٥

الصفحة	الموضوع
٥٩	الاستعمال في علم الكلام وأثره
٦٠	التصرف على الله بعلم الكلام يورث الوحشة
٦١	اعتقاد السلب في الصفات
٦٢	اللفظ وعلم الكلام، وأسباب انتشار البدعة
٦٤	خطأ المتكلمين في استعمال اللغة
٦٩	الشرح
٧٣	سنة الحلال، وحيث الحرام
٧٤	بيان المؤلف لموجب التأليف
٨١	فضل الصلاة على النبي، ومراعيته
٨٤	حكم الصلاة على غير النبي
٨٥	مجتنب اعتقاد أهل الشرك في الله تعالى
٨٦	حكم التفتيح في نكاح الله
٨٨	أنواع ظاهري الصفات
٩٠	معرفة الله بأياته الكونية
٩٠	سبب الوقوع في الشرك
٩٢	طبيعة التوفيق
٩٣	تاريخ تلقيه التوفيق
٩٥	نسبة التوفيق للسلف
٩٨	توهم التعظيم يؤدي إلى التوفيق والتعطيل
١٠٠	رواية الأئمة لأحاديث الصفات، واحترامهم من سوء فهمها
١٠٥	توهم اللوازم الباطلة يقضي إلى التوفيق والتأويل والتعطيل
١٠٥	علم الله
١٠٧	العلم والتميز
١١١	فني بعض الصفات لأجل توهم إحاطة المخلوقات بالخالق
١١٣	الاستواء على العرش
١١٨	الكرسي
١٢٠	إحاطة علم الله بكل شيء
١٢١	عودة إلى الكلام على استواء الله على العرش
١٢٢	الحذر من التشبيه، وحكم التعبير عن الصفات بما لم يرد في الشريعة من الإشارة والكلام

الموضوع	الصفحة
الأسماء والصفات	١٢٩
ما وَدَّ من الأسماء والصفات من الصحابة والتابعين	١٣٠
أسماء الله	١٣٢
حقيقة الصفات	١٣٣
الإقرار باليات الصفة يُبطلُ الظروف	١٣٥
كلامُ الله	١٣٧
ثبوتُ مالك وأصحابه على القول بخلق القرآن	١٣٨
ظهورُ القول بخلق القرآن في المغرب	١٤٠
أصلُ بينة خلق القرآن، والكلام القسري	١٤١
الكُرُث والصُّوْت	١٤٣
من احتجَّ بقاء الصوت والحرف لله	١٤٤
الرافضة في خلق القرآن، وسبب التشديد عليهم	١٤٨
من أدلة القائلين بخلق القرآن	١٤٩
صفةُ التَّجَلِّي هو تعالى	١٥٢
صفةُ تَرْوِيهِ الله تعالى	١٥٣
القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق	١٥٥
الإيمانُ بالقدر	١٥٦
تقديرُ الخيرِ والشرِّ	١٥٨
لا يُنسَبُ الشرُّ إلى الله	١٦٠
الجدالُ في القدر	١٦١
أعمالُ اليقارِ وعملُها	١٦٢
أمرُ الله ونهيُّه وقدرته، وترويضُ بعضِ النفوسِ بالقلم	١٦٣
العلمُ بالأسباب لا يُخرجُ صاحبه من قدرِ الله	١٦٥
علمُ الله بكلِّ شيء	١٦٦
مشيئةُ الله وقدرته على خلقِ أعمالِ اليقارِ	١٦٧
المُخالفون في القدر	١٦٨
الحتميةُ السَّيئة	١٧٣
نهيُّ القدرِ يُلزِمُ منه العجز	١٧٤

الموضوع	الصفحة
رسالة النبي، وكتابه	١٧٦
جنتهم رسالة النبي ﷺ للرسالات	١٧٧
حكم التاج ومن غير الإسلام	١٧٩
والكفر حيثما جاء بين جهات أعظمها	١٧٩
الإسلام وحرية الدين	١٨١
شبهات في حرية ترك الإسلام	١٨٢
الإيمان بالكتب السماوية، والجمعة من إرسال الرسل	١٨٥
مصدر تفسير القرآن	١٨٦
الإيمان بالقيامة وما فيها	١٨٨
التفخ في الصور	١٨٩
واختلفت في الثغبات	١٩٠
بمن الأجساد وجزأها	١٩٠
أشراط الساعة	١٩١
تنزيل أشرار الساعة على الواقع	١٩١
الحساب والعقاب	١٩٢
حكم من مات ولم يثب من قلبه	١٩٤
مصر من دخل النار من حصاة المسلمين	١٩٥
وخالف في هذا الخوارج والمعتزلة، والمرجئة	١٩٦
الشفاعة وأحكامها	١٩٦
رؤية الله في الآخرة	١٩٩
الجنة والنار، ولعن أعظمها الله	٢٠٣
خلق الجن والنار	٢٠٤
خلق الجنة والنار	٢٠٥
صفاء المجردة لله	٢٠٦
الوزن والوزن	٢٠٩
صالحات الأعمال، وكيف استلزامها يوم القيامة	٢١١
الصراط وأحوال الناس فيه	٢١٢
التوحيات الموروثة	٢١٤
حقيقة الإيمان	٢١٥

الموضوع	الصفحة
والطوائف المخالفة في هذا الباب على سبيل الإجمالي طائفتان	٢١٦
أسباب الاختلاف برأي الخوارج	٢١٩
العقيدة الجامعة للخوارج	٢٢٠
الموقف عند اجتماع الفلوات	٢٢٢
الموازنة بين المرحلة والخوارج	٢٢٣
زيادة الإيمان وتقصده	٢٢٣
زوال الإيمان وكسبه	٢٢٦
نقصان الإيمان عند مالك	٢٢٦
الاستثناء في الإيمان	٢٢٧
الإيمان قول وعمل	٢٢٨
حكم تارك العمل كله	٢٢٩
أثر إخراج العمل من الإيمان	٢٣١
التكفير بالذنوب، وأحوال الطوائف	٢٣٢
لأرواح التنزي وأحوالها	٢٣٥
القبر وقيته	٢٣٨
كتابة الأعمال على المكلفين	٢٤١
الأرواح وقبورها	٢٤٣
فضل خير القرون	٢٤٥
معنى القرن	٢٤٦
فضل الصحابة، وتفاضلهم	٢٤٧
الوقوف في الصحابة	٢٤٨
التفاضل بين الصحابة	٢٥٠
التوسع في التفصيل بين الصحابة	٢٥٢
ظهور الظن في الصحابة في المغرب	٢٥٣
ما شجر بين الصحابة	٢٥٤
امتداد أهل المغرب بالصحابة	٢٥٦
فتة الرافضة إذا تمكثوا	٢٥٧
الطاعة لأئمة المسلمين بالمعروف	٢٥٨
الخروج على الأئمة وأحوالهم	٢٥٩

الصفحة	الموضوع
٢٦٢	نصح الأئمة
٢٦٢	وَجُزُّ أَثَرِ الْمُسْلِمِينَ وَعَلَمُهُمْ وَأَخْطَاؤُهُمْ عَلَى نَوْعَيْنِ
٢٦٤	الخطأ في نصوص الشئخ والطاعة
٢٦٨	ابتلاء النصيح
٢٦٨	تجرّد النصيح
٢٦٩	فضل الشئخ وأبائهم
٢٧٠	سب تفصيل السلف
٢٧١	تعظيم فقه الصحابة
٢٧٢	الاستدلال بحديث يخالف الصحابة
٢٧٣	حليّة العمل الذي يقمّ على الحديث
٢٧٦	ترك الجواز والجدال
٢٧٦	تَرْكُ مَعْرِفَةِ حَقِّ اللَّهِ
٢٧٧	المجهّد بيّنة
٢٧٨	التحليل بين الجدال والجواز في الشئخ
٢٧٩	حصن النصيب وسوءه، وأثره على فهم القرآن
٢٨٠	تجسّر الجدال والجواز وأهله
٢٨٣	التفهرس العامة
٢٨٥	١ - فهرس الآيات
٣٠٤	٢ - فهرس الأحاديث
٣١٠	٣ - فهرس الآثار وأقوال الأئمة والعلماء
٣٢٣	٤ - فهرس الأشعار والأرجاز وأنصاف الآيات
٣٢٤	٥ - فهرس المصطلحات
٣٢٥	٦ - فهرس الفوائد والكليات
٣٣١	٧ - معجم الموضوعات ورؤوس المسائل
٣٥٥	٨ - فهرس الملأعب والأقوال
٣٧٥	٩ - فهرس حكمة التشريع ومقاصد الشريعة
٣٧٦	١٠ - فهرس الحكم والأمثال ومأثور الأقوال
٣٧٨	١١ - فهرس الفوائد
٣٧٩	١٢ - فهرس الموضوعات

المَغْرِبِيَّةُ

شَرْحُ الْعَفِيكَةِ الْقَمَرَوَانِيَّةِ

(وهو ما تغلّد القمرواني من قول مَالِك، والمغلوط من سَكَنِيَّة، وما
عليه أهل السُّنَّةِ وأئمّة النّاس في العَفِيَّةِ والحَبِثِ)

تأليف

عبد العزيز بن مرزوق الصّريحي

مكتبة طار المستطاع بالرياض